موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام

الجزء السابع عشر

الإمام محمد الباقر عليه السلام

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام
لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام

شبكة الفكر
alfeker.net

موسوعة

سيرة أهل البيت عليهم السلام

الإمام محمد الباقر عليه السلام

موسوعة

سيرة أهل البيت عليهم السلام

الجزء السابع عشر

الإمام محمد الباقر عليه السلام

تأليف

باقر شريف القرشي

تحقيق

مهدي باقر القرشي

موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام

تأليف: باقر شريف القرشي

تحقيق: مهدي باقر القرشي

الناشر : .... دار المعروف ـ مؤسّسة الإمام الحسن عليه السلام

المطبعة : .... ستار

الطبعة الثانية : .... ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

عدد النسخ : .... ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلّف

ردمك الـــدورة : ١ ـ ٤٢ ـ ٨٢٧٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

ردمك الجزء (١٧) : ٩ ـ ٥٩ ـ ٨٢٧٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

عنوان الناشر : النجف الأشرف ـ شارع الرسول صلى الله عليه وآله

مكتبة الإمام الحسن عليه السلام ـ هاتف ٠٠٩٦٤ ٧٨٠٥٦٩٤٩٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إليك يا مفجّر العلم والنور في الأرض

إليك يا رسول الإنسانيّة

إليك يا خاتم النبيّين

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

أرفع إلى مقامك العظيم هذا البحث المتواضع

عن سيرة حفيدك

الإمام الباقر عليه السلام

الذي سمّيته باسمك، ولقّبته بباقر العلم.. فكان المجدّد لدينك، والمحيي لسنّتك، فليس أحد أوْلى بهذا الإهداء منك، فتقبّل هذه البضاعة المزجاة، وتلطّف عليَّ برضاك، ليكون ذخراً لي يوم ألقاك.

المؤلّف

تقديم

١ الإمام محمّد الباقر عليه السلام من أفذاذ العترة الطاهرة، ومن أعلام أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ومن أبرز رجال الفكر والعلم في الإسلام، فقد قام ـ فيما أجمع عليه المؤرّخون ـ بدور إيجابي وفعّال في تكوين الثقافة الإسلاميّة، وتأسيس الحركة العلميّة في الإسلام، فقد تفرّغ لبسط العلم وإشاعته بين المسلمين في وقت كان الجمود الفكري قد ضرب نطاقه على جميع أنحاء العالم الإسلامي، ولم تعد هناك أيّة نهضة فكريّة أو علميّة، فقد منيت الأُمّة بثورات متلاحقة، وانتفاضات شعبيّة، كان مبعثها تارة التخلّص من جور الحكم الأموي واضطهاده، وأُخرى الطمع بالحكم، وأُهملت من جرّاء ذلك الحياة العلميّة إهمالاً تامّاً، فلم يعد لها أي ظلّ على مسرح الحياة.

وقد ابتعد الإمام الباقر عليه السلام عن تلك التيّارات السياسيّة ابتعاداً مطلقاً، فلم يشترك بأي عمل سياسي يتصادم مع الحكم القائم آنذاك، واتّجه صوب العلم فرفع مناره، وأسّس قواعده، وأرسى أُصوله، فكان الرائد والمعلّم والقائد لهذه الأُمّة في مسيرتها الثقافيّة، وقد سار بها خطوات واسعة في ميادين البحوث العلميّة ممّا يعتبر عاملاً جوهريّاً في ازدهار الحياة الإسلاميّة وتكوين حضارتها المشرقة في الأجيال التي جاءت بعده.

وكان من أهمّ ما عنى به الإمام أبوجعفر عليه السلام نشر الفقه الإسلامي الذي يحمل روح الإسلام وجوهره وتفاعله مع الحياة، فسهر على إحيائه، فأقام مدرسته الكبرى التي زخرت بكبار الفقهاء، كأبان بن تغلب ومحمّد بن مسلم وبريد وأبي بصير الأسدي

والفضيل بن يسار ومعروف بن خربوذ وزرارة بن أعين ، وهؤلاء الأعلام ممّن أجمعت العصابة على تصديقهم والإقرار لهم بالفقه ، وإليهم يرجع الفضل في تدوين أحاديث أهل البيت عليهم السلام ، ولولاهم لضاعت تلك الثروة الفكريّة الهائلة التي يعتزّ بها العالم الإسلامي ، وهي إحدى المدارك الأساسيّة لفقهاء الشيعة في استنباطهم للأحكام الشرعيّة .

والشيء الذي يدعو إلى الاعتزاز بسيرة الإمام هو أنّه قد تبنّى هؤلاء الفقهاء ، فأشاد بهم ، وعزّز مركزهم ، وأرجع الأُمّة إلى فتواهم .

يقول عليه السلام لأبان بن تغلب : « اجْلِسْ في مَسْجِدِ الْمَدينَةِ وَأَفْتِ النّاسَ ، فَإِنّي أُحِبُّ أَنْ يُرىٰ في شيعَتي مِثْلُكَ »(١) .

وقد قام بتسديد نفقاتهم وما يحتاجون إليه في حياتهم المعاشيّة ليتفرّغوا إلى تحصيل العلم وضبط قواعده وتدوينه ، وعهد من بعده إلى ولده الإمام الصادق عليه السلام القيام برعايتهم والإنفاق عليهم حتّى لا تشغلهم الحياة الاقتصاديّة عن القيام بأداء مهمّاتهم . .

وقد قاموا بدور بنّاء في تدوين الحديث الذي سمعوه منه ، كما أخذوا يلقون على البعثات الدينيّة ما رووه عنه ، وقد روى عنه تلميذه جابر بن يزيد الجعفي سبعين ألف حديث(٢) .

كما روى عنه أبان بن تغلب مجموعة كبيرة من الأحاديث ، وقد حفلت الموسوعات الفقهيّة بحشد كبير من رواياتهم عنه ، فجميع أبواب الفقه من العبادات وسائر العقود والإيقاعات مدعمة بالروايات عنه ، فكان المؤسّس والناشر لفقه أهل البيت الذي يحتلّ الصدارة في الفقه الإسلامي .

---

(١) رجال النجاشي : ١٠/٧. جامع الرواة : ١ : ٩.

(٢) ميزان الاعتدال : ١ : ٣٨٣.

٢ ولم يقتصر الإمام في محاضراته وبحوثه على الفقه الإسلامي ، وإنّما خاض جميع ألوان العلوم من الفلسفة وعلم الكلام والطبّ ، أمّا تفسير القرآن الكريم ، فقد استوعب اهتمامه ، فقد خصّص وقتاً له ، وقد دوّن أكثر المفسّرين ما يذهب إليه وما يرويه عن آبائه في تفسير الآيات الكريمة ، وقد ألّف كتاباً في التفسير رواه عنه زياد بن المنذر الزعيم الروحي للفرقة الجاروديّة[1] .

ويعرض هذا الكتاب إلى بيان ذلك ، وتقديم نماذج من تفسيره لبعض الآيات ، وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الإمام عليه‌السلام قد تحدّث عن أحوال الأنبياء وما لاقوه من الاضطهاد من فراعنة زمانهم ، كما عرض لبعض حكمهم وآدابهم ، وعنه أخذ أكثر الباحثين في أحوال الأنبياء .

وتحدّث عليه‌السلام بصورة موضوعيّة وشاملة عن السيرة النبويّة ، وشرح أحوال الرسول الأعظم صلى‌الله‌عليه‌وآله ومغازيه وحروبه .

وقد رواها عنه ابن هشام والواقدي والحلبي وغيرهم من المدوّنين للسيرة النبويّة ، كما روى عليه‌السلام عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله بسنده عن آبائه مجموعة كبيرة من الأحاديث تتعلّق بآداب السلوك وحسن الأخلاق ، وما ينبغي أن يتّصف به المسلم من الصفات الرفيعة التي تجعله قدوة لغيره .. وروى بصورة شاملة الأحداث التأريخيّة التي جرت في العصر الإسلامي الأوّل ، وقد نقلها عنه الطبري في تاريخه ، والبلاذري في أنسابه .

وناظر عليه‌السلام مع بعض علماء المسيحيّين والأزارقة ، وجادل الملحدين ، وقاوم الغلاة ، وقد خرج من مناظراته وهو ظافر قد اعترف الخصم بقدراته العلميّة والعجز عن مجاراته . ويعرض هذا الكتاب إلى ذكر ذلك .

لقد ترك الإمام عليه‌السلام ثروة فكريّة هائلة تعدّ من ذخائر الفكر الإسلامي ، ومن مناجم الثروات العلميّة في الأرض ، وليس من المستطاع تسجيل جميع ما أُثر عنه من العلوم

---

(١) فهرست الطوسي : ١٣١/٣٠٣.

والمعارف ، فإنّ ذلك يستدعي وضع عدّة مجلّدات ، وإنّما أشرنا إلى بعضها وتركنا الباب مفتوحاً لمن يريد أن يبحث بصورة شاملة عن ثرواته العلميّة .

وعلى أي حال ، فإنّ التاريخ لم يعرف إماماً كمحمّد الباقر عليه السلام ، قد وقف حياته كلّها لنشر العلم وإذاعته بين الناس ، فكان ـ فيما يقول الرواة ـ قد أقام في يثرب سادناً أميناً كالجبل ـ أو كالبحر ـ وهو يغذّي رجال الفكر وروّاد العلم بفقهه وعلمه الذي يحمل عناصر التقدّم ، وعناصر الحياة لا لهذه الأُمّة فحسب ، وإنّما للناس جميعاً .

٣ وكما كان الإمام الباقر عليه السلام من عمالقة الفكر والعلم في الإسلام ، فقد كان من أبرز أئمّة المسلمين فيما أُوتي من عظيم الأخلاق والتجرّد من كلّ نزعة ماديّة أو أنانيّة ، فكان في سلوكه يمثّل روح الإسلام وفكره وانطلاقه في هداية الناس وتهذيب أخلاقهم .

ويجمع المؤرّخون أنّه كان مشغولاً في أكثر أوقاته بذكر الله ، وأنّه كان ينفق لياليه ساهراً في الصلاة لله ومناجاته ، شأنه شأن آبائه الذين هم مصابيح الهداية والتقوى في الأرض ، وقد تحرّج الإمام في حياته كأشدّ ما يكون التحرّج ، فزهد في الدنيا ، وابتعد عن جميع زخارفها ، واتّجه بقلبه وعواطفه نحو الله ، فآثر طاعته على كلّ شيء ، وعلى كلّ ما يقرّبه إليه زلفى ، فلم ينقاد لأيّة نزعة من نزعات الهوى ، وإنّما تحرّر منها تحرّراً كاملاً ، ولم يعد لها أي سلطان عليه .

لقد كانت سيرة الإمام تحاكي سيرة جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في جميع مكوّناتها وذاتيّاتها ، ولا يكاد يقرأها أحد إلّا ويذهب به الاعجاب كلّ مذهب ، ويمضي به الاكبار إلى غير حدّ .

٤ وامتحن الإمام الباقر عليه السلام وهو في غضارة الصبا امتحاناً شاقّاً وعسيراً ، فقد شاهد رزايا كربلاء وما جرى على العترة الطاهرة من صنوف القتل

والتنكيل ، فقد جرت أمامه عمليّة القتل الجماعي بوحشيّة قاسية لعترة النبيّ ﷺ ، ولم يتأثّم الجيش الأموي في قتل الأطفال الأبرياء والنساء والشيوخ ، والتمثيل الآثم بجثمان الإمام العظيم ، وغير ذلك من الكوارث التي تذوب من هولها القلوب ، وقد حمل أسيراً مع أُسارى أهل البيت إلى ابن مرجانة ، فبالغ في إذلالهم واحتقارهم ، وأظهر الشماتة والحقد بقتله لعترة النبيّ ﷺ وذرّيته ، وحملهم إلى الطاغية الفاجر يزيد بن معاوية فقابلهم بمزيد من الاحتقار والتوهين .

وقد وعى الإمام الباقر عليه‌السلام تلك الأحداث المؤلمة ، فملأت قلبه ألماً عاصفاً ، وطبعت في نفسه اللوعة والحزن ، وظلّت ملازمة له طول حياته ، فلم يهنأ بعيش ، ولم تطب له الحياة ، وقد انطوت نفسه على حزن عميق وأسى مرير .

ومن الكوارث التي دهمته وهو في غضون الصبا واقعة الحرّة التي انتهك فيها جيش يزيد حرمة مدينة الرسول ﷺ ، فاستباح الأعراض والأموال وأزهق النفوس ، ولم تبق حرمة لله إلّا انتهكها ، ولم ينج من أهوال تلك الكارثة الأليمة إلّا الإمام زين العابدين عليه‌السلام لوصيّة عهد بها يزيد إلى جلّاده المسرف الأثيم مسلم بن عقبة ، وتركت هذه الصور الحزينة في نفس الإمام شعوراً انبعاثياً طافحاً بالأسى والحزن .

٥ وكان عصر الإمام من أدقّ العصور في الإسلام ، فقد كانت الحياة فيه بشعة شديدة الظلام ، ومرهقة أشدّ ما يكون الارهاق ، فقد تفجّرت البلاد الإسلاميّة ببركان من الثورات ، كانت نتيجة لسوء السياسة الأمويّة التي لم تضع نصب أعينها مصلحة الشعوب الإسلاميّة ، وإنّما راحت تتصرّف بوحي من رغباتها الخاصّة من دون أن تُولي أي اهتمام بمصالح الأُمّة ، فقد وضعت عليها الضرائب الثقيلة ، وشدّدت في أمر الخراج ، وسلبت ثروات الأُمّة وأنفقتها على شهواتها وملاذّها ، واستبدّت أشرّ ما يكون الاستبداد في جميع شؤونها .

ولا بدّ لنا أن نذكر الحكومات التي عاصرها الإمام ، ونعرض الأحداث السياسيّة

التي جرت في ذلك العصر ، ويجب أن نلاحظها بدقّة وإمعان ، فهي ممّا تمسّ الحياة الاجتماعيّة والفكريّة في ذلك العصر الذي نشأ فيه الإمام عليه السلام .

ومن الطبيعي أنّ الباحث إذا أهمل ذلك فإنّه من غير الممكن أن يتوصّل إلى دراسة الشخصيّة التي يبحث عنها أو يهتدي إلى فهمها حسب الدراسات الحديثة .

إنّ من الأمانة للعلم والرغبة في الحقّ إظهار تلك الأحداث والتدليل على مصادرها ، ومناقشة المصادر التي لم تخضع للحقّ ، وإنّما كانت خاضعة للأهواء التي هي أبعد ما تكون عن الواقع ، فإنّ الدراسة بهذا اللون ـ فيما نحسب ـ تعود على القرّاء بمزيد من الفائدة .

٦ ولم تحظ المكتبة العربيّة بدراسة عن هذا الإمام العظيم الذي هو من عناصر الثقافة والتكوين الحضاري لهذه الأُمّة ، فإنّه ليس من الوفاء في شيء أن نهمل حياة عظمائنا في حين أنّ الأُمم الحيّة قد عنت بتخليد عظمائها والإشادة بهم ، وإبراز مآثرهم إلى العالم للتدليل على مدى أصالتها وما تملكه من القيم الكريمة .

يقول العقّاد : « إنّ الأوربيّين قد وجدوا من علمائهم من يشيد بعظمائهم ، ويستقصي نواحي مجدهم ، بل قد دعتهم العصبيّة أحياناً أن يتزايدوا في نواحي هذه العظمة ، ويعملوا الخيال في تبرير العيب وتكميل النقص تحميساً للنفس ، وإثارة لطلب الكمال ، أمّا نحن فقد كان بيننا وبين عظمائنا سدود وحواجز حالت بين شبابنا والاستفادة منهم » .

ومن هو أحقّ بالإشادة من الإمام محمّد الباقر عليه السلام الذي هو من أبرز القادة الطليعيّين لهذه الأُمّة ، وأحد عباقرة هذه الدنيا ، والذي كان من بعض مآثره وخدماته تحرير النقد العربي والإسلامي من السيطرة الخارجيّة ، وجعله مستقلاً بنفسه غير مرتبط بالامبراطوريّة الرومانيّة بما سنذكره تفصيلاً في غضون هذا الكتاب .

وقد عنى القدامى بالبحث عن سيرة الإمام أبي جعفر عليه السلام ، فألّف الجلودي

عبدالعزيز بن يحيى (المتوفّى سنة ٣٣٠هـ) كتاباً أسماه «أخبار أبي جعفر الباقر»[١] ذكر فيه أحواله وشؤونه، إلّا أنّا لم نعثر عليه في خزانة المخطوطات التي حفلت بها مكتباتنا العامّة. ولعلّه يوجد في خزائن المخطوطات الأُخرى في العالم أو أنّه قد ضاع في ضمن المخطوطات الكثيرة التي خسرها العالم العربي والإسلامي.

وقد ساعدني التوفيق ـ والحمد لله ـ فتشرّفت بالبحث عن سيرة هذا الإمام العظيم، ومن الحقّ أنّي لم أرَ صورة أروع ولا أنظر منه، فهو يمثّل جميع القيم الإنسانيّه التي يعتزّ بها كلّ إنسان.

وقد عكفت على مراجعة جملة كبيرة من المصادر المخطوطة والمطبوعة التي عرضت لترجمته، وتدوين بعض مآثره وحكمه، وأنا واثق كلّ الوثوق أنّ الباحث المتتبّع يجد أضعاف ما كتبته عن حياته ممّا قد خفي علَيَّ، ولا أزعم أنّي أحطت بترجمته أو دوّنت جميع ما أُثر عنه، وإنّما ألقيت أضواءً على شخصيّته، وتركت الباب مفتوحاً لغيري من البحّاث للكشف عن حياته. وما توفيقي إلّا بيد الله يهبه لمن يشاء من عباده.

مكتبة الإمام الحسن العامة
النجف الأشرف

باقر شريف القرشي

---

(١) الذريعة: ١: ٣١٥. الأعلام: ٧: ١٥٣.

الوليد العظيم

واستقبل أهل البيت عليهم السلام بمزيد من الفرح والسرور الوليد المبارك الذي ازدهرت به الحياة الفكريّة والعلميّة في الإسلام ، وكان ابتهاجهم به أعظم ما يكون الابتهاج؛ لأنّه أوّل مولود التقت به عناصر السبطين والنيّرين: الحسن والحسين عليهما السلام ، وامتزجت به تلك الأُصول الكريمة التي أعزّ الله بها العرب والمسلمين ، أمّا الأصلاب الكريمة والأرحام المطهّرة التي تفرّع منها ، فهي :

الأمّ

أمّا أُمّه فهي السيّدة الزكيّة الطاهرة فاطمة بنت الإمام الحسن سيّد شباب أهل الجنّة ، وتكنّى أُمّ عبدالله(١).

وكانت من سيّدات نساء بني هاشم ، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يسمّيها **«الصِّدِّيقَة»**(٢).

ويقول فيها الإمام جعفر الصادق عليه السلام : **«كانَتْ صِدِّيقَةً ، لَمْ تُدْرِكْ فـي آلِ الْـحَسَنِ مِثْلُها»**(٣).

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات : ١: ٨٧. وفيات الأعيان : ٣: ٣٨٤. المحبّر : ٥٧. تاريخ اليعقوبي : ٢: ٦٠. أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل : ٤: ٤٦٤. النفحة العنبريّة : ٥٠.

(٢) الهداية الكبرى / حسين بن حمدان الخصيبي : ٢٤٠. الدرّ النظيم : ٦٠٣.

(٣) أُصول الكافي : ١: ٤٦٩.

وحسبها سموّاً أنّها بضعة من ريحانة رسول الله ، وأنّها نشأت في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وتربّى الإمام الباقر عليه السلام في حجرها الطاهر ، فأفرغت عليه أشعة من روحها الزكيّة ، وغذّته بمثلها الكريمة ، حتّى صارت من خصائصه وذاتيّاته .

ولم تتوفّر لنا أيّة معلومات عن المدّة التي عاشها مع اُمّه ، فقد أهملت المصادر التي بأيدينا ذلك ، ولم تشر إليه بقليل ولا بكثير ، كما لم تتوفّر لنا أيّة معلومات عن سائر شؤونها .

الأب

أمّا الأب فهو سيّد الساجدين وزين العابدين ، ومن ألمع سادات المسلمين فقهاً وعلماً وتحرّجاً في الدين ، وسنذكر عرضاً موجزاً لشؤونه في البحوث الآتية .

الوليد العظيم

أشرقت الدنيا بمولد الإمام الزكيّ محمّد الباقر الذي بشّر به النبيّ صلى الله عليه وآله قبل ولادته ، وكان أهل البيت عليهم السلام ينتظرونه بفارغ الصبر؛ لأنّه من أئمّة المسلمين الذين نصّ عليهم النبيّ صلى الله عليه وآله ، وجعلهم قادة لاُمّته ، وقرنهم بمحكم التنزيل ، وكانت ولادته في يثرب في اليوم الثالث من شهر صفر سنة (٥٦هـ)[١] .

وقيل : سنة (٥٧هـ) في غرّة رجب يوم الجمعة[٢] .

وقد ولد قبل قتل جدّه الإمام الحسين عليه السلام بثلاث سنين[٣] .

---

(١) وفيات الأعيان : ٣ : ٣١٤ . تذكرة الحفّاظ : ١ : ١٢٤ . نزهة المجالس : ٢ : ٣٦ .

(٢) دلائل الإمامة : ٩٤ . دائرة المعارف / فريد وجدي : ٣ : ٥٦٣ .

(٣) تاريخ ابن الوردي : ١ : ١٨٤ . أخبار الدول : ١١١ . وفيات الأعيان : ٣ : ٣١٤ .

وقيل: بأربع سنين، كما أدلى عليه السلام بذلك[١].

وقيل: بسنتين وأشهر[٢]، وهو قول شاذّ لا يعنى به.

وقد أُجريت له فور ولادته المراسيم الشرعيّة من الأذان والإقامة في أُذنيه، كما أُجريت له بعض المراسيم الأُخرى في اليوم السابع من ولادته من حلق رأسه والتصدّق بزنة شعره فضّة على المساكين، والعقّ عنه بكبش والتصدّق به على الفقراء.

وكانت ولادته في عهد معاوية والبلاد الإسلاميّة تعجّ بالظلم، وتموج بالكوارث والخطوب من ظلم معاوية وجور ولاته الذين نشروا الارهاب وأشاعوا الظلم في البلاد، وقد تحدّث الإمام الباقر عليه السلام عن تلك المظالم الرهيبة، وسنذكر حديثه في غضون هذا الكتاب.

تسميته عليه السلام

وسمّاه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بمحمّد، وكنّاه بالباقر قبل أن يولد بعشرات السنين، وكان ذلك من علامات نبوّته، كما يقول بعض المحقّقين، وقد استشفّ صلى الله عليه وآله من وراء الغيب ما يقوم به سبطه من نشر العلم وإذاعته بين الناس، فبشّر به أُمّته، كما نقل له تحياته على يد الصحابي الجليل جابر الأنصاري، وسنلمح إلى ذلك فيما يأتي.

كنيته عليه السلام

أمّا كنيته، فهي: «أبو جعفر»[٣] ولا كنية له غيرها، لقد كنّي بولده الإمام

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٦٠.

(٢) كشف الغمّة: ٢: ٣٢٨. بحار الأنوار: ٤٦: ٢١٨، الحديث ٢٠. عيون المعجزات: ٦٦.

(٣) دلائل الإمامة: ٩٤.

جعفر الصادق عليه السلام الذي بعث الروح والحياة في هذه الأمّة، وفجّر ينابيع الحكمة في الأرض.

ألقابه عليه السلام

أمّا ألقابه الشريفة، فقد دلّت على ملامح شخصيّته العظيمة ونزعاته الرفيعة، وهي:

١ ـ **الأمين**(١).

٢ ـ **الشبيه**: لأنّه كان يشبه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله(٢).

٣ ـ **الشاكر**(٣).

٤ ـ **الهادي**(٤).

٥ ـ **الشاهد**(٥).

٦ ـ **الباقر**(٦).

وهذا من أكثر ألقابه ذيوعاً وانتشاراً، وقد لقّب هو وولده الإمام الصادق عليه السلام بـ(الباقرين)، كما لقّبا بـ(الصادقين) من باب التغليب(٧).

---

(١) دلائل الإمامة: ٢١٧.

(٢) الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة: ٦٠٣. تذكرة الخواص: ٣٢٦. مناقب آل أبي طالب: ٤: ٢١٠. نور الأبصار: ٢٨٨. دلائل الإمامة: ٢١٦. أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل: ٤: ٤٦٤.

(٣) و(٤) كشف الغمّة: ٢: ٣٢٩.

(٥) ناسخ التواريخ ـ في أحوال الإمام الباقر عليه السلام (فارسي): ٤٦.

(٦) تذكرة الحفّاظ: ١: ١٢٤. نزهة المجالس: ٢: ٣٦. مرآة الجنان: ١: ٢٤٧. دائرة المعارف / وجدي: ٣: ٥٦٣.

(٧) جامع المقال / الشيخ الطريحي: ١٨٥.

وأجمع المؤرّخون والمترجمون للإمام على أنّه إنّما لقّب بالباقر لأنّه بقر العلم، أي شقّه، وتوسّع فيه، فعرف أصله وعلم خفيّه[١].

وفيه يقول الإمام الرضيّ:

يـا بـاقِرَ العِلْمِ لأَهْلِ التُّقىٰ ... وَخَيرَ مَنْ لَبى عَلى الأَجْبُلِ[٢]

وكأنّهم نظروا في ذلك إلى ما أُثر عنه من سعة العلوم والمعارف، فجعلوا هذا اللقب مشعراً بها، وقيل: إنّما لقّب به لكثرة سجوده، فقد بقر جبهته، أي فتحها ووسّعها[٣].

وقيل: إنّما لقّب بذلك لقوله: «**اسْتَصْرَخَني الْحَقُّ وَقَدْ حَواهُ الْباطِلُ في جَوْفِهِ، فَبَقَرْتُ عَنْ خاصِرَتِهِ، وَأَطْلَعْتُ الْحَقَّ مِنْ حُجُبِهِ، حَتّىٰ ظَهَرَ وَانْتَشَرَ بَعْدَما خَفِيَ**»[٤].

ولكنّ المشهور والذائع بين المؤرّخين المعنى الأوّل دون غيره.

تحيّات النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الباقر عليه السلام

ويجمع المؤرّخون والرواة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حمّل الصحابي العظيم جابر بن عبدالله الأنصاري تحيّاته إلى سبطه الإمام الباقر، وكان جابر ينتظر ولادته بفارغ الصبر ليؤدّي إليه رسالة جدّه، فلمّا ولد الإمام وصار صبيّاً يافعاً التقى به جابر، فأدى إليه تحيّات النبيّ صلى الله عليه وآله.

وقد روى المؤرّخون ذلك بصور متعدّدة، وهذه بعضها:

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار: ٢١٣. عمدة الطالب: ١٨٣.

(٢) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام: ١٣٣.

(٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٥: ٧٨، من مصوّرات مكتبة الإمام الحكيم.

(٤) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (مخطوط): ٥: ٧٨.

١ ـ ما رواه أبان بن تغلب ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « إنَّ جابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ الْأَنْصارِيَّ كانَ آخِرَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحابِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، وَكانَ رَجُلاً مُنْقَطِعاً إِلَيْنا أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَكانَ يَقْعُدُ في مَجْلِسِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَهُوَ مُعْتَجِرٌ[١] بِعِمامَةٍ سَوْداءَ ، وَكانَ يُنادي : يا باقِرَ الْعِلْمِ ، يا باقِرَ الْعِلْمِ ، فَكانَ أَهْلُ الْمَدينَةِ يَقولونَ : جابِرٌ يَهْجُرُ .

فَكانَ يَقولُ : وَاللهِ ما أَهْجُرُ ، وَلكِنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقولُ : إِنَّكَ سَتُدْرِكُ رَجُلاً مِنّي اسْمُهُ إِسْمي ، وَشَمائِلُهُ شَمائِلي ، يَبْقُرُ الْعِلْمَ بَقْراً ، فَذاكَ الَّذي دَعاني إِلى ما أَقولُ .

قالَ : فَبَيْنَما جابِرٌ يَتَرَدَّدُ ذاتَ يَوْمٍ في بَعْضِ طُرُقِ الْمَدينَةِ إِذْ مَرَّ بِطَريقٍ ، في ذاكَ الطَّريقِ كُتّابٌ[٢] فيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، فَلَمّا نَظَرَ إِلَيْهِ قالَ : يا غُلامُ ، أَقْبِلْ ، فَأَقْبَلَ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : أَدْبِرْ ، فَأَدْبَرَ .

ثُمَّ قالَ : شَمائِلُ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ ، يا غُلامُ ، ما اسْمُكَ ؟

قالَ : اسْمي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَجَعَلَ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ ، وَيَقولُ : بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي ، أَبوكَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقْرَأُكَ السَّلامُ .

قالَ : فَرَجَعَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إِلىٰ أَبيهِ وَهُوَ ذَعِرٌ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَقالَ لَهُ : يا بُنَيَّ ، قَدْ فَعَلَها جابِرٌ .

قالَ : نَعَمْ .

قالَ : الْزَمْ بَيْتَكَ يا بُنَيَّ »[٣] .

أمّا محتويات هذه الرواية فهي :

---

(١) **معتجر** : وهو وضع العمامة على الرأس .

(٢) **كُتّاب** : موضع التعليم .

(٣) أُصول الكافي : ١ : ٤٦٩ و ٤٧٠ . رجال الكشّي : ٤١ و ٨٨/٤٢ .

- إنّ شمائل الإمام الباقر عليه السلام وملامحه كانت تضارع شمائل النبيّ صلى الله عليه وآله.

- إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو الذي سمّى سبطه محمّد، وأضفى عليه لقب الباقر، وأنّه يبقر العلم بقراً.

- إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قد خاف على ولده ممّا أخبر به جابر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في شأنه، ويعود السبب في ذلك إلى أنّ الحكومة الأمويّة قد فرضت الرقابة الشديدة على الإمام زين العابدين، فكانت تحصي عليه أنفاسه، وتتعرّف على من يخلفه ويقوم مقامه من بعده لتنكّل به، فخشي عليه السلام على ولده من أن يناله الأمويّون بسوء أو مكروه.

٢ - ما رواه ابن عساكر أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام ومعه ولده الباقر، دخل على جابر بن عبدالله الأنصاري، فقال له جابر: مَن معك يابن رسول الله ؟

قال: **مَعي ابْني مُحَمَّدُ**، فأخذه جابر وضمّه إليه وبكى، ثمّ قال: اقترب أجلي يا محمّد. رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأك السلام.

فسئل وما ذاك ؟

فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول للحسين بن عليّ: **يُولَدُ لابْنِي هذا ابْنٌ يُقالُ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، وَهُوَ سَيِّدُ الْعابِدينَ إذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ يُنادي مُنادٍ: لِيَقُمْ سَيِّدُ الْعابِدينَ، فَيَقومُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، وَيُولَدُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنٌ يُقالُ لَهُ مُحَمَّدُ، إذا رَأَيْتَهُ - يا جابِرُ - فَاقْرَأْهُ مِنّي السَّلامُ.**

يا جابِرُ، اعْلَمْ أَنَّ الْمَهْدِيَّ مِنْ وُلْدِهِ، وَاعْلَمْ - يا جابِرُ - أَنَّ بَقاءَكَ بَعْدَهُ قَليلٌ»(١).

٣ - ما رواه تاج الدين بن محمّد نقيب حلب بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام، قال:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٥٤: ٢٧٦.

«دَخَلْتُ عَلىٰ جابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقالَ لي : مَنْ أَنْتَ ؟ وَذٰلِكَ بَعْدَ ما كُفَّ بَصَرُهُ .

فَقُلْتُ لَهُ : مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ .

فَقالَ : بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي ، ادْنُ مِنّي ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَقَبَّلَ يَدي ، ثُمَّ أَهْوىٰ إِلىٰ رِجْلي فَاجْتَذَبْتُها مِنْهُ ، ثُمَّ قالَ : إِنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقْرَأُكَ السَّلامَ .

فَقُلْتُ : وَعَلىٰ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ ، وَكَيْفَ ذٰلِكَ يا جابِرُ ؟

قالَ : كُنْتُ مَعَهُ ذاتَ يَوْمٍ ، فَقالَ لي : يا جابِرُ ، لَعَلَّكَ تَبْقىٰ حَتّىٰ تَلْقىٰ رَجُلاً مِنْ وُلْدي يُقالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ يَهَبُ لَهُ اللهُ النّورَ وَالْحِكْمَةَ ، فَاقْرَأْهُ مِنّي السَّلامَ »(١) .

٤ ـ ما ذكره صلاح الدين الصفدي ، قال : «كان جابر يمشي بالمدينة ويقول : يا باقر ، متى ألقاك ؟ فمرّ يوماً في بعض سكك المدينة ، فناولته جارية صبيّاً في حجرها ، فقال لها : مَن هذا ؟

فقالت : محمّد بن عليّ بن الحسين ، فضمّه إلى صدره ، وقبّل رأسه ويديه ، وقال : يا بنيّ ، جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأك السلام ، ثمّ قال : يا باقر ، نعيت إليّ نفسي ، فمات في تلك الليلة »(٢) .

٥ ـ ما ذكره بعض الإسماعيليّة : « أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لجابر : **إِنَّكَ سَتَلْحَقُ وَلَدَ وَلَدي** هٰذا وأشار إلى الحسين ، **فَإِذا أَدْرَكْتَهُ فَاقْرَأْهُ عَنّي السَّلامَ ، وَقُلْ لَهُ : يا باقِرَ الْعِلْمِ ، ابْقُرْهُ** ، ففعل ذلك »(٣) .

٦ ـ ما رواه الحافظ نور الدين الهيثمي ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **أَتاني جابِرُ بْنُ**

---

(١) غاية الاختصار : ٦٤ .

(٢) الوافي بالوفيات : ٤ : ١٠٢ .

(٣) مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية : ٩٩ .

عَبْدِاللهِ وَأَنا في الْكُتّابِ ، فَقالَ : اكْشِفْ عَنْ بَطْنِكَ ، فَكَشَفْتُ عَنْ بَطْني ، فَقَبَّلَهُ ، ثُمَّ قالَ : إِنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله أَمَرَني أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلامُ »(١) .

هذه بعض الروايات وهي قد اتّفقت على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حمّل جابر بن عبدالله الأنصاري تحيّاته إلى الإمام الباقر عليه السلام ، وقد استشفّ صلى الله عليه وآله من وراء الغيب ما يقوم به من نشر العلم وإذاعته بين الناس ، وأنّه من جملة أوصيائه الذين يفجّرون الحكمة والنور في الأرض .

ملامحه عليه السلام

أمّا ملامحه الشريفة ، فهي حسب ما يقول جابر بن عبدالله الأنصاري كانت كملامح رسول الله صلى الله عليه وآله وشمائله(٢) .

وكما شابه جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله في هذه الظاهرة ، فقد شابهه في معالي أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيّين .

ووصفه بعض المعاصرين له ، فقال : « إنّه كان معتدل القامة ، أسمر اللون(٣) ، رقيق البشرة ، له خال ، ضامر الكشح ، حسن الصوت ، مطرق الرأس »(٤) .

ذكاؤه عليه السلام المبكّر

وكان عليه السلام في طفولته آية من آيات النبوغ والذكاء ، ويقول الرواة : إنّ جابر بن عبدالله الأنصاري على شيخوخته كان يأتيه فيجلس بين يديه فيعلّمه .. وقد بهر جابر

---

(١) مجمع الزوائد : ١٠ : ٢٢ .

(٢) أصول الكافي : ١ : ٤٦٩ .

(٣) أخبار الدول : ١١١ . جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام : ١٣٢ .

(٤) أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل : ٤ : ٤٧١ .

من سعة علوم الإمام ومعارفه ، وطفق يقول : « يا باقر ، لقد أُوتيت الحكم صبياً »[١].

وقد عرف الصحابة ما يتمتّع به الإمام منذ نعومة أظفاره من سعة الفضل والعلم الغزير ، فكانوا يرجعون إليه في المسائل التي لا يهتدون إليها ، ويقول المؤرّخون أنّ رجلاً سأل عبدالله بن عمر عن مسألة ، فلم يقف على جوابها ، فقال للرجل : اذهب إلى ذلك الغلام ـ وأشار إلى الإمام الباقر عليه السلام ـ فاسأله ، وأعلمني بما يجيبك .

فبادر نحوه وسأله ، فأجابه عليه السلام عن مسألته ، وخفّ إلى ابن عمر فأخبره بجواب الإمام ، وراح ابن عمر يبدي إعجابه بالإمام قائلاً : إنّهم أهل بيت مفهمون[٢].

لقد خصّ الله أئمّة أهل البيت عليهم السلام بالعلم والفضل ، ووهبهم الكمال المطلق الذي يهبه لأنبيائه ورسله ، فكان كلّ فرد منهم لا تخفى عليه أيّة مسألة تعرض عليه .

ويقول المؤرّخون : إنّ الإمام كان عمره تسع سنين ، وقد سئل عن أدقّ المسائل ، فأجاب عنها .

هيبته ووقاره عليه السلام

وبدت على ملامح الإمام عليه السلام هيبة الأنبياء ووقارهم ، فما جلس معه أحد إلّا هابه وأكبره ، وقد تشرّف قتادة ـ وهو فقيه أهل البصرة ـ بمقابلته ، فاضطرب قلبه من هيبته ، وأخذ يقول له : « لقد جلست بين يدي الفقهاء وأمام ابن عبّاس ، فما اضطرب قلبي من أي أحد منهم مثل ما اضطرب قلبي منك »[٣].

لقد كان الإمام بقيّة الله في أرضه ، وتجلّت في شخصيّته سمات أوليائه وأحبّائه

---

(١) علل الشرائع : ١ : ٢٣٤ . وقول جابر إشارة لقوله تعالى : ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾ مريم ١٩ : ١٢ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٤٧ .

(٣) إثبات الهداة : ٥ : ١٧٦ .

الذين أضفى عليهم الهيبة والوقار ، وممّن غمرتهم هيبة الإمام الشاعر المغربي حيث يقول في وصفه له :

يـــابْنَ الَّـذي بِـلِسانِهِ وَبَـيانِهِ ... هُـــدِيَ الأَنــامُ وَنُــزِّلَ التَّــنْزِيلُ
عَنْ فَضْلِهِ نَطَقَ الكِتابُ وَبَشَّرَتْ ... بِــــقُدومِهِ التَّـــوراةُ وَالإِنْــجيلُ
لَوْلا انْقِطاعُ الوَحْيِ بَعدَ مُحَمَّدٍ ... قُــلْنا مُــحَمَّدُ مِــنْ أَبـيهِ بَـديلُ
هُــوَ مِـثْلُهُ فـي الفَضْلِ إلّا أَنَّـهُ ... لَــمْ يَـأْتِهِ بِـرِسالَةِ جِـبْريلُ[1]

وروى المـؤرّخون أنّ الإمـام عليه السلام لم يُـرَ ضـاحكاً ، وإذا ضـحك يـقول : « **اللّٰـهُمَّ لَا تَمْقُتْني** »[2] . لقد ابتعد عن كلّ ما ينافي الوقار وسموّ الشخصيّة ، وكان البارز من صفاته ذكر الله ، ففي جميع أوقاته كان لسانه مشغولاً بذكر الله ، وسنذكر ذلك عند البحث عن مظاهر شخصيّته .

نقش خاتمه عليه السلام

أمّا نقش خاتمه ، فهو : « العزّة لله جميعاً »[3] .

وكان يتختّم بخاتم جدّه الإمام الحسين عليه السلام ، وكان نقشه : « إنّ الله بالغ أمره »[4] ، وذلك ممّا يدلّ على انقطاعه التامّ إلى الله وشدّة تعلّقه به .

إقامته عليه السلام

وأقام الإمام عليه السلام طيلة حياته في يثرب دار الهجرة ، فلم يبرحها إلى بلد آخر ،

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٨١ .

(٢) صفة الصفوة : ٢ : ٦٢ . تذكرة الخواصّ : ٣٤٩ .

(٣) حلية الأولياء : ٣ : ١٨٩ .

(٤) أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل : ٤ : ١٦٩ .

وقد كان فيها المعلّم الأوّل، والرائد الأكبر للحركات العلميّة والثقافيّة، وقد اتّخذ الجامع النبويّ مدرسة له، فكان فيه يلقي بحوثه على تلاميذه.

في ظلال جدّه وأبيه عليهم السلام

نشأ الإمام أبوجعفر عليه السلام في بيت الرسالة ومهبط الوحي ، ومصدر الاشعاع في دنيا الإسلام ، وكان جدّه الإمام الحسين عليه السلام وأبوه الإمام زين العابدين عليه السلام يغذّيانه بالمثل الكريمة ، ويفيضان عليه ما استقرّ في نفسيهما من الخير والهدى ، ويعلّمانه السلوك النيّر ، والاتّجاه السليم ليكون قدوة لهذه الأُمّة ، وفيما يلي عرض لنشأته في ظلال جدّه وأبيه .

في ظلال جدّه عليه السلام

وعنى الإمام الحسين عليه السلام بتربية حفيده ، فأفرغ عليه أشعة من روحه المقدّسة التي أضاءت آفاق هذا الكون ، وكان ـ فيما يرويه المؤرّخون ـ يجلسه في حجره ويوسعه تقبيلاً ، ويقول له : «**إنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقْرَأُكَ السَّلامَ**»[١] .

وهو إشعار من الجدّ لحفيده بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ينتظر منه القيام بدوره القيادي لأُمّته وأن يفجّر في ربوعها ينابيع الحكمة ، ويذيع فيها العلم ، ويهديها إلى سواء السبيل ، وشاهد الإمام الباقر عليه السلام وهو في غضون الصبا جدّه الإمام الحسين عليه السلام أيّام المحنة الكبرى التي طافت به حينما ابتلي بطاغية زمانه ، وفرعون هذه الأُمّة يزيد بن معاوية الذي كان يشكّل أعظم خطر في الإسلام ، وقد دعاه لبيعته ، والخنوع لحكمه ،

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ٥١ : ٣٨ . سير أعلام النبلاء : ٤ : ٢٤١ .

فصرخ عليه السلام في وجهه ، وانطلق في مسيرته الخالدة ، ليرفع كلمة الله عالية في الأرض ، ويؤدّي رسالته الإسلاميّة بأمانة وإخلاص ، فضحّى بنفسه وأهل بيته وأصحابه بتلك التضحية المشرقة التي أقام بها مجد الإسلام ، وقضى بها على خصومه وأعدائه ، وقد زخرت بالقيم الكريمة والمثل العليا ، وتفاعلت مع عواطف الناس ومشاعرهم ، وهي تفيض بالعطاء السمح ، وتقدّم أروع الدروس عن التضحية في سبيل الحقّ والواجب ، وستبقى نديّة عاطرة في جميع الأحقاب والآباد وهي تمثّل شرف الإنسان وسموّ قصده .

وقد جرت فصول تلك المأساة الخالدة أمام الإمام الباقر عليه السلام وهو في غضون الصبا . يقول عليه السلام : « **قُتِلَ جَدِّي الْحُسَيْنُ وَلي أَرْبَعُ سِنينَ ، وَإِنّي لأَذْكُرُ مَقْتَلَهُ ، وَما نالَنا في ذلِكَ الْوَقْتِ** »[1] .

وقد روى عليه السلام الكثير من فصولها ، وروى الطبري بسنده عنه بعض صورها ، كما ألّف جماعة من أعلام أصحابه كتباً أسموها « مقتل الحسين » دوّنوا فيها ما سمعوه منه ، ومن غيره عليه السلام أهوال كارثة كربلاء ، ذكر الكثير منها ابن النديم في فهرسته .

وعلى أي حال ، فإنّ تلك المأساة الخالدة قد تركت ـ من دون شكّ ـ في نفسه أعظم اللوعة والحزن ، وظلّت مآسيها وأشجانها ملازمة له طوال حياته .

في ظلال أبيه عليه السلام

عاش الإمام أبو جعفر عليه السلام في كنف أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام ما يزيد على (٣٤) عاماً ، وقد لازمه وصاحبه طيلة هذه المدّة فلم يفارقه ، وقد تأثّر بهديه المشرق الذي يمثّل هدي الأنبياء والمرسلين ، فما رأى الناس مثل الإمام زين العابدين عليه السلام

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٦١ .

في تقواه وورعه وزهده ، وشدّة انقطاعه وإقباله على الله .

ونلمح إلى بعض أحواله وشؤونه لأنّ سيرته قد انطبعت في قرارة نفس الإمام الباقر عليه السلام ، وارتسمت في أعماق ذاته ، وفيما يلي ذلك :

إكبار وتعظيم

وأجمع رجال الفكر والعلم في عصر الإمام زين العابدين على تعظيمه وإكباره وتقديمه بالفضل على غيره ، وهذه بعض كلماتهم :

١ ـ سعيد بن المسيّب

وغمرت هيبة الإمام وعظمته سعيد بن المسيّب ، فراح يقول : « ما رأيت قطّ أفضل من عليّ بن الحسين ، وما رأيته قطّ إلّا مقت نفسي ، ما رأيته يوماً ضاحكاً »[١] .

٢ ـ الزهري

وهام الزهري بحبّ الإمام . يقول : « ما رأيت قرشيّاً أفضل منه »[٢] .

وقال : « ما رأيت أفقه من عليّ بن الحسين »[٣] .

٣ ـ زيد بن أسلم

يقول زيد بن أسلم : « ما رأيت مثل عليّ بن الحسين »[٤] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٤ .

(٢) تهذيب التهذيب : ٧ : ٣٠٥ ، وفي الحلية : « ما رأيت هاشميّاً أفضل من عليّ بن الحسين » .

(٣) حلية الأولياء : ٣ : ٣٠٩ .

(٤) طبقات الفقهاء : ٣٤ .

٤ـ عمر بن عبدالعزيز

وقال عمر بن عبد العزيز لمّا أتاه نعي الإمام: «ذهب سراج الدنيا، وجمال الإسلام، وزين العابدين»(١).

٥ـ أبو حازم

يقول أبو حازم: «ما رأيت هاشمياً أفضل من عليّ بن الحسين»(٢).

٦ـ مالك

يقول مالك: «لم يكن في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مثل عليّ بن الحسين»(٣).

٧ـ جابر بن عبدالله

وممّن هامّ بحبّ الإمام الصحابي العظيم جابر بن عبدالله الأنصاري. يقول: «ما رؤي من أولاد الأنبياء مثل عليّ بن الحسين»(٤).

٨ـ الواقدي

يقول الواقدي: «كان عليّ بن الحسين من أورع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله عزّ وجلّ»(٥).

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٤٨.

(٢) حلية الأولياء: ٣: ١٤١.

(٣) تهذيب التهذيب: ٧: ٣٠٥.

(٤) الإمام زين العابدين: ٧٣.

(٥) البداية والنهاية: ٩: ١٠٤.

سموّ أخلاقه عليه السلام

أمّا معالي أخلاقه ، فإنّها نفحة من روح الله يهتدي بها الحائر ، ويسترشد بها الضالّ ، وقد حاكى بهذه الظاهرة جدّه الرسول صلى الله عليه وآله الذي امتاز على سائر النبيّين بسموّ أخلاقه .

وكان عليه السلام ـ فيما أجمع عليه المؤرّخون ـ يقابل كلّ من أساء إليه بالعفو والصفح الجميل ، ويغدق عليه ببرّه ومعروفه ، ليقلع من نفسه جذور البغي والاعتداء على الغير ، وهذه بعض البوادر التي أُثرت عنه :

١ ـ يقول المؤرّخون : إنّ إسماعيل بن هشام المخزومي كان والياً على يثرب ، وكان من أعظم المبغضين والحاقدين على آل البيت عليهم السلام ، وكان يبالغ في إيذاء الإمام زين العابدين ، ويشتم آباءه على المنابر تقرّباً إلى حكّام دمشق ، ولمّا ولي الوليد بن عبدالملك الخلافة بادر إلى عزله والوقيعة به لهنات كانت بينه وبينه قبل أن يلي الملك والسلطان ، وقد أوعز بإيقافه للناس لاستيفاء حقوقهم منه .

وفزع إسماعيل بن هشام أشدّ ما يكون الفزع من الإمام عليه السلام لكثرة إساءته للإمام ، وقال : ما أخاف إلّا من عليّ بن الحسين ، فإنّه رجل صالح يسمع قوله فيَّ .

ولكنّ الإمام عهد إلى أصحابه ومواليه أن لا يتعرّضوا له بمكروه ، وخفّ إليه فقابله ببسمات فيّاضة بالبشر ، وعرض عليه القيام بما يحتاج إليه في محنته قائلاً له : **يابْنَ الْعَمِّ ، عافاكَ اللهُ ، لَقَدْ ساءَني ما صُنِعَ بِكَ ، فَادْعُنا إِلى ما أَحْبَبْتَ .**

وذهل إسماعيل ، وقال بإعجاب : الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء[١] .

٢ ـ ومن معالي أخلاقه هذه البادرة التي ترفعه إلى مستوى لم يبلغه أي مصلح

---

(١) وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل : ٢٠٨ . ومقولة إسماعيل بن هشام اقتباس من الآية : ﴿ **اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ الأنعام ٦ : ١٢٤ .

كان ، عدا آبائه ، كما تدلّل على إمامته :

لقد روى المؤرّخون أنّه كان في كلّ يوم من شهر رمضان يذبح شاة ويطبخها ويوزّعها على الفقراء والمحرومين .

وفي يوم حمل غلامه إناءً فيه شيء من المرق ، وكان يغلي من شدّة الحرارة ، فعثر الغلام بأحد أطفال الإمام ، فتوفّي الطفل في الوقت ، فارتفعت الصيحة من العلويّات ، وكان الإمام يصلّي ، فلمّا انفتل من صلاته أُخبر بوفاة ولده ، فأسرع عليه السلام إلى الغلام فرآه يرعد من شدّة الخوف ، فقابله بلطف وحنان ، وقال له : **لَقَدْ ظَنَنْتَ بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الظُّنونَ ، ظَنَنْتَ أَنَّهُ يُعاقِبُكَ وَيَقْتَصُّ مِنْكَ ، اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ ، وَهٰذِهِ أَرْبَعَةُ آلافِ دينارٍ هَدِيَّةٌ لَكَ ، وَاجْعَلْني في حِلٍّ مِنَ الْخَوْفِ الَّذي داخَلَكَ مِنْ أَجْلِي**(١) .

أي نفس ملائكيّة هذه النفس ، إنّها لتفوق نفوس عباد الله الصالحين الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان ، لقد ورث هذه الأخلاق العظيمة من جدّه الرسول العظيم صلى الله عليه وآله الذي أسّس مكارم الأخلاق في الأرض .

٣ ـ ومن معالي أخلاقه أنّه كان خارجاً من المسجد ، فالتقى به رجل من شانئيه ، فقابل الإمام بالسبّ والشتم ، فثار في وجهه بعض موالي الإمام وأصحابه ، فنهرهم عليه السلام وأقبل على الرجل بلطف قائلاً : **ما سُتِرَ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِنا أَكْثَرُ . أَلَكَ حاجَةٌ نُعينُكَ عَلَيْها ؟**

واستحيى الرجل ودّ أنّ الأرض قد وارته ، وبان عليه الانكسار والندم ، وبادر نحوه الإمام عليه السلام فألقى عليه خميصة ، وأمر له بألف درهم ، وطفق الرجل يقول : أشهد أنّك من بني الرسل(٢) .

---

(١) صفة الصفوة : ٢ : ٤٥١ .

(٢) وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل : ٢٠٨ .

هذه بعض البوادر من معالي أخلاقه التي تفيض بالرحمة والحلم ونكران الذات. والحقّ أنّ أخلاق أهل البيت عليهم السلام مدرسة تقوم على الشرف والنبل وعلى كلّ ما يسمو به الإنسان.

نشره عليه السلام للعلم

وانصرف الإمام زين العابدين عليه السلام بعد كارثة كربلاء إلى نشر العلم وإذاعته بين الناس، ولم يقتصر على علم الحديث والفقه، وإنّما عنى بالأخلاق والآداب والفلسفة والحكمة.

وقد أمدّ الفكر الإسلامي بطاقات هائلة من العلم والحكمة وآداب السلوك حفلت بها صحيفته ورسالته في الحقوق، وغيرهما من موسوعات الحديث وكتب الأخلاق، وقد قام بدور إيجابي وبنّاء في إبراز مثل الإسلام وقيمه وتعاليمه.

حثّه عليه السلام على طلب العلم

وكان عليه السلام يحثّ المسلمين على طلب العلم، ويدعوهم إلى المبادرة في تحصيله، لأنّه الأداة الخلّاقة لتطوّرهم وازدهار حياتهم.

يقول عليه السلام: «**لَوْ عَلِمَ النّاسُ ما في طَلَبِ الْعِلْمِ لَطَلَبوهُ وَلَوْ بِسَفْكِ الْمُهَجِ، وَخَوْضِ اللُّجَجِ**»(١).

وأوصى عليه السلام بعض أصحابه ببسط العلم ونشره، وأن لا يتجبّر على من يعلّمه.

يقول عليه السلام: «**فَإِنْ أَنْتَ أَحْسَنْتَ في تَعْليمِ النّاسِ، وَلَمْ تَتَجَبَّرْ عَلَيْهِمْ، زادَكَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِنْ أَنْتَ مَنَعْتَ عِلْمَكَ، وَأَخْرَقْتَ بِهِمْ عِنْدَ طَلَبِهِمْ الْعِلْمَ مِنْكَ كانَ حَقّاً عَلَى اللهِ**

(١) الكافي: ١: ٣٥، الحديث ٥. بحار الأنوار: ١: ١٨٥، الحديث ١٠٩.

عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْلُبَكَ الْعِلْمَ وَبهاءَهُ ، وَيُسْقِطَ مِنَ الْقُلوبِ مَحَلَّكَ »(١) .

تكريمه عليه السلام لطلاب العلوم

وكان عليه السلام يعتني بطلّاب العلوم ويرفع مكانتهم ، فإذا رأى أحداً منهم رحّب به وقال له : « **مَرْحَباً بِوَصِيَّةِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله** »(٢) .

ويقول الإمام الباقر عليه السلام : « **كانَ أَبي زَيْنُ الْعابِدينَ إذا نَظَرَ إِلَى الشَّبابِ الَّذين يَطْلُبونَ الْعِلْمَ أَدْناهُمْ إِلَيْهِ ، وَقالَ : مَرْحَباً بِكُمْ ، أَنْتُمْ وَدائِعُ الْعِلْمِ ، وَيوشِكُ إِذْ أَنْتُمْ صِغارُ قَوْمٍ أَنْ تَكونوا كِبارَ آخَرينَ** »(٣) .

احتفاف القرّاء به عليه السلام

واحتفّ القرّاء بالإمام زين العابدين ، وكانوا لا يفارقونه ، فقد كانوا يكتسبون منه العلوم والمعارف والآداب ، وتحدّث سعيد بن المسيّب ، عن مدى ملازمتهم للإمام . يقول : « إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتّى يخرج عليّ بن الحسين ، فخرج وخرجنا معه ألف راكب »(٤) .

عتقه عليه السلام للموالي

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يعطف على الموالي أشدّ ما يكون العطف ، فكان يشتريهم ، ويشتري نساءهم ، ويعتقهم جميعاً لينعموا بالحريّة والكرامة ، وإذا

---

(١) مكارم الأخلاق / الطبرسي : ١٤٣ .

(٢) الخصال : ٥١٨ . بحار الأنوار : ١ : ١٦٨ ، الحديث ١٦ .

(٣) الدرّ النظيم : ٥٨٧ . الأنوار البهيّة : ١٠٣ .

(٤) بحار الأنوار : ٤٦ : ١٤٩ .

أعتقهم منحهم الأموال الطائلة ، والثراء العريض ، ليستغنوا عمّا في أيدي الناس .

وقد تبنّى طائفة من الموالي ، فجعل يغذّيهم بأنواع العلوم والمعارف ، وقد تخرّج على يده مجموعة منهم كانوا من كبار العلماء في ذلك العصر ، وكان ذلك هو السبب في تزعّم الموالي للحركة العلميّة في تلك العصور ، كما أنّ ذلك هو السبب في انتشار الولاء لأهل البيت عليهم السلام عندهم ، وانضمامهم لكلّ حركة سياسيّة تدعو إلى التخلّص من الحكم الأموي ، وإرجاع الخلافة لأهل البيت عليهم السلام ، الذين كانوا الملجأ لكلّ بائس ومحروم .

عبادته وتقواه عليه السلام

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام من رهبان هذه الأمّة في عبادته وتقواه ، وقد لقّب بذي الثفنات لكثرة سجوده ، كما لقّب بالمتهجّد ، وزين العابدين ، وسيّد العابدين(١) ، والسجّاد وهي تشير إلى كثرة عبادته ، وعظيم إقباله على الله .

وقد روى المؤرّخون أنّه إذا توضّأ اصفرّ لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء ؟

فيقول لهم : **أَتَدْرونَ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ اُريدُ أَنْ أَقومَ ؟**(٢) .

وقد دخل عليه ولده الباقر عليه السلام فرآه قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد ، فقد اصفرّ لونه من السهر ، ورمصت عيناه من البكاء ، ودبرت جبهته من كثرة السجود ، وورمت ساقاه من القيام في الصلاة ، فلم يملك ولده نفسه من البكاء ، وكان الإمام زين العابدين في شغل عنه ، فلمّا بصر بولده أمره أن يناوله بعض الصحف التي فيها عبادة جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فناوله تلك الصحف ، فجعل يتأمّل فيها ، ثمّ تركها

---

(١) الدرّ النظيم : ٥٨١ .

(٢) كشف الغمّة : ٢ : ٢٨٦ . ينابيع المودّة : ٣ : ١٥٤ .

ضجراً ، وراح يقول : **مَنْ يَقْوىٰ عَلىٰ عِبادَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ**(١) ؟!

وكان عليه السلام إذا قام للصلاة بين يدي الله توجّه بقلبه ومشاعره نحو الخالق العظيم ، فلايشغله أي شأن من هذه الحياة ، ويقول الإمام الباقر عليه السلام : «**كانَ أَبي إِذا وَقَفَ لِلصَّلاةِ لَمْ يَشْتَغِلْ بِغَيْرِها ، وَلَمْ يَسْمَعْ شَيْئاً لِشُغْلِهِ بِها**»(٢) .

وقد سقط بعض ولده فانكسرت يده ، فصاح أهله وجيء بالمجبّر فجبّر يده والصبي يصرخ من شدّة الألم ، والإمام لم يسمع ، فلمّا أصبح ورأى الصبي قد شدّت يده فسأل عن ذلك ، فأخبره أهله بذلك(٣) .

وقد أجهدته العبادة أي إجهاد ، فقد حمّل نفسه من أمرها رهقاً ، وقد خاف عليه أهله ، فراحوا يتوسّلون إليه ليخفّف من عبادته ، وهو يأبى ذلك .

يقول الإمام الباقر عليه السلام : «**لَمّا رَأَتْ فاطِمَةُ بِنْتُ الْإِمامِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام ما يَفْعَلُ ابْنُ أَخيها عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بِنَفْسِهِ مِنَ الدَّأْبِ فِي الْعِبادَةِ أَقْبَلَتْ إِلىٰ جابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ الْأَنْصارِيِّ ، فَقالَتْ لَهُ : يا صاحِبَ رَسولِ اللهِ ، إِنّا لَنا عَلَيْكُمْ حُقوقاً ، وَمِنْ حَقِّنا عَلَيْكُمْ أَنْ إِذا رَأَيْتُمْ أحدنا يُهْلِكُ نَفْسَهُ اجْتِهاداً أَنْ تُذَكِّروهُ اللهَ وَتَدْعوهُ إِلَى الْبُقْيا عَلىٰ نَفْسِهِ ، وَهٰذا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بَقِيَّةُ أَبيهِ الْحُسَيْنِ قَدِ انْخَرَمَ أَنْفُهُ ، وَنُقِبَتْ جَبْهَتُهُ وَرُكْبَتاهُ وَراحَتاهُ مِمّا دَأَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ فِي الْعِبادَةِ** .

وانطلق جابر إلى الإمام زين العابدين عليه السلام فوجده في محرابه قد أَضنته العبادة ، وأَجهدته الطاعة ، ونهض الإمام فاستقبل جابر ، وأجلسه إلى جنبه ، وسأله سؤالاً حفيّاً عن حاله ، وأقبل جابر عليه قائلاً : يابن رسول الله ، أَما علمت أنّ الله تعالى

---

(١) الدرّ النظيم : ٥٨٤ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٤٩ .

(٢) شرح الأخبار : ٣ : ٢٦٣ ، الحديث ١١٦٨ . مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٢٩٠ . عيون الأخبار وفنون الآثار : ١٥١ و ١٥٢ . الدرّ النظيم : ٥٨٤ .

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٢٩٠ . بحار الأنوار : ٤٦ : ٨٠ .

إنّما خلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم ، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم ، فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك ؟

فأجابه الإمام بلطف وحنان قائلاً: **يا صاحِبَ رَسولِ اللهِ ، أَما عَلِمْتَ أَنَّ جَدِّي رَسولَ اللهِ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَما تَأَخَّرَ ، فَلَمْ يَدَعِ الْإِجْتِهادَ لَهُ ، وَتَعَبَّدَ ـ بِأَبي وَأُمِّي ـ حَتَّى انْتَفَخَ ساقُهُ ، وَوَرِمَ قَدَمُهُ ، وَقَدْ قيلَ لَهُ : أَتَفْعَلُ هٰذا وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ ؟**

فَقالَ : أَفَلا أَكونُ عَبْداً شَكوراً .

ولمّا نظر جابر إلى الإمام لا يغني معه قول يميل به من الجهد والتعب ، طفق يقول له : يابن رسول الله ، البقيا علىٰ نفسك ، فإنّك من أسرة بهم يستدفع البلاء ، وبهم تستكشف الأهواء ، وبهم تستمطر السماء .

فأجابه الإمام بصوت خافت : **لَا أَزالُ عَلىٰ مِنْهاجِ أَبَوَيَّ مُؤْتَسِياً بِهِما حَتّىٰ أَلْقاهُما .**

وبهر جابر ، وأقبل علىٰ مَن حوله قائلاً: ما رؤي من أولاد الأنبياء مثل عليّ بن الحسين ، إلّا يوسف بن يعقوب ، والله لذرّيّة الحسين أفضل من ذرّيّة يوسف بن يعقوب ! إنّ منهم لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً »[١] .

لقد كان الإمام زين العابدين إمام المتّقين والمنيبين ، فقد اجتهد في عبادته ، وأخلص في طاعته ، ولم يؤثر عن القدّيسين مثل ما أثر عنه من الإقبال على الله تعالى .

صدقاته وبرّه عليه السلام

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام من أبرّ الناس بالضعفاء ، وأرفقهم بالمساكين ،

---

(١) الإمام زين العابدين / أحمد فهمي : ٧٢ و ٧٣ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٤٨ .

وأرحمهم للبائسين، وكان يؤثر أصحاب الفاقة على نفسه وأهله، وقد أجمع المؤرّخون أنّه كان يحمل جراب الخبز على ظهره فيتصدّق به، ويقول: **«إنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»**[١].

وكان يعول مائة بيت في المدينة[٢].

وكان إذا ناول الفقير الصدقة قبّله، ثمّ ناوله[٣]، وإنّما كان يفعل ذلك لئلّا يبدو على الفقير أثر الذلّ والانكسار.

ويقول المؤرّخون: «إنّ الإمام أبا جعفر عليه السلام لمّا غسّل أباه نظر بعض من كان حاضراً تغسيله إلى مواضع المساجد من ركبتيه، وظاهر قدميه كأنّهما مبارك البعير من كثرة سجوده، إلّا أنّهم نظروا إلى عاتقه فوجدوا مثل ذلك الأثر عليه، فسألوه عن ذلك، فقال عليه السلام: **«أما إنَّهُ لَوْ كانَ حَيّاً ما حَدَّثْتُكُمْ عَنْهُ، كانَ لَا يَمُرُّ بِهِ يَوْمٌ مِنَ الْأَيّامِ إلّا أَشْبَعَ فيهِ مِسْكيناً فَصاعِداً ما أَمْكَنَهُ، فَإِذا كانَ اللَّيْلُ نَظَرَ إِلىٰ ما فَضَلَ عَنْ قُوتِ عِيالِهِ يَوْمَهُمْ ذلِكَ، فَجَعَلَهُ في جِرابٍ، فَإِذا هَدَأَ النّاسُ وَضَعَهُ عَلىٰ عاتِقِهِ، وَتَخَلَّلَ الْمَدينَةَ وَقَصَدَ قَوْماً لَا يَسْأَلونَ النّاسَ إِلْحافاً، فَوَصَلَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمونَ مَنْ هُوَ، وَلَا يَعْلَمُ بِذلِكَ مِنْ أَهْلِهِ غَيْري، فَإِنّي كُنْتُ اطَّلَعْتُ عَلىٰ ذلِكَ مِنْهُ يَرْجو بِذلِكَ فَضْلَ إِعْطاءِ الصَّدَقَةِ بِيَدِهِ، وَدَفْعَها سِرّاً، وَكانَ يَقولُ: صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»**[٤].

ويروي الإمام الباقر عليه السلام بعض مبرّات أبيه، فيقول: **«كانَ أَبي رُبَّما يَشْتَري مِطْرَفَ الْخَزِّ بِخَمْسينَ ديناراً، فَيَشْتو فيهِ، وَيَدْخُلُ بِهِ الْمَسْجِدَ فَإِذا كانَ الصَّيفُ أَمَرَ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ، أَوْ بيعَ فَيَتَصَدَّقُ بِثَمَنِهِ»**[٥].

(١ ـ ٣) حلية الأولياء: ٣: ١٣٦.

(٤) دعائم الإسلام: ٢: ١٨٨.

(٥) دعائم الإسلام: ٢: ١٥٦.

لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام نسخة لا ثاني لها في تاريخ الإنسانيّة ، فإنّ مقايسه الخُلقيّة ، وفضائله النفسيّة لترفعه إلى مستوى لم يبلغه أي إنسان عدا آبائه .

رائعة الفرزدق

وحجّ الإمام زين العابدين عليه السلام بيت الله الحرام ، وكان قد حجّ هشام بن عبدالملك ، وقد جهد هشام على استلام الحجر ، فلم يستطع لزحام الناس على الحجر ، ونصب له منبر فجلس عليه ، وجعل ينظر إلى طواف الناس ، وأقبل الإمام زين العابدين عليه السلام ليؤدّي طوافه .

فلمّا بصر به الحجّاج غمرتهم هيبته التي تحكي هيبة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وتعالت الأصوات بالتهليل والتكبير ، وانفرج الناس له سماطين ، وكان السعيد من يراه ، والسعيد من يقبّل يده ، ويلمس كتفه ، فإنّه بقيّة الله في أرضه ، وذهل أهل الشام وبهروا ، وتطلّعت إليه أعناقهم وأبصارهم ، فإنّ هشام المرشّح للخلافة بعد أبيه مع ما أُحيط به من هالة التكريم من أهل الشام واحتفاف الشرطة به ، فإنّه لم ينل أي لون من ألوان الحفاوة من الحجّاج ، وبادر أحد أصحابه فقال له : من هذا الذي هابه الناس هذه المهابة ؟

وتميّز هشام من الغيظ ، وانتفخت أوداجه ، فصاح بالرجل : لا أعرفه .

وإنّما أنكر معرفته للإمام مخافة أن يرغب فيه الناس ، وكان الفرزدق حاضراً ، فلم يملك صوابه ، فقال لأهل الشام : أنا أعرفه .

فقالوا : مَن هو يا أبا فراس ؟

وصاح هشام بالفرزدق قائلاً : أنا لا أعرفه .

قال الفرزدق : بلى تعرفه .

ونهض فأنشد هذه الرائعة التي كانت أشدّ وقعاً على هشام من ضرب السيوف

وطعن الرماح قائلاً:

هـذا سَـليلُ حُسَينٍ وَابْـنُ فـاطِمَةٍ بِنتُ الرَّسولِ الَّذي انْجابَتْ بِهِ الظُّلَمُ
هـٰذَا الَّـذي تَـعْرِفُ البَطْحاءُ وَطْـأَتَهُ وَالبَـيْتُ يَـعْرِفُهُ وَالحِـلُّ والحَـرَمُ
هـذا ابْـنُ خَـيْرِ عِـبادِ اللهِ كُـلِّهِمُ هـذا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطّاهِرُ العَلَمُ
إذا رَأَتْـهُ قُـرَيْشٌ قـالَ قـائِلُها إلى مَكـارِمِ هـذا يَـنْتَهي الْكَـرَمُ
يَـرْقى إلى ذِرْوَةِ الْـعِزِّ الَّـتي قَـصُرَتْ عَـنْ نَـيْلِها عُـرْبُ الإِسلامِ وَالعَجَمُ
يَكـادُ يُـمْسِكُهُ عِـرفانُ راحَـتِهِ رُكْـنَ الحَـطيمِ إذا ما جاءَ يَسْتَلِمُ
يُـغْضي حَـياءً وَيُـغْضىٰ مِـنْ مَـهابَتِهِ فَـلا يُكَـلَّمُ إلَّا حـينَ يَـبْتَسِمُ
بِكَـفِّهِ خَـيزُرانٌ ريـحُها عَـبِقٌ مِـنْ كَـفِّ أَرْوَعَ فـي عِـرنينِهِ شَـمَمُ
مَـنْ جَـدُّهُ دانَ فَـضْلُ الأَنْـبياءِ لَـهُ وَفَـضلُ أُمَّـتِهِ دانَتْ لَـهُ الأُمَـمُ
يَـنشَقُّ نـورُ الْـهُدى عَـنْ نـورِ غُـرَّتِهِ كَالشَّمْسِ تَنْجابُ عَنْ إشْراقِها الظُّلَمُ
مُشْـتَقَّةٌ مِـنْ رَسـولِ اللهِ نَـبْعَتُهُ طـابَتْ عَـناصِرُهُ والخـيمُ وَالشِّيَمُ
هـذا ابْـنُ فـاطِمَةٍ إنْ كُـنْتَ جـاهِلَهُ بِـجَدِّهِ أَنْـبياءُ اللهِ قَـدْ خُـتِموا
اللهُ شَـرَّفَهُ قِـدْماً وَفَـضَّلَهُ جَـرىٰ بِـذاكَ لَـهُ فـي لَـوْحِهِ القَـلَمُ
فَـلَيسَ قَـولُكَ مَـنْ هـذا بِـضائِرِهِ العُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ
كِـلْتا يَـدَيْهِ غِـياثٌ عَـمَّ نَـفْعُهُما يَسْـتَوكِفانِ وَلا يَـعْروهُما عَـدَمُ
حَـمّالُ أَثْـقالِ أَقْـوامٍ إذا فُـدِحوا حُـلْوُ الشَّمائِلِ تَـحْلو عِـنْدَهُ النِّعَمُ
لا يُـخْلِفُ الْـوَعْدَ مَـيْمونٌ نَـقيبَتُهُ رَحْبُ الفِـناءِ أَريبٌ حـينَ يَـعْتَزِمُ
مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دينٌ وَبُـغْضُهُمْ كُـفرٌ وَقُـرْبُهُمْ مَـنْجى وَمُـعْتَصَمُ
إنْ عُـدَّ أَهْـلُ التُّقىٰ كـانوا أَئِـمَّتَهُمْ أَوْ قيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ قيلَ هُمُ

لَا يَسْتَطيعُ جَوادٌ بُعدَ غايَتِهِمْ … وَلَا يُدانيهِمُ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُموا
هُمُ الغُيوثُ إذا ما أَزْمَةٌ أَزِمَتْ … وَالأُسدُ أُسدُ الشَّرىٰ وَالْبَأْسُ مُحْتَدِمُ
لَا يَنْقُصُ العُسْرُ بَسْطاً مِنْ أَكُفِّهِمُ … سَيّانَ ذلِكَ إِنْ أَثْروا وَإِن عَدِموا
يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالْبَلْوىٰ بِحُبِّهِمُ … وَيُسْتَرَدُّ بِهِ الإِحْسانُ وَالنِّعَمُ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ … في كُلِّ أَمْرٍ وَمَخْتومٌ بِهِ الْكَلِمُ
يَأبىٰ لَهُمْ أَنْ يَحِلَّ الذُّلُّ ساحَتَهُمْ … خِيمٌ كَريمٌ وَأَيْدٍ بِالنَّدىٰ هَضِمُ
أيُّ الخَلائِقِ لَيْسَتْ في رِقابِهِمُ … لأَوَّلِيَّةِ هذا أَوْ لَهُ نِعَمُ
مَنْ يَشْكُرِ اللهَ يَشْكُرْ أَوَّلِيَّةَ ذا … فَالدّينُ مِنْ بَيْتِ هذا نالَهُ الأُمَمُ(١)

وثار هشام وودّ أنّ الأرض قد ساخت به ولا يسمع هذه القصيدة العصماء التي دلّلت على واقع الإمام العظيم، وعرّفته لأهل الشام الذين جهلوه وجهلوا آباءه، وأمر بالوقت باعتقال الفرزدق بعسفان بين مكّة والمدينة، وبلغ ذلك الإمام زين العابدين عليه السلام، فبعث إليه باثني عشر ألف درهم، فردّها الفرزدق، واعتذر من قبولها، وقال: إنّما قلت فيكم غضباً لله ورسوله، فردّها الإمام عليه، فقبلها، وجعل الفرزدق يهجو هشاماً وكان ممّا هجاه به:

أَيَحبِسُني بَينَ المَدينَةِ وَالَّتي … إِليها قُلوبُ النّاسِ يَهوىٰ مُنيبُها

---

(١) نهاية الإرب: ٢١: ٣٢٧ ـ ٣٣١. وقد ذكرت هذه القصيدة كلاً وبعضاً في كثير من مصادر الأدب والتاريخ والتراجم، نشير إلى بعضها:
زهر الآداب: ١: ١٠٣. سرح العيون / ابن نباتة: ٣٩٠. الفصول المهمّة / ابن الصبّاغ: ١٨٩. الاتحاف بحبّ الأشراف: ٥١. أخبار الدول / القرماني: ١١٠. تاريخ دمشق: ٤١: ٤٠٢. روضة الواعظين: ١: ٢٣٩. دائرة المعارف / البستاني: ٩: ٣٥٦. أنوار الربيع: ٤: ٣٥، مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

يُقلِّبُ رَأساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَينٌ لَهُ حَولاءَ بادٍ عُيوبُها[١]

الحزن العميق

ولم ينكب أحد في هذه الدنيا بمثل ما نكب به الإمام زين العابدين عليه السلام ، فقد عانى أهوال كارثة كربلاء ، وشاهد فصول تلك المأساة الخالدة في دنيا الأحزان ، وكان مريضاً قد ألمّت به العلل والأمراض ، وقد أدمت قلبه تلك المشاهد الحزينة ، فكانت تبعثه على الاستمرار في البكاء واللوعة ، وكان حزنه يزداد تحرّقاً وتأجّجاً كلّما تقدّمت الأيّام حتّى براه الحزن .

وبلغ من عظيم حزنه أنّه ما قدّم له طعام ولا شراب إلّا مزجه بدموع عينيه حزناً على أبيه[٢] .

وألحّ عليه بعض مواليه أن يخلد إلى الصبر ويخفّف لوعة المصاب ، فقال له : إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين .

فأجابه الإمام برفق ولطف قائلاً: **يا هٰذا ، إنَّما أَشْكو بَثّي وَحُزْني إِلَى اللهِ ، وَأَعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ . إنَّ يَعقُوبَ كَانَ نَبِيّاً فَغيَّبَ اللهُ عَنْهُ وَاحِداً مِن أَولادِهِ ـ وَعِنْدَهُ اثنا عَشرَ وَلَداً ـ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ حَيٌّ فَبَكَىٰ عَلَيهِ حَتَّىٰ ابيَضَّتْ عَيناهُ مِنَ الحُزْنِ ، وَإِنِّي نَظَرْتُ إِلَى أَبِي وَإِخوَتِي وَعُمُومَتِي وَصَحْبِي مَقْتُولِينَ حَولِي ، فَكَيفَ يَنقَضِي حُزْنِي ؟!**

وَإِنِّي لَأَذْكُرُ مَصْرَعَ بَنِي فَاطِمَةَ إِلَّا خَنَقَتنِي العَبرَةُ ، وَإِذَا نَظَرتُ إِلَى عَمَّاتِي وَ أَخَوَاتِي ذَكَرتُ فِرَارَهُنَّ مِنَ خَيمَةٍ إِلَىٰ خَيمَةٍ ، وَمُنادي الْقَوْمِ يُنادي : أَحْرِقوا بُيوتَ الظّالِمينَ»[٣] .

---

(١) نهاية الإرب : ٢١ : ٣٢٧ ـ ٣٣١ .

(٢) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام : ٣ : ٣٢٧ .

(٣) اللهوف : ١٢٢ . مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٤٨٩ . وقريب منه ما جاء في حلية الأولياء : ٣ : ١٣٨ .

لقد كانت تلك المشاهد المفجعة التي تمّ تمثّلت على صعيد كربلاء تبعثه على الحزن والأسى ، حتّى عدّ من البكّائين الخمسة الذين مثّلوا الحزن والبكاء على مسرح الحياة في جميع الأحقاب والآباد .

وكان الإمام الباقر عليه السلام ينظر إلى هذا الحزن المرهق الذي حلّ بأبيه فيجزع أشدّ ما يكون الجزع ، وربّما شاركه في بكائه ولوعته .

وصاياه عليه السلام لولده الباقر عليه السلام

وزوّد الإمام العظيم ولده الباقر عليه السلام وسائر أبنائه بوصايا تربويّة حفلت بالآداب العالية ، والقيم الكريمة التي تضمن لمن عمل بها السلامة والراحة ، وتهيّئ له جوّاً من الطمأنينة ، والبعد عن مشاكل هذه الحياة ، وهذه بعضها :

١ - قال عليه السلام لولده الباقر عليه السلام : **« يا بُنَيَّ ، لَا تَصْحَبَنَّ خَمْسَةً ، وَلَا تُحادِثْهُمْ : لَا تَصْحَبَنَّ الْفاسِقَ فَإِنَّهُ يَبيعُكَ بِأَكْلَةٍ فَما دونَها . قُلْتُ : يا أَبَتِ ، وَما دونَها ؟**

قالَ : يَطْمَعُ فيها ثُمَّ لَا يَنالُها .

وَلَا تَصْحَبِ الْبَخيلَ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ بِكَ أَحْوَجَ ما تَكونُ إِلَيْهِ .

وَلَا تَصْحَبِ الْكَذّابَ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرابِ ؛ يُبَعِّدُ عَنْكَ الْقَريبَ ، وَيُقَرِّبُ مِنْكَ الْبَعيدَ .

وَلَا تَصْحَبِ الْأَحْمَقَ فَإِنَّهُ يُريدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ ، وَقَدْ قيلَ : عَدُوٌّ عاقِلٌ خَيْرٌ مِنْ صَديقٍ أَحْمَقَ .

وَلَا تَصْحَبْ قاطِعَ رَحِمٍ فَإِنَّهُ مَلْعونٌ في كِتابِ اللهِ في ثَلاثَةِ مَواضِعَ :

في سُورَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ، قالَ تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾[1] .

---

(١) محمّد صلى الله عليه وآله ٤٧ : ٢٢ و ٢٣ .

وَفي سُورَةِ الرَّعدِ ، حَيثُ يَقولُ تَعالىٰ : ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (١).

وَفي سُورَةِ الْأَحْزابِ ، حيثُ يَقولُ اللهُ تَعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾ (٢)»(٣).

وقد حذّر الإمام عليه السلام في هذه الوصيّة من مزاملة هؤلاء الأشخاص المصابين في أخلاقهم خوفاً من انتقال أمراضهم النفسيّة إلى مَن يصحبهم ، فإنّ للصحبة أثراً فعّالاً في تكوين السلوك الشخصي للفرد .

٢ ـ وأوصى عليه السلام ولده الإمام الباقر عليه السلام بهذه الوصيّة القيّمة ، قال له : «افْعَلِ الْخَيْرَ إِلىٰ كُلِّ مَنْ طَلَبَهُ مِنْكَ ، فَإِنْ كانَ أَهْلاً فَقَدْ أَصَبْتَ مَوْضِعَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَهْلٍ كُنْتَ أَنْتَ أَهْلَهُ ، وَإِنْ شَتَمَكَ رَجُلٌ عَنْ يَمينِكَ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلىٰ يَسارِكَ وَاعْتَذَرَ إِلَيْكَ فَاقْبَلْ عُذْرَهُ»(٤).

وحفلت هذه الوصيّة بمكارم الأخلاق التي طُبعت عليها نفوس أهل البيت عليهم السلام ، فإنّ الحثّ على فعل الخير ، والصفح عن المسيء ، كلّ ذلك من ذاتيّاتهم ، ومن أبرز ما عُرفوا به .

٣ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام : «كانَ أَبي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ يَقولُ لِوَلَدِهِ : اتَّقوا الْكَذِبَ ، الصَّغيرَ مِنْهُ وَالْكَبيرَ ، في كُلِّ جِدٍّ وَهَزْلٍ ، لأَنَّ الرَّجُلَ إِذا كَذَبَ في الصَّغيرِ اجْتَرَأَ

---

(١) الرعد ١٣ : ٢٥.

(٢) الأحزاب ٣٣ : ٥٧.

(٣) الاتحاف بحبّ الأشراف : ٥٠.

(٤) تحف العقول : ٢٨٢.

عَلَىٰ الْكَبيرِ »[١] .

لقد ربّى الإمام عليه السلام ولده بمحاسن الأعمال ، وغرس في نفوسهم النزعات الشريفة ، ونهاهم عن كلّ ما يوجب انحطاط الإنسان في سلوكه .

٤ ـ وأوصى عليه السلام ولده الإمام الباقر عليه السلام بهذه الوصيّة الرفيعة . قال عليه السلام : « **يا بُنَيَّ ، الْعَقْلُ رائِدُ الرّوحِ ، وَالْعِلْمُ رائِدُ الْعَقْلِ ، وَالْعَقْلُ تُرْجُمانُ الْعِلْمِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ أَبْقىٰ ، وَاللِّسانُ أَكْثَرُ هَذَراً ، وَإِنَّ إِصْلاحَ الدُّنْيا بِحَذافيرِها في كَلِمَتَيْنِ بِهِما إِصْلاحُ شَأْنِ الْمَعائِشِ مِلْءُ مِكْتالِ ثُلْثاهُ فِطْنَةٌ وَثُلُثُهُ تَغافِلٌ**[٢]**؛ لأَنَّ الْإِنْسانَ لَا يَتَغافَلُ عَنْ شَيْءٍ قَدْ عَرَفَهُ فَفَطَنَ لَهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ السّاعاتِ تُذْهِبُ عُمْرَكَ ، وَأَنْتَ لَا تَنالُ نِعْمَةً إِلّا بِفِراقِ أُخْرىٰ ، وَإِيّاكَ وَالْأَمَلَ الطَّويلَ ، فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ لَا يَبْلُغُهُ ، وَجامِعِ مالٍ لَا يَأْكُلُهُ ، وَمانِعِ مالٍ سَوْفَ يَتْرُكُهُ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ باطِلٍ جَمَعَهُ ، وَهُمْ حَقٍّ مَنَعَهُ أَصابَهُ حَراماً وَوَرِثَهُ عَدْواً وَاحْتَمَلَ إِصْرَهُ ، وَباءَ بِوِزْرِهِ ، وَذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبينُ** »[٣] .

هذه بعض وصاياه ، وقد حفلت بالآداب الرفيعة ، والحكم القيمة ، والتوجيه السليم ، ولم يضعها لأبنائه فقط ، وإنّما وضعها للناس جميعاً على اختلاف قوميّاتهم وأديانهم .

أدعيته عليه السلام لولده

أمّا أدعية الإمام على وجه العموم ، فإنّها تمثّل جانباً أصيلاً ومشرقاً من جوانب التربية الإسلاميّة ، وهي من أفضل الوسائل لتهذيب النفوس ، وتقويم الأخلاق .

---

(١) وسائل الشيعة : ٣ : ٢٣٢ .

(٢) أُثرت هذه الكلمة الذهبيّة في كثير من المصادر عن الإمام الباقر عليه السلام .

(٣) كفاية الأثر : ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

لقد رأى الإمام العظيم الأُمّة في عصره قد غمرتها سحب قاتمة من التدهور الديني والخُلقي والاجتماعي، فوضع أدعيته التي عرفت بالسجّاديّة ليعالج بها الأمراض النفسيّة، ويعيد للأُمّة ما فقدته من أرصدتها الروحيّة والفكريّة، وهي من أثمن الثروات الإسلاميّة بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة.

إنّ أدعية الإمام عليه السلام تتفجّر بالعلم والحكمة، وتفيض بروح الإيمان والإسلام، وتمدّ الأُمّة بما تحتاجه من التعليم لضمان توازنها الاجتماعي والفردي، وكان من بين أدعيته الشريفة هذا الدعاء الذي خصّ به ولده.

يقول عليه السلام: **اللّٰهُمَّ وَمُنَّ عَلَيَّ بِبَقاءِ وُلْدي، وَبِإصْلاحِهِمْ لي وَبِإمْتاعي بِهِمْ، إلٰهي امْدُدْ لي في أَعْمارِهِمْ، وَزِدْ لي في آجالِهِمْ، وَرَبِّ لي صَغيرَهُمْ، وَقَوِّ لي ضَعيفَهُمْ، وَأَصِحَّ لي أَبْدانَهُمْ وَأَدْيانَهُمْ، وَأَخْلاقَهُمْ، وَعافِهِمْ في أَنْفُسِهِمْ وَفي جَوارِحِهِمْ، وَفي كُلِّ ما عُنيتُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَأَدْرِرْ لي وَعَلىٰ يَدَيَّ أَرْزاقَهُمْ، وَاجْعَلْهُمْ أَبْراراً أَتْقِياءَ بُصَراءَ سامِعينَ مُطيعينَ لَكَ، وَلأَوْلِيائِكَ مُحِبّينَ مُناصِحينَ، وَلِجَميعِ أَعْدائِكَ مُعانِدينَ وَمُبْغِضينَ آمينَ.**

اللّٰهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضُدي، وَأَقِمْ بِهِمْ أَوَدي[١]**، وَكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدي، وَزَيِّنْ بِهِمْ مَحْضَري، وَأَحْيِ بِهِمْ ذِكْري، وَاكْفِني بِهِمْ في غَيْبَتي، وَأَعِنّي بِهِمْ عَلىٰ حاجَتي، وَاجْعَلْهُمْ لي مُحِبّينَ، وَعَلَيَّ حَدِبينَ**[٢] **مُقْبِلينَ مُسْتَقيمينَ**

---

(١) **الأوَد**: العوج. **الأوْد**: المشقّة والتعب.

(٢) **حدبين**: أي عطوفين.

لي، مُطيعينَ غَيْرَ عاصينَ وَلا عاقِّينَ وَلا مُخالِفينَ وَلا خاطِئينَ، وَأَعِنّي علىٰ تَرْبِيَتِهِمْ وَتَأْديبِهِمْ وَبِرِّهِمْ، وَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلاداً ذُكُوراً، وَاجْعَلْ ذٰلِكَ خَيْراً لي، وَاجْعَلْهُمْ لي عَوْناً عَلىٰ ما سَأَلْتُكَ.

وَأَعِذْني وَذُرِّيَّتي مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ، فَإِنَّكَ خَلَقْتَنا وَأَمَرْتَنا وَنَهَيْتَنا، وَرَغَّبْتَنا في ثَوابِ ما أَمَرْتَنا، وَرَهَّبْتَنا عِقابَهُ، وَجَعَلْتَ لَنا عَدُوّاً يَكيدُنا سَلَّطْتَهُ مِنّا عَلىٰ مالَمْ تُسَلِّطْنا عَلَيْهِ مِنْهُ، أَسْكَنْتَهُ صُدُورَنا، وَأَجْرَيْتَهُ مَجارِيَ دِمائِنا، لايَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنا، وَلا يَنْسىٰ إِنْ نَسينا، يُؤْمِنُنا عِقابَكَ، وَيُخَوِّفُنا بِغَيْرِكَ، إِنْ هَمَمْنا بِفاحِشَةٍ شَجَّعَنا عَلَيْها، وَإِنْ هَمَمْنا بِعَمَلٍ صالِحٍ ثَبَّطَنا عَنْهُ، يَتَعَرَّضُ لَنا بِالشَّهَواتِ، وَيَنْصِبُ لَنا بِالشُّبُهاتِ، إِنْ وَعَدَنا كَذَبَنا، وَإِنْ مَنّانا أَخْلَفَنا، وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنّا كَيْدَهُ يُضِلَّنا، وَإِلَّا تَقِنا خَبالَهُ يَسْتَزِلَّنا.

اللّٰهُمَّ فَاقْهَرْ سُلْطانَهُ عَنّا بِسُلْطانِكَ، حَتّىٰ تَحْبِسَهُ عَنّا بِكَثْرَةِ الدُّعاءِ لَكَ، فَنُصْبِحَ مِنْ كَيْدِهِ في الْمَعْصُومينَ بِكَ.

اللّٰهُمَّ أَعْطِني كُلَّ سُؤْلي، وَاقْضِ لي حَوائِجي، وَلا تَمْنَعْنِي الْإِجابَةَ وَقَدْ ضَمِنْتَها لي، وَلا تَحْجُبْ دُعائي عَنْكَ وَقَدْ أَمَرْتَني بِهِ، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ ما يُصْلِحُني في دُنْيايَ وَآخِرَتي، ما ذَكَرْتُ مِنْهُ وَما نَسيتُ، أَو أَظْهَرْتُ أَوْ أَخْفَيْتُ، أَوْ أَعْلَنْتُ أَوْ أَسْرَرْتُ.

وَاجْعَلْني في جَميعِ ذٰلِكَ مِنَ الْمُصْلِحينَ بِسُؤالي إِيّاكَ، الْمُنْجِحينَ

بِالطَّلَبِ إِلَيْكَ، غَيْرِ الْمَمْنُوعينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، أَلْمُعَوَّذينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ، الرّابِحينَ في التِّجارَةِ عَلَيْكَ، أَلْمُجارينَ بِعِزِّكَ، الْمُوَسَّعِ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الْحَلالُ مِنْ فَضْلِكَ الْواسعِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، الْمُعَزّينَ مِنَ الذُّلِّ بِكَ، والْمُجارينَ مِنَ الظُّلْمِ بِعَدْلِكَ، وَالْمُعافَيْنَ مِنَ الْبَلاءِ بِرَحْمَتِكَ، وَالْمُغْنَيْنَ مِن الْفَقْرِبِغناكَ، والْمَعْصُومينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالزَّلَلِ وَالْخَطَأ بِتَقْواكَ، والْمُوَفَّقينَ لِلْخَيْرِ والرُّشْدِ وَالصَّوابِ بِطاعَتِكَ، والْمُحالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ بِقُدْرَتِكَ، التّارِكينَ لِكُلِّ مَعْصِيَتِكَ، السّاكِنينَ في جِوارِكَ.

اللّٰهُمَّ أَعْطِنا جَميعَ ذٰلِكَ بِتَوْفيقِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَأَعِذْنا مِنْ عَذابِ السَّعيرِ، وَأَعْطِ جَميعَ الْمُسْلِمينَ وَالْمُسْلِماتِ وَالْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ مِثْلَ الَّذي سَأَلْتُكَ لِنَفْسي وَلِوُلْدي في عاجِلِ الدُّنْيا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، إِنَّكَ قَريبٌ مُجيبٌ، سَميعٌ عَليمٌ، عَفُوٌّ غَفُورٌ رَؤُوفٌ رَحيمٌ، وَآتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النّارِ»(١).

لقد وضع الإمام العظيم مناهج التربية، وأخلاق الإسلام بهذا الدعاء الشريف الذي هو من نفحات النبوّة، ومن عبقات الإمامة، ومن الصفحات المشرقة من تراث أهل البيت عليهم السلام، فقد عنى فيه الإمام بتربية أبنائه تربية تقوم على تهذيب الأخلاق، وتطهير النفوس من الزيغ والآثام.

ولقد دعا لهم بالصحّة في الأديان، والمعافاة من اقتراف ما حرّمه الله، ودعا لهم بالاستقامة والتوازن في سلوكهم ليكونوا قرّة عين له، وعوناً له على شؤون هذه

---

(١) الصحيفة السجّاديّة: الدعاء ٢٥.

الحياة. ومن الطبيعي أنّ الأب إنّما يسعد بولده فيما إذا استقامت أخلاقه وكان صالحاً في هديه وسلوكه، وأمّا إذا شذّ عن ذلك فإنّه يحوّل حياة أبويه إلى جحيم لا تُطاق.

في ذمّة الخلود

وأجهد الإمام العظيم نفسه في العبادة، وأخلص في طاعته لله أعظم ما يكون الإخلاص، فلم ير الناس مثله في تقواه وورعه، وشدّة تحرّجه في الدين.. لقد كانت حياته مدرسة للتقوى والإيمان، ومنطلقاً للتهذيب والاصلاح، وقد أكبره الناس أي إكبار لأنّه بقيّة النبوّة، وبقيّة الله في أرضه، فكان السعيد من يراه، والسعيد من يحظى بمجالسته، والحديث معه.

وشقّ ذلك على الأمويّين الذين كانوا من أحقد الناس على الأُسرة النبويّة، فقد هالهم، واقضّ مضجعهم إجماع الناس على إكباره، وتحدّثهم عن سعة علومه ومعارفه، وذيوع مثله التي تعنو لها الجباه، وكان من أعظم الحاقدين عليه الوليد بن عبدالملك، فقد روى الزهري أنّ الوليد قال له: لا راحة لي وعليّ بن الحسين موجود في دار الدنيا (١).

وأجمع رأي هذا الخبيث الدنس على اغتيال الإمام حينما آل إليه الملك والسلطان، ونعرض فيما يلي إلى ذلك مع ذكر الأحداث التي رافقت سمّ الإمام.

اغتيال الإمام عليه السلام

وقام الوليد بن عبدالملك بأخطر جريمة في الإسلام، فقد بعث سمّاً قاتلاً إلى عامله على يثرب، وأمره أن يدسّه إلى الإمام(٢)، ونفّذ عامله ذلك، وحينما

---

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام: ٢: ٣٨٩ و ٣٩٠.

(٢) نور الأبصار: ١٢٩. الفصول المهمّة: ٢٣٣. الاتحاف بحبّ الأشراف: ٥٢. الصواعق ⇐

سقي السمّ أخذ يعاني أقسى الآلام وأشدّها، وبقي حفنة من الأيام على فراش المرض يبثّ شكواه إلى الله، وتزاحم الناس على عيادته، وهو عليه السلام يحمد الله ويشكره على ما رزقه من الشهادة على يد شرار بريّته.

نصّه على إمامة الباقر عليه السلام

وعهد عليه السلام بالإمامة إلى ولده الباقر عليه السلام، ونصّ عليه.

يقول الزهري: «دخلت إليه عائداً، فقلت له: إن وقع من أمر الله ما لا بدّ منه، فإلى مَن نختلف بعدك؟

فنظر الإمام إليه برفق وقال له: **إلى ابْني هٰذا** - وأشار إلى ولده الباقر عليه السلام - **فَإنَّهُ وَصِيِّي، وَوارِثي، وَعَيْبَةُ عِلْمي، وَهُوَ مَعْدِنُ الْعِلْمِ وَباقِرُهُ**.

- هلّا أوصيت إلى أكبر ولدك؟

- **يا أَبا عَبْدِاللهِ، لَيْسَتِ الْإمامَةُ بِالْكِبَرِ وَالصِّغَرِ، هٰكَذا عَهِدَ إِلَيْنا رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَهٰكذا وَجَدْناهُ في اللَّوْحِ وَالصَّحيفَةِ**.

- يابن رسول الله، عهد إليكم نبيّكم أن تكونوا الأوصياء بعده؟

- **وَجَدْنا في الصَّحيفَةِ وَاللَّوْحِ اثْني عَشَرَ اسْماً مَكْتوبَةً في اللَّوْحِ إمامَتَهُمْ وَأَسْماءِ آبائِهِمْ وَأُمّاتِهِمْ**.

ثمّ قال: **وَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ مُحَمَّدٍ ابْني سَبْعَةٌ مِنَ الْأَوْصياءِ مِنْهُمُ الْمَهْدِيُّ**»(١).

ودخل عليه جماعة من أعلام شيعته فدلّهم على إمامة ولده الباقر عليه السلام، ونصبه مرجعاً وعلماً لأمّة جدّه، ثمّ دفع إليه سفطاً وصندوقاً فيه مواريث الأنبياء، وكان فيه

⇐ المحرقة: ٥٣. الجدول في تاريخ المعصومين: ٢٧٦.

(١) إثبات الهداة: ٥: ٢٦٤.

سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبه[١].

وصيّته لولده الباقر عليه السلام

عهد الإمام زين العابدين عليه السلام إلى وصيّه وسيّد ولده الإمام الباقر عليه السلام بما أهمّه ، وكان من جملة ما أوصى به :

١ ـ إنّه قال له : **«إنّي حَجَجْتُ عَلىٰ ناقَتي هٰذِهِ عِشْرينَ حَجَّةً لَمْ أَقْرَعْها بِسَوْطٍ ، فَإذا نَفَقَتْ فَادْفِنْها ، لا تَأْكُلْ لَحْمَها السِّباعُ ، فَإنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : ما مِنْ بَعيرٍ يوقَفُ عَلَيْهِ مَوْقِفَ عَرَفَةَ سَبْعَ حِجَجٍ إلّا جَعَلَهُ اللهُ مِنْ نَعَمِ الْجَنَّةِ ، وَبارَكَ في نَسْلِهِ»**[٢] ، ونفّذ الإمام الباقر ذلك .

٢ ـ إنّه أوصاه بهذه الوصيّة القيّمة التي تكشف عن الجوانب المشرقة من نزعات أهل البيت عليهم السلام ، فقد قال له : **«يا بُنَيَّ ، أُوصيكَ بِما أَوْصاني بِهِ أَبي حينَ حَضَرَتْهُ الْوَفاةُ ، فَقَدْ قالَ لي : يا بُنَيَّ ، إيّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لا يَجِدُ عَلَيْكَ ناصِراً إلّا اللهَ»**[٣] .

٣ ـ إنّه عهد إليه أن يتولّى غسله وتكفينه[٤] ، وسائر شؤونه حتّى يواريه في مقرّه الأخير .

إلى الرفيق الأعلى

وثقل حال الإمام ، واشتدّ به النزع ، وقد أخبر أهل بيته أنّه في غلس الليل سوف ينتقل إلى جنّة المأوى ، وقد أُغمي عليه ثلاث مرّات ، فلمّا أفاق قرأ سورة الواقعة ،

---

(١) بصائر الدرجات : ١٤٦ . إثبات الهداة : ٥ : ٢٦٨ .

(٢) المحاسن : ٢ : ٦٣٥ .

(٣) الأمالي : ١٦١ . الخصال : ١٨٥ .

(٤) الخراج : ٢٠ .

وسورة إنّا فتحنا ، ثمّ قال عليه السلام : « **الْحَمْدُ لِلهِ الَّذي صَدَقَنا وَعْدَهُ ، وَأَوْرَثَنا الْجَنَّةَ نَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ نَشاءُ ، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلينَ** »[١] .

ثمّ ارتفعت تلك الروح العظيمة إلى بارئها كما ترتفع أرواح الأنبياء والمرسلين ، تحفّها ملائكة الرحمن ، وتحفّها ألطاف الله وتحيّاته ورضوانه .

لقد سمت روحه إلى جنّة المأوى بعد أن أضاءت آفاق هذا الكون ، وأشرقت بها عوالم الدنيا ، وذلك بما تركته من سيرة نديّة يهتدي بها الحائر ، ويرشد بها الضالّ .

تجهيزه عليه السلام

وقام الإمام أبو جعفر عليه السلام بتجهيز جثمان أبيه ، فغسّل جسده الطاهر ، وقد رأى الناس مواضع سجوده كأنّها مبارك الإبل من كثرة سجوده لخالقه ، ونظروا إلى عاتقه كأنّه مبارك الإبل أيضاً ، فسألوا الباقر عليه السلام عن ذلك ، فأخبرهم أنّه من أثر الجراب الذي كان يحمله على عاتقه ويضع فيه الطعام ويوزّعه على الفقراء والمحرومين .

وبعد الفراغ من غسله أدرجه في أكفانه ، وصلّى عليه الصلاة المكتوبة .

تشييعه عليه السلام

وشيّع الإمام بتشييع حافل لم تشهد له يثرب نظيراً ، فقد شيّعه البرّ والفاجر ، وبكاه الناس جميعاً ، فقد فقدوا بموته الخير الكثير ، وفقدوا تلك الروحانيّة التي لم يخلق لها مثيل ، وقد ازدحم الناس على الجثمان المقدّس ، فالسعيد من يحظى برفعه .

ومن الغريب أنّ سعيد بن المسيّب أحد الفقهاء السبعة في المدينة لم يفز بتشييع الإمام والصلاة عليه ، وأنكر عليه خشرم مولى أشجع ، فقال له سعيد : أُصلّي ركعتين

---

(١) الكافي : ١ : ٤٦٨ ، الحديث ٥ . مستدرك الوسائل : ٢ : ١٣٣ ، الحديث ١٦٢٠ .

في المسجد أحبّ إليّ من أن أُصلّي على هذا الرجل الصالح في البيت الصالح[١]، وقد حرم سعيد من الفوز بتشييع الإمام الذي هو أتقى إنسان خلقه الله بعد آبائه الطاهرين.

في مقرّه عليه السلام الأخير

وجيء بالجثمان العظيم في وسط هالة من التكبير والتحميد إلى بقيع الغرقد، فحفروا له قبراً بجوار قبر عمّه الزكيّ الإمام الحسن بن عليّ سيّد شباب أهل الجنّة، وأنزل الإمام الباقر عليه السلام جثمان أبيه فواراه في مقرّه الأخير، وقد وارى معه البرّ والتقوى والحلم، ووارى روحانيّة الأنبياء والمتّقين.

وبعد الفراغ من دفنه هرع الناس نحو الإمام الباقر عليه السلام وهم يرفعون له تعازيهم الحارّة، ويشاركونه في لوعته وأساه، والإمام عليه السلام مع إخوته وسائر بني هاشم يشكرونهم على ذلك.

وانصرف الإمام أبو جعفر عليه السلام إلى بيته بعد أن وارى أباه في بقيع الغرقد وهو غارق في البكاء، وقد احتفّ به بنو هاشم وأبناء الصحابة وسائر وجوه المسلمين، وهم يذرفون الدموع على الإمام زين العابدين عليه السلام، ويعدّدون مزاياه ومآثره، ويذكرون بمزيد من الأسى الخسارة العظمى التي مني بها المسلمون بفقده.

وقد تسلّم الإمام الباقر عليه السلام بعد وفاة أبيه القيادة الروحيّة والمرجعيّة العامّة للعالم الإسلامي، فقد انتقلت إليه الإمامة والزعامة الدينيّة عند الشيعة[٢].

وأخذ منذ تلك اللحظة ينشر العلم، ويلقي على العلماء الدروس الخاصّة في شؤون الشريعة الإسلاميّة وأحكام الدين.

---

(١) رجال الكشّي: ١٨٥/١١٦.

(٢) العقد الفريد: ٥: ٢٠٤.

وقد عاش الإمام الباقر عليه السلام في كنف أبيه ٣٩ سنة ، حسبما ذكره أكثر المؤرّخين[١].

وقد وهم المستشرق روايت م . رونلدس حيث ذكر أنّ عمره حينما انتقلت إليه الإمامة كان ١٩ سنة[٢] ، فإنّ ذلك نشأ من قلّة التتبّع وعدم التثبّت في شؤون التاريخ الإسلامي .

أُسطورة

من الموضوعات ما رواه ابن عساكر في تاريخه بإسناده عن محمّد بن جعفر السامري ، قال ما نصّه : سمعت أبا موسى المؤدّب يقول : قال قيس بن النعمان : خرجت يوماً إلى بعض مقابر المدينة فإذا أنا بصبيّ جالس عند قبر يبكي بكاءً شديداً ، وإنّ وجهه ليلقي شعاعاً من نور ، فأقبلت عليه ، فقلت : أيّها الصبيّ ، ما الذي أعقلت له من الحزن حتّى أفردك بالخلوة في مجالب الموتى ، والبكاء على أهل البلاء ، وأنت بغرارة[٣] الحداثة ، مشغول عن اختلاف الأزمان ، وحنين الأحزان ؟!

فرفع الصبيّ رأسه ، وطأطأه وأطرق ساعة لا يحير جواباً ، ثمّ رفع رأسه وهو يقول :

إنَّ الصَّبِيَّ صَبِيُّ العَقلِ لا صِغَرٌ ... أَزرى بِذي العَقْلِ فينا لَا وَلا كِبَرُ

ثمّ قال لي : يا هذا إنّك خليّ الذرع من الفكر ، سليم الأحشاء من الحرقة ، آمنت تقارب الأجل بطول الأمل ، إنّ الذي أفردني بالخلوة في مجالب أهل البلاء يذكّرني قول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَإِذَا هُم مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾[٤].

---

(١) جاء في تاريخ الأئمّة : ٥ : «أنّه أقام مع أبيه ٣٥ سنة إلّا شهرين».

(٢) عقيدة الشيعة : ١٢٣.

(٣) **الغرارة** : هي الحداثة في السنّ.

(٤) يس ٣٦ : ٥١.

فقلت : بأبي أنت وأمّي ، مَن أنت ؟ فإنّي لأسمع كلاماً حسناً .

فقال : إنّ من شقاوة أهل البله قلّة معرفتهم بأولاد الأنبياء ، أنا محمّد بن عليّ بن الحسين ، وهذا قبر أبي ، فأي أُنس آنس من قربه ؟ وأي وحشة تكون معه ؟

ثمّ أنشأ يقول :

ما غاضَ دَمْعي عِندَ نازِلَةٍ ... إلّا جَعَلْتُكَ لِلْبكا سَبَباً
إنّي أُجِلُّ ثَرىً حَلَلْتَ بِهِ ... مِنْ أنْ أرىٰ بِسِواكَ مُكْتَئِبا
فَإذا ذَكَرتُكَ سامَحَتْكَ بِهِ ... منّي الدُّموعُ فَفاضَ فَانْسَكَبا

قال قيس : فانصرفت ، وما تركت زيارة القبور منذ ذاك[١] .

والذي يدلّل على وضع هذه الرواية أنّها ذكرت أنّ الإمام كان صبيّاً بعد وفاة أبيه ، وممّا أجمع عليه المؤرّخون أنّ عمره الشريف في ذلك الوقت كان تسعاً وثلاثين سنة ، مع أنّ التأمّل في فصولها يوحي بأنّها من الموضوعات .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الإمام محمّد الباقر في ظلال جدّه وأبيه ، وقد ورث منهما أجلّ ما تورّثه الأُصول للفروع ، فقد ورث منهما العلم والحكمة وفصل الخطاب .

---

(١) تاريخ دمشق : ٥٤ : ٢٨١ و ٢٨٢ .

إخوته وأبناؤه عليه السلام

أمّا البحث عن شؤون السادة من إخوان الإمام الباقر وأبنائه ، ومدى علاقتهم معه ، فإنّه ضروري حسب الدراسات الحديثة ، لأنّه يكشف جانباً من جوانب حياته في ظلال اُسرته التي تعدّ من المكوّنات التربويّة للشخص ـ حسبما يقول علماء التربية ـ ، وفيما يلي ذلك :

إخوته عليه السلام

أمّا علاقة الإمام بإخوته ، فقد كانت وثيقة للغاية تسودها المحبّة والأُلفة واجتناب هجر الكلام ومرّه ، وقد قيل له : أي إخوانك أحبّ إليك ؟

فأجاب عليه السلام أنّه لا يفرّق بينهم ، وأنّه يكنّ لهم جميعاً أعظم المودّة والإخلاص قائلاً : « **أَمّا عَبْدُاللهِ ، فَيَدي الَّتي أَبْطِشُ بِها** [1] .

وَأَمّا عَمْرٌ ، فَبَصَري الَّذي أَبْصِرُ بِهِ .

وَأَمّا زَيْدٌ ، فَلِساني الَّذي أَنْطِقُ بِهِ .

وَأَمّا الْحُسَيْنُ ، فَحَليمٌ يَمْشي عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ، وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلونَ قالوا

---

(١) عبدالله : هو أخو الإمام الباقر لأمّه وأبيه .

سَلاماً[(١)]، [(٢)].

لقد توفّرت في إخوان الإمام عليه السلام جميع النزعات الكريمة من الورع والتقوى والصلاح ، قد غذّاهم أبوهم الإمام زين العابدين عليه السلام بهديه ، وأفاض عليهم أشعّة من روحه ، فأنارت قلوبهم بجوهر الإسلام وواقع الإيمان ، ونقدّم عرضا موجزاً لبعض شؤونهم :

زيد الشهيد

أمّا زيد الشهيد فهو ملء فم الدنيا في فضله وعلمه وشممه وإبائه ، وهو أحد أعلام الأسرة النبويّة الذين رفعوا كلمة الله عالية في الأرض ، وقدّموا أرواحهم قرابين خالصة لوجه الله ليحقّقوا العدالة الإسلاميّة ، ويعيدوا بين الناس حكم القرآن ، ويقضوا على معالم الظلم الاجتماعي التي أوجدها الحكم الأموي بين الناس ، ونلمّح إلى بعض سيرته وشؤونه :

ولادته

كانت ولادة زيد الشهيد سنة (٧٨هـ)[(٣)].

وقيل سنة (٧٥هـ)[(٤)].

ولمّا بشّر به أبوه الإمام زين العابدين عليه السلام أخذ القرآن الكريم وفتحه متفائلاً به ،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً** ﴾ الفرقان ٢٥ : ٦٣.

(٢) سفينة البحار : ٢ : ٢٧٣.

(٣) تهذيب ابن عساكر : ٦ : ١٨.

(٤) الحدائق الورديّة : ١ : ١٤٣.

فخرجت الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾(١).

فطبقه وفتحه ثانياً، فخرجت الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(٢).

وطبق المصحف ثمّ فتحه، فخرجت الآية: ﴿ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَىٰ الْقَاعِدِينَ ﴾(٣).

وبهر الإمام عليه السلام وراح يقول: **عُزِّيتُ عَنْ هٰذَا الْمَوْلودِ، وَأَنَّهُ لَمِنَ الشُّهداءِ**(٤).

لقد تنبأ الإمام عليه السلام بشهادة ولده، وأحاط أصحابه علماً بها، فلم يخامرهم شكّ في ذلك.

نشأته

نشأ زيد في بيوت النبوّة والإمامة، وتغذى بلباب الحكمة، فكان أبوه الإمام زين العابدين عليه السلام الذي هو أفضل إنسان في عصره يتعاهده بالآداب، ويرسم له طرق الهداية والخير، فتأثّر بسلوكه، وانطبعت في دخائل نفسه نزعاته المشرقة، فكان البارز من صفاته ـ فيما يقول المؤرّخون ـ الزهد، والورع، والتحرّج في الدين، فلم يتّبع قيادة نفسه، وإنّما آثر رضا الله وطاعته على كلّ شيء.

وقد لازم منذ نعومة أظفاره أخاه الإمام الباقر عليه السلام الذي هو خليفة أبيه ووصيّه، ووارث علمه، ومن الطبيعي أنّ لهذه الصحبة أثراً فعّالاً في سلوكه وتكوين

---

(١) التوبة ٩: ١١١.

(٢) آل عمران ٣: ١٦٩.

(٣) النساء ٤: ٩٥.

(٤) الروض النضير: ١: ٥٢.

شخصيّته ، فقد كان في هديه يضارع هدي آبائه الذين طهّرهم الله من الرجس والزيغ ، وأبعدهم عن مآثم هذه الحياة .

عبادته وتقواه

وأخلص زيد في العبادة والإنابة لله ، فكان من أبرز المتّقين في عصره .

يقول عاصم بن عبيد العمري : « رأيته وهو شابّ بالمدينة يذكر الله فيغشى عليه ، حتّى يقول القائل : ما يرجع إلى الدنيا »[١] .

وكان يُعرف عند أهل المدينة بحليف القرآن[٢] .

وقد أثّر السجود بوجهه[٣] لكثرة صلاته طوال الليل[٤] .

لقد اتّجه بعواطفه ومشاعره نحو الله ، وسلك كلّ ما يقرّبه إليه زلفى .

علمه وأدبه

وكان زيد من علماء عصره البارزين ، وكان موسوعة في الحديث والفقه والتفسير واللغة والأدب وعلم الكلام ، وقد سأل جابر الإمام الباقر عليه السلام عن زيد ، فأجابه عليه السلام : **سَأَلْتَني عَنْ رَجُلٍ مُلِئَ إيماناً وَعِلْماً مِنْ أَطْرافِ شَعَرِهِ إِلىٰ قَدَمِهِ**[٥] .

وقال عليه السلام فيه : « **إِنَّ زَيْداً أُعْطِيَ مِنَ الْعِلْمِ بَسْطَةً** »[٦] .

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ١٢٨ .

(٢) مقاتل الطالبيّين : ١٣٠ .

(٣) مقاتل الطالبيّين : ١٢٨ .

(٤) الخرائج والجرائح : ٢ : ٨٩٠ .

(٥) مقدّمة مسند الإمام زيد عليه السلام : ٨ .

(٦) المصدر المتقدّم : ٧ .

وقد تحدّث زيد عن سعة علومه ومعارفه حينما أعدّ نفسه لقيادة الأمّة ، والثورة على الحكم الأموي ، يقول : « والله ما خرجت ، ولا قمت مقامي هذا ، حتّى قرأت القرآن ، وأتقنت الفرائض ، وأحكمت السنّة والآداب ، وعرفت التأويل كما عرفت التنزيل ، وفهمت الناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والخاصّ والعامّ ، وما تحتاج إليه الأمّة في دينها ممّا لا بدّ لها منه ، ولا غنى عنه ، وإنّي لعلى بيّنة من ربّي »(١) .

لقد كان زيد من أعلام الفقهاء ، ومن كبار رواة الحديث ، وقد أخذ علومه من أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام ، ومن أخيه الإمام الباقر عليه السلام الذي بقر العلم حسبما أخبر عنه جدّه الرسول صلى الله عليه وآله ، وقد غذّياه بأنواع العلوم ، وأخذ عنهما أُصول الاعتقاد والفروع والتفسير ، فكان من الطراز الأوّل في فضله وعلمه .

وإنّ من أوهى الأقوال ما ذهب إليه الشهرستاني من أنّه تتلمذ لواصل بن عطاء وأخذ عنه الاعتزال .

يقول : « أراد ـ يعني زيداً ـ أن يحصّل الأُصول والفروع حتّى يتحلّى بالعلم ، فتتلمذ في الأُصول لواصل بن عطاء رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل بأنّ جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ما كان على يقين من الصواب ، وأنّ أحد الفريقين منهما كان على خطأ لا بعينه ، فاقتبس منه الاعتزال »(٢) .

أمّا هذا الرأي فلا يحمل أي طابع من التوازن والتحقيق ، فإنّ زيداً لم يقتبس علومه من واصل ، وإنّما أخذها من أبيه وأخيه اللذين أضاءا الحياة الفكريّة والعلميّة في الإسلام .

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار / المقريزي : ٢ : ٤٤٠ .

(٢) الملل والنحل : ٢ : ٢٠٨ .

وقد استمدّ الفقهاء ورؤساء المذاهب الإسلاميّة علومهم ممّا أخذوه من أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، أمّا مباشرة أو من أحد تلامذتهم ، فكيف يذهب زيد إلى واصل[١] لأخذ العلم عنه ؟

ويذهب الشيخ أبو زهرة إلى أنّ التقاء زيد بواصل كان التقاء مذاكرة وليس التقاء تلميذ عن أُستاذ ، فإنّ السنّ متقاربة ، وزيد كان ناضجاً .

وأضاف قائلاً : « إنّه تلقّى فروع الأحكام من أُسرته ، وفي المدينة مهد علم الفروع »[٢] .

لقد أخذ زيد علومه من أبيه وأخيه ، وكان من أعلام الفقهاء في عصره ، وقد روى عنه أبو خالد الواسطي مجموعة في الفقه تتناول العبادات والمعاملات أسماها (مسند الإمام زيد) ، وقد ذكرنا ما يواجه هذا الكتاب من المؤاخذات في دراستنا عن عقائد الزيديّة[٣] .

أمّا مكانة زيد الأدبيّة ، فقد كان من الطراز الأوّل في الأدب والبلاغة ، وكان يشبه جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في فصاحته وبلاغته[٤] .

ويقول المؤرّخون : « إنّه جرت بين زيد وبين جعفر بن الحسن منازعة في وصيّة ،

---

(١) كان واصل بن عطاء ألثغ قبيح اللثغة في الرّاء ، فكان يخلص كلامه من الراء ، وفيه يقول الشاعر :

وَيَجْعَلُ البُرَّ قَمْحاً في تَصَرُّفِهِ ... وَخالَفَ الرّاءَ حَتّى احتالَ لِلشَّعَرِ
وَلَمْ يُطِقْ مَطَراً وَالْقَولُ يُعْجِلُهُ ... فَعادَ بِالغَيْثِ إشْفاقاً مِنَ الْمَطَرِ

وفيات الأعيان : ٦ : ٧ و ٨

(٢) الإمام زيد : ٢٢٥ .

(٣) طبع بعض هذا الكتاب في المسائل الدينيّة التي تصدر في كربلاء ، والبعض الآخر لا يزال مخطوطاً .

(٤) الحدائق الورديّة : ١ : ١٤٤ .

فكانا إذا تنازعا انثال الناس عليهما ليسمعوا محاورتهما ، فكان الرجل يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ، ويحفظ الآخر اللفظة من كلام زيد ، فإذا انفصلا وتفرّق الناس فيكتبون ما قالاه ، ثمّ يتعلّمونه كما يتعلّم الواجب من الفرض ، والنادر من الشعر ، والسائر من المثل ، وكانا أُعجوبة دهرهما ، وأُحدوثة عصرهما »(١) .

وكان سيبويه يحتجّ بما أُثر عن زيد من الشعر ، ويستشهد به فيما يذهب إليه ، واعترف خصمه الطاغية هشام بقدراته الأدبيّة ، وبراعته في الكلام ، فقال : إنّه حلو اللسان ، شديد البيان ، خليق بتمويه الكلام(٢) .

وقد حفلت مصادر الأدب والتاريخ بالشيء الكثير من روائع حكمه ، وهي من غرر الكلام العربي .

إكبار الإمام الباقر عليه السلام لزيد

وكان الإمام الباقر عليه السلام يجلّ أخاه زيداً ويكبره ، ويحمل له في دخائل نفسه أعمق الودّ ، وخالص الحبّ ، لأنّه من أفذاذ الرجال ، وصورة حيّة للبطولات النادرة ، وقد روى المؤرّخون صوراً من ألوان ذلك الودّ والإكبار ، وهذه بعضها :

١ ـ إنّه قال له : « **لَقَدْ أَنْجَبَتْ أُمٌّ وَلَدَتْكَ يا زَيْدُ ، اللّهُمَّ اشْدُدْ أَزْرِي بِزَيْدٍ** »(٣) .

وهذا يدلّ على مدى إكبار الإمام وتعظيمه لزيد .

٢ ـ روى سدير الصيرفي ، قال : «كنت عند أبي جعفر الباقر عليه السلام ، فدخل زيد بن عليّ ، فضرب أبو جعفر على كتفه ، وقال له : **هٰذا سَيِّدُ بَني هاشِمٍ ، إذا دَعاكُمْ**

---

(١) زهر الآداب : ١ : ٨٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٣٩٠.

(٣) الأغاني : ٢٤ : ٩٦.

فَأَجِيبوهُ ، وَإِذا اسْتَنْصَرَكُمْ فَانْصروهُ »[١] .

ودلّ ذلك على دعوة الإمام إلى نصرته والذبّ عنه ، والحكم بشرعيّة ثورته .

٣ - روى المؤرّخون عن رجل من بني هاشم ، قال : « كنّا عند محمّد بن عليّ بن الحسين وأخوه زيد جالس ، فدخل رجل من أهل الكوفة فقال له محمّد بن عليّ : **إِنَّكَ لَتَرْوي طَرائِفَ مِنْ نَوادِرِ الشِّعْرِ ، فَكَيْفَ قالَ الأَنْصارِيُّ لأَخيهِ ؟**

فأنشده :

لَـعَمرُكَ مـا أَنْ أَبـو مـالِكٍ ... بِـوانٍ وَلا بِـضَعيفٍ قُـواهُ
وَلا بِـــأَلَـــدٍّ لَـــهُ نـــازِعٌ ... يُـعادي أَخـاهُ إِذا مـا نَـهاهُ
وَلٰكِـــنَّهُ غَـــيرُ مِـــخْلافَةٍ ... كَريمُ الطَّبائِعِ حُـلوٌ ثَـناهُ[٢]
وَإِنْ سِدتَهُ سِدتَ مِطواعَـةً ... وَمَـهما وَكَـلتَ إِلَـيْهِ كَـفاهُ

فوضع أبو جعفر يده على كتف زيد وقال له : **هٰذِهِ صِفَتُكَ يا أَخي ، وَأُعيذُكَ بِاللهِ أَنْ تَكونَ قَتيلَ الْعِراقِ »**[٣] .

ومعنى هذه الأبيات التي وصف بها الإمام أخاه أنّه كان قوي الشكيمة ، صلب الإرادة ، ماضي العزيمة ، وأنّه منقاد لأخيه ، كريم في طبائعه ، وأنّه مهما وكلّ إليه من أمر عظيم فإنّه أهل للقيام به ، ولا يتّصف بهذه الصفات إلّا أفذاذ الناس وعمالقة الدهر .

لقد أضفى الإمام عليه السلام على أخيه أسمى النعوت ، ومنحه ودّه الخالص ، ولم يكن بذلك مدفوعاً بدافع الاخوة ، فإنّ مقامه الروحي بعيد كلّ البعد من الاندفاع

---

(١) سرّ السلسلة العلويّة : ٥٧ . غاية الاختصار : ٣٠ .

(٢) وفي رواية : « حلو نثاه » .

(٣) زهر الآداب : ١ : ١١٨ .

وراء العواطف والرغبات ، وإنّما رأى أخاه من أروع صور التكامل الإنساني ، فمنحه هذا اللون من الودّ والتكريم .

مع هشام بن عبدالملك

وعُرف هشام بن عبدالملك بالحقد على الأُسرة النبويّة ، والبغض لها ، وقد عهد للمباحث ورجال الأمن بمراقبة العلويّين ، والتعرّف على تحرّكاتهم ، والوقوف على نشاطاتهم السياسيّة ، وقد أحاطته استخباراته علماً بسموّ مكانة زيد ، وأهميّة مركزه الاجتماعي ، وما يتمتّع به من القابليّات الفذّة التي أوجبت احتفاف الجماهير حوله ، وتطلّعهم إلى حكمه ، وأخذ هشام يبغي له الغوائل ، ويكيد له في غلس الليل وفي وضح النهار ، وعهد إلى عامله على يثرب بإشخاصه إليه .

ولمّا شخص إلى دمشق حجبه عنه مبالغة في توهينه والاستهانة به ، وقد احتفّ به أهل الشام لمّا رأوا ما اتّصف به من سموّ الخلق ، وبليغ المنطق ، وقوّة الحجّة ، والتحرّج في الدين ، وبلغ ذلك هشاماً فتميّز من الغيظ ، فاستشار بعض مواليه ، وطلب منه الرأي للحطّ من شأنه ، وتوهينه أمام أهل الشام ، فأشار عليه أن يأذن للناس إذناً عامّاً ، ويحجب زيداً ، ثمّ يأذن له في آخر الناس ، فإذا دخل عليه وسلّم فلا يرد عليه سلامه ، ولا يأمره بالجلوس ، وحسب أنّ ذلك موجب للحطّ من شأنه ، والتوهين بشخصيّته .

وفعل هشام ذلك ، فلمّا دخل زيد وسلّم لم يردّ عليه سلامه ، فثار زيد في وجهه ـ فيما يقول بعض المؤرّخين ـ وخاطبه بعنف قائلاً : « السلام عليك يا أحول ، فإنّك ترى نفسك أهلاً لهذا الاسم »[١] .

ونسفت هذه الكلمات جبروت الطاغية ، وأطاحت بغلوائه ، فصاح بزيد :

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٦ : ٢٢ .

« بلغني أنّك تذكر الخلافة وتتمنّاها ، ولست أهلاً لها ، وأنت ابن أمة » .

وانبرى زيد يسخر منه ، ويدلي بحجّته في تفنيد قول هشام قائلاً : « إنّ الأُمّهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أمّ إسماعيل أمة لأمّ إسحاق ، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيّاً ، وجعله أباً للعرب ، وأخرج من صلبه خير الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله »(١) .

وفقد هشام توازنه أمام هذا المنطق الفيّاض ، وسرت الرعدة في أوصاله ، فراح يتهجّم على الإمام محمّد الباقر عليه السلام ، فقال له : ما يصنع أخوك البقرة ؟

ولا يلجأ إلى هذا المنطق الرخيص إلّا كلّ جاهل يعوزه الدليل والبرهان ، وشعر زيد بألم حينما سبّ أخاه ، فالتفت إلى الطاغية قائلاً : « سمّاه رسول الله الباقر ، وتسمّيه البقرة ، لشدّ ما اختلفتما ، لتخالفنّه في الآخرة كما خالفته في الدنيا ، فيرد الجنّة وترد النار »(٢) .

وزعزعت هذه الكلمات عرش الطاغية ، وأبرزته أمام أهل الشام كأقذر مخلوق لا يستحقّ أن يكون شرطيّاً ، فكيف يكون خليفة على المسلمين مع مخالفته لرسول الله صلى الله عليه وآله ؟ وفقد هشام صوابه فصاح بجلاوزته أن يخرجوا زيداً من مجلسه(٣) .

وخرج زيد وقد ملئ قلب هشام غيظاً وألماً ، وراح الطاغية يقول لأُسرته : « ألستم تزعمون أنّ أهل البيت قد بادوا ، لا لعمري ما انقرض قوم هذا خلفهم »(٤) .

وخرج زيد وقد امتلأت نفسه حماساً وعزماً على إعلان الثورة على الحكم الأموي الذي كفر بجميع القيم الإنسانيّة ، واستهان بكرامة الناس ، وقد أعلن زيد شرارة الثورة بكلمته الخالدة التي أصبحت شعاراً للثوّار ونشيداً لهم على الخوض

---

(١) الكامل في التاريخ : ٥ : ٨٤.

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٣ : ٢٨٦ . عمدة الطالب : ١٩٤ .

(٣) الكامل في التاريخ : ٥ : ٨٤.

(٤) عمدة الطالب : ٢٥٦.

في ميادين الكفاح والنضال قائلاً: «ما كره قوم حرّ السيوف إلّا ذلّوا».

وقد جرت هذه المقابلة بين زيد وهشام في حياة الإمام الباقر عليه السلام، ولم تشر المصادر التي بأيدينا إلى السنة التي وقعت فيها، وعلى أي حال، فمنذ تلك اللحظة عزم زيد على الثورة، والقيام بمناهضة الحكم الأموي.

يقول بعض شيعته: «دخلت عليه فسمعته يتمثّل بقول الشاعر:

وَمَنْ يَطلُبِ المَجدَ المُمَنَّعَ بِالقَنا ... يَعِشْ ماجِداً أَوْ تَخترِمْهُ المَخارِمُ
مَتىٰ تَجمَعِ القَلبَ الذَّكِيَّ وَصارِماً ... وَأَنْفاً حَمِيّاً تَجْتَنِبْكَ المَظالِمُ
وَكُنتُ إذا قَومٌ غَزَوْني غَزَوْتُهُمْ ... فَهَلْ أَنا في ذا يالَ هَمْدانَ ظالِمُ[1]

ودلّ هذا الشعر على تصميمه على الثورة، والخوض في ميدان الكفاح المسلّح ليعش ماجداً كريماً تجتنبه المظالم، ويصدّ عنه كيد المعتدين. لست أيّها الثائر العظيم ظالماً ولا باغياً، وإنّما أنت منقذ ومحرّر للأُمّة العربيّة والإسلاميّة من الظلم والجور والاستبداد.

مشروعيّة الثورة

والشيء المحقّق أنّ زيداً لم يفجّر ثورته الكبرى أشراً ولا بطراً، ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنّما كان يبغي وجه الله، ويلتمس الدار الآخرة، فقد رأى ظلماً شائعاً، وجوراً شاملاً، ورأى حكّام بني أُميّة لم يبقوا لله حرمة إلّا انتهكوها، فخرج داعياً إلى الله، وطالباً بالحقّ.

يقول الرواة: إنّه لمّا أزمع على الخروج جاءه جابر بن يزيد الجعفي، فقال له: إنّي سمعت أخاك أبا جعفر يقول: إنّ أخي زيد بن عليّ خارج ومقتول، وهو على

(١) مقاتل الطالبيّين: ١٣٢.

الحقّ ، فالويل لمن خذله ، والويل لمن حاربه ، والويل لمن يقتله .

فقال له زيد : ياجابر ، لم يسعن أن أسكت ، وقد خولف كتاب الله تعالى ، وتحوكم بالجبت والطاغوت ، وذلك أنّي شاهدت هشاماً ورجل عنده يسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقلت للسابّ : ويلك يا كافر ، أما إنّي لو تمكّنت منك لاختطفت روحك ، وعجّلتك إلى النار .

فقال لي هشام : مه جليسنا يا زيد ، فوالله لو لم يكن إلّا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه ، وجاهدته حتّى أفنى (١) .

وأثنى الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام على عمّه ثناءً عاطراً ، ومجّد ثورته الإصلاحيّة ، فكان فيما يقول الرواة قد قال لأصحابه : « **لَا تَقولوا خَرَجَ زَيْدٌ ، فَإِنَّ زَيْداً كانَ عالماً ، وَكانَ صَدوقاً ، وَلَمْ يَدْعُكُمْ إِلىٰ نَفْسِهِ ، إِنَّما دَعاكُمْ إِلَى الرِّضا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام ، وَلَوْ ظَهَرَ لَوَفىٰ بِما دَعاكُمْ إِلَيْهِ ، إِنَّما خَرَجَ إِلىٰ سُلْطانٍ مُجْتَمِعٍ لِيَنْقُضَهُ** » (٢) .

وقد دفع عليه السلام إلى عبدالرحمن بن سيّابة ألف دينار ، وأمره أن يقسّمها في عيال مَن أُصيب مع زيد (٣) .

ولو كانت الثورة غير مشروعة لما صنع ذلك ، فإنّ شأنه أسمى من أن يندفع وراء التيّارات العاطفيّة .

وشجبت بعض الروايات ثورة زيد ، ووسمتها بأنّها غير مشروعة ، إلّا أنّ سيّدنا الأُستاذ الخوئي قدس سره قد عرض إليها (٤) ، فأثبت أنّ سندها ضعيف لا يمكن التعويل

---

(١) تيسير المطالب : ١٠٨ و ١٠٩ .

(٢) روضة الكافي : ٨ : ٢٦٤ ، الحديث ٣٨١ .

(٣) أمالي المجلسي : ٥٤ .

(٤) معجم رجال الحديث : ٧ : ٣٥٠ و ٣٥٨ .

عليها في الطعن بشخصيّة زيد وثورته .

وعلى أي حال ، فقد أحدثت ثورة زيد تحوّلاً اجتماعيّاً وفكريّاً في المجتمع الإسلامي ، وهيّأته إلى الثورة على الحكم الأموي ، فلم تمرّ إلّا سنين يسيرة وإذا بالرايات السود تخفق في خراسان ، وهي تزحف إلى احتلال الأقاليم الإسلاميّة ، وتطهّرها من عملاء السلطة الأمويّة حتّى أطاحت بالعرش الأموي ، وقضت على معالم زهوه وجبروته .

الثورة الكبرى

وثار زيد على الحكم الأموي بوحي من عقيدته التي تمثّل روح الإسلام وهديه ، فقد رأى باطلاً يحيى ، وصادقاً يكذّب ، وإثرة بغير تقى ، ورأى جوراً شاملاً ، واستبداداً في أُمور المسلمين ، فلم يسعه السكوت .

يقول بعض شيعته : « خرجت معه إلى مكّة ، فلمّا كان نصف الليل ، واستوت الثريا ، قال لي : أما ترى هذه الثريّا ؟ أترى أحداً ينالها ؟

قلت : لا .

قال : والله لوددت أنّ يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث أقع فأتقطّع قطعة قطعة ، وأنّ الله يصلح بين أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله »(١)

ودلّ حديثه على مدى نزعته الإصلاحيّة ، وإخلاصه العظيم لأُمّة جدّه صلى الله عليه وآله ، وتفانيه في سبيل الإصلاح العامّ .

وروى عيسى بن عبدالله ، عن جدّه محمّد بن عمر بن عليّ عليه السلام ، قال : «كنت مع زيد بن عليّ حين بعث بنا هشام إلى يوسف بن عمر ، فلمّا خرجنا من عنده وسرنا

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ١٢٩ .

حتّى كنّا بالقادسيّة ، قال زيد : اعزلوا متاعي عن أمتعتكم .

فقال له ابنه : ما تريد أن تصنع ؟

قال : أُريد أن أرجع إلى الكوفة ، فوالله لو علمت أنّ رضى الله عزّ وجلّ عنّي في أن أقدح ناراً بيدي حتّى إذا اضطرمت رميت نفسي فيها لفعلت ! ولكن ما أعلم شيئاً أرضى لله عزّ وجلّ عنّي من جهاد بني أُميّة »(١) .

إنّه لم يفجّر ثورته الكبرى طمعاً بالخلافة والملك ، وإنّما كان يبغي وجه الله والدار الآخرة ، وقد رأى أنّ مناهضة أُولئك الظالمين من أعظم ما يقرّبه إلى الله .

ويمّم زيد وجهه نحو الكوفة لأنّها المركز العامّ للشيعة ، وأنّ أهلها طلبوا منه القدوم إليهم ليأخذ منهم البيعة على مناهضة الحكم الأموي والاطاحة به .

ويقول المؤرّخون : « إنّ جماعة من المخلصين لزيد حذّروه من القدوم إلى الكوفة ، وعذلوه من الوثوق بالكوفيّين لما عُرفوا به من الغدر ونقض العهود ، إلّا أنّه لم يعن بذلك ، فإنّه لم يجد موطناً تتوفّر فيه الاستراتيجيّة للثورة سوى الكوفة ، وجعل زيد يتمثّل بقول عنترة العبسي :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُني المَنونَ كَأَنَّني   أَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الحَياةِ بِمَعزَلِ
فَأَجَبْتُها أَنَّ المَنِيَّةَ مَنهَلٌ   لا بُدَّ أَنْ أُسقىٰ بِكَأْسِ المَنْهَلِ(٢)

ودلّ هذا الشعر على عزمه وتصميمه على الخوض في ميادين الكفاح المسلّح ، وأنّه يسعى بكلّ جرأة وإقدام ليحتسي كأس المنيّة ولا يعيش ذليلاً مضاماً ، شأنه شأن جدّه الإمام الحسين عليه السلام سيّد الأحرار والأباة في الإسلام .

ولمّا انتهى زيد إلى الكوفة بادر أهلها إليه ، فرحّبوا به ترحيباً حارّاً ، وأسرعوا إليه

---

(١) تيسير المطالب : ١٠٨ و ١٠٩ .

(٢) الروض النضير : ١ : ٧٥ .

يبايعونه حتّى بلغ عدد المبايعين خمسة عشر ألفاً ، وقيل : أكثر من ذلك ، ويبايعه الفقهاء والقضاة وأعلام الفكر والأدب ، كالأعمش ومسعر بن كدام وقيس بن الربيع والحسن بن عمارة ، وغيرهم .

وسئل أبو حنيفة عن خروج زيد ، فقال : « ضاهى خروج رسول الله ﷺ يوم بدر » ، وقال : « لو علمت أنّ الناس لا يخذلونه كما خذلوا أباه لجاهدت معه؛ لأنّه إمام بحقّ ، ولكن أعينه بمال »[١] .

أمّا صيغة البيعة التي أخذها زيد على مَن بايعه فهي : « إنّا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفيء بين أهله ، وردّ المظالم ، ونصرة أهل الحقّ ... »[٢] .

وتعطي هذه الصيغة صورة عن المبادئ الأصليّة التي ثار من أجلها زيد ، وهي :

١ ـ الدعوة إلى إحياء كتاب الله وسنّة نبيّه ، فقد أقصتهما السياسة الأمويّة عن واقع الحياة .

٢ ـ جهاد الظالمين من حكّام بني أُميّة الذين ساسوا المسلمين بالظلم والجور وأرغموهم على ما يكرهون .

٣ ـ الدفاع عن حقوق المستضعفين ، وتوفير العطاء للمحرومين ، فقد حرموا من جميع حقوقهم الشرعيّة طيلة الحكم الأموي .

٤ ـ قسمة الفيء وسائر الحقوق الماليّة على المسلمين بالسواء ، فقد نهبها الأمويّون ، وأنفقوها على ملاذهم ورغباتهم الخاصّة .

٥ ـ نصرة دعاة الحقّ الذين يعنون بشؤون الأُمّة ، ويسهرون على صالحها ،

---

(١) الكامل في التاريخ : ٥ : ٥٦ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٢٣٧ . مقدّمة مسند الإمام زيد عليه السلام : ١٢٧ ـ ١٥١ .

وهم الهداة من أهل البيت عليهم السلام .

لقد ثار من أجل أن يحقّق هذه الأهداف العظيمة في ربوع الوطن الإسلامي الكبير ، وينقذ الأمّة من عسف الأمويّين وظلمهم وبطشهم .

وبعد ما توفّرت لزيد القوّة العسكريّة الهائلة التي بلغ عددها ـ فيما يقول بعض المؤرّخين ـ أربعين ألفاً ، رأى أن يفجّر الثورة ، ويزحف بجيوشه إلى احتلال الكوفة والاطاحة بالحكم الأموي .

وانطلقت جيوشه من جبّانة سالم[١] وهي تهتف بحياة زعيمها العظيم زيد ، وسقوط الحكم الأموي ، وتنادي بشعار الشيعة : « يا منصور ، أمت »[٢] .

ولمّا رأى زيد الرايات تخفق على رأسه ، قال : « الحمد لله الذي هداني ، والله إنّي كنت أستحيي من رسول الله صلى الله عليه وآله أن أرد عليه الحوض غداً ولم آمر في أُمّته بمعروف ولا أنهي عن منكر »[٣] .

وخطب في جيوشه ، فقال لهم : « عليكم بسيرة أمير المؤمنين عليّ بالبصرة والشام ، لا تتّبعوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تفتحوا مغلقاً ، والله على ما نقول وكيل »[٤] .

وبدأت الحرب في ليلة شديدة البرد[٥] لسبع بقين من المحرّم سنة (١٢٢هـ) ، وجرت مناوشات واصطدام مسلّح بين أتباع زيد وبين الجيوش الأمويّة تحت قيادة والي الكوفة يوسف بن عمر .

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٢٠٣ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٨ : ٢٧٣ .

(٣) الكامل في التاريخ : ٥ : ٥٦ . عمدة الطالب : ٢٥٦ .

(٤) الحدائق الورديّة : ١ : ١٤٨ .

(٥) أنساب الأشراف : ٣ : ٢٠٢ .

الخيانة والغدر

وخان أهل الكوفة يزيد وغدروا به بعدما عاهدوا الله على نصرته، والذبّ عنه، فقد أسلموه عند الوثبة، وتركوه مع القلّة من أصحابه في ميدان الجهاد، ولمّا رأى زيد تخاذلهم راح يقول: «فعلوها حسينيّة».

لقد غدروا به كما غدروا بجدّه الحسين عليه السلام من قبل، وأيقن زيد بفشل ثورته، واستبان له أن لا ذمّة لأهل الكوفة ولا وفاء لهم، وقد خاض مع أصحابه الحرب في شوارع الكوفة وأزقّتها، وأبلى في المعركة بلاءاً حسناً، وما رأى الناس قطّ فارساً أشجع منه[(١)].

في ذمّة الخلود

وأبدى زيد من البسالة والبطولة ما يفوق حدّ الوصف، فقد أخذ يلاحق الجيوش وينزل بها أفدح الخسائر، ولم يستطع الجيش الأموي أن يصمد أمام الضربات المتلاحقة التي يصبّها عليهم زيد، وكان يحمل عليهم ويتمثّل بقول الشاعر:

أذلُّ الحَياةِ وعِزُّ المَماتِ ... وكُلاً أراهُ طَعاماً وَبِيلا

فَإنْ كانَ لا بُدَّ مِن واحدٍ ... فَسِيري إلى المَوْتِ سَيراً جَمِيلا

لقد آثر زيد عزّ الممات على ذلّ الحياة كما آثر ذلك آباؤه، فلم يخضع للذلّ والعبوديّة ومات عزيزاً تحت ظلال السيوف والرماح.

ولمّا جنح الليل رُمي زيد بسهم فأصاب جبهته[(٢)]، ووصل إلى دماغه الشريف

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٢٠٢.

(٢) يرجع في تفصيل الحادث المؤلم إلى زيد الشهيد للمقرّم، وثورة زيد بن عليّ لناجي حسن، وإلى عقائد الزيديّة (مخطوط) للمؤلّف.

الذي ما فكّر إلّا في صالح الإنسان وسعادته.

وحلّت الكارثة بأصحابه، وهاموا في تيّارات مذهلة من الأسى والحزن، وطلبوا له طبيباً، فانتزع منه السهم فتوفّي من فوره، وقد انطفأت بذلك الشعلة الوهّاجة التي كانت تضيء الطريق وتوضّح القصد للمسلمين.

لقد استشهد زيد من أجل أن يحقّق العدالة الاجتماعيّة في الأرض، ويحقّق للمسلمين الفرص المتكافئة، ويوزّع خيرات الأرض على الفقراء والمحرومين الذين كفرت السلطة الأمويّة بجميع حقوقهم.

ويقول المؤرّخون: «إنّ أصحاب زيد حاروا في مواراة جثمانه خوفاً عليه من السلطة التي لا تتورّع من التمثيل الآثم به، وبعد المداولة صمّموا على مواراته في نهر هناك، فانطلقوا إلى النهر فقطعوا ماءه، وحفروا فيه قبراً وواروا الجسد الطاهر فيه، ثمّ أجروا الماء، وانصرفوا وهم يذرفون الدموع على القائد العظيم الذي تبنّى حقوق المظلومين والمضطهدين.

وكان مع أصحاب زيد أحد عيون السلطة يراقب تحرّكاتهم، فبادر مسرعاً إلى الكوفة وأخبر حاكمها بموضع الدفن، فأمر بنبش القبر وإخراجه منه، فأُخرج، وحمل إلى قصر الكوفة، وأمر بصلبه منكوساً في سوق الكناسة، وعمدوا إلى احتزاز رأسه الشريف، وأُرسل هديّة إلى طاغية الشام هشام بن عبدالملك، وأمر الرجس بوضع الرأس في مجلسه، وأمر جميع من يدخل عليه أن يطأه بحذائه[1] مبالغة في توهينه، وجعلت الدجاج تنقر دماغه، وفي ذلك يقول الشاعر:

اطْرُدِ الدِّيكَ عن ذُؤابَةِ زَيدٍ   طَالَما كانَ لا تَطَأُهُ لِلدَّجاجِ[2]

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبرسي: ٨: ٧٧.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٢٥٢.

ابــنُ بِــنتِ النَّــبيِّ أكْرمُ خَـلْـ ... قِ اللهِ زَيـنِ الوفـودِ وَالحُـجّاجِ
حَمَلوا رأسَهُ إلى الشّامِ رَكْـضاً ... بـالسُّرَى وَالبُكُـورِ وَالإدلاجِ(١)

وأمر الطاغية بنصب الرأس الشريف على باب دمشق ، ثمّ أرسل إلى المدينة(٢) فنصب عند قبر النبيّ ﷺ يوماً وليلة(٣) ، ثمّ أرسله إلى مصر كلّ ذلك لإذاعة الخوف والارهاب بين الناس ، وإعلامهم على قدرة السلطة على سحق أيّة معارضة تقوم ضدّها .

وكتب طاغية دمشق إلى السفّاك يوسف بن عمر حاكم الكوفة بأن يبقي زيداً مصلوباً ، ولا ينزله عن خشبته قاصداً بذلك إذلال العلويّين والاستهانة بشيعتهم ، وقد فاته أنّ ذلك قد أوقد نار الثورة في نفوسهم ، وزادهم عزماً وتصميماً على التضحية في سبيل مبادئهم .

وقد افتخر الأمويّون بإبقاء جثّة زيد مصلوبة ، وقد اعتزّ بذلك وغد من عملائهم ، وهو الحكيم بن عيّاش بقوله :

صَلَبْنا لَكُم زَيداً على جِذعِ النَّخْلَةِ ... ولَمْ نَرَ مَهْدِيّاً عَلَى الجِذْعِ يُصْلَبُ
وقِسْـتُم بِـعُثمانٍ عَـلِيّاً سَـفاهَةً ... وعُثمانُ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ وَأَطْـيَبُ

حفنة من التراب في فيه ، فإنّ زيداً إنّما صلب دفاعاً عن حقوق المظلومين والمضطهدين ، وصلب من أجل أن يحقّق العدالة الاجتماعيّة في الأرض ، ويقضي على الغبن الاجتماعي والتلاعب بمقدّرات الأمّة وخيراتها .

ولمّا بلغ هذا الشعر الإمام أبا عبدالله الصادق عليه السلام تألّم أشدّ ما يكون التألّم ،

---

(١) النزاع والتخاصم / المقريزي : ٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٨ : ٧٧.

(٣) عمدة الطالب : ٢٥٨.

ورفع يديه بالدعاء قائلاً: **اللّهُمَّ إنْ كانَ عَبْدُكَ كاذِباً فَسَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْباً مِنْ كِلابِكَ**.

واستجاب الله دعاء الإمام عليه السلام، فافترسه أسد وهو يدور في سكك الكوفة، ولمّا انتهى خبره إلى الإمام سجد لله شاكراً وهو يقول: **الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَنْجَزَنا وَعْدَهُ**(١).

التنكيل بأنصار زيد

وأمعنت السلطة الأمويّة بعدما قضت على ثورة زيد في إشاعة الذعر والخوف في الكوفة، فأخذت البريء بالسقيم، والمقبل بالمدبر، وعمدت إلى التنكيل القاسي بأنصار زيد، فأشاعت فيهم القتل والإعدام، وأسرفت في ذلك إلى حدّ بعيد، وتعدّى التنكيل من الرجال إلى النساء، وكان ذلك محظوراً حتّى في العرف الجاهلي، إلّا أنّ الأمويّين قد استباحوا ذلك في سبيل أهدافهم السياسيّة.

ويقول المؤرّخون: «إنّ الطاغية السفّاك يوسف بن عمر أمر بإلقاء القبض على امرأة كانت قد أعانت زيداً، ولمّا مثلت عنده أمر بقطع يدها ورجلها، فطلبت قطع رجلها أوّلاً حتّى تجمع عليها ثيابها، فما استجابوا لها، فقطعوا يدها ورجلها، وأخذ دمها ينزف حتّى ماتت، ثمّ إنّه أمر بإحضار زوجها وضرب عنقه، فنفّذ فيه ذلك»(٢).

كما أوعز بإلقاء القبض على امرأة كانت قد زوّجت بنتها إلى زيد، فأمر بشقّ ثيابها، وجلدها بالسياط، فجلدت وتوفّيت تحت السياط، ورموا بجثّتها في الصحراء، فأخذها قومها ودفنوها في مقابرهم(٣).

واقترف الطاغية كثيراً من أمثال هذه الجرائم التي تنمّ عن أنّه إنسان ممسوخ،

---

(١) السيرة الحلبيّة: ١: ٣٢٧.

(٢) و (٣) أنساب الأشراف: ٣: ٢٥٥.

ميّت الضمير والاحساس.

سخط المسلمين

وسخط المسلمون لمقتل الشهيد العظيم زيد، ونقموا على بني أُميّة أشدّ ما تكون النقمة، فقد انتهكوا في قتله حرمة الرسول ﷺ التي هي أَوْلى بالرعاية والعطف من كلّ شيء.

فلم تمض حفنة من السنين على اقتراف الأمويّين لمجزرة كربلاء الرهيبة، وإذا بهم قد عمدوا إلى قتل زيد الذي هو من أعلام الأسرة النبويّة، ولم يكتفوا بقتله، وإنّما نبشوا قبره وصلبوه على الجذع، ولم يسمحوا بمواراته لإظهار التشفّي الآثم بأهل البيت عليهم السلام، وقد خالفوا بذلك ما أمر به النبيّ ﷺ من المودّة لأهل بيته، كما خالفوا ما أمر به الإسلام من احترام الأموات وتحريم المثلة بهم.

لقد كانت فاجعة زيد المروّعة من الأحداث الجسام التي ذعر منها المسلمون، واستعظموها، وقد اندفع شعراؤهم إلى رثائه بما صوّر مدى الحزن واللوعة التي مني بها المسلمون.

يقول الفضل بن العبّاس:

أَلا يا عَيْنُ لا تَرْقَي وَجودِي ... بِدَمعِكِ لَيسَ ذا حِينُ الجُمودِ
غَداةَ ابْنُ النَّبِيِّ أَبو حُسَينٍ ... صَليبٌ بِالكُناسَةِ فَوقَ عودِ
يَظَلُّ عَلىٰ عَمودِهِمْ وَيُمْسي ... بِنَفْسي أَعْظُمٌ فَوقَ العَمودِ
تَعَدّى الكافِرُ الجَبّارُ فيهِ ... فَأَخْرَجَهُ مِنَ القَبرِ اللَّحيدِ
فَظَلُّوا يَنبِشونَ أَبا حُسَينٍ ... خَضيباً بَينَهُمْ بِدَمٍ جَسيدِ
فَطالَ بِهِ تَلَعُّبُهُمْ عُتُوّاً ... وَما قَدَروا عَلى الرّوحِ الصَّعيدِ
وَجاوَرَ في الجِنانِ بَني أَبيهِ ... وَأَجْداداً هُمُ خَيرُ الجُدودِ

فَكَـمْ مِـنْ والِدٍ لأَبـي حُسَينٍ ... مِـنَ الشُّـهَداءِ أَوْ عَـمٍّ شَـهيدِ
وَمِـنْ أَبْـناءِ أَعْـمامٍ سَـيَلْقىٰ ... هُـمُ أَوْلىٰ بِـهِ عِـندَ الوُرودِ
دَعـاهُ مَـعْشَرٌ نَكَـثوا أَباهُ ... حُسَـيناً بَـعدَ تَـوكيدِ العُـهودِ
فَسـارَ إِلَـيْهِمُ حَـتّى أَتـاهُمْ ... فَما أَرْعَوا عَلىٰ تِلكَ الْعُقودِ[1]

هذه بعض القصيدة ، وقد صوّر فيها الشاعر حزنه العميق على الشهيد العظيم الذي ثكل به المسلمون ، فهو يطلب من عينيه أن يجودا بالدموع ، ولا يضنّا عليه ، وذلك لعظم الخطب الفادح ، ثمّ هو يستعظم أشدّ ما يكون الاستعظام على إخراج زيد من قبره وصلبه .

ولكن ممّا يهوّن عليه الخطب أنّهم وإن تلاعبوا بجسد الثائر العظيم ، إلّا أنّهم لم يقدروا على إرغام روحه الطاهرة التي صارعت الباطل ، وقاومت المنكر والجور ، وأنّها قد أقامت في الجنان مع أرواح الشهداء الخالدين الذين صرعوا في كربلاء ، دفاعاً عن حقوق المظلومين والمضطهدين .

ثمّ إنّه بعد ذلك ينعى على أهل الكوفة غدرهم بزيد ، كما غدروا من قبل جدّه الحسين عليه السلام ، فكان الغدر من خصائص الكوفيّين وذاتيّاتهم .

وممّن رثى زيداً بذوب روحه أبو ثميلة الأبّار يقول :

أَبـا الحُسَـيْنِ أَعـارَ فَـقدُكَ لَـوْعَةً ... مِـنْ يَـلقَ ما لاقَـيتَ مِـنْها يُكمَدِ
فَغَدا السُّهادُ وَلَـوْ سِـواكَ رَمَتْ بِـهِ ... الأَقْدارُ حَـيثُ رَمَتْ بِـهِ لَـمْ يَشْـهَدِ
وَنَـقولُ لَا تَـبعُدْ وَبُـعدُكَ داؤُنـا ... وَكَـذاكَ مَـنْ يَـلقَ المَـنِيَّةَ يَـبْعُدِ
كُـنتَ المُـؤَمَّلَ لِلعَظائِمِ وَالنُّهىٰ ... تُـرجـىٰ لأَمـرِ الأُمَّـةِ المُـتَأَوِّدِ
فَقُتِلتَ حينَ رَضيتَ كُـلَّ مُـناضِلٍ ... وَصَعَدتَ في العَـلياءِ كُـلَّ مُـصَعَّدِ

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ١٤٨ و ١٤٩ .

فَطَلَبتَ غايَةَ سابِقينَ فَنِلتَها بِاللهِ في سَيرٍ كَريمِ المَوردِ
وَأَبى إِلٰهُكَ أَنْ تَموتَ وَلَمْ تَسِرْ فيهِمْ بِسيرَةِ صادِقٍ مُستَنْجِدِ
وَالقَتلُ في ذاتِ الإِلهِ سَجِيَّةٌ مِنْكُمْ وَأَحْرى بِالفِعالِ الأَمْجَدِ
وَالنّاس قَدْ أَمِنوا وَآلُ مُحَمَّدٍ مِنْ بَيْنِ مَقتولٍ وَبَينِ مُشَرَّدِ
نُصُبٌ إِذا أَلقى الظَّلامُ سُتورَهُ رَقَدَ الحَمامُ وَلَيلُهُمْ لَمْ يَرقُدِ
يا لَيتَ شِعْري وَالخُطوبُ كَثيرَةٌ أَسْبابُ مَوردِها وَما لَمْ يورَدِ
ما حُجَّةُ المُسْتَبشِرينَ بِقَتلِهِ بِالأَمسِ أَوْ ما عُذرُ أَهْلِ الْمَسْجِدِ(١)

وقد رسم الشاعر في هذه الأبيات شجونه وأحزانه المرهفة على زيد الثائر العظيم ، وذكر الخسارة العظمى التي منيت بها الأمّة بفقدها لزيد ، فقد كان المؤمّل لشدائدها وأزماتها ، وأضاف أنّ بشهادته قد أنار الطريق للمناضلين والأحرار ، وملأ قلوبهم رضا ومسرّة بنهضته الجبّارة التي استهدفت القضايا المصيريّة لأُمّته ، وقد نال زيد بشهادته الغاية القصوى التي نالها الشهداء الممجّدون من آبائه الذين رفعوا راية الحقّ ملطّخة بدمائهم الزكيّة .

وأضاف : أنّ الله أبى لزيد أن يموت ولا يسير بين الناس بسيرة المنقذين والمحرّرين لأُمّتهم وأوطانهم ، فإنّ القتل في سبيل الله كان سجيّة العلويّين ، وقد أُثر عن بعضهم أنّه قال : « **الْقَتْلُ لَنا عادَةٌ ، وَكَرامَتُنا مِنَ اللهِ الشَّهادَةُ** » .

وعرض أبو ثميلة في أبياته الأخيرة إلى المحن القاسية التي عاناها العلويّون من حكّام بني أُميّة ، والتي كان منها أنّهم قد حرموا من الأمن ، فإنّهم بين مقتول ومشرّد يطارده الرعب والفزع والخوف ، في حين أنّ الطير ترقد في ليلها آمنة مطمئنّة وآل النبيّ عليهم السلام لم يرقدوا في ليلهم خوفاً من بني أُميّة .

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ١٥٠ .

وندّد بالمستبشرين بقتل زيد الذي ثار لتحقيق العدالة الاجتماعيّة في الأرض، كما ندّد بالذين بايعوه وخذلوه، فدخلوا جامع الكوفة، وقد طلب منهم أن يقوموا بنجدته وحماية ثورته، فلم يستجيبوا له.

حرق الجثمان العظيم

وبقي جثمان زيد مرفوعاً على أعواد المشانق، وهو يضيء للناس طريق الحريّة والكرامة، ويدفعهم إلى التمرّد على الذلّ والخنوع، ويبعث في نفوسهم روح الثورة على الظلم والجور، وقد وضعت عليه السلطة الحرس، وعددهم أربعمائة، وجعلت الرقابة في كلّ ليلة لمائة رجل، وبنيت للحرس حول الجذع بناية خوفاً من أن يختلس الجثمان العظيم ويوارى في التراب(١).

ولمّا هلك الطاغية هشام، وولي الحكم من بعده الوليد بن يزيد فاجر بني أُميّة كتب إلى حاكم الكوفة يوسف بن عمر كتاباً يأمره بأن يُنزل الجثمان المقدّس من الخشبة ويحرقه بالنار(٢).

وقام السفّاك بتنفيذ ما عهد إليه، فأحرق الجسد الطاهر الذي ثار ليطهّر الأرض من الظالمين ويعيد للإنسان كرامته وحقّه في الحياة.

وبعدما أحرق الجثمان العظيم عمد الباغي يوسف بن عمر فذرّه في الفرات وهو يقول: «والله يا أهل الكوفة، لأدعنّكم تأكلونه في طعامكم، وتشربونه في مائكم»(٣).

لقد كان جزاء النبيّ صلى الله عليه وآله الذي حرّر أُمّته من حياة التيه في الصحراء، أن عمد

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٢٥٦.

(٢) مقاتل الطالبيّين: ١٤٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٣٩١.

الأمويّون إلى قتل ذرّيّته وعترته ، والتمثيل بهم تمثيلاً آثماً لا مبرّر له سوى أنّهم كانوا يطالبون بحقوق الأمّة وأمنها ورخائها .

مع المسعودي

بقي هنا شيء ، وهو أنّ المؤرّخ الكبير المسعودي ذكر أنّ زيداً شاور أخاه أبا جعفر في الخروج إلى العراق لإعلان الثورة على الأمويّين ، فأشار عليه الإمام عليه السلام بأن لا يركن لأهل الكوفة لأنّهم أهل غدر ومكر ، فقد قتلوا جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وطعنوا عمّه الحسن ، وقتلوا جدّه الحسين ، فأبى زيد إلّا ما عزم عليه من المطالبة بالحقّ ، فقال له أبو جعفر : **إنّي أخافُ أنْ تكونَ غداً المَصْلوبُ بِكُناسَةِ الْكُوفَةِ** ، وودّعه أبو جعفر وأعلمه أنّهما لا يلتقيان[١] .

ويشعر كلامه بأنّ الإمام الباقر عليه السلام كان حيّاً حال خروج زيد ، كما فهم ذلك بعض من كتب عن زيد ، وهذا لا واقع له ، فإنّ الإمام أبا جعفر توفّي سنة (١١٤هـ)[٢] ، واستشهد زيد سنة (١٢٢هـ) ، ولعلّ المسعودي أراد أنّ زيداً في ذلك الوقت حدّثته نفسه بالخروج على بني أُميّة ، وهذا له مجال من الصحّة .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن حياة زيد وثورته التي هي من ألمع الثورات في ذلك العصر ، وأكثرها عطاء للمجتمع .

الحسين الأصغر

الحسين الأصغر ابن الإمام زين العابدين عليه السلام . أُمّه أُمّ ولد[٣] ، وكان من مفاخر الأُسرة النبويّة في فضله وتقواه وسائر مواهبه .

---

(١) مروج الذهب : ٣ : ١٣٩ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٤ : ٢١٧ .

(٣) عمدة الطالب : ١٩٥ .

وفيما يلي بعض شؤونه :

علمه

كان من العلماء البارزين في عصره ، وقد روى حديثاً كثيراً عن أبيه وعمّته السيّدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام ، وأخيه الإمام أبي جعفر عليه السلام[(١)] .

وروى عنه محمّد ابنه الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الإخبار عن قتل ولده الإمام الحسين عليه السلام[(٢)] .

حلمه ووقاره

وكان الحسين عليه السلام حليماً وقوراً تمثّلت فيه هيبة المتّقين والصالحين ، وعلت وجهه أسارير النور ، ووصفه الإمام أبو جعفر عليه السلام ، فقال : « **أَمّا الْحُسَيْنُ فَحَليمٌ يَمْشي عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ، وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلونَ قالوا سَلاماً** »[(٣)] .

تقواه وورعه

كان ورعاً ، تقيّاً ، شديد الخوف من الله .

يقول سعيد صاحب الحسن بن صالح : « لم أرَ أحداً أخوف من الله من الحسن بن صالح حتّى قدمت المدينة فرأيت الحسين بن عليّ بن الحسين ، فلم أرَ أشدّ خوفاً منه ، كأنّما اُدخل النار ثمّ اُخرج منها لشدّة خوفه »[(٤)] .

وروى أحمد بن عيسى ، عن أبيه ، قال : « كنت أرى الحسين بن عليّ بن الحسين

---

(١) الإرشاد : ٢ : ١٧٤ .

(٢) معجم رجال الحديث : ٦ : ٤٤ .

(٣) سفينة البحار : ٢ : ٢٧٣ .

(٤) الإرشاد : ٢ : ١٧٤ .

يدعو ، فكنت أقول : لا يضع يده حتّى يستجاب له في الخلق أجمعين »[١].

لقد نشأ الحسين في مركز الورع والتقوى ، ومعدن الحكمة والفضيلة في الإسلام ، وقد غذّاه أبوه الإمام زين العابدين عليه السلام بمثله وكمالاته النفسيّة ، فكان كأبيه في إقباله على الله تعالى ، وزهده في الدنيا ، وتحرّجه في الدين.

وفاته

توفّي في يثرب عن عمر يناهز (٥٧) عاماً[٢].

وقيل : (٧٤) عاماً[٣] ، ودفن ببقيع الغرقد مجاوراً لأبيه زين العابدين وأخيه الإمام الباقر عليهما السلام .

عبدالله الباهر

ابن الإمام زين العابدين عليه السلام ، وهو أخو الإمام الباقر لأُمّه وأبيه ، وهو من مفاخر أبناء الأئمّة الطاهرين في علمه وورعه وتقواه ، ونعرض بإيجاز لبعض شؤونه :

لقبه

لقّب بالباهر لجماله وحسنه ، ويقول المؤرّخون : « إنّه ما جلس مجلساً إلّا بصر جماله »[٤] ، وما رآه أحد إلّا هابه وأكبره .

علمه

كان من العلماء البارزين ، فقد عني بتربيته أبوه زين العابدين ، فغذّاه بعلومه

---

(١) و (٣) عمدة الطالب : ١٩٥ .

(٢) معجم رجال الحديث : ٦ : ٤٤ .

(٤) عمدة الطالب : ٢٥٢ .

وفضله ، ويقول المؤرّخون : « إنّه كان من فقهاء أهل البيت عليهم السلام ، وروى عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أخباراً كثيرة ، وحدّث الناس ، وحملوا عنه الآثار(١) .

كما روى مرسلاً عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وعن جدّه لأمّه الإمام الحسن عليه السلام ، وروى عنه عمارة بن غزيّة ، وموسى بن عقبة ، وعيسى بن دينار ، ويزيد ابن أبي زياد ، وعدّه ابن حبّان من الثقات ، وصحّح الترمذي والحاكم حديثه(٢) .

ولايته على صدقات النبيّ صلى الله عليه وآله

وتولّى عبدالله بالنيابة عن إخوانه صدقات النبيّ صلى الله عليه وآله وصدقات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام(٣) ، وتوزيع وارداتهما حسب ما جاء في وصيّتهما صلوات الله عليهما .

وفاته

انتقل إلى حظيرة القدس ، وعمره سبع وخمسون سنة(٤) ، ولم تعيّن المصادر التي بأيدينا السنة التي توفّي فيها ، والمكان الذي دفن فيه .

عمر الأشرف

ابن الإمام زين العابدين عليه السلام ، وأُمّه أمة اشتراها المختار بمائة ألف درهم ، وبعث بها إلى الإمام زين العابدين عليه السلام ، فأولدت له عمراً وزيداً وعليّاً(٥) ، وكان عمر الأشرف من أفاضل الناس وخيارهم ، أمّا أخباره وشؤونه فهي :

---

(١) الإرشاد : ٢ : ١٦٩ ، وذكر بعض الأحاديث التي رويت عنه .

(٢) تهذيب التهذيب : ٥ : ٣٢٤ .

(٣) الإرشاد : ٢ : ١٦٩ .

(٤) عمدة الطالب : ٣١١ .

(٥) عمدة الطالب : ٢٠٥ .

كنيته

يكنّى أبا عليّ ، وقيل : أبا جعفر[١] .

وقال الشيخ : « يكنّى أبا حفص »[٢] .

لقبه

لقّب بالأشرف بالنسبة إلى عمر الأطرف عمّ أبيه؛ وذلك لما ناله من شرف وفضيلة بالنسبة لولادة جدّه الحسين عليه السلام من سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بخلاف عمر الأطرف ، فإنّه نال الشرف من طرف أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام . هذا ما قاله السيّد المهنّا .

وعلّق عليه سيّدنا الإمام الخوئي قدس سره بقوله : « أقول : وهو أشرف من الأطرف بحسبه وفضله ، وورعه أيضاً »[٣] .

علمه

وكان عالماً ، فاضلاً. عدّه الشيخ من أصحاب أخيه الإمام الباقر عليه السلام ، وقد روى عن أبيه ، وروى عنه فطر بن خليفة[٤] .

ولايته على صدقات النبيّ صلى الله عليه وآله

تولّى صدقات النبيّ صلى الله عليه وآله ، وصدقات جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ويقول الحسين بن زيد : « رأيت عمر عمّي يشترط على مَن ابتاع صدقات عليّ أن يثلم في

---

(١) معجم رجال الحديث : ١٣ : ٥٤ .

(٢) عمدة الطالب : ٣٠٥ .

(٣) و (٤) معجم رجال الحديث : ١٣ : ٥٤ .

الحائط كذا وكذا ، لا يمنع من دخله أن يأكل »[١].

ودلّ ذلك على سخائه ونبله وسموّ إنسانيّته .

وفاته

انتقل إلى الرفيق الأعلى وعمره خمس وستّون سنة[٢]، ولم تشر المصادر التي عثرنا عليها إلى السنّة التي توفّي فيها ، والمكان الذي دُفن فيه ، فقد أهملت ذلك .

عليّ

ابن الإمام زين العابدين ، توفّي بينبع[٣] ودفن بها ، وعمره ثلاثون سنة[٤]، ولم نعثر على ترجمة ملمّة بحياته ، فقد أهملت مصادر التراجم والنسب البحث عنه ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن السادة الأبرار من إخوان الإمام .

---

(١) سفينة البحار : ٢ : ٢٧٣.

(٢) عمدة الطالب : ٣٠٥.

(٣) **ينبع** : يقع عن يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر ، وهي لبني الإمام الحسن عليه السلام ، فيها عيون عذاب غزيرة ، وقال بعضهم : إنّه حصن به نخيل ، وماء وزرع ، وبها وقوف للإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتولّاها ولده . معجم البلدان : ٥ : ٤٥٠.

(٤) سرّ السلسلة العلويّة : ٧٦.

أبناء الإمام الباقر عليه السلام

أمّا أبناء الإمام الباقر عليه السلام ، فكانوا من حسنات الأُسرة النبويّة ، ومن مفاخر أبناء المسلمين في هديهم وصلاحهم وابتعادهم عن مآثم هذه الحياة ، قد ربّاهم الإمام بمكارم أخلاقه ، وغرس في نفوسهم نزعاته الكريمة ، ومثله العليا ، فكانوا امتداداً مشرقاً لذاته العظيمة التي طبق شذاها العالم .

أمّا ذرّيّته الطاهرة من الذكور ، فهم :

١ - إبراهيم

ابن الإمام الباقر عليه السلام ، وأُمّه أُمّ حكيم بنت أسيد بن المغيرة بن الأخنس الثقفي[١] ، ولم نقف على أيّة معلومات عنه .

٢ - الإمام جعفر عليه السلام

هو سيّد ولد أبيه ، ووصيّه ، والإمام القائم من بعده ، وكان من مفاخر هذه الدنيا ، وفي طليعة عباقرة العالم ، وذلك بما حقّقه على الصعيد الفكري والعلمي من التطوّر الهائل في الميادين العلميّة والتي كان منها الابداع في علم الكيمياء الذي ألقى بحوثه على جابر بن حيّان مفخرة الشرق العربي ، ويعتبر هذا العلم الأداة الخلّاقة للتقدّم التكنولوجي في العالم ، ولا تزال الكثير من النظريّات التي أدلى بها الإمام في هذا الفنّ لم تكتشفها العلوم الحديثة ، وما توصّل لمعرفتها الاختصاصيّون[٢] .

---

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : ٥ : ٧٨. الطبقات الكبرى : ٥ : ٣٢٠ .

(٢) أعلن ذلك الدكتور محمّد يحيى الهاشمي في كتابه الإمام الصادق عليه السلام ملهم الكيمياء .

أمّا البحوث الفلسفيّة والكلاميّة فيعتبر الإمام الصادق عليه السلام من الروّاد الأوائل فيها ، وقد تخرّج على يده فيها هشام بن الحكم الذي يعتبر الانموذج الرائع في هذه البحوث .

أمّا الفقه فإنّه المؤسّس له ، والواضع لقواعده وأُصوله بعد آبائه الطاهرين ، وقد عنى بهذا العلم عناية بالغة ، فوجّه جلّ اهتمامه نحوه ، وقد حفلت الموسوعات الفقهيّة بما أُثر عنه بحيث تعدّ معظم أبواب الفقه وفروعه قد رويت عنه .

وإذا نظرنا إلى سائر العلوم الإسلاميّة الأُخرى ،كعلم الحديث والتفسير والأخلاق وغيرها ، فنجد أكثرها قد أخذ عنه .. ولا يعرف التاريخ الإنساني من هو أعظم منه علماً وفضلاً عدا آبائه عليهم السلام ، أمّا الحديث عن نواحي شخصيّته مفصّلاً فإنّه يستدعي موسوعة كبيرة .

٣ ـ عبدالله

ابن الإمام الباقر عليه السلام ، وأُمّه أُمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر[١] .

قام بتربيته أبوه وعنى بتهذيبه ، فكان من أفاضل العلويّين وأنبههم ، وقد توفّي شهيداً ، سقاه السمّ رجس من أرجاس بني أُميّة .

يقول المؤرّخون : إنّه دخل عليه فأوجس منه عبدالله خيفة ، فقال له : لا تقتلني أكن لله عليك عيناً ، وأكن لك على الله عوناً[٢] .

فلم يعن به الأموي ، وأجبره على تناول السمّ ، فلمّا سقي تقطّعت أمعاؤه ، ولم يلبث إلّا قليلاً حتّى فارق الحياة[٣] . لقد مضى إلى الله شهيداً شأنه شأن آبائه

---

(١) الإرشاد : ٢ : ١٨٠ .

(٢) المراد بقوله : « أكن لك على الله عوناً » أي أكن لك شفيعاً عند الله .

(٣) غاية الاختصار : ٦٤. سفينة البحار : ١ : ٣٠٩.

الذين أجهزت عليهم القوى الشريرة والنفوس الآثمة الحاقدة على ذوي الأحساب الأصيلة التي رفعت منار الكرامة الإنسانيّة.

٤ـ عبدالله

وأمّه أمّ حكيم بنت أسيد بن المغيرة الثقفيّة[١]. توفّي في حياة أبيه[٢]. ولم نعثر له على ترجمة وافية في المصادر التي بأيدينا.

٥ـ عليّ

ابن الإمام الباقر عليه السلام. عاش في كنف أبيه، وتربّى على هديه وسلوكه، فنشأ مثالاً للفضل والكمال، لقّب بالطاهر لطهارة نفسه وعظيم شأنه. توفّي بالقرب من بغداد في قرية من أعمال الخالص. أدلى بذلك محبّ الدين بن النجّار في تاريخه، قال: «مشهد الطاهر يقع في قرية من أعمال الخالص قريبة من بغداد، ظهر فيها قبر قديم عليه صخرة فيها مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ضريح الطاهر عليّ بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

وقد انقطع باقي الصخرة، فبني عليه قبّة من لبن، ثمّ عمّره بعد ذلك شيخ من الكتّاب يقال له: عليّ بن نعيم كان يتولّى كتابة ديوان الخالص، فزوّقه وزخرفه،

---

(١) الإرشاد: ٢: ١٧٦. النفحة العنبريّة / السيّد كاظم اليماني: ٥١، ولم يذكر عبدالله في جمهرة أنساب العرب، ولا في عمدة الطالب ولا في مرآة الزمان، فقد خلت هذه المصادر من ذكره.

(٢) الصراط السوي: ١٩٤.

وعلّق فيه قناديل من الصفر ، وبنى حوله رحبة واسعة ، وصار من المشاهد التي تزار(١) .

ونقل عن صاحب رياض العلماء أنّ قبره في (كاشان) ، وعليه قبّة رفيعة عظيمة ، وله كرامات ظاهرة(٢) .

السيّدات من بناته عليه السلام

أمّا السيّدات من بناته فهنّ : السيّدة زينب ، وأُمّها أُمّ ولد .

والسيّدة أُمّ سلمة(٣) ، وأُمّها أُمّ ولد ، وهي أُمّ إسماعيل بن الأرقط ، وقد مرض ولدها إسماعيل فهرعت إلى الإمام الصادق عليه السلام فزعة ، فأمرها أن تصعد فوق البيت وتصلّي ركعتين وتدعو الله بهذا الدعاء : **اللّهُمَّ إِنَّكَ وَهَبْتَهُ لي وَلَمْ يَكُ شَيْئاً ، اللّهُمَّ وَإِنّي اسْتَوْهِبَكَهُ فَأَعِرْنِيه »**(٤) .

ففعلت ذلك فعافاه الله .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن السادة الأبرار من أبناء الإمام عليه السلام .

---

(١) غاية الاختصار : ٦٣.

(٢) سفينة البحار : ١ : ٣٠٩.

(٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : ٥ : ٧٨. الطبقات الكبرى : ٥ : ٢٣٠. وفي النفحة العنبريّة : ٥١ : « بناته : زينب الكبرى ، وزينب الصغرى ، وأُمّ كلثوم ».

(٤) سفينة البحار : ١ : ٣٠٩.

انطباعات عن شخصيته عليه السلام

وأجمع رجال الفكر والعلم من المعاصرين للإمام وغيرهم من البحّاث والمؤلّفين على تعظيم الإمام الباقر عليه السلام والاعتراف له بالفضل والتفوّق العلمي على غيره، وقد اتّفقت كلماتهم على أنّه أسمى شخصيّة علميّة عرفها العالم العربي والإسلامي، وهذه بعض كلماتهم التي تحمل انطباعاتهم عنه.

١ ـ الإمام الصادق عليه السلام

قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «**كانَ أَبي خَيْرَ مُحَمَّدِيٍّ يَوْمَئِذٍ عَلىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ**»[١].

ومعنى ذلك أنّ الإمام الباقر عليه السلام كان أفضل مسلم ـ في عصره ـ في علمه وتقواه، وتحرّجه في الدين، وغير ذلك ممّا يسمو به الإنسان المسلم.

٢ ـ ابن أبي الحديد

قال عبدالحميد بن أبي الحديد: «كان محمّد بن عليّ الباقر سيّد فقهاء الحجاز، ومنه ومن ابنه جعفر تعلّم الناس الفقه، وهو الملقّب بالباقر، لقّبه به رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يخلق بعد، وبشّر به، ووعد جابر برؤيته»[٢].

---

(١) البداية والنهاية: ٩: ٣٠٩.

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٥: ٢٧٧.

٣ـ ابن تيميّة

قال ابن تيميّة : « كان محمّد الباقر أعظم الناس زهداً وعبادة ، بقر السجود جبهته ، وكان أعلم أهل وقته ، سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله الباقر ، وذكر حديث جابر »(١) .

إلّا أنّه بعد ذلك عدل عمّا قاله ، وأنكر تسمية النبيّ صلى الله عليه وآله للإمام الباقر بهذا الاسم وقال : « لا أصل له عند أهل العلم ، بل هو من الأحاديث الموضوعة »(٢) .

لقد عرف ابن تيميّة بالبغض لأهل البيت عليهم السلام ، والحقد على شيعتهم ، فقد ألصق بهم ـ بدون تورّع ـ كلّ أُحدوثة وخرافة ، وحسابه في ذلك على الله ، وعلى العلم والتاريخ ، ولعلّ أعظم عقاب ناله فقدان الثقة بما كتبه ، فلا ينظر إليه المؤرّخون إلّا نظرة ريبة وشكّ في جميع ما كتبه .

٤ـ ابن حجر الهيتمي

قال شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي : « أبو جعفر محمّد الباقر ، سمّي بذلك من بقر الأرض أي شقّها ، وأنار مخبّئاتها ومكامنها ، فلذلك هو أظهر من مخبّئات كنوز المعارف ، وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلّا على منطمس البصيرة ، أو فاسد الطويّة والسريرة ، ومن ثمّ قيل فيه هو باقر العلم وجامعه ، وشاهر علمه ورافعه ، صفا قلبه ، وزكا علمه وعمله ، وطهرت نفسه ، وشرف خلقه ، وعمرت أوقاته بطاعة الله ، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين ، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة »(٣) .

وحدّدت هذه الكلمات بعض الجوانب المشرقة من حياة الإمام أبي جعفر عليه السلام ،

---

(١) منهاج السنّة : ٢ : ١١٤ و ١١٥ .

(٢) منهاج السنّة : ٢ : ١٢٣ .

(٣) الصواعق المحرقة : ١٢٠ .

والتي منها قيامه بإبراز كنوز المعارف ، وحقائق الأحكام بعد أن خفي أمرها على الناس ، وهذا ما سنتحدّث عنه في البحوث الآتية .

٥- ابن عنبة

قال جمال الدين أحمد بن عليّ بن الحسين بن المهنّا بن عنبة : « كان محمّد الباقر واسع العلم ، وافر الحلم ، وجلالة قدره أشهر من أن ينبّه عليها »[١] .

٦- ابن كثير

وترجم أبو الفداء الحافظ ابن كثير الإمام الباقر عليه السلام وقال فيه : « هو تابعي ، جليل القدر ، كبير ، أحد أعلام هذه الأمّة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً . . سمّي الباقر لبقره العلوم ، واستنباطه الحكم ، وكان ذاكراً خاشعاً ، صابراً ، وكان من سلالة النبوّة ، رفيع النسب ، عالي الحسب ، وكان عارفاً بالخطرات ، كثير البكاء والعبرات ، معرضاً عن الجدال والخصومات »[٢] .

وتحدّث ابن كثير عن سعة علوم الإمام عليه السلام ، وعبادته وصبره ، وسموّ حسبه ونسبه ، وكثرة بكائه من خشية الله ، وإعراضه عن الجدل والخصومات ، ونال الإمام عليه السلام بهذه الصفات إعجاب العلماء وإكبارهم وتقديرهم .

٧- أبو الحسن الطبرسي

قال الشيخ أبو الحسن الطبرسي : « قد اشتهر الباقر في العالم تبريزه على الخلق في العلم والزهد والشرف ما لم يؤثر عن أحد من أولاد الرسول صلى الله عليه وآله من علم القرآن

---

(١) عمدة الطالب : ١٩٥ .

(٢) البداية والنهاية : ٩ : ٣٠٩ .

والآثار والسنن ، وأنواع العلم والحكم وآداب ما أُثر عنه ، واختلف إليه كبار الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين ، وعرّفه رسول الله صلى الله عليه وآله باقر العلم على ما رواه نقلة الآثار »[١].

٨ ـ أبو زرعة

قال أبو زرعة : « إنّ أبا جعفر لمن أكبر العلماء »[٢].

٩ ـ أبو زهرة

قال الشيخ أبو زهرة : « وكان محمّد ابنه ـ أي ابن الإمام زين العابدين ـ وريثه في إمامة العلم ، ونيل الهداية ، ولذا كان مقصد العلماء من كلّ البلاد الإسلاميّة ، وما زار أحد المدينة إلّا عرج على بيت محمّد الباقر يأخذ عنه »[٣].

١٠ ـ أحمد فهمي

قال الشيخ أحمد فهمي : « الإمام الباقر هو خامس الأئمّة عند الإماميّة ، وكان رضي الله عنه أصدق الناس ، وأحسنهم بهجة ، وأبدعهم لهجة »[٤].

١١ ـ إدريس القرشي

قال الداعي إدريس القرشي « محمّد بن عليّ أوّل من حاز شرف الأصلين ، واجتمعت له ولادة الحسن والحسين ، ونشأ على الفضل والطهارة والرئاسة والسيادة

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى : ١ : ٥٠٥.

(٢) أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل : ١ : ٩٩.

(٣) الإمام الصادق : ٢٢.

(٤) الإمام زين العابدين : ١٨.

والعلم، واحتذى سيرة آبائه الطاهرين، ولم يزل في درجات الفضائل منتقلاً، وللمفاخر السامية متوغلاً»[١].

١٢ـ تاج الدين

قال تاج الدين بن محمّد نقيب حلب: «أبو جعفر باقر العلم هو أوّل من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين، كان واسع العلم، وافر الحلم، روي عنه حديث كثير، ونقل عنه علم جمّ»[٢].

١٣ـ التلمساني

قال التلمساني: «محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وهو والد جعفر الصادق. يقال له الباقر، سمّي باقراً لتبحّره في العلم، وهو الشقّ والتوسعة، تابعي، عدل، ثقة، وإمام مشهور»[٣].

١٤ـ جابر بن عبدالله

واشتهر الصحابي العظيم جابر بن عبدالله الأنصاري بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، والتفاني بحبّهم، وهو الذي حمل تحيّات النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الإمام أبي جعفر عليه السلام ـكما ذكرنا ذلكـ، وهو ممّن وعى مكانة الإمام عليه السلام، فكان يجلّه ويعظّمه والإمام صبيّ يافع، فكان إذا خاطبه قال له: «أنت ابن خير البريّة، وجدّك سيّد شباب أهل الجنّة»[٤].

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار: ٢١٢.

(٢) غاية الاختصار: ٤٠١.

(٣) شرح الشفا / الخفاجي: ١: ٢٩٣.

(٤) بحار الأنوار: ٤٦: ٢٢٧.

١٥ـ جابر بن يزيد

جابر بن يزيد الجعفي من أشهر علماء المسلمين ، ومن أجلّ رواة الحديث ، وهو ممّن تتلمذ عند الإمام أبي جعفر عليه السلام ، وروى عنه سبعين ألف حديث ـ حسبما يقول الذهبي ـ وكان ممّن عرف مقام الإمام ووقف على مكانته ، فكان إذا حدّث عنه يقول : « حدّثني وصيّ الأوصياء ، ووارث علم الأنبياء »[١].

١٦ـ جمال الدين

قال جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي : « محمّد أبو جعفر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي العلوي ، سيّد بني هاشم في زمانه ، وهو أحد الأئمّة الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم »[٢].

١٧ـ الذهبي

وترجم الذهبي في كثير من مؤلّفاته الإمام عليه السلام ، إلّا إنّه شذّ في بعض أقواله ، وفيما يلي ذلك :

ـ قال : «كان الباقر سيّد بني هاشم في زمانه فضلاً وعلماً وسؤدداً »[٣].

ـ قال : «كان الباقر سيّد بني هاشم في زمانه ، اشتهر بالباقر من قولهم : بقر العلم ، يعني شقّه فعلم أصله وخفيّه »[٤].

ـ قال : «كان الباقر أحد من جمع بين العلم والعمل ، والسؤدد والشرف ،

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٨٠.

(٢) النجوم الزاهرة : ١ : ٢٧٣.

(٣) تاريخ الإسلام : ٧ : ٤٦٢. الوافي بالوفيات : ٤ : ٧٧.

(٤) تذكرة الحفّاظ : ١ : ١٢٤.

والثقة والرزانة ، وكان أهلاً للخلافة ، وهو أحد الأئمّة الاثني عشر الذين تبجّلهم الشيعة الإماميّة ، وتقول بعصمتهم ، وبمعرفتهم بجميع الدين.

ولقد كان أبو جعفر إماماً مجتهداً ، تالياً لكتاب الله ، كبير الشأن ، ولكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه ، ولا في الفقه درجة أبي الزناد وربيعة ، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب »(١).

وانحرف الذهبي عن الحقّ في تقديمه لابن كثير وأبي الزناد وربيعة وقتادة وابن شهاب على الإمام ، فإنّ هؤلاء الأعلام لا يقاسون بتلاميذه ، كزرارة بن أعين ومحمّد بن مسلم وجابر بن يزيد الجعفي ، فإنّ ما أُثر عنهم من الفضل والعلم يفوق بكثير ممّا أُثر عن ابن كثير وجماعته ، وقد كان قتادة قد خاصمه الإمام ، واحتجّ عليه ، فولّى منهزماً لا يعرف ما يقول ، ولا يدري كيف يتخلّص ممّا هو فيه .. ولكنّ الذهبي كان يملك ضميراً متحجّراً مترعاً بالكراهية والحقد على آل النبيّ صلى الله عليه وآله وشيعتهم ، كما أعلن ذلك في كثير من بحوثه ، وما أبدع ما قيل فيه :

سُمِّيتَ بِالذَّهبي اليومَ تَسْمِيَةً ... مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهابِ العَقْلِ لا الذَّهَبِ

١٨ ـ سديف المكّي

وسديف المكّي من أصحاب الإمام أبي جعفر عليه السلام ، وقد اتّصل به ، وهو ممّن أبدى إكباره وإعجابه به . يقول : « ما رأيت محمّدياً قطّ يعدله »(٢).

١٩ ـ الشيخاني

قال عبدالقادر الشيخاني : « محمّد الباقر كان أشهر أهل زمانه ، وأكملهم فضلاً ،

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٤ : ٤٠٢.

(٢) أمالي الصدوق : ٢٩٧.

وأعظمهم نبلاً، ولم يظهر في زمنه عند أحد من علم الدين والسنن، وعلم القرآن والسير وفنون الآداب مثل ما ظهر منه»[١].

٢٠ـ عباس المكّي

قال السيّد عبّاس بن عليّ المكّي: «الباقر أحد الأئمّة الاثني عشر عند الإماميّة، وكان عالماً سيّداً كبيراً، وما سمّي الباقر إلّا لأنّه تبقّر في العلم، أي توسّع فيه»[٢].

٢١ـ عبدالحميد الحنبلي

قال عبدالحميد بن العماد الحنبلي في ترجمته للإمام عليه السلام: «كان من فقهاء المدينة، وقيل له: الباقر، لأنّه بقر العلم، أي شقّه وتوسّع فيه، وهو أحد الأئمّة الاثني عشر على اعتقاد الإماميّة»[٣].

٢٢ـ عبدالقادر الحلبي

قال عبدالقادر الحلبي: «الباقر أوّل علويّ ولد بين علويّين، تابعي، جليل القدر، إمام بارع مجمَع على إمامته وجلالته، معدود في فقهاء المدينة وأئمّتهم»[٤].

٢٣ـ عبدالله بن عطاء

وتحدّث عبدالله بن عطاء عن إكبار العلماء وتعظيمهم للإمام عليه السلام وتواضعهم

---

(١) أخبار الدول: ١١١. الصراط السوي: ١٩٤، من مصوّرات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) نزهة المجالس: ٢: ٣٦.

(٣) شذرات الذهب: ١: ١٤٩.

(٤) ينابيع المودّة: ٣: ١٥٨. تاريخ ابن خلّكان: ٢: ٢٣. الحديث المفحص عن شرف نسل الإمام عليّ عليه السلام: ١٣٩، من مخطوطات مكتبة الإمام كاشف الغطاء قدس سره العامّة.

أمامه. يقول: «ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر محمّد بن عليّ لتواضعهم له، ومعرفتهم بحقّه وعلمه، واقتباسهم منه، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة على جلالته وسنّه، وهو بين يديه يتعلّم منه، ويأخذ عنه كالصبي بين يدي المتعلّم»(١).

وأدلى مرّة أُخرى عن مشاهدته للحكم عند الإمام، قال: «رأيت الحكم عنده كأنّه عصفور مغلوب على أمره»(٢).

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة عند الحكم بن عتيبة لنرى مكانته ومنزلته العلميّة ليتبيّن لنا مدى سعة علوم الإمام عليه السلام وسموّ مكانته عند العلماء..

لقد كان الحكم ـ فيما يقول الرواة ـ من أجلّ علماء عصره، وأنبههم شأناً.

يقول مجاهد بن رومي: رأيت الحكم في مسجد الخيف وعلماء الناس عيال عليه.

ونقل جرير عن المغيرة أنّ الحكم إذا قدم المدينة أخلوا له سارية النبيّ صلى الله عليه وآله يصلّي إليها(٣).

وقال ابن سعد: كان ثقة ثقة، فقيهاً، عالماً رفيعاً، كثير الحديث.

وإذا كان الحكم وهو بهذه المنزلة من سعة العلم وجلالة القدر كأنّه الصبيّ المغلوب على أمره بين يدي الإمام، فلابدّ أن يكون أعلم أهل عصره، وأكثرهم إحاطة في جميع العلوم. وهذا ما تذهب إليه الشيعة، وتدلّل عليه من سعة علوم الإمام عليه السلام.

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار: ١٤، وقريب منه جاء في كلّ من حلية الأولياء: ٣: ١٨٦. شذرات الذهب: ١: ١٤٩. تاريخ مدينة دمشق: ٥١: ٤٣. مرآة الجنان: ١: ٢٤٨.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢: ١٣٣.

(٣) تهذيب التهذيب: ٢: ١٣٤.

٢٤ ـ علي بن عيسى الأربلي

وتحدّث الوزير عليّ بن عيسى الأربلي عن معالي سيرة أبي جعفر عليه السلام ، وختم حديثه بقوله : « إنّ مناقبه أكثر من أن يأتي الحصر عليها ، ومزاياه أعلى من أن تتوجّه الإحاطة بها ، ومفاخره إذا عددت خرّت المفاخر والمحامد لديها ، لأنّ شرفه تجاوز الحدّ ، وبلغ النهاية ، وجلال قدره استولى على الأمد ، وأدرك الغاية ، ومحلّه من العلم والعمل رفع له ألف راية ، وكم له من علامات سؤدد ، وسيما رياسة ، وآية سماحة وحماسة ، وشرف منصب ، وعلوّ نسب ، وفخر حسب ، وطهارة أمّ وأب ، والأخذ من الكرم والطهارة بأقوى سبب لو طال السماء لطالها ، أو رام الكواكب في أوجها لنالها »[١] .

٢٥ ـ فريد وجدي

قال فريد وجدي : «كان الباقر عالماً نبيلاً ، وسيّداً جليلاً ، وسمّي الباقر لأنّه بقر العلم ، أي توسّع فيه »[٢] .

٢٦ ـ القرماني

وترجم أحمد بن يوسف القرماني الإمام ، قال : « إنّما سمّي الباقر لأنّه بقر العلم .. وكان خليفة أبيه من بين إخوته ووصيّه ، والقائم بالإمامة من بعده ، ولم يظهر عن أحد من أولاد الحسن والحسين من علم الدين والسنن وعلم القرآن والسير وفنون الأدب ما ظهر عن أبي جعفر . روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ، ووجوه التابعين »[٣] .

---

(١) كشف الغمّة : ٢ : ٣٦٣.

(٢) دائرة المعارف / فريد وجدي : ٣ : ٥٦٣.

(٣) أخبار الدول : ١١١.

٢٧ـ محمّد كاظم اليماني

قال السيّد كاظم اليماني : « الإمام الباقر هو ثاني سبط ، وخامس إمام معصوم على رأي من رأى ذلك ، ورابع تقيّ على رأي الإجماع ، وهو المكنّى أبا جعفر »(١).

٢٨ـ كمال الدين الشافعي

قال كمال الدين الشافعي : « هو باقر العلم وجامعه ، وشاهر علمه ورافعه ، ومتوفّق درّه وراضعه ، صفا قلبه ، وزكا عمله ، وطهرت نفسه ، وشرفت أخلاقه ، وعمرت بطاعة الله أوقاته ، ورسخت في مقام التقوى قدمه ، وظهرت عليه سيمات الازدلاف ، وطهارةالاحتباب ، فالمناقب تسبق إليه ، والصفات تشرف به »(٢).

٢٩ـ المجلسي

قال الشيخ المجلسي : « لم يظهر عن أحد من أولاد الحسن والحسين من العلوم ما ظهر منه ـ أي الباقر ـ من التفسير والكلام والفتيا والحلال والحرام .. وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ، ورؤساء فقهاء المسلمين .

فمن الصحابة جابر بن عبدالله الأنصاري .

ومن التابعين نحو جابر ين يزيد الجعفي ، وكيسان السختياني صاحب الصوفيّة .

ومن الفقهاء نحو : ابن المبارك ، والزهري ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وزياد بن المنذر ، والنهدي .

ومن المصنّفين نحو : الطبري ، والبلاذري ، والخطيب في تواريخهم .

وفي الموطّأ ، وشرف المصطفى والإبانة ، وحلية الأولياء ، وسنن أبي داود ،

---

(١) النفحة العنبريّة : ٥٠.

(٢) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول : ٤٢٥.

ومسند أبي حنيفة ، وترغيب الاصفهاني ، وبسيط الواحدي ، وتفسير العيّاشي ، والزمخشري ، ومعرفة أُصول السمعاني ، وكانوا يقولون : محمّد بن عليّ ، وربّما قالوا : محمّد الباقر »(١).

وألمّ كلام المجلسي بالناحية العلميّة من شخصيّة الإمام العظيم التي استوعبت جميع المعارف ، وقد انتهل من نمير علومه علماء المسلمين ، فأخذوا عنه الفقه والتاريخ والتفسير وعلم الكلام وفنون الحكم والآداب ، ممّا يعتبر عاملاً جوهريّاً في نشأة التطوّر والابداع في الفكر الإسلامي .

٣٠ ـ محمّد بن أبي بكر

قال محمّد بن أبي بكر ـ المعروف بابن حمّاد دكين ـ (المتوفّى سنة ٧٠٠ هـ) : « سيّدنا الإمام محمّد ابن الإمام زين العابدين عليهما السلام برز بالفضل في العلم والزهد والسؤدد ، وكان نبيه الذِكر ، عظيم القدر ، جليل الشأن ، لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من علم الدين والآثار والسنّة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر عن أبي جعفر . روى عنه علماء الدين وبقايا الصحابة ووجوه التابعين ، ورؤساء فقهاء المسلمين ، وصار بالفضل علماً تضرب به الأمثال ، وتسير بوصفه الآثار والأشعار »(٢).

٣١ ـ محمّد بن المنكدر

وكان محمّد بن المنكدر ممّن عاصر الإمام زين العابدين وولده الإمام الباقر عليهما السلام ، وقد أدلى بانطباعاته عنه . يقول : ما كنت أرى أنّ مثل عليّ بن الحسين يدع خلفاً

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٩٥ و ١٩٦ ، عنه بحار الأنوار : ٤٦ : ٢٩٤ و ٢٩٥ .

(٢) روضة الواعظين : ٢٠٧ . الأنوار البهيّة : ١٣٥ .

لفضله وغزارة علمه وحلمه حتّى رأيت ابنه محمّداً »[١].

٣٢ـ محمّد الجزري

قال محمّد بن محمّد الجزري : « محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب أبو جعفر الباقر ، لأنّه بقر العلم ـ أي شقّه ـ وعرف ظاهره وخفيّه ، وكان سيّد بني هاشم علماً وفضلاً وسنّة »[٢].

٣٣ـ محمّد الصبان

قال محمّد الصبّان : « وأمّا محمّد الباقر فهو صاحب المعارف ، وأخو الدقائق واللطائف ، ظهرت كراماته ، وكثرت في السلوك إشاراته ، ولقّب بالباقر لأنّه بقر العلم ، أي شقّه فعرف أصله وخفيّه »[٣].

٣٤ـ المنصور الدوانيقي

وتحدّث الإمام الباقر عليه السلام عن قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله ومهديّ هذه الأمّة ، وكان في المجلس المنصور الدوانيقي فبهر من ذلك ، وراح يحدّث سيف بن عمير بما سمعه من الإمام قائلاً: «لو حدّثني أهل الأرض كلّهم ما قبلت منهم ، ولكنّه محمّد بن عليّ »[٤].

ودلّ هذا الكلام على مدى إكباره وتعظيمه للإمام ، فلو حدّثه أهل الأرض جميعاً

---

(١) روضة الكافي : ٥ : ٧٣ ، وقريب منه في الاتحاف بحبّ الأشراف : ٥٣. تهذيب التهذيب : ٩ : ٣٥٢.

(٢) غاية النهاية في طبقات القرّاء : ٢ : ٢٠٢.

(٣) إسعاف الراغبين (المطبوع على هامش نور الأبصار) : ٣١٦.

(٤) الفرائد الغوالي : ٦ : ١٤٣.

بمقالة الإمام لما قبل منهم وصدّقهم، ولكنّ الإمام حدّثه بذلك وهو ـ حسب اعترافه ـ يفوق الناس جميعاً في صدقه ووثاقته.

٣٥ ـ الشيخ المفيد

قال الشيخ المفيد: «كان الباقر محمّد بن علي بن الحسين من بين إخوته خليفة أبيه ووصيّه، والقائم بالإمامة من بعده، وبرز على جماعتهم بالفضل في العلم والزهد والسؤدد، وكان أنبههم ذكراً، وأجلّهم في العامّة والخاصّة، وأعظمهم قدراً، ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما‌السلام من علم الدين والآثار والسنّة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر عن أبي جعفر.

وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة، ووجوه التابعين، ورؤساء فقهاء المسلمين، وصار بالفضل به علماً لأهله، تضرب به الأمثال، وتسمو بوصفه الآثار والأشعار»(١).

٣٦ ـ محمود بن وهيب

قال محمود بن وهيب البغدادي: «سمّي الباقر من بقر الأرض، أي شقّها، وأنار مخبّئاتها ومكامنها، فلذلك هو أظهر من مخبّآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام والحكمة واللطائف ما لا يخفى إلّا على منطمس البصيرة، ومن ثمّ قيل باقر العلم وجامعه ورافعه، صفا قلبه، وزكا علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين»(٢).

---

(١) الإرشاد: ٢: ٢٩٣.

(٢) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام: ١٣٢.

٣٧- النبهاني

قال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني : « محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين ، أحد أئمّة ساداتنا آل البيت الكرام ، وأحد أعيان العلماء الأعلام »[١].

٣٨- النووي

قال النووي : « الباقر تابعي جليل ، إمام بارع ، مجمع على جلالته ، معدود في فقهاء المدينة وأئمّتهم »[٢].

٣٩- هشام بن عبدالملك

أمّا هشام بن عبدالملك فكان من أعظم الحاقدين على الإمام ، ومن ألدّ أعدائه ، إلّا أنّه اعترف بسموّ مكانة الإمام ، وعظيم شأنه ، فقد خاطبه قائلاً: « يا محمّد ، لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك »[٣].

هذه بعض الكلمات التي أدلى بها كبار العلماء والبحاث في حقّ الإمام عليه السلام ، وهي كما سجّلت إكبارهم لشخصيّة الإمام ، كذلك كشفت عن بعض الجوانب من حياته المشرقة ، والتي كان منها :

أوّلاً : تقدّم الإمام في الفضل والعلم على جميع علماء عصره ، وإنّه لم يكن هناك أحد يدانيه في مواهبه وملكاته العلميّة ، وإنّه يفوق في فضله وعلمه إخوانه ، وأبناء عمومته وسائر أبناء الأُسرة النبويّة التي هي مصدر النور والوعي في الأرض .

ثانياً : تصاغر علماء عصره أمامه اعترافاً منهم بسموّ مقامه العلمي والروحي ،

---

(١) جامع كرامات الأولياء : ١ : ٩٧.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات : ١ : ٨٧.

(٣) بحار الأنوار : ٤٦ : ٣٠٧. نوادر المعجزات / الطبري : ١٣٠.

وإنّه المرجع الأعلى للعالم الإسلامي .

ثالثاً : سعة علوم الإمام ومعارفه لا في الفقه الإسلامي فحسب ، وإنّما كان ملمّاً بجميع العلوم من علم الكلام والفلسفة والتفسير والتاريخ والحكم والآداب ، وغير ذلك ممّا أصبح به المنار المشرق للعلوم الإسلاميّة .

رابعاً : إنّه أظهر مخبآت بعض العلوم ، وكشف النقاب عن كنوز المعارف التي كانت خافية على الناس .

خامساً : إنّه كان الرائد الأوّل للحركة العلميّة في عصره ، فمن نمير علمه اقتبس العلماء ، ومن إفاضاته استمدّ البحّاث والمؤلّفون والكتّاب .

سادساً : تحرّج الإمام في الدين أشدّ ما يكون التحرّج ، وشدّة ورعه وخوفه من الله ممّا جعله من أئمّة المتّقين والمنيبين .

مظاهر شخصيته عليه السلام

وتوفّرت في شخصيّة الإمام أبي جعفر عليه السلام جميع الصفات الكريمة التي تؤهّله لزعامة هذه الأُمّة وقيادتها الروحيّة والزمنيّة ، فكلّ صفة من صفاته ترفعه إلى القمّة التي لا يبلغها إلّا أفذاذ الناس وعمالقة الدهر ، فهو كما قال الشاعر :

مِنْ هاشِمٍ في ذُراها وَهيَ صاعِدَةٌ ... إلَى السَّماءِ تُميتُ النّاسَ بِالحَسَدِ

قَومٌ أَبى اللهُ إلّا أنْ تَكونَ لَهُمْ ... مَكارِمُ الدِّينِ وَالدُّنْيا بِلا أَمَدِ

لقد كان الإمام العظيم بمواهبه وعبقريّاته صورة متميّزة من بين صور العظماء والمصلحين ، فقد تميّز بفضائله النفسيّة ومآثره الخالدة ، وتميّز بحسبه الوضّاح ، وتميّز بكلّ ما يسمو به هذا الإنسان ، ومن بين ما تميّز به :

إمامته عليه السلام

وحباه الله بالإمامة ، وخصّه بالنيابة العامّة عن جدّه الرسول صلى الله عليه وآله ، فهو أحد خلفائه وأوصيائه الاثني عشر ، الذين جعلهم النبيّ صلى الله عليه وآله سفن النجاة ، وأمن العباد ، وقرنهم بمحكم التنزيل ، ونصبهم أعلاماً لأُمّته صيانة لها من الفرقة ، ووقاية لها من الفتن والأزمات .

لقد احتاط النبيّ صلى الله عليه وآله أشدّ ما يكون الاحتياط في شأن أُمّته ، وأهاب بها من أن تكون في ذيل قافلة الأمم والشعوب ، فقد أراد لها العزّة والكرامة ، وأراد أن تكون

خير أُمّة أُخرجت للناس ، فأولى الخلافة والإمامة المزيد من اهتمامه ، ونادى بها أكثر ممّا نادى بأيّ فرض من الفروض الدينيّة ، لأنّها القاعدة الصلبة لتطوّر أُمّته في مجالاتها الفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة ، وقد خصّها بالأئمّة الطاهرين من أهل بيته الذين لم يخضعوا بأي حال من الأحوال لأيّة نزعة مادّيّة ، وإنّما آثروا طاعة الله ومصلحة الأمّة على كلّ شيء .

وقد تحدّث الإمام الباقر عليه السلام عن الإمامة بصورة موضوعيّة وشاملة ، سنعرض لها عند البحث عن تراثه الفكري والعلمي .

أمّا إمامته عليه السلام فقد دلّت عليها النصوص العامّة والخاصّة ، والتي كان منها نصّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على إمامته ، وإمامة الأئمّة الطاهرين من بعده[1] ، وغير ذلك من النصوص التي سنعرض لها في البحوث الآتية .

العصمة

ومن أسمى مظاهر ذاتيّات الإمام أبي جعفر عليه السلام العصمة من الذنوب والآثام ، وطهارته من الزيغ والرجس .

إنّ العصمة لطف من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده ممّن امتحن قلوبهم بالإيمان ، وزكّاهم واختارهم لأداء رسالته ، وإصلاح عباده ، وهي من أهمّ العقائد الراسخة عند الشيعة ، وإحدى المبادئ الأساسيّة للإمامة عندهم ، ونتحدّث بإيجاز عنها .

تعريف العصمة

وعرّف المتكلّمون من الشيعة العصمة بتعاريف متعدّدة ، كان من بينها تعريف

---

(١) بصائر الدرجات / الصفّار : ١٠٨ .

الشيخ المفيد ، فقد عرّفها « بأنّها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقّه ، وهو لطف يمتنع من يختصّ به من فعل المعصية ، وترك الطاعة مع القدرة عليهما »(١).

ويقول العلّامة الحلّي في تعريفها : « بأنّها لطف من الله تعالى يفيضه على المكلّف لا يكون له مع ذلك داعٍ إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك »(٢).

وعرّفها شيخ الطائفة الشيخ الطوسي : « بأنّها ما يمتنع المكلّف من المعصية في حال تمكّنه منها »(٣).

والعصمة على ضوء هذه التعاريف عبارة عن الكمال المطلق للنفس ، وتحرّرها التامّ من كلّ نزعة من نزعات الهوى والغرر والطيش ، والامتناع من اقتراف أيّة جريمة أو ذنب ، سواء أكان على سبيل العمد أم السهو ، ومن الطبيعي أنّه لا يتّصف بذلك إلّا من اختاره الله لأداء رسالته وهداية عباده ، نبيّاً كان أم إماماً .

الاستدلال بها

واستدلّت الشيعة على ما ذهبوا إليه من اعتبار العصمة في الإمام بأدلّة كثيرة مقنعة لا مجال للشكّ فيها ، ولعلّ من أروع من استدلّ عليها من متكلّميهم هشام بن الحكم ، قال : « إنّ جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها : الحرص ، الحسد ، الغضب ، الشهوة ، وهذه الصفات كلّها منفيّة عن الإمام .

فلا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا ، وهي تحت خاتمه ، فهو خازن أموال المسلمين ، فعلى ماذا يحرص ؟

---

(١) شرح عقائد الصدوق : ١١٤.

(٢) كتاب الألفين / العلّامة الحلّي : ٦٧.

(٣) توفيق التطبيق : ١٦.

ولا يجوز أن يكون حسوداً ، لأنّ الإنسان إنّما يحسد من فوقه ، وليس فوقه أحد ، فكيف يحسد من دونه ؟

ولا يجوز أن يغضب لشيء من أُمور الدنيا ، إلّا أن يكون غضبه لله عزّ وجلّ ، قد فرض عليه إقامة حدوده.

ولا يجوز أن يتّبع الشهوات ، ويؤثر الدنيا على الآخرة ، لأنّ الله حبّب إليه الآخرة كما حبّب إلينا الدنيا ، فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا ، فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح ، وطعاماً طيّباً لطعام مرّ ، وثياباً ليّنة لثوب خشن ، ونعمة دانية باقية لدنيا زائلة فانية »[١].

وأقامت الشيعة على ضرورة العصمة للأئمّة مجموعة كبيرة من الأدلّة الوثيقة العقليّة والنقليّة ، حفلت بها كتبهم الكلاميّة[٢].

ويرى (دونالدسن) أنّ فكرة العصمة عند الشيعة قد أدّت إلى تطوّر علم الكلام وازدهاره في الإسلام.. كما أنّ لهم الفضل في بحث هذا الموضوع لا في الإسلام فحسب ، بل في جميع الديانات الأُخرى[٣].

فقد كانوا أوّل من فتق باب الجدل والحوار العلمي المبنيّ على الأدلّة العقليّة المثبتة لشؤون مبادئهم الأساسيّة في الإمامة.

شكوك وأوهام

وأُثير حول العصمة كثير من الشكوك والأوهام ، واتّهمت الشيعة بالجمود والغلوّ ،

---

(١) عقيدة الشيعة : ٣١٧.

(٢) يراجع : الألفين للعلّامة الحلّي ، وأوائل المقالات في المذاهب المختارة للشيخ المفيد ، ومنهاج الكرامة للعلّامة الحلّي.

(٣) نظريّة الإمامة لدى الشيعة الاثني عشريّة : ١٣٤.

وقال الناقدون لهم : إنّ الأئمّة كبقيّة الناس يطيعون الله ويعصونه ، وتصدر المعصية عنهم عمداً أو سهواً من دون أن يكون هناك أي فرق بينهم وبين سائر الناس .

وأكبر الظنّ أنّ الحملات المسعورة التي واجهتها الشيعة في التزامهم بعصمة أئمّتهم إنّما كانت لتبرير ملوك بني أُميّة وبني العبّاس الذين أضفوا عليهم النعوت العظيمة والألقاب الكريمة ، فادّعوا أنّهم سدنة الشريعة ، وخلفاء الله في أرضه ، ولا مانع مع ذلك أن تصدر عنهم المعاصي والذنوب ، فليست العصمة إذن شرطاً فيمن يتولّى شؤون المسلمين ، وقد أنكرت الشيعة ذلك أشدّ الإنكار ، وذهبت إلى أنّ خلافة أُولئك الملوك لا تحمل أي طابع من الشرعيّة ، وذلك لما أُثر عنهم من الأعمال التي لا تتّفق مع أبسط قواعد الدين الإسلامي ، فقد أسرفوا إلى حدّ بعيد في الدعارة واللهو والمجنون ، وتحوّلت قصورهم إلى مسارح للهو والرقص والفساد ، وفي ذلك يقول الشاعر في المهدي العبّاسي :

بَنو أُمَيَّةَ هُبّوا طالَ نَوْمُكُمُ ... إنَّ الخَليفَةَ يَعقوبُ بْنُ داوُدِ
ضاعَتْ خِلافَتُكُمْ يا قَومِ فَالْتَمِسوا ... خَليفَةَ اللهِ بَيْنَ النّايِ وَالعُودِ

وإذا كان الخليفة قد صرعه الهوى فصار حليفاً للناي والعود ، كيف يكون إماماً للمسلمين ، وخليفة الله في أرضه ؟ !

لقد احتاط الإسلام أشدّ ما يكون الاحتياط في شأن الخلافة الإسلاميّة باعتبارها المركز الحسّاس لسعادة المسلمين وتقدّمهم ، وتطوّر حياتهم ، فليس من المنطق في شيء أن يضفى على أُولئك الملوك خلفاء الله في أرضه ، وأُمنائه على عباده ، وأن يقال بشرعيّة خلافتهم .

لقد قالت الشيعة بعصمة أئمّتهم لأنّهم الأُنموذج الأعلى للتكامل الإنساني ، ولم يؤثر عن أحد منهم ـ فيما أجمع عليه المؤرّخون ـ أنّه قد شذّ في سلوكه عن الطريق القويم أو خالف الله فيما أوجب أو نهى .

ألم يقل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: **«واللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأقالِيمَ السَّبْعَةَ بِما تَحْتَ أَفْلَاكِها، عَلَىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُها جُلْبَ شَعِيرَةٍ ما فَعَلْتُ»**(١).

وهذه هي العصمة التي تدّعيها الشيعة لأئمّتهم عليهم السلام، فليس فيها غلوّ ولا جمود، وإنّما كانت مطابقة للواقع المحكيّ عن سيرة أئمّة أهل البيت عليهم السلام، الذين تحرّجوا أشدّ ما يكون التحرّج في أُمور دينهم، وآثروا طاعة الله على كلّ شيء، وقد أعلن الكتاب الكريم عصمتهم وطهارتهم من الزيغ والإثم. قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**(٢).

وقرنهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بمحكم التنزيل، قال صلى الله عليه وآله: **«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي...»**(٣).

فكما أنّ الكتاب العزيز **﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ﴾**(٤)، كذلك العترة الطاهرة، وإلّا لما صحّت المقارنة بينهما.

حلمه عليه السلام

أمّا الحلم فقد كان من أبرز صفات الإمام أبي جعفر عليه السلام، فقد أجمع المؤرّخون على أنّه لم يسيء إلى من ظلمه واعتدى عليه، وإنّما كان يغدق عليه بالبرّ والمعروف، ويقابله بالصفح والإحسان، وقد روى المؤرّخون صوراً كثيرة من عظيم حلمه، كان منها:

١ - إنّ رجلاً كتابياً هاجم الإمام، واعتدى عليه، وخاطبه بمرّ القول: أنت بقر.

---

(١) نهج البلاغة: ٢: ٢١٨.

(٢) الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٣) صحيح الترمذي: ٢: ٣٠٨.

(٤) فصّلت ٤١: ٤٢.

فلطف به الإمام وقابله ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً: **لا ، أنا باقِرٌ** .

وراح الكتابي يهاجم الإمام قائلاً: أنت ابن الطبّاخة .

فتبسّم الإمام ولم يثره هذا الاعتداء وقال له : **ذاكَ حِرْفَتُها** .

ولم ينته الكتابي عن غيّه ، وإنّما راح يهاجم الإمام قائلاً: أنت ابن السوداء الزغنة النديّة .

ولم يغضب الإمام وإنّما قابله باللطف قائلاً: **إنْ كُنْتَ صَدَقْتَ غَفَرَ اللهُ لَكَ ، وَإنْ كُنْتَ كَذَبْتَ غَفَرَ اللهُ لَكَ** .

وبهت الكتابي وبهر من معالي أخلاق الإمام التي تضارع أخلاق الأنبياء ، فأعلن إسلامه(١) ، ورجع إلى حضيرة الحقّ .

٢ ـ ومن تلك الصور الرائعة المدهشة من حلمه أنّ شامياً كان يختلف إلى مجلسه ، ويستمع إلى محاضراته ، وقد أُعجب بها ، فأقبل يشتدّ نحو الإمام وقال له : يا محمّد ، إنّما أغشى مجلسك لا حبّاً منّي إليك ، ولا أقول إنّ أحداً أبغض إليَّ منكم أهل البيت ، واعلم أنّ طاعة الله تعالى وطاعة أمير المؤمنين في بغضكم ، ولكنّي أراك رجلاً فصيحاً ، لك أدب ، وحسن لفظ ، فإنّما أختلف إليك لحسن أدبك .

ونظر إليه الإمام بعطف وحنان ، وأخذ يغدق عليه ببرّه ومعروفه حتّى استقام الرجل وتبيّن له الحقّ ، فتبدّلت حالته من البغض إلى الولاء للإمام ، وظلّ ملازماً له حتّى حضرته الوفاة ، فأوصى أن يصلّي عليه(٢) .

وحاكى الإمام بهذه الأخلاق الرفيعة جدّه الرسول صلى الله عليه وآله الذي استطاع بسموّ أخلاقه أن يؤلّف ما بين القلوب ، ويوحّد ما بين المشاعر والعواطف ، ويجمع الناس

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤: ٢٠٧. بحار الأنوار : ٤٦: ٢٨٩. أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل : ٤: ٥٠٤.

(٢) بحار الأنوار : ٤٦: ٢٣٣ ، الحديث ١.

على كلمة التوحيد بعدما كانوا فرقاً وأحزاباً ﴿ **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾[١].

صبره عليه السلام

لقد كان الصبر من الصفات الذاتيّة للأئمّة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام ، فقد صبروا على مكاره الدهر ، ونوائب الأيّام ، وصبروا على تجرّع الخطوب التي تعجز عنها الكائنات ، فقد كان الإمام الحسين عليه السلام على صعيد كربلاء يستقبل المحن الشاقّة التي تذهل كلّ كائن حيّ ، وهو يقول : « **صَبْراً عَلَىٰ قَضَائِكَ لَا إِلَـٰهَ سِوَاكَ ، يا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ ، مَالِي رَبٌّ سِوَاكَ وَلَا مَعْبُودٌ غَيْرُكَ . صَبْراً عَلَىٰ حُكْمِكَ ؛ يَا غِيَاثَ مَنْ لَا غِيَاثَ لَهُ . . .** »[٢].

وصبر الإمام الباقر عليه السلام كآبائه على تحمّل المحن والخطوب ، وقد كان منها ما يلي :

١ ـ انتقاص السلطة لآبائه الطاهرين ، وإعلان سبّهم على المنابر والمآذن ، وهو عليه السلام يسمع ذلك ولا يتمكّن أن ينبس ببنت شفة ، فصبر على كظم الغيظ ، وأوكل الأمر إلى الله الحاكم بين عباده بالحقّ .

٢ ـ ومن بين المحن الشاقّة التي صبر عليها التنكيل الهائل بشيعة أهل البيت عليهم السلام وقتلهم تحت كلّ حجر ومدر بأيدي الجلّادين من عملاء السلطة الأمويّة ، وهو لا يتمكّن أن يحرّك ساكناً ، قد فرضت عليه السلطة الرقابة الشديدة ، وأحاطته بمباحثها ، ولم تستجب لأي طلب له في شأن شيعته .

٣ ـ وروى المؤرّخون عن عظيم صبره أنّه كان جالساً مع أصحابه ، إذ سمع صيحة عالية في داره ، فأسرع إليه بعض مواليه فأسرّه .

---

(١) المؤمنون ٢٣ : ٥٣ . الروم ٣٠ : ٣٢ .

(٢) الخصائص الحسينية : ٧٧ . مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٣٥٧ .

فقال عليه السلام: **الْحَمْدُ للهِ عَلىٰ ما أَعْطىٰ، وَلَهُ ما أَخَذَ. انْهَهُمْ عَنِ الْبُكاءِ وَخُذُوا فِي جَهازِهِ، وَاطْلُبُوا السَّكِينَةَ، وَقُولُوا لَها: لَا ضَيْرَ عَلَيْكِ أَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللهِ لِما تَداخَلَكِ مِنَ الرَّوْعِ.**

ورجع إلى حديثه، فتهيّب القوم سؤاله، ثمّ أقبل غلامه فقال له: قد جهّزناه، فأمر أصحابه بالقيام معه للصلاة على ولده ودفنه، وأخبر أصحابه بشأنه فقال لهم: **إِنَّهُ قَدْ سَقَطَ مِنْ جارِيَةٍ كانَتْ تَحْمِلُهُ فَماتَ**»[١].

تدول الدول، وتفنى الحضارات، وهذه الأخلاق العلويّة أحقّ بالبقاء، وأجدر بالخلود من كلّ شيء لأنّها تمثّل شرف الإنسانيّة وقيمها الكريمة.

٤ - ويقول المؤرّخون: إنّه كان للإمام ولد، وكان أثيراً عنده، فمرض فخشي على الإمام لشدّة حبّه له، وتوفّي الولد فسكن صبر الإمام، فقيل له: خشينا عليك يابن رسول الله؟

فأجاب بالاطمئنان والرضا بقضاء الله قائلاً: **إِنّا نَدْعو اللهَ فِيما يُحِبُّ، فَإِذا وَقَعَ ما نَكْرَهُ لَمْ نُخالِفِ اللهَ فيما يُحِبّ**[٢].

لقد تسلّح الإمام بالصبر، وقابل نوائب الدنيا وكوارث الدهر بإرادة صلبة، وإيمان راسخ، وتحمّل الخطوب في غير ضجر ولا سأم محتسباً في ذلك الأجر عند الله.

تكريمه عليه السلام للفقراء

ومن معالي أخلاقه أنّه كان يبجّل الفقراء، ويرفع من شأنهم لئلّا يرى عليهم ذلّ الحاجة، ويقول المؤرّخون: إنّه عهد لأهله إذا قصدهم سائل أن لا يقولوا له:

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار: ٢١٨.

(٢) تاريخ دمشق: ٥٤: ٢٩٤. عيون الأخبار / ابن قتيبة: ٣: ٥٧.

يا سائل خذ هذا ، وإنّما يقولون له : يا عبد الله ، بورك فيك[١].

وقال : **سَمّوهُمْ بِأَحْسنِ أَسْمائِهِمْ**[٢].

إنّها أخلاق النبوّة التي جاءت لتسمو بالإنسان ، وتغذّيه بالعزّة والكرامة ، وتنفي عنه الخنوع والذلّ .

عتقه عليه السلام للعبيد

وكان الإمام العظيم شغوفاً بعتق العبيد ، وإنقاذهم من رقّ العبوديّة ، فقد أعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً[٣] ، وكان عنده ستّون مملوكاً ، فأعتق ثلثهم عند موته[٤].

صلته عليه السلام لأصحابه

وكان أحبّ شيء للإمام في هذه الدنيا صلته لإخوانه ، فكان لا يملّ من صلتهم وصلة قاصديه وراجيه ومؤمّليه[٥].

وقد عهد لابنه الإمام الصادق عليه السلام أن ينفق من بعده على أصحابه وتلاميذه ليتفرّغوا إلى نشر العلم وإذاعته بين الناس .

صدقاته عليه السلام على فقراء المدينة

وكان الإمام عليه السلام كثير البرّ والمعروف على فقراء يثرب ، وقد أُحصيت صدقاته

---

(١) عيون الأخبار : ٢٠٨.

(٢) البيان والتبيين : ٣ : ١٥٧ . أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل : ١ : ٦٥١.

(٣) و (٤) شرح شافية أبي فراس : ٢ : ١٧٦ ، من مصوّرات مكتبة الحكيم قدس سره .

(٥) شرح شافية أبي فراس : ٢ : ١٧٦. البيان والتبيين : ٣ : ١٥٧ و ١٥٨. أعيان الشيعة : ١ : ٦٥١. كشف الغمّة : ٢ : ٣٣٩.

عليهم فبلغت ثمانية آلاف دينار[١].

وكان يتصدّق عليهم في كلّ يوم جمعة بدينار، ويقول: «**الصَّدَقَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تُضاعِفُ الْفَضْلَ عَلىٰ غَيْرِه مِنَ الْأَيّام**»[٢].

كرمه وسخاؤه عليه السلام

أمّا الكرم فهو من العناصر الأوّليّة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، فقد بسطوا أيديهم بسخاء نادر إلى الفقراء والسائلين، وفيهم يقول الشاعر:

لَوْ كانَ يُوجَدُ عُرفُ مَجدٍ قَبلَهُمْ ... لَوَجَدتَهُ مِنهُمْ عَلىٰ أَمْيالِ
إنْ جِئْتَهُمْ أَبْصَرْتَ بَينَ بُيوتِهِمْ ... كَرَماً يَقيكَ مَواقِفَ التَّسْآلِ
نُورُ النُّبُوَّةِ وَالمَكارِمِ فيهِمُ ... مُتَوَقِّدٌ في الشَّيبِ وَالأَطْفالِ[٣]

ويقول فيهم الكميت:

وَالْغيوثُ اللُّيوثُ إنْ أَمْحَلَ ... النّاسُ فَمَأْوىٰ حَواضِنِ الْأَيْتامِ

ويقول الكميت:

إذا أَنْشَأَتْ مِنْهُمْ بِأَرْضٍ سَحابَةٌ ... فَلا النَّبْتُ مَحْظورٌ وَلا البَرقُ خِلَّبُ

وما أبدع ما قيل ممّا ينطبق عليهم:

كَرُموا وَجادَ قَبيلُهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ ... وَبَنوهُمُ مِنْ بَعدِهِمْ كُرَماءُ
فَالنّاسُ أَرضٌ فيِ السَّماحَةِ وَالنَّدىٰ ... وَهُمُ إذا عُدَّ الكِرامُ سَماءُ

---

(١) شرح شافية أبي فراس: ٢: ١٧٦.

(٢) أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل: ١: ٦٥١.

(٣) زهر الآداب: ١: ٩٤.

لقد فطر الإمام على حبّ الخير ، وصلة الناس ، وإدخال السرور عليهم . يقول ابن الصبّاغ : «كان محمّد بن عليّ بن الحسين مع ما هو عليه من العلم والفضل والرئاسة والإمامة ظاهر الجود في الخاصّة والعامّة ، مشهور بالكرم في الكافّة ، معروف بالفضل والإحسان مع كثرة عياله ، وتوسّط حاله»(١) .

ويقول المؤرّخون : إنّه كان أقلّ أهل بيته مالاً ، وأعظمهم مؤونة(٢) .

ومع ذلك فكان يجود بما عنده لإنعاش الفقراء والمحرومين ، وقد نقل الرواة بوادر كثيرة من كرمه ، ومن بينها :

١ ـ حدّث كلّ من عبدالله بن عبيد وعمرو بن دينار ، قالا : «ما لقينا أبا جعفر محمّد بن عليّ إلّا وحمل إلينا النفقة والكسوة ، ويقول عليه السلام : **هٰذِهِ مُعَدَّةٌ لَكُم قَبْلَ أَنْ تَلْقَوْني**»(٣) .

٢ ـ روى سليمان بن قرم ، قال : «كان أبو جعفر يجيزنا الخمسمائة درهم إلى الستّمائة درهم إلى الألف ، وكان لا يملّ من صلة الإخوان وقاصديه وراجيه(٤) .

٣ ـ قال الحسن بن كثير : «شكوت إلى أبي جعفر محمّد بن عليّ الحاجة ، وجفاء الاخوان ، فتأثّر ، وقال عليه السلام : **بِئْسَ أَخٌ يَرْعاكَ غَنِيّاً ، وَيَقْطَعُكَ فَقيراً** .

ثمّ أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم ، وقال عليه السلام : **اسْتَنْفِقْ هٰذِهِ ، فَإِذا نَفِدَتْ فَأَعْلِمْني**»(٥) .

٤ ـ وكان عليه السلام يحبو قوماً يغشون مجلسه من المائة إلى الألف ، وكان يحبّ مجالستهم ، منهم عمرو بن دينار ، وعبدالله بن عبيد ، وكان يحمل إليهم الصلة

---

(١) و (٤) الفصول المهمّة : ٢٢٧ .

(٢) أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل : ٤ : ١٧٦ .

(٣) الإرشاد : ٢ : ١٦٦ .

(٥) عيون الأخبار وفنون الآثار : ٢١٧ . وانظر مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٣٣٧ .

والكسوة ، ويقول : **هَيَّأْناها لَكُمْ مِنْ أَوَّلِ السَّنَةِ**(١) .

٥ ـ روت مولاته سلمى ، قالت : «كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتّى يطعمهم الطعام الطيّب ، ويلبسهم الثياب الحسنة ، ويهب لهم الدراهم ، وقد عذلته سلمى عن ذلك ، فقال لها : **يا سُلْمىٰ ، ما يُؤَمَّلُ في الدُّنْيا بَعْدَ الْـمَعارِفُ وَالْإخْوانُ**. وكان يقول عليه السلام : **ما حَسَّنَتِ الدُّنْيا إلَّا صِلَةُ الْإخْوانِ وَالْمَعارِف**(٢) .

هذه بعض البوادر التي أُثرت عن كرمه وسخائه عليه السلام ، وهي تكشف عن أنّ الإحسان والبرّ كانا من عناصره ومن مقوّماته .

عبادته عليه السلام

كان الإمام أبو جعفر عليه السلام من أئمّة المتّقين في الإسلام ، فقد عرف الله معرفة استوعبت دخائل نفسه ، فأقبل على ربّه بقلب منيب ، وأخلص في طاعته كأعظم ما يكون الإخلاص ، أمّا مظاهر عبادته :

١ ـ خشوعه عليه السلام في صلاته

وروى المؤرّخون أنّه إذا أقبل على الصلاة اصفرّ لونه(٣) خوفاً من الله وخشية منه ، فقد عرف عظمة الله تعالى ، خالق الكون وواهب الحياة ، فعبده عبادة المتّقين والمنيبين .

٢ ـ كثرة صلاته عليه السلام

وكان كثير الصلاة ، فكان ـ فيما يقول الرواة ـ يصلّي في اليوم والليلة مائة وخمسين

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار : ٢١٧ .

(٢) صفة الصفوة : ٢ : ٦٣ . أعيان الشيعة : ١ : ٦٥٣ .

(٣) تاريخ دمشق : ٥١ : ٤٤ . صفة الصفوة ٢ : ٦٣ . أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل : ٤ : ٥٠٦ .

ركعة(١)، ولم تشغله شؤونه العلميّة، ومرجعيّته العامّة للأُمّة عن كثرة الصلاة، فقد كانت أعزّ شيء عنده لأنّها الصلة بينه وبين الله.

٣ـ دعاؤه عليه السلام في سجوده

جاء في الحديث: «**أَقْرَبُ ما يَكونُ الْعَبْدُ إِلىٰ رَبِّهِ وَهُوَ ساجِدٌ**»(٢)، فكان الإمام عليه السلام في سجوده يتّجه بقلبه وعواطفه نحو الله ويناجيه بانقطاع وإخلاص، وقد أُثرت عنه بعض الأدعية، وهذه بعضها:

١ ـ ما رواه إسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، قال: «**كُنْتُ أُمَهِّدُ لِأَبي فِراشَهُ فَأَنْتَظِرُهُ حَتّىٰ يَأْتي، فَإِذا أَوىٰ إِلىٰ فِراشِهِ وَنامَ قُمْتُ إِلىٰ فِراشي، وَقَدْ أَبْطَأَ عَلَيَّ ذاتَ لَيْلَةٍ، فَأَتَيْتُ الْمَسْجِدَ في طَلَبِهِ، وَذٰلِكَ بَعْدَما هَدَأَ النّاسُ، فَإِذا هُوَ فِي الْمَسْجِدِ ساجِدٌ، وَلَيْسَ فِي الْمَسْجِدِ غَيْرُهُ، فَسَمِعْتُ حَنينَهُ وَهُوَ يَقولُ:**

«**سُبْحانَكَ اللّٰهُمَّ أَنْتَ رَبّي حَقّاً حَقّاً، سَجَدْتُ لَكَ يا رَبّي تَعَبُّداً وَرِقّاً. اللّٰهُمَّ إِنَّ عَمَلي ضَعيفٌ فَضاعِفْهُ لي. اللّٰهُمَّ قِني عَذابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبادَكَ، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحيمُ**»(٣).

٢ ـ ما رواه أبو عبيدة الحذّاء، قال: «سمعت أبا جعفر يقول وهو ساجد:

أَسْأَلُكَ بِحَقِّ حَبيبِكَ مُحَمَّدٍ إِلّا ما بَدَّلْتَ سَيِّئاتي حَسَناتٍ، وَحاسَبْتَني حِساباً يَسيراً.

---

(١) تذكرة الحفّاظ: ١: ١٢٥. تاريخ دمشق: ٥١: ٤٤. حلية الأولياء: ٣: ١٨٢.

(٢) ثواب الأعمال: ٣٤.

(٣) فروع الكافي ٣: ٣٢٣.

ثمّ قال في السجدة الثانية :

أَسْأَلُكَ بِحَقِّ حَبيبِكَ مُحَمَّدٍ، إلّا كَفَيْتَني مؤُونَةَ الدُّنْيا، وَكُلَّ هَوْلٍ دونَ الْجَنَّةِ.

ثمّ قال في الثالثة :

أَسْأَلُكَ بِحَقِّ حَبيبِكَ مُحَمَّدٍ لَما غَفَرْتَ لي الْكَثيرَ مِنَ ذُنوبي وَالْقَليلَ، وَقَبِلْتَ مِنّي الْعَمَلَ الْيَسيرَ.

ثمّ قال في الرابعة :

أَسْأَلُكَ بِحَقِّ حَبيبِكَ مُحَمَّدٍ لَما أَدْخَلْتَني الْجَنَّةَ، وَجَعَلْتَني مِنْ سُكّانِها، وَلَما نَجَّيْتَني مِنْ سَفَعاتِ النّارِ[1] بِرَحْمَتِكَ، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ »[2].

وكشفت هذه الأدعية عن شدّة تعلّقه بالله ، وعظيم إنابته إليه ، وتمسّكه بطاعته عزّ وجلّ .

٤ ـ دعاؤه عليه السلام في قنوته

وأُثرت عنه بعض الأدعية التي كان يدعو بها في قنوته ، وهي :

١ ـ اللّٰهُمَّ إنَّ عَدُوّي قَدِ اسْتَسَنَّ في عُدْوانِهِ، وَاسْتَمَرَّ في عُدْوانِهِ، وَأَمِنَ بِما شَمِلَهُ مِنَ الْحِلْمِ عاقِبَةَ جُرْأَتِهِ عَلَيْكَ، وَتَمَرَّدَ في مُبايَنَتِكَ،

---

(١) **سفعات النّار** : هي لفحات السعير التي تغيّر بشرة الإنسان لشدّة حرارتها .

(٢) فروع الكافي : ٣ : ٣٢٢ .

وَلَكَ اللّهُمَّ لَحظاتُ سَخَطٍ بَياتاً وَهُمْ نائِمونَ، وَنَهاراً وَهُمْ غافِلونَ، وَجَهْرَةً وَهُمْ يَلْعَبونَ، وَبَغْتَةً وَهُمْ ساهُونَ، وَإِنَّ الْخِناقَ قَدِ اشْتَدَّ، وَالْوِثاقَ قَدِ احْتَدَّ، وَالْقُلوبَ قَدْ مُحِيَتْ، وَالْعُقولَ قَدْ تَنَكَّرَتْ، وَالصَّبْرَ قَدْ أَوْدىٰ، وَكادَتْ تَنْقَطِعُ حَبائِلُهُ، فَإِنَّكَ لَبِالْمِرْصادِ مِنَ الظّالِمِ، وَمُشاهَدَةٍ مِنَ الْكاظِمِ، لا يُعَجِّلُكَ فَوْتُ دَرْكٍ، وَلا يُعْجِزُكَ احْتِجازُ مُحْتَجِزٍ.

وَإِنَّما مُهِّلَ اسْتِثْباتاً، وَحُجَّتُكَ عَلَى الْأَحْوالِ الْبالِغَةِ الدّامِغَةِ، وَبِعُبَيْدِكَ ضَعْفُ الْبَشَرِيَّةِ وَعَجْزُ الْإِنْسانِيَّةِ، وَلَكَ سُلْطانُ الْإِلٰهِيَّةِ، وَمَلَكَةُ الْبَرِيَّةِ، وَبَطْشَةُ الْأَناةِ، وَعُقوبَةُ التَّأْبيدِ.

اللّهُمَّ إِنْ كانَ فِي الْمُصابَرَةِ لِحَرارَةِ الْمُعانِ مِنَ الظّالِمينَ، وَكَمَدِ مَنْ يُشاهَدُ مِنَ الْمُبَدِّلينَ رِضاً لَكَ، وَمَثُوبَةً مِنْكَ، فَهَبْ لَنا مَزيداً مِنَ التَّأْييدِ، وَعَوْناً مِنَ التَّسْديدِ إِلىٰ حينِ نُفوذِ مَشيئَتِكَ فيمَنْ أَسْعَدْتَهُ وَأَشْقَيْتَهُ مِنْ بَرِيَّتِكَ، وَامْنُنْ عَلَيْنا بِالتَّسْليمِ لِمَحْتُوماتِ أَقْضِيَتِكَ، وَالتَّجَرُّعِ لِوارِداتِ أَقْدارِكَ، وَهَبْ لَنا مَحَبَّةً لِما أَحْبَبْتَ فِي مُتَقَدِّمٍ وَمُتَأَخِّرٍ، وَمُتَعَجَّلٍ وَمُتَأَجَّلٍ، وَالْإِيثارَ لِما اخْتَرْتَ في مُسْتَقْرَبٍ وَمُسْتَبْعَدٍ، وَلا تُخْلِنا مَعَ ذٰلِكَ مِنْ عَواطِفِ رَأْفَتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَكِفايَتِكَ وَحُسْنِ كَلاءَتِكَ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ(١).

لا أكاد أعرف وثيقة سياسيّة حفلت بتحديد الأوضاع الراهنة في البلاد في ذلك

---

(١) بحار الأنوار: ٨٢: ٢١٧. مهج الدعوات: ٥١.

العصر كهذا الدعاء الذي تحدّث فيه الإمام عليه السلام عن الأزمات السياسيّة التي عاناها المسلمون أيّام الحكم الأموي المعاصر له ، خصوصاً عهد الطاغية عبدالملك بن مروان الذي جهد على إذلال المسلمين ، وإرغامهم على ما يكرهون ، وقد سلّط عليهم الطاغية الحجّاج بن يوسف الثقفي الذي عاث في دينهم ودنياهم ، وسعى في الأرض فساداً ، فلم يترك لوناً من ألوان الظلم إلّا صبّه على المسلمين حتّى طاشت الأحلام ، وبلغت القلوب الحناجر ، وأودى الصبر وانقطعت حبائله ، والإمام يطلب من الله أن ينقذ المسلمين من محنتهم ، وينزل عقابه الصارم بالمردة الظالمين .

٢ ـ كان عليه السلام يدعو بهذا الدعاء في قنوته :

« يا مَنْ يَعْلَمُ هَواجِسَ السَّرائِرِ ، وَمَكامِنَ الضَّمائِرِ ، وَحَقائِقَ الْخَواطِرِ . يا مَنْ هُوَ لِكُلِّ غَيْبٍ حاضِرٌ ، وَلِكُلِّ مَنْسِيٍّ ذاكِرٌ ، وَعَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قادِرٌ ، وَإِلَى الْكُلِّ ناظِرٌ بَعُدَ الْمَهَلُ ، وَقَرُبَ الْأَجَلُ ، وَضَعُفَ الْعَمَلُ ، وَأَرْأَبَ الْأَمَلُ وَآنَ الْمُنْتَقَلُ .

وَأَنْتَ يا اللهُ آخِرُ كَما أَنْتَ الْأَوَّلُ ، مُبْدِئُ ما أَنْشَأْتَ ، وَمُصَيِّرُهُمْ إِلَى الْبِلىٰ ، وَمُقَلِّدُهُمْ أَعْمالَهُمْ ، وَمُحَمِّلُها ظُهُورَهُمْ إِلىٰ وَقْتِ نُشُورِهِمْ مِنْ بَعْثَةِ قُبُورِهِمْ عِنْدَ نَفْخَةِ الصُّورِ ، وَانْشِقاقِ السَّماءِ بِالنّورِ ، وَالْخُروجِ بِالْمَنْشَرِ إِلىٰ ساحَةِ الْمَحْشَرِ ، لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ ، مُتَراطِمينَ في غُمَّةٍ مِمّا أَسْلَفوا ، وَمُطالَبينَ بِما احْتَقَبوا ، وَمُحاسَبينَ هُناكَ عَلىٰ ما ارْتَكَبوا ، الصَّحائِفُ في الْأَعْناقِ مَنْشُورَةٌ ، وَالْأَوْزارُ عَلَى الظُّهورِ مَأْزُورَةٌ ، لا انْفِكاكَ وَلا مَناصَ وَلا مَحيصَ عَنِ الْقِصاصِ ، قَدْ أَفْحَمَتْهُمُ الْحُجَّةُ ، وَحَلُّوا في حَيْرَةِ الْمَحَجَّةِ ، هَمَسُوا الضَّجَّةَ ، مَعْدولٌ بِهِمْ عَنِ

الْمَحجَّةِ، إلّا مَنْ سَبقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ الْحُسْنىٰ، فَنُجِّيَ مِنْ هَوْلِ الْـمَشْهَدِ، وَعَظيمِ الْمَوْرِدِ، وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ في الدُّنْيا تَمَرَّدَ، وَلا عَلىٰ أَوْلِياءِ اللهِ تَعَنَّدَ، وَلَهُمُ اسْتَعْبَدَ، وَعَنْهُمْ بِحُقوقِهِمْ تَفَرَّدَ.

اللّٰهُمَّ فَإنَّ الْقُلوبَ قَدْ بَلَغَتِ الْحَناجِرَ، وَالنُّفوسَ قَدْ عَلَتِ التَّراقِيَ، وَالْأَعْمارَ قَدْ نَفَدَتْ بِالْإنْتِظارِ، لا عَنْ نَقْصِ اسْتِبْصارٍ، وَلا عَنِ اتِّهامِ مِقْدارٍ، وَلٰكِنْ لِما تُعاني مِنْ رُكوبِ مَعاصيكَ، وَالْخِلافِ عَلَيْكَ في أَوامِرِكَ وَنَواهيكَ، وَالتَّلَعُّبِ بِأَوْلِيائِكَ، وَمُظاهَرَةِ أَعْدائِكَ.

اللّٰهُمَّ فَقَرِّبْ ما قَدْ قَرُبَ، وَأَوْرِدْ ما قَدْ دَنا، وَحَقِّقْ ظُنونَ الْـمُوقِنينَ، وَبَلِّغِ الْمُؤْمِنينَ تَأْميلَهُمْ مِنْ إقامَةِ حَقِّكَ، وَنَصْرِ دينِكَ، وَإظْهارِ حُجَّتِكَ، وَالْإنْتِقامِ مِنْ أَعْدائِكَ»[١].

وحفل هذا الدعاء الشريف بإعطاء صورة عن سعة علم الله وإحاطته بكلّ شيء، الظاهر والخفي، كما حفل بذكر المعاد، وحشر الناس جميعاً يوم القيامة لعرضهم للحساب أمام الله، وهم يحملون على ظهورهم وزر ما عملوه في دار الدنيا، وأنّهم مطالبون بما اقترفوه، ومحاسبون على ما عملوه، ولا ينجو من أهوال ذلك المشهد الرهيب إلّا من سبقت له من الله الحسنى، ولم يكن من المتمرّدين في دار الدنيا، ولا من المستعبدين لعباد الله، وفيه تعرض بحكّام الأمويّين الذين اتّخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، وأنّ القلوب قد بلغت الحناجر من ظلمهم وجورهم حسبما يقول عليه السلام.

---

(١) مهج الدعوات: ٥٢.

حجّه عليه السلام

وكان الإمام أبو جعفر عليه السلام إذا حجّ البيت الحرام انقطع إلى الله وأناب إليه ، وتظهر عليه آثار الخشوع والطاعة ، وقد روى مولاه أفلح ، قال : « حججت مع أبي جعفر محمّد الباقر ، فلمّا دخل إلى المسجد رفع صوته بالبكاء ، فقلت له : بأبي أنت وأمّي ، إنّ الناس ينظرونك فلو خفضت صوتك قليلاً.

فلم يعن به الإمام وراح يقول له : **وَيْحَكَ يا أَفْلَحُ ! إنّي أَرْفَعُ صَوْتي بِالْبُكاءِ لَعَلَّ اللهَ يَنْظُرُ إلَيَّ بِرَحْمَةٍ فَأَفوزَ بِها غداً** .

ثمّ إنّه طاف بالبيت ، وجاء حتّى ركع خلف المقام ، فلمّا فرغ وإذا بموضع سجوده قبل ابتلّ من دموع عينيه »[١] .

وحجّ عليه السلام مرّة وقد احتفّ به الحجّاج ، وازدحموا عليه وهم يستفتونه عن مناسكهم ، ويسألونه عن أُمور دينهم ، والإمام يجيبهم ، وبهر الناس من سعة علومه ، وأخذ بعضهم يسأل بعضاً عنه ، فانبرى إليهم شخص من أصحابه فعرّفه لهم قائلاً: « ألا إنّ هذا باقر علم الرسل ، وهذا مبيّن السبل ، وهذا خير من رسخ في أصلاب أصحاب السفينة ، هذا ابن فاطمة الغرّاء العذراء الزهراء ، هذا بقيّة الله في أرضه ، هذا ناموس الدهر ، وهذا ابن محمّد وخديجة وعليّ وفاطمة ، هذا منار الدين القائمة »[٢] .

ولم تذكر المصادر التي بأيدينا عدد حجّه إلى بيت الله الحرام ، فقد أهملت ذلك .

مناجاته عليه السلام مع الله

كان الإمام عليه السلام يناجي الله تعالى في غلس الليل البهيم ، وكان ممّا قاله في

---

(١) صفة الصفوة : ٢ : ٦٣ . تاريخ دمشق : ٥١ : ٤٤ . مرآة الزمان : ٥ : ٧٩ . نور الأبصار : ١٣٠ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٨٣ .

مناجاته : **أَمَرْتَني فَلَمْ أَئْتَمِرْ، وَزَجَرْتَني فَلَمْ أَنْزَجِرْ، ها أَنذا عَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ »**[١].

ذِكره عليه السلام لله تعالى

ويقول المؤرخون : إنّه كان دائم الذكر لله ، وكان لسانه يلهج بذكر الله في أكثر أوقاته ، فكان يمشي ويذكر الله ، ويحدّث القوم ، وما يشغله ذلك عن ذكره تعالى ، وكان يجمع ولده ويأمرهم بذكر الله حتّى تطلع الشمس ، كما كان يأمرهم بقراءة القرآن ، ومن لا يقرأ منهم أمره بذكر الله[٢].

زهده عليه السلام في الدنيا

وزهد الإمام أبو جعفر عليه السلام في جميع مباهج الحياة ، وأعرض عن زينتها ، فلم يتّخذ الرياش في داره ، وإنّما كان يفرش في مجلسه حصيراً[٣].

لقد نظر إلى الحياة بعمق وتبصّر في جميع شؤونها ، فزهد في ملاذّها ، واتّجه نحو الله تعالى بقلب منيب .

يقول جابر بن يزيد الجعفي : « قال لي محمّد بن عليّ : **يا جابِرُ ، إِنّي لَمَحْزُونٌ ، وَإِنّي لَمُشْتَغِلُ الْقَلْب** .

فانبرى إليه جابر قائلاً : ما حزنك وما شغل قلبك ؟

فأجابه عليه السلام بما أحزنه وزهّده في هذه الحياة قائلاً : **يا جابِرُ ، إِنَّهُ مَنْ دَخَلَ قَلْبَهُ صافِي دينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شَغَلَهُ عَمّا سِواهُ** .

---

(١) حلية الأولياء : ٣ : ١٨٢ . صفة الصفوة : ٢ : ٦٣ . نور الأبصار : ١٣٠ .

(٢) أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل : ٤ : ٤٧١ .

(٣) دعائم الإسلام : ٢ : ١٥٨ .

يا جابِرُ ، ما الدُّنيا ، وَما عَسىٰ أَنْ تَكونَ؟ هَلْ هِيَ إِلَّا مَرْكَبٌ رَكِبْتَهُ ، أَوْ ثَوْبٌ لَبِسْتَهُ ، أَوِ امْرَأَةٌ أَصَبْتَها »(١) .

وأُثرت عنه كلمات كثيرة في الحثّ على الزهد ، والإقبال على الله ، والتحذير من غرور الدنيا وآثامها ، يعرض لها هذا الكتاب ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض مظاهر شخصيّته المشرقة .

(١) تاريخ دمشق : ٥٤ : ٢٨٠ ـ ٢٨١ . البداية والنهاية : ٩ : ٣١٠ .

مواهبه وعبقرياته العلمية

وتفجّرت مواهب الإمام أبي جعفر عليه السلام وعبقريّاته بطاقات هائلة من العلم شملت جميع أنواع العلوم والمعارف من الحديث والفلسفة وعلم الكلام والفقه والحكم العالية والآداب السامية، مضافاً إلى الملاحم وهي الأحداث التي أخبر عنها قبل وقوعها، ثمّ تحقّقت بعد ذلك على مسرح الحياة.

والذي يدلّل على مدى سعة علومه أنّه مع كثرة ما انتهل العلماء من نمير علومه، فإنّه كان يجد في نفسه ضيقاً وحرجاً لكثرة ما عنده من العلوم التي لم يجد لبثّها ونشرها سبيلاً، فكان ـ فيما يقول الرواة ـ يصعّد آهاته ويقول بحسرات: **لَوْ وَجَدْتُ لِعِلْمي الَّذي آتانِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَنَشَرْتُ التَّوْحيدَ وَالْإِسْلامَ وَالدِّينَ وَالشَّرائِعَ، وَكَيْفَ لي بِذلِكَ، وَلَمْ يَجِدْ جَدّي أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام حَمَلَةً لِعِلْمِهِ حَتّىٰ كانَ يَتَنَفَّسُ الصُّعَداءَ وَيَقولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَلوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدوني، فَإِنَّ بَيْنَ الْجَوانِحِ عِلْماً جَمّاً**[1].

وأجمع المؤرّخون والرواة على أنّه كان من أثرى رجال الفكر والعلم في عصره في مواهبه وقدراته العلميّة، وأنّه ممّن رفع منار العلم، وأبرز حقائقه، وأظهر كنوزه حسبما أدلى به المترجمون له.

كما ألمعنا إلى ذلك في البحوث السابقة.. وقبل البحث عن العلوم التي خاضها نتعرّض إلى بعض النقاط التي ترتبط بالموضوع:

---

(١) التوحيد: ٩٢. بحار الأنوار: ٣: ٢٢٥.

الحياة العلميّة في عصره عليه السلام

ومنيت الحركة العلميّة ـ في عصر الإمام ـ بكثير من الجمود والخمول، فلم يعد لها أي ظلّ على واقع الحياة، فقد جرفت الناس التيّارات السياسيّة، وتهالكت البيوتات الرفيعة على الظفر بالحكم، فزجّت بطاقاتها البشريّة والماليّة في حروب طاحنة مريعة ومذهلة منيت الأُمّة فيها بأفدح الخسائر وأفظع النكبات.

لقد اتّجهت الأُمّة اتّجاهاً عسكريّاً مدمّراً فيما بينها، ولم يكن فيها أي بصيص لنور العلم والفكر، فقد خبأ ذلك النور الذي فجّره الإسلام في العالم، وأراد للبشريّة أن تسير على ضوئه لتحقّق أهدافها من الأمن والرخاء والتطوّر.

الدور المشرق للإمام عليه السلام

أطلّ الإمام أبو جعفر عليه السلام على عالم مليء بالفتن والاضطرابات والأحداث، ورأى الأُمّة الإسلاميّة قد فقدت جميع مقوّماتها، ولم تعد كما يريدها الله في وحدتها وتكاملها وتطوّرها في ميادين العلم والانتاج.

ووجّه الإمام عليه السلام بحكم قيادته الروحيّة جهده لإعادة مجد الأُمّة، وبناء كيانها الحضاري، فرفع منار العلم، وأقام صروح الفكر، وقد انصرف عن كلّ تحرّك سياسي، واتّجه صوب العلم وحده متفرّغاً له.

يقول المستشرق (روايت م. رونلدس): «وعاش مكرّماً متفرّغاً للعلم في عزلته بالمدينة، وكان الناس يأتونه فيسألونه عن الإمامة»[١].

وقد خفّ إليه زمرة من أعيان الأُمّة لتلقّي العلوم منه، وكان ممّن وفد عليه العالم الكبير جابر بن يزيد الجعفي، فقد قال له الإمام في أوّل التقائه به: **مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟**

---

(١) عقيدة الشيعة: ١٢٣.

- من أهل الكوفة.

- **مِمَّنْ؟**

- من جعف.

- **ما أَقْدَمَكَ هُنا؟**

- طلب العلم؟

- **مِمَّنْ؟**

- منك[١].

وقد أخذت الوفود العلميّة تترى إليه لتأخذ عنه العلوم والمعارف. يقول الشيخ أبو زهرة: «وما قصد أحد من العلماء مدينة النبيّ ﷺ إلّا عرج عليه ليأخذ عنه معالم الدين»[٢].

وقد أخذ عنه أهل الفقه ظاهر الحلال والحرام[٣].

وعلى أيّ حال، فقد استمدّ العالم الإسلامي من الإمام جميع مقوّمات نهوضه وارتقائه، ولم يقتصر المدّ الثقافي الذي يستند إليه على عصره، وإنّما امتدّ إلى سائر العصور التي تلت بعده، فقد تبلورت الحياة العلميّة، وتطوّرت العلوم تطوّراً هائلاً ممّا ازدهرت به الحياة العلميّة في الإسلام.

إنّ الحياة الثقافيّة في الإسلام مدينة لهذا الإمام العظيم، فهو الباعث والقائد لها على امتداد التاريخ.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٣٣١.

(٢) الإمام زيد: ٢٢.

(٣) عيون الأخبار وفنون الآثار: ٢١٣.

العلوم التي بحثها عليه السلام

وخاض الإمام عدّة علوم في بحوثه التي ألقاها على العلماء في الجامع النبويّ أو في بهو بيته ، وكان من بينها :

الحديث

وأوْلى الإمام أبو جعفر عليه السلام المزيد من اهتمامه في الحديث الوارد عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعن آبائه الأئمّة الطيّبين عليهم السلام ، فهو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، وله الأهميّة البالغة في الشريعة الإسلاميّة ، فهو يتولّى تخصيص عمومات الكتاب ، وتقييد مطلقاته ، وبيان ناسخه من منسوخه ، ومجمله من مبيّنه .

كما يعرض لأحكام الفقه من العبادات والمعاملات ، وإعطاء القواعد الكلّيّة التي يتمسّك بها الفقهاء في استنباطهم للحكم الشرعي ، وبالإضافة إلى ذلك كلّه فإنّ فيه بنوداً مشرقة لآداب السلوك ، وقواعد الاجتماع ، وتنظيم الأُسرة ، وصيانتها من التلوّث بجرائم الآثام ، إلى غير ذلك ممّا يحتاج إليه الناس في حياتهم الفرديّة والاجتماعيّة ، فلذلك عنى به الإمام أبو جعفر عليه السلام ، وتبنّاه بصورة إيجابيّة ، وقد روى عنه جابر بن يزيد الجعفي سبعين ألف حديث ، وأبان بن تغلب مجموعة كبيرة ، كما روى عنه غيرهما من أعلام أصحابه طائفة كبيرة من الأخبار .

والشيء المهمّ أنّ الإمام أبا جعفر عليه السلام قد اهتمّ بفهم الحديث ، والوقوف على معطياته ، وقد جعل المقياس في فضل الراوي هو فهمه للحديث ومعرفة مضامينه ، فقد روى يزيد الرزّاز عن أبيه ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، عن أبيه ، أنّه قال له : « **اعْرِفْ مَنازِلَ الشِّيعَةِ عَلىٰ قَدْرِ رِواياتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ ، فَإنَّ الْمَعْرِفَةَ هِيَ الدِّرايَةُ لِلرِّوايَةِ ، وَبِالدِّرايَةِ لِلرِّوايَةِ يَعْلو الْمُؤْمِنُ إلىٰ أَقْصىٰ دَرَجاتِ الْإيْمانِ .**

إِنّي نَظَرْتُ في كِتابٍ لِعَلِيٍّ فَوَجَدْتُ في الْكِتابِ أَنَّ قيمَةَ كُلِّ امْرِئٍ وَقَدْرَهُ مَعْرِفَتُهُ أَنَّ

اللهَ تَعالىٰ يُحاسِبُ النّاسَ عَلىٰ قَدْرِ ما آتاهُمْ مِنَ الْعِقولِ في دارِ الدُّنْيا »[١].

إنّ وعي الراوي للحديث ووقوفه على معناه ممّا يستدلّ به على سموّ منزلته، وعظيم مكانته العلميّة.

ولشدّة اهتمام الإمام عليه السلام وعنايته بالحديث فقد وضع بعض القواعد لتمييز الصحيح من غيره عند تعارض الأخبار، سنذكرها عند البحث عن علم الأُصول الذي خاضه الإمام عليه السلام.

روايات الأئمّة عليهم السلام

أمّا روايات الأئمّة الطاهرين عليهم السلام التي أُثرت عنهم في عالم التشريع والأحكام، فهي لا تحكي آراءهم الخاصّة، وإنّما هي امتداد لقول الرسول صلى الله عليه وآله ورأيه، ولذا ألحقت بالسنّة ـ عند الشيعة ـ وقد ألمع إلى ذلك الإمام أبو جعفر عليه السلام في حديثين له مع جابر بن يزيد الجعفي:

١ ـ قال عليه السلام لجابر: **« إنّا لَوْ كُنّا نُحدِّثُكُمْ بِرَأْينا لَكُنّا مِنَ الْهالِكينَ، وَلكِنّا نُحَدِّثُكُمْ بِأَحاديثَ نَكْنِزُها عَنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كَما يَكْنِزُ هٰؤُلاءِ ذَهَبَهُمْ وَفِضَّتَهُمْ »**[٢].

٢ ـ قال عليه السلام لجابر: **« وَاللهِ يا جابِرُ لَوْ كُنّا نُحَدِّثُ النّاسَ أَوْ حَدَّثْناهُمْ بِرَأْيِنا لَكُنّا مِنَ الْهالِكينَ، وَلكِنّا نُحَدِّثُهُمْ بِآثارٍ عِنْدَنا مِنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يَتَوارَثُها كابِرٌ عَنْ كابِرٍ، نَكْنِزُها كَما يَكْنِزُ هٰؤُلاءِ ذَهَبَهُمْ وَفِضَّتَهُمْ »**[٣].

إذن فلم تستند أحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام لهم، وإنّما تستند إلى جدّهم

---

(١) ناسخ التواريخ: ٢: ٢١٩. وانظر: الكافي: ١: ٥٠، الحديث ١٣. رجال الكشّي: ١/٣ ـ ٣. بحار الأنوار: ٢: ٨٢، الحديث ١ و: ١٤٨، الحديث ٢٠ و: ١٥٠، الحديث ٢٣ و ٢٤، باختلاف.

(٢) و (٣) ناسخ التواريخ: ٢: ٢١٧.

الرسول ﷺ، وهم الذين حافظوا على تراثه العلمي فكنزوه كما يكنز الناس الذهب والفضّة.

أحاديث الإمام الباقر عليه السلام

أمّا أحاديث الإمام أبي جعفر عليه السلام عن جدّيه رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهي على قسمين:

القسم الأوّل: مرسلة، وهي التي لم يذكر فيها رجال السند، وينسب الإمام عليه السلام الحديث رأساً إلى النبيّ ﷺ، أو للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد سئل عليه السلام عن سنده في ذلك، فقال: **إذا حَدَّثْتُ بِالْحَديثِ فَلَمْ أَسْنِدْهُ فَسَنَدي فيهِ أَبي زَيْنُ الْعابِدينَ، عَنْ أَبيهِ الْحُسَيْنِ الشَّهيدِ، عَنْ أَبيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ، عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ، عَنْ جَبْرَئيلَ، عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**(١).

القسم الثاني: المسندة، وهي التي يذكر فيه سنده عن آبائه الطاهرين، عن رسول الله ﷺ.

وسواء أكانت روايته مرسلة أم مسندة فهي حجّة بلا خلاف عند الشيعة إن صحّ طريق سندها إليه، وإلّا فتعامل معاملة بقيّة الأخبار التي فيها الضعيف والموثّق والحسن.

١ ـ رواياته عليه السلام عن النبيّ ﷺ

أمّا أحاديثه عليه السلام عن النبيّ ﷺ فهي تتعلّق تارة بالفقه الإسلامي، وقد عرضت لها موسوعات الفقه والحديث، وأُخرى بآداب السلوك والأخلاق، كما عرضت بعضها لفضل العترة الطاهرة ولزوم مودّتها، وفيما يلي ذلك:

---

(١) إعلام الورى: ١: ٥٠٩.

١ ـ روى عليه السلام عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ فَضْلِ الْعِبادَةِ، وَأَفْضَلُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ**»(١).

وفي هذا الحديث دعوة إلى طلب العلم، والحثّ عليه، فهو أفضل من العبادة التي لا ينتفع بها إلّا صاحبها، كما فيه الحثّ على الورع عن محارم الله، والاجتناب عن المآثم التي تؤدّي إلى سقوط الشخص وانحرافه عن الطريق القويم.

٢ ـ روى عليه السلام عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**ما جُمِعَ شَيْءٌ إِلىٰ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ حِلْمٍ إِلىٰ عِلْمٍ**»(٢).

إنّ الاتّصاف بالعلم والحلم ممّا يرفع مستوى الشخص، ويميّزانه عن غيره، فليس هناك شيء أفضل من هاتين الخصلتين.

٣ ـ روى عليه السلام بسنده عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «**فَوْقَ كُلِّ بِرٍّ بِرٌّ، فَإِذا قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بِرٌّ، وَفَوْقَ كُلِّ عُقوقٍ عُقوقٌ، حَتّىٰ يَقْتُلَ الرَّجُلُ أَحَدَ والِدَيْهِ، فَإِذا قَتَلَ أَحَدَهُما فَلَيْسَ فَوْقَهُ عُقوقٌ**»(٣).

إنّ منتهى البرّ وغايته هي الشهادة في سبيل الله، فإذا استشهد الشخص من أجل ذلك فقد انتهى إلى غاية البرّ، كما أنّ منتهى الإثم والعقوق هي قتل الرجل أحد والديه، فإذا فعل ذلك فقد سقط في حضيض من الإثم ليس له من قرار.

٤ ـ روى عليه السلام عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ نَشَرَ اللهُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ في رَحْمَتِهِ: حُسْنُ خُلُقٍ يَعيشُ بِهِ فِي النّاسِ، وَرِفْقٌ بِالْمَكْروبِ، وَشَفَقَةٌ عَلَى الْوالِدَيْنِ، وَإِحْسانٌ إِلَى الْمَمْلوكِ**»(٤).

---

(١) الخصال: ٤، الحديث ٩. تحف العقول: ٤١.

(٢) الخصال: ٥، الحديث ١١.

(٣) الخصال: ١٠، الحديث ٣١.

(٤) الخصال: ٢٢٥، الحديث ٥٧.

وفي هذا الحديث دعوة إلى مكارم الأخلاق ، وحسن السلوك بين الناس ، والرفق والرحمة بالمعذّبين والمنكوبين .

٥ - روى عليه السلام عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنه قال : « **أَرْبَعٌ يُمِتْنَ الْقَلْبَ : الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ ، وَكَثْرَةُ مُناقَشَةِ النِّساءِ** ـ يعني محادثتهن ـ **وَمُماراةُ الأَحْمَقِ ، تَقولُ وَيَقولُ ، وَلَا يَرْجِعُ إِلىٰ خَيْرٍ أَبَداً ، وَمُجالَسَةُ الْمَوْتىٰ .**

فَقيلَ لَهُ : يا رَسولَ اللهِ ، وَما الْمَوْتىٰ ؟

قالَ : كُلُّ مُتْرَفٍ »[١] .

وحذّر النبيّ صلى الله عليه وآله عن هذه الأمور لأنّها تميت الضمير ، ويقسو بها القلب ، وقد حرص الإسلام كلّ الحرص على ضمير الإنسان فأراده أن يكون واعياً متفتّحاً متنوّراً رحيماً .

٦ - روى عليه السلام عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنّه قال : « **أَرْبَعٌ مِنْ عَلاماتِ الشَّقاءِ : جُمُودُ الْعَيْنِ ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ ، وَشِدَّةُ الْحِرْصِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ ، وَالْإِصْرارُ عَلَى الذَّنْبِ** »[٢] .

وحذّر النبيّ صلى الله عليه وآله من هذه الأمور التي تبعد الإنسان عن ربّه ، وتلقيه في شرّ عظيم .

٧ - روى عليه السلام عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنّه قال : « **لَا تَزولُ قَدَمَ عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيامَةِ حَتّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمُرِهِ فيما أَفْناهُ ، وَعَنْ شَبابِهِ فيما أَبْلاهُ ، وَعَنْ مالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفيما أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ حُبِّنا أَهْلَ الْبَيْتِ** »[٣] .

إنّ الله تعالى ليسأل هذا الإنسان في يوم حشره عن كلّ شأن من شؤون حياته في

---

(١) الخصال : ٢٢٨ ، الحديث ٦٥ .

(٢) الخصال : ٢٤٢ ، الحديث ٩٦ . تحف العقول : ٤٧ .

(٣) الخصال : ١٥٣ ، الحديث ١٢٥ .

الدنيا ، فيسأله عن عمره ، هل أنفقه في طاعته ورضاه ليجزل له الثواب ، أو أنّه صرفه في اقتراف الإثم وظلم العباد ليعاقبه عليه ، وكذلك يسأله بصورة خاصّة عن شبابه فيما أبلاه كما يحاسبه على أمواله هل اكتسبها بصورة مشروعة حتّى لا يؤاخذ عليها ، أو أنّه اكتسبها من الحرام ليعاقب عليها ، وكذلك يسأله عن الولاء لأهل البيت عليهم السلام الذين هم مصدر النور والخير في الأرض ، فإن كان متمسّكاً بولائهم فقد فاز ونجا ، وإن كان منحرفاً عنهم فقد ظلّ وغوى .

٨ ـ روى عليه السلام عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنّه قال : « **مَنْ باعَ وَاشْتَرىٰ فَلْيَجْتَنِبْ خَمْسَ خِصالٍ ، وَإِلّا فَلا يَبيعَنَّ وَلا يَشْتَرِيَنَّ : الرِّبا ، وَالْحَلْفَ ، وَكِتْمانَ الْعَيبِ ، وَالْمَدْحَ إِذا باعَ ، وَالذَّمَّ إِذا اشْتَرىٰ** »(١) .

وعلى ضوء هذا النصّ أفتى الفقهاء في كتاب البيع بما يلي :

١ ـ أن يتفقّه البائع والمشتري في شؤون المعاملات ليتجنّبا المعاملات الربويّة التي هي من أعظم المحرّمات في الإسلام .

٢ ـ أن يجتنبا اليمين في المعاملة ، فإنّهما إذا كانا صادقين فيكره لهما ذلك ، وأمّا إذا كانا كاذبين فإنّهما يقترفان الإثم والحرام .

٣ ـ أن لا يكتما العيب ، سواء أكان ذلك في الثمن أم في المثمّن ، وإذا حصل الكتمان وظهر أمره فللمغرور خيار الفسخ ونقض المعاملة .

٤ ـ أن يجتنب البائع مدح سلعته .

٥ ـ أن لا يذمّ المشتري ما اشتراه إذا كان سليماً .

٩ ـ روى عليه السلام عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنّه قال في وصيّته للإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **يا عَلِيُّ ، أَرْبَعَةٌ يَذْهَبْنَ ضَياعاً : الْأَكْلُ بَعْدَ الشِّبْعِ ، وَالسِّراجُ في الْقَمَرِ ،**

---

(١) الخصال : ٢٨٥ ، الحديث ٣٨ .

وَالزَّرْعُ في الْأَرْضِ السَّبْخَةِ ، وَالصَّنيعَةُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِها »(١) .

١٠ ـ روى عليه السلام عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنّه قال : « **خَمْسٌ لَا أَدَعُهُنَّ حَتّىٰ الْمَماتِ : الْأَكْلُ عَلَى الْحَضيضِ**(٢) **مَعَ الْعَبيدِ ، وَرُكوبِ الْحِمارِ مُؤْكَفاً**(٣) **، وَحَلْبُ الْعَنْزِ بِيَدِي ، وَلِبْسُ الصُّوفِ ، وَالتَّسْليمُ عَلَى الصِّبْيانِ لِتَكونَ سُنَّةً مِنْ بَعْدي »**(٤) .

وهذه الأُمور من معالي أخلاقه صلى الله عليه وآله التي ساد بها على سائر النبيّين ، وجلب بها الناس إلى حضيرة الإيمان والإسلام .

١١ ـ روى عليه السلام عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنّه قال في وصيّته إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **يا عَلِيُّ ، بادِرْ بِأَرْبَعٍ قَبْلَ أَرْبَعٍ : بِشَبابِكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِناكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَحَياتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ »**(٥) .

ودعا النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المبادرة لفعل الخير ، واغتنام الفرص للعمل إلى ما يقرّب العبد إلى خالقه ، قبل أن يفوت الأوان ، فيخسر الإنسان ما أعدّه الله له من النعم في دار الآخرة .

١٢ ـ روى عليه السلام عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنّه قال على منبره : « **أَلا إِنَّ خَيْرَ الْأَسْماءِ عَبْدُاللهِ ، وَعَبْدُالرَّحْمنِ ، وَحارِثَةُ ، وَهَمّامُ ، وَشَرَّ الْأَسْماءِ ضِرارٌ ، وَمُرَّةُ وَحَرْبٌ ، وَظالِمٌ »**(٦) .

---

(١) الخصال : ٢٦٣ ، الحديث ١٤٣. وسائل الشيعة : ٥ : ٣٢١ ، الباب ١٢ من أبواب أحكام المسكن ، الحديث ١ .

(٢) **الحضيض** : القرار من الأرض عند أسفل الجبل .

(٣) **المؤكف** : وضع البرذعة أو غيرها على الحمار .

(٤) الخصال : ٢٧١ ، الحديث ١٢ .

(٥) الخصال : ٢٣٨ ، الحديث ٨٥ و : ٢٣٩ ، الحديث ٨٦ .

(٦) الخصال : ٢٤٥ و ٢٥٠ ، الحديث ١١٨ .

وأحبّ النبيّ ﷺ للمسلمين أن يسمّوا أبناءهم بتلك الأسماء الكريمة، وكره لهم أن يسمّوهم بتلك الأسماء الكريهة التي تحمل طابع الشرّ والسوء.

١٣ - روى عليه السلام عن آبائه: «أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النّاسَ في آخِرِ جُمْعَةٍ مِنْ شَهرِ شَعْبانَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ:

أَيُّها النّاسُ، قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ فيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَهُوَ شَهْرُ رَمضانَ، فَرَضَ اللهُ صِيامَهُ، وَجَعَلَ قِيامَ لَيْلَةٍ فيهِ بِتَطَوُّعِ صَلاةٍ كَمَنْ تَطَوَّعَ بِصَلاةِ سَبْعينَ لَيْلَةً فيما سِواهُ مِنَ الشُّهورِ، وَجَعَلَ لِمَنْ تَطَوَّعَ فيهِ بِخَصْلَةٍ مِنْ خِصالِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ كَأَجْرِ مَنْ أَدّىٰ فَريضَةً مِنْ فَرائِضِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ أَدّىٰ فيهِ فَريضَةً مِنْ فَرائِضِ اللهِ كانَ كَمَنْ أَدّىٰ فيهِ سَبْعينَ فَريضَةً فيما سِواهُ مِنَ الشُّهورِ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَإِنَّ الصَّبْرَ ثَوابُهُ الْجَنَّةُ، وَهُوَ شَهْرُ الْمُواساةِ(١)، وَهُوَ شَهْرٌ يَزيدُ اللهُ فيهِ أَرْزاقَ(٢) الْمُؤْمِنينَ، وَمَنْ فَطَّرَ فيهِ مُؤْمِناً صائِماً كانَ لَهُ بِذلِكَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عِتْقُ رَقَبَةٍ وَمَغْفِرَةٌ لِذنوبِهِ فيما مَضىٰ».

فَقيلَ لَهُ: يا رَسولَ اللهِ، لَيْسَ كُلُّنا نَقْدِرُ عَلىٰ أَنْ نُفَطِّرَ صائِماً.

فَقالَ: إِنَّ اللهَ تَعالىٰ كَريمٌ يُعْطي هٰذا الثَّوابَ مِنْكُمْ مَنْ لا يَقْدِرُ إِلّا عَلىٰ مَذْقَةٍ(٣) مِنْ لَبَنٍ يُفَطِّرُ بِها صائِماً، أَوْ شَرْبَةٍ مِنْ ماءٍ عَذْبٍ، أَوْ تُمَيْراتٍ لا يَقْدِرُ عَلىٰ أَكْثَرِ مِنْ ذٰلِكَ، وَمَنْ خَفَّفَ فيهِ عَنْ مَمْلوكِهِ خَفَّفَ اللهُ عَنْهُ حِسابَهُ، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَوَسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ إِجابَةٌ، وَالْعِتْقُ مِنَ النّارِ، وَلا غِنىٰ بِكُمْ فيهِ عَنْ أَرْبَعِ خِصالٍ: خَصْلَتَيْنِ تُرْضُونَ اللهَ تَعالىٰ بِهِما، وَخَصْلَتَيْنِ لا غِنىٰ بِكُمْ عَنْهُما.

أَمّا اللَّتانِ تُرْضونَ اللهَ تَعالىٰ بِهِما، فَشَهادَةُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلّا اللهُ، وَأَنّي رَسولُ اللهِ،

---

(١) في نسخة: «الْمُساواةِ».

(٢) في نسخة: «رِزْقَ».

(٣) **المذقة**: اللبن الممزوج بالماء، وميمه أصليّة.

وَأَمّا اللَّتانِ لا غِنىً بِكُمْ عَنْهُما ، فَتَسْأَلونَ اللهَ فيهِ حَوائِجَكُمْ وَالْجَنَّةَ ، وَتَسْأَلونَ اللهَ فيهِ الْعافِيَةَ ، وَتَتَعَوَّذونَ بِهِ مِنَ النّارِ»(١) .

إنّ لشهر رمضان قداسة وحرمة عند الله ، ففضّله على سائر الشهور ، ودعا فيه الرسول إلى الطاعة والبرّ والإحسان على الفقراء ، وخصّه بكثير من المميّزات على بقيّة الشهور .

١٤ ـ قال عليه السلام : « **سُئِلَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ خِيارِ الْعِبادِ ؟ فَقالَ : الَّذينَ إذا أَحْسَنوا اسْتَبْشَروا ، وَإذا أَساءُوا اسْتَغْفَروا ، وَإذا أُعْطوا شَكَروا ، وَإذا ابْتُلوا صَبَروا ، وَإذا غَضِبوا غَفَروا** »(٢) .

١٥ ـ روى عليه السلام عن آبائه : « **أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قالَ في وَصِيَّتِهِ لِعَلِيٍّ : يا عَلِيُّ ، في الزِّنا سِتُّ خِصالٍ ، ثَلاثٌ مِنْها في الدُّنْيا ، وَثَلاثٌ في الْآخِرَةِ .**

فَأَمّا الَّتي في الدُّنْيا : فَيَذْهَبُ بِالْبَهاءِ ، وَيُعَجِّلُ الْفَناءَ ، وَيَقْطَعُ الرِّزْقَ .

وَأَمّا الَّتي في الْآخِرَةِ فَسوءُ الْحِسابِ ، وَسَخَطُ الرَّحْمـٰنِ ، وَالْخُلودُ في النّارِ »(٣) .

إنّ الزنا آفة اجتماعيّة ، وكارثة مدمّرة للأخلاق ، وقد شدّد الإسلام فيه وتوعّد من يقترفه بأنواع العذاب في الدار الآخرة .

١٦ ـ روى عليه السلام عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنه قال : « **الْحُكْرَةُ في سِتَّةِ أَشْياءَ : في الْحِنْطَةِ ، وَالشَّعيرِ ، وَالتَّمْرِ ، وَالزَّبيبِ ، وَالسَّمْنِ ، وَالزَّيْتِ** »(٤) .

---

(١) الكافي : ٤ : ٦٦ ، الحديث ٤ . من لا يحضره الفقيه : ٢ : ٩٤ ، الحديث ١٨٣١ . الخصال : ٢٥٩ و ٢٦٠ ، الحديث ١٣٥ . بحار الأنوار : ٥٦ : ٣٥٩ ، الحديث ٢٦ .

(٢) الخصال : ٣١٧ ، الحديث ٩٩ .

(٣) الخصال : ٣٢٠ و ٣٢١ ، الحديث ٣ .

(٤) الخصال : ٣٢٩ ، الحديث ٢٣ .

الاحتكار هو أحد العوامل المؤدّية إلى شلّ الحركة الاقتصاديّة في البلاد ، وإلى شيوع الفقر والحاجة بين الناس ، وقد حاربه الإسلام وشدّد في أمره أعظم ما يكون التشدّد ، وألزم ولاة أمر المسلمين بتسعير السلع ، وعدم الاجحاف في حقّ المواطنين فيها .

١٧ ـ روى عليه السلام عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنّه قال : « **السُّحْتُ ثَمَنُ الْمَيْتَةِ ، وَثَمَنُ الْكَلْبِ ، وَثَمَنُ الْخَمْرِ ، وَمَهْرُ الْبَغِيِّ ، وَالرَّشْوَةُ في الْحُكْمِ ، وَأُجْرَةُ الْكاهِنِ** »(١) .

وحرّم الإسلام بذل المال بازاء هذه الأمور ، وجعل التعامل بها من أكل المال بالباطل ، لأنّها تؤدّي إلى تسيّب الأخلاق ، وشيوع الفساد في الأرض .

١٨ ـ روى عليه السلام عن آبائه : « **أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : سِتَّةٌ لَعَنَهُمُ اللهُ وَكُلُّ نَبِيٍّ مُجابٍ : الزّائِدُ في كِتابِ اللهِ ، وَالْمُكَذِّبُ بِقَدَرِ اللهِ ، وَالتّارِكُ لِسُنَّتي ، وَالْمُسْتَحِلُّ لِعِتْرَتي ما حَرَّمَ اللهُ ، وَالْمُتَسَلِّطُ بِالْجَبَروتِ لِيُذِلَّ مَنْ أَعَزَّهُ اللهُ ، وَيُعِزَّ مَنْ أَذَلَّهُ اللهُ ، وَالْمُسْتَأْثِرُ بِفَيْءِ الْمُسْلِمينَ الْمُسْتَحِلُّ لَهُ** »(٢) .

١٩ ـ روى عليه السلام عن آبائه : « **أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ لِعَلِيٍّ : يا عَلِيُّ ، حُرِّمَ مِنَ الشّاةِ سَبْعَةُ أَشْياءِ : الدَّمُ ، وَالْمَذاكِيرُ ، وَالْمَثانَةُ ، وَالنُّخاعُ ، وَالْغُدَدُ ، وَالطِّحالُ ، وَالْمَرارَةُ** »(٣) .

وفي تحريم الإسلام لهذه الأمور وقاية للصحّة العامّة ، وضمان للمجتمع من أن يصاب بالأمراض ، وقد ثبت في الطبّ الحديث أنّها ممّا يضرّ بالصحّة العامّة ، وإنّ اجتنابها أمر لازم .

٢٠ ـ روى عليه السلام عن آبائه : « **أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ في وَصِيَّتِهِ لِعَلِيٍّ : يا عَلِيُّ ، إِنَّ اللهَ**

---

(١) الخصال : ٣٢٩ ، الحديث ٢٥ .

(٢) الخصال : ٣٣٨ ، الحديث ٤١ .

(٣) الخصال : ٣٤١ ، الحديث ٣ .

تَبارَكَ وَتَعالىٰ أَعْطاني فيكَ سَبْعَ خِصالٍ: أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ مَعي، وَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ يَقِفُ عَلَى الصِّراطِ مَعي، وَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ يُكْسىٰ إذا كُسيتُ، وَيَحْيىٰ إذا حَيِيتُ، وَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ يَسْكُنُ مَعي في عِلِّيِّينَ، وَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ يَشْرَبُ مَعي مِنَ الرَّحيقِ الْمَخْتومِ الَّذي خِتامُهُ مِسْكٌ »[1].

٢١ - روى عليه السلام عن آبائه: « أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ: لَمْ يُعْبَدِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ.

وَلَا يَكونُ الْمُؤْمِنُ عاقِلاً حَتّىٰ تَجْتَمِعَ فيهِ عَشْرُ خِصالٍ: الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمونٌ، وَيَسْتَكْثِرُ قَليلَ الْخَيْرِ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَسْتَقِلُّ كَثيرَ الْخَيْرِ مِنْ نَفْسِهِ، وَلَا يَسْأَمُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طُولَ عُمْرِهِ، وَلَا يَتَبَرَّمُ بِطلابِ الْحَوائِجِ قِبَلَهُ، الذُّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ، وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنىٰ، نَصيبُهُ مِنَ الدُّنْيا الْقُوتُ. وَالْعاشِرَةُ وَما الْعاشِرَةُ؟ لا يَرىٰ أَحَداً إِلّا قالَ: هُوَ خَيْرٌ مِنّي وَأَتْقىٰ.

إِنَّما النّاسُ رَجُلانِ، فَرَجُلٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَتْقىٰ، وَآخَرُ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ وَأَدْنىٰ، فَإِذا رَأَىٰ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَتْقىٰ تَواضَعَ لَهُ لِيَلْحَقَ بِهِ، وَإِذا رَأَى الَّذي هُوَ شَرٌّ مِنْهُ وَأَدْنىٰ قالَ: عَسىٰ خَيْرُ هٰذا باطِنٌ وَشَرُّهُ ظاهِرٌ، عَسىٰ أَنْ يُخْتَمَ لَهُ بِخَيْرٍ فَإِذا فَعَلَ ذٰلِكَ فَقَدْ عَلا مَجْدُهُ، وَسادَ أَهْلَ زَمانِهِ »[2].

وفي هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث النبويّة دعوة إلى إصلاح النفس، وتهذيبها بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال لتكون مصدر هداية للناس.

٢٢ - روى عليه السلام عن آبائه: « أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله: لُعِنَ في الْخَمْرِ عَشَرَةٌ: غارِسُها، وَحارِسُها، وَعاصِرُها، وَشارِبُها، وَساقيها، وَحامِلُها، وَالْمَحْمولَةُ إِلَيْهِ، وَبائِعُها

---

(١) الخصال: ٣٤٢، الحديث ٥.

(٢) الخصال: ٤٣٢، الحديث ١٧.

وَمُشْتَرِيها ، وَآكِلَ ثَمَنِها »(١) .

وشدّد الإسلام في أمر الخمر أعظم ما يكون التشدّد ، فحرّم إيجاده وصنعه ، كما حرّم تعاطيه ، فإنّ الخمر من أعظم الآفات الاجتماعيّة التي تضرّ بالصحّة العامّة ، وتسبّب انتكاسة القيم وتدهور الأخلاق .

٢٣ ـ روى عليه السلام عن آبائه : « **أنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : الْبَرَكَةُ عَشَرَةُ أَجْزاءٍ ، تِسْعَةُ أَعْشارِها في التِّجارَةِ ، وَالْعُشْرُ الْباقي في الْجُلودِ** ـ يعني الغنم ـ »(٢) .

٢٤ ـ روى عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، أنّه قال : « **إذا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلوهُ بِباطِنِ الْكَفَّيْنِ ، وَإِذا اسْتَعَذْتُموهُ فَلا تَسْتَعيذوهُ بِظاهِرِهِما** »(٣) .

٢٥ ـ روى عليه السلام عن آبائه : « **أنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : إذا فَعَلَتْ أُمَّتي خَمْسَ عَشَرَةَ خِصْلَةً حَلَّ بِها الْبَلاءُ : إذا أَكَلوا الْأَمْوالَ دُوَلاً ، وَاتَّخَذوا الْأَمانَةَ مَغْنَماً ، وَالزَّكاةَ مَغْرَماً ، وَأَطاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ ، وَبَرَّ صَديقَهُ وَجَفا أَخاهُ ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْواتُ في الْمَساجِدِ ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخافَةَ شَرِّهِ وَكانَ زَعيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ ، وَإِذا لُبِسَ الْحَريرُ ، وَشُرِبَتِ الْخُمورُ ، وَاتُّخِذَتِ الْقِيانُ وَالْمَعازِفُ ، وَلَعَنَ آخِرُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَها فَلْيَتَرَقَّبوا بَعْدَ ذٰلِكَ ثَلاثَ خِصالٍ : ريحاً حَمْراءَ وَمَسْخاً وَخَسْفاً** »(٤) .

وهذه الأمور التي حذّر عنها النبيّ صلى الله عليه وآله هي من مدمّرات الأمم ، ومن محطّمات الشعوب ، وإذا اقترفتها الأُمّة الإسلاميّة فسوف يحلّ بها عذاب الله ، وتجتاحها نقماته .

---

(١) الخصال : ٤٤٥ ، الحديث ٤١ .

(٢) الخصال : ٤٤٥ ، الحديث ٤٣ .

(٣) البيان والتبيين : ٢ : ٢٦٣ .

(٤) البيان والتبيين : ٢ : ٢٦٢ .

٢٦ - روى عليه السلام عن آبائه : « **أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قالَ : مَنْ باتَ كالاًّ مِنْ طَلَبِ الْحَلالِ باتَ مَغْفوراً لَهُ** »(١).

وحثّ الإسلام على الكسب الحلال ، واعتبره جهاداً وشرفاً لصاحبه ، وإنّ من سعى لعياله وهو مكدود متعوب بات مغفوراً له .

٢٧ - روى عليه السلام عن آبائه : « **أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : مَنْ أَرادَ التَّوَسُّلَ إِلَيَّ ، وَأَنْ يَكونَ لَهُ يَدٌ أَشْفَعُ لَهُ بِها يَوْمَ الْقِيامَةِ فَلْيَصِلْ أَهْلَ بَيْتي وَيُدْخِلِ السُّرورَ عَلَيْهِمْ** »(٢).

٢٨ - روى عليه السلام : عن آبائه : « **أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ لِعَلِيٍّ : يا عَلِيُّ ، أَنا مَدينَةُ الْعِلْمِ وَأَنْتَ الْبابُ ، وَكَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَصِلُ إِلَى الْمَدينَةِ إِلّا مِنَ الْبابِ** »(٣).

٢٩ - روى عليه السلام بسنده عن أمّ سلمة : « **أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : الْحَجُّ جِهادُ كُلِّ ضَعيفٍ** »(٤).

٣٠ - روى عليه السلام بسنده عن آبائه : « **أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : إِنّي وَإِثْني عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتي ، أَوَّلُهُمْ عَلِيٌّ ، أَوْتادُ الْأَرْضِ الَّتي أَمْسَكَها اللهُ بِها أَنْ تَسيخَ بِأَهْلِها ، فَإِذا ذَهَبَتِ الْإِثْنا عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتي ساخَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِها** »(٥).

٣١ - قال عليه السلام : « **سُئِلَ رَسولُ اللهِ عَنْ خِيارِ الْعِبادِ ؟**

فَقالَ صلى الله عليه وآله : الَّذينَ إِذا أَحْسَنوا اسْتَبْشَروا ، وَإِذا أُعْطوا شَكَروا ، وَإِذا ابْتُلوا صَبَروا ،

---

(١) أمالي الصدوق : ٢٥٧.

(٢) أمالي الصدوق : ٣١٠. وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل : ٦١ ، من مصوّرات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٨٥.

(٤) سير أعلام النبلاء : ٤ : ٤٠٩.

(٥) الاستنصار في النصّ على الأئمّة الأطهار / الكراجكي : ٨.

وَإِذا غَضِبوا غَفَروا »(١) .

إنّ مَن يتّصف بهذه الأخلاق الرفيعة فإنّه يكون من خيار الناس وأشرافهم ، وإنّه قد ملك زمام نفسه ، وسيطر عقله على هواه .

٣٢ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : مِنَ الْمُروءَةِ اسْتِصْلاحُ الْمالِ** »(٢) .

وحثّ الرسول صلى الله عليه وآله أصحاب رؤوس الأموال على استثمار أموالهم في الوجوه المشروعة لازدهار الاقتصاد العامّ وزيادة الدخل الفردي ، ونفي الحاجة من البلاد ، ونهاهم عن التبذير أو حبس الأموال وعدم تشغيلها ، فإنّ ذلك ممّا يعود بأضرار بالغة على اقتصاد البلاد .

٣٣ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ أَهْدىٰ إِلَيَّ وَإِلىٰ أُمَّتي هَدِيَّةً لَمْ يَهْدِها إِلىٰ أَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ كَرامَةً مِنَ اللهِ لَنا .**

فَقالَ أَصْحابُهُ : وَما ذاكَ يا رَسولَ اللهِ ؟

قالَ : الإِفْطارُ في السَّفَرِ ، وَالتَّقْصيرُ في الصَّلاةِ »(٣) .

حقّاً إنّ تقصير الصلاة والافطار في السفر من ألطاف الله تعالى على هذه الأمّة ، فإنّ المسافر في عناء وجهد ، فإذا وجب عليه الصوم وإتمام الصلاة فقد أضاف إلى عنائه عناءً ، وإلى مشقّته مشقّة أُخرى .

٣٤ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : أَلا إِنَّ شِرارَ أُمَّتي الَّذينَ يُكْرَمونَ مَخافَةَ شَرِّهِمْ ، أَلا وَإِنَّ مَنْ أَكْرَمَهُ النّاسُ اتِّقاءَ شَرِّهِ فَلَيْسَ مِنّي** »(٤) .

---

(١) أمالي الصدوق : ٦١ .

(٢) الخصال : ١٠ ، الحديث ٣٤ .

(٣) الخصال : ١٢ ، الحديث ٤٣ .

(٤) الخصال : ١٥ ، الحديث ٤٨ .

إنّ شرار هذه الأمّة الذين يكرمون ويعظّمون لا لفضيلة فيهم أو إحسان أسدوه إلى الناس ، وإنّما لاتّقاء شرورهم ، ومخافة ظلمهم ، فإنّ هؤلاء ليسوا من الإسلام الذي جاء بالرحمة والإحسان إلى الناس .

٣٥ ـ قال عليه السلام : **«قَالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : رَأْسُ العَقْلِ بَعْدَ الإيمانِ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ التَّحَبُّبُ إِلَى النّاسِ»**(١) .

ما أروع هذه الحكمة وما أجلّها ! ! فإنّ التحبّب إلى الناس إمّا بقضاء حوائجهم ، أو جلب الخير لهم ، ودفع الظلم عنهم ، أو مقابلتهم بالأخلاق الرفيعة ممّا يوجب شيوع المحبّة بين الناس ، وربط الهيئة الاجتماعيّة بعضها ببعض ، وهذا ما يحرص عليه الإسلام ، وممّا أقام مجتمعه عليه .

٣٦ ـ قال عليه السلام : **«قَالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : يا مَعاشِرَ قُرّاءِ الْقُرْآنِ ، اتَّقوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فيما حَمَّلَكُمْ مِنْ كِتابِهِ ، فَإِنّي مَسْؤولٌ وَإِنَّكُم مَسْؤولونَ ، إِنّي مَسْؤولٌ عَنْ تَبْليغِ الرِّسالَةِ ، وَأَمّا أَنْتُمْ فَتُسْأَلُونَ عَمّا حُمِّلْتُمْ مِنْ كِتابِ اللهِ وَسُنَّتي»**(٢) .

وفي هذا الحديث دعوة إلى القرّاء وإلى سائر رجال الدين للقيام بدورهم في تحمّل المسؤوليّة بإرشاد الناس وهدايتهم ، وتبليغهم بما أمر الله به وعمّا نهى عنه .

٣٧ ـ قال عليه السلام : **«قَالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : خُلِقْتُ أَنا وَعَلِيٌّ مِنْ نُورٍ واحِدٍ»**(٣) .

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّاً عليه السلام خلقا من نور واحد أضاء آفاق هذا الكون ، فهما مصدر الفكر والوعي لهذه الأمّة ، وهما رائدا الإنسانيّة لكلّ ما تسمو به .

٣٨ ـ قال عليه السلام : **«قَالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ وَغَضَبي عَلىٰ مَنْ أَهْراقَ**

---

(١) الخصال : ١٥ ، الحديث ٥٥.

(٢) أُصول الكافي : ٢ : ٦٠٦ ، الحديث ٩.

(٣) الخصال : ٣١ ، الحديث ١٠٧.

دَمي وَآذاني في عِتْرَتي »[١].

الويل كلّ الويل للزمرة الخائنة التي لم تحفظ وصيّة رسول الله ﷺ في عترته وأهل بيته ، فأبادتهم ، وقطعت أوصالهم ، وسبت ذراريهم ، وانتهكت حرمتهم .

٣٩ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : يُحْشَرُ أَبي إِبْراهيمُ وَعَلِيٌّ وَيُنادي مُنادٍ : يا مُحَمَّدُ ، نِعْمَ الْأَبُ أَبوكَ ، وَنِعْمَ الْأَخُ أَخوكَ »**[٢].

ألا بوركت تلك الابوّة الزاكيّة لإبراهيم خليل الرحمن ، وتلك الاخوّة الصادقة للإمام أمير المؤمنين إلى رسول الله ﷺ ، وينادى بهما يوم حشر الناس على صعيد الحقّ والعدل لإظهار فضلهما ، وسموّ مكانتهما عند الله .

٤٠ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ : لَوْلاكَ ما عُرِفَ الْمُؤْمِنونَ بَعْدي »**[٣].

لقد كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو المقياس للإيمان ، والمقياس للحقّ والعدل ، فما آمن به إلّا كلّ من آمن بربّه ووطنه وأمّته ، وما جحده إلّا كلّ من تنكّر للعدل ، وتنكّر لصالح أمّته ، وأعرض عن ذكر الله واتّخذ آياته هزواً .

٤١ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : تُحْشَرُ ابْنَتي فاطِمَةُ وَمَعَها ثِيابٌ مَصْبوغَةٌ ، فَتَعَلَّقُ بِقائِمَةِ الْعَرْشِ وَتَقولُ : يا جَبّارُ ، احْكُمْ بَيْني وَبَيْنَ قاتِلِ وَلَدي** ـ يعني الحسين عليه السلام ـ **فَيَحْكُمُ لابْنَتي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ »**[٤].

لقد أذاع النبيّ ﷺ بين المسلمين في كثير من مواقفه عن مقتل سبطه العظيم الإمام الحسين عليه السلام ، وأعلن ـ في هذا الحديث ـ أنّ بضعته سيّدة نساء العالمين فاطمة

---

(١) مناقب عليّ بن أبي طالب : ٤١ و ٤٢.

(٢) كفاية الطالب : ١٨٥. مناقب عليّ بن أبي طالب : ٤٢.

(٣) مناقب عليّ بن أبي طالب : ٤٤.

(٤) مناقب عليّ بن أبي طالب : ٦٤. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٥٢.

الزهراء عليها السلام سترفع يوم القيامة قميص ولدها الملطّخ بدمائه الزكيّة ، وتطالب الحاكم العدل أن يحكم بينها وبين قاتله ، فالويل كلّ الويل لمن كانت العترة الطاهرة خصماً له في ذلك اليوم الذي يخسر فيه المبطلون .

٤٢ ـ قال عليه السلام: «**قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: إنَّ اللهَ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ صُلْبِ عَلِيٍّ**»(١).

ألا بوركت تلك الذرّيّة الطاهرة التي أعزّ الله بها كلمة الحقّ ، وأضاء بها الطريق ، وأوضح بها القصد ، وجعلها الأدلّاء على طاعته ، والقادة إلى سبيله .

٤٣ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : مَنْ أَسْبَغَ وُضوءَهُ ، وَأَحْسَنَ صَلاتَهُ ، وَأَدّىٰ زَكاةَ مالِهِ ، وَكَفَّ غَضَبَهُ ، وَسَجَنَ لِسانَهُ ، وَبَذَلَ مَعْروفَهُ ، وَاسْتَغْفَرَ لِذَنْبِهِ ، وَأَدّى النَّصيحَةَ لأَهْلِ بَيْتي فَقَدِ اسْتَكْمَلَ حَقائِقَ الْإيْمانِ ، وَأَبْوابُ الْجَنَّةِ لَهُ مُفَتَّحَةٌ** »(٢) .

إنّ هذه الأعمال ممّا تقرّب العبد إلى خالقه ، ويصل بها الإنسان إلى حقيقة الإيمان ، ويستوجب بها الجنان .

٤٤ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : غَريبَتانِ فَاحْتَمِلوهُما : كَلِمَةُ حِكْمَةٍ مِنْ سَفيهٍ فَاقْبَلوها ، وَكَلِمَةُ سَفَهٍ مِنْ حَكيمٍ فَاغْفِروها** »(٣) .

إنّ صدور الحكمة من السفيه لغريب ، ولو صدرت منه للزم الأخذ بها ، ولا يعنى بقائلها ، كما أنّ صدور السفه من الحكيم لغريب باعتبار كماله وحكمته ، فإذا نطق بذلك فينبغي أن لا يؤاخذ عليه .

٤٥ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : نِعْمَتانِ مَكْفورَتانِ : الْأَمْنُ وَالْعافِيَةُ** »(٤) .

---

(١) ينابيع المودّة : ٢٦٦ . مجمع الزوائد : ٩ : ٢٧٢ .

(٢) مناقب عليّ بن أبي طالب : ٤٠ .

(٣) الخصال : ٣٤ ، الحديث ٣ .

(٤) الخصال : ٣٥ ، الحديث ٥ .

لقد كفر الناس بهاتين النعمتين اللتين لا تطيب الحياة من دونهما ، وإنّهم لم يؤدّوا لله شكراً عليهما .

٤٦ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : صِنْفانِ مِنْ أُمَّتِي إذا صَلُحا صَلُحَتْ أُمَّتِي ، وَإذا فَسَدا فَسَدَتْ أُمَّتِي .**

قِيلَ : يا رَسُولَ اللهِ ، وَمَنْ هُما ؟

قالَ : الْفُقَهاءُ وَالْأُمَراءُ »(١) .

إنّ الإصلاح الاجتماعي يتوقّف على صلاح هذين الصنفين ، فإذا صلحا فقد سعدت الأُمّة ، وحقّقت ما تصبو إليه ، وإذا شذّا عن سنن الحقّ ، وانحرفا عن العدل أُصيبت الأُمّة بتدهور سريع في جميع مجالاتها .

٤٧ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : إنَّ الْجَنَّةَ لَيوجَدُ ريحُها مِنْ مَسيرَةِ خَمْسِمائَةِ عامٍ ، وَلَا يَجِدُها عاقٌ ، وَلَا دَيّوثٌ .**

قيلَ : يا رَسولَ اللهِ ، وما الدَّيّوثُ ؟

قالَ : الَّذي تَزْني امْرَأَتُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ »(٢) .

إنّ العاقّ لأبويه ، والديّوث الذي لا شرف له لا يستحقّان أن ينعما بالفردوس الأعلى الذي هو مقرّ الأنبياء والصالحين ، بل لا يليق بهما إلّا أن يكونا مقرنين بالأصفاد في النار .

٤٨ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : لَا خَيْرَ في الْعَيْشِ إلّا لِرَجُلَيْنِ : عالِمٌ مُطاعٌ ، أَوْ مُسْتَمِعٌ واعٍ** »(٣) .

---

(١) الخصال : ٣٦ ، الحديث ١٢ . تحف العقول : ٥٠ .

(٢) الخصال : ٣٧ ، الحديث ١٥ .

(٣) الخصال : ٤١ ، الحديث ٢٨ .

إنّ الخير في هذه الحياة إنّما هو للعالم الذي يُطاع فيما يأمر به من القيم الكريمة والمثل الرفيعة ، فإذا تمّ له ذلك فقد نجح في أداء رسالته ، وحقّق ما يصبو إليه ، وكذلك الخير في الحياة إنّما هو للمستمع الواعي الذي يعي الأهداف النبيلة في رسالة المصلحين ويعمل بها .

٤٩ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : مَنْ واسَى الْفَقيرَ ، وَأَنْصَفَ النّاسَ مِنْ نَفْسِهِ ، فَذلِكَ الْمُؤْمِنُ حَقّاً** »[١] .

إنّ مواساة الفقراء ماديّاً ومعنويّاً دليل على قوّة الإيمان وتكامله ، كما أنّ إنصاف الناس آية على سموّ الشخص وتجرّده من الأنانيّة وسائر الأمراض النفسيّة ، وهذا هو واقع الإيمان وجوهر الإسلام .

٥٠ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : يَلْزَمُ الْوالِدَيْنِ مِنَ الْعُقوقِ لِوَلَدِهِما إذا كانَ الْوَلَدُ صالِحاً ما يَلْزَمُ الْوَلَدَ لَهُما** »[٢] .

إنّ العقوق لا يقتصر على الولد تجاه أبويه ، وإنّما يشملهما فيما إذا أساءا إليه على غير وجه مشروع ، فإنّهما يتحمّلان إثم ما اقترفاه تجاهه .

٥١ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : ما أَنْفَقَ مُؤْمِنٌ نَفَقَةً هِيَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ في الرِّضا وَالْغَضَبِ** »[٣] .

ما أروع هذه الحكمة . إنّها دستور الإسلام الذي يؤثر الحقّ والعدل بين الناس على كلّ شيء .

٥٢ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : صِنْفانِ مِنْ أُمَّتي لا نَصيبَ لَهُما في الْإِسْلامِ :**

---

(١) الخصال : ٤٧ ، الحديث ٤٨.

(٢) الخصال : ٥٥ ، الحديث ٧٧.

(٣) الخصال : ٦٠ ، الحديث ٨٢.

الْغُلاةُ وَالْقَدَرِيَّةُ»[١].

أمّا الغلاة فهم الذين يزعمون أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الله تعالى، أو أنّه ابن الله، فهؤلاء ليسوا من فِرق الإسلام ـ عند الشيعة ـ وإنّما هم من الكفّار ويعاملون معاملتهم.

قال السيّد الحميري في هجائهم:

قَـوْمٌ غَـلَوا فـي عَـلِيّ لَا أَبـالَهُمُ ... وَأَجْشَـموا أَنْـفُساً فـي حُـبِّهِ تَـعَبا

قـالوا هُـوَ ابْنُ الإلـهِ جَـلَّ خـالِقُنا ... مِنْ أَنْ يَكونَ لَهُ ابْنٌ أَوْ يَكونَ أَبا[٢]

أمّا القدريّة: فهم القائلون بأنّ الخير والشرّ كلّه من الله وبتقديره ومشيئته[٣]، وهؤلاء ليس لهم نصيب من الإسلام.

٥٣ ـ قال عليه السلام: **«قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: ثَلاثُ خِصالٍ مَنْ كُنَّ فيهِ أَوْ واحِدَةٌ مِنْهُنَّ كانَ في ظِلِّ عَرْشِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ لَا ظِلَّ إلّا ظِلُّهُ: رَجُلٌ أَعْطَى النّاسَ مِنْ نَفْسِهِ ما هُوَ سائِلُهُمْ، وَرَجُلٌ لَمْ يُقَدِّمْ رِجْلاً وَلَمْ يُؤَخِّرْ رِجْلاً أُخْرىٰ حَتّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ ذٰلِكَ لِلّٰهِ فيهِ رِضىً أَوْ سَخَطٌ، وَرَجُلٌ لَمْ يَعِبْ أَخاهُ الْمُسْلِمَ بِعَيْبٍ حَتّىٰ يَنْفِيَ ذٰلِكَ الْعَيْبَ عَنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفي مِنْها عَيْباً إلّا بَدا لَهُ عَيْبٌ، وَكَفىٰ بِالْمَرْءِ شُغْلاً بِنَفْسِهِ عَنِ النّاسِ»**[٤].

وفي هذا الحديث دعوة إلى مكارم الأخلاق، وحسن السلوك مع الناس،

---

(١) الخصال: ٧١، الحديث ١٠٩.

(٢) العقد الفريد: ٥: ٢٢٧.

(٣) سفينة البحار: ٢: ٤٠٩. وذكر الشيخ أبو زهرة في المذاهب الإسلاميّة: ١٨٥: «إنّ القدريّة هم الذين غالوا في قدرة الإنسان، وقالوا: إنّ كلّ فعل للإنسان يستند إلى إرادته المستقلّة عن إرادة الله».

(٤) أُصول الكافي: ٢: ١٤٧، الحديث ١٦.

والتحذير من ذكر مساوئ الناس.

٥٤ ـ قال عليه السلام: «قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: ثَلاثٌ يَحْسُنُ فِيهِنَّ الْكِذْبُ: الْمَكِيدَةُ في الْحَرْبِ، وَعِدَتُكَ زَوْجَتَكَ، وَالْإِصْلاحُ بَيْنَ النّاسِ.

وَثَلاثٌ يَقْبُحُ فِيهِنَّ الصِّدْقُ: النَّمِيمَةُ، وَإِخْبارُكَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِهِ بِما يَكْرَهُ، وَتَكْذِيبُكَ الرَّجُلَ عَنِ الْخَيْرِ.

وَثَلاثَةٌ مُجالَسَتُهُمْ تُمِيتُ الْقَلْبَ: مُجالَسَةُ الْأَنْذالِ، وَالْحَدِيثُ مَعَ النِّساءِ، وَمُجالَسَةُ الْأَغْنِياءِ»(١).

وسوّغ النبيّ صلى الله عليه وآله الكذب في تلك المواضع نظراً للمصالح التي تترتّب عليها، وقد قال العلماء: إنّ الكذب ليس علّة تامّة للقبح، وإنّما هو مقتضٍ له، فإذا وجد ما يرفع قبحه من المصالح جاز للمكلّف فعله، وكذلك يقبح الصدق في تلك المواضع نظراً للمفاسد التي تترتّب عليه.

٥٥ ـ قال عليه السلام: «قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: كُلُّ عَيْنٍ باكِيَةٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلّا ثَلاثَ أَعْيُنٍ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مَحارِمِ اللهِ، وَعَيْنٌ باتَتْ ساهِرَةً في سَبيلِ اللهِ»(٢).

٥٦ ـ قال عليه السلام: «قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «إنَّ أَسْرَعَ الْخَيْرِ ثَواباً الْبِرُّ، وَإِنَّ أَسْرَعَ الشَّرِّ عُقوبَةً الْبَغْيُ، وَكَفى بِالْمَرْءِ عَيْباً أَنْ يُبْصِرَ مِنَ النّاسِ ما يَعْمىٰ عَنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، أَوْ يُعَيِّرَ النّاسَ بِما لا يَسْتَطيعُ تَرْكَهُ، أَوْ يُؤْذي جَليسَهُ بِما لا يَعْنيهِ»(٣).

وفي هذا الحديث الحثّ على فعل الخير، والتحذير من الشرّ، والبغي على

---

(١) الخصال: ٨٧، الحديث ٢٠. تحف العقول: ٥١.

(٢) الخصال: ٩٨، الحديث ٤٦. من لا يحضره الفقيه: ١: ٣١٨، الحديث ٩٤٢.

(٣) أُصول الكافي: ٢: ٤٥٩ ـ ٤٦٠، الحديث ١. الخصال: ١١٠، الحديث ٨١.

الناس ، والتنديد بمن ينظر إلى عيوب الناس ، ولا ينظر إلى ما فيه من نقص .

٥٧ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : لَا سَهَرَ إِلّا في ثَلاثٍ : مُتَهَجِّدٌ بِالْقُرْآنِ ، أَوْ في طَلَبِ الْعِلْمِ ، أَوْ عَروسٌ تُهْدىٰ إِلىٰ زَوْجِها** »(١) .

٥٨ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : ثَلاثٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فيهِ فَلَيْسَ مِنّي ، وَلَا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .**

قيلَ : يا رَسولَ اللهِ ، وَما هُنَّ ؟

قالَ : حِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ جَهْلَ الْجاهِلِ ، وَحُسْنُ خُلُقٍ يَعيشُ بِهِ في النّاسِ ، وَوَرَعٌ يَحْجِزُهُ عَنْ مَعاصي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »(٢) .

ويدعو هذا الحديث إلى تكوين شخصيّة المسلم على أُسس رفيعة من الحلم وحسن الأخلاق والورع عن محارم الله .

٥٩ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : ثَلاثَةٌ يَشْفَعونَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُشَفَّعونَ : الْأَنْبِياءُ ، ثُمَّ الْعُلَماءُ ، ثُمَّ الشُّهَداءُ** »(٣) .

٦٠ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : الْإِيمانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَإِقْرارٌ بِاللِّسانِ ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكانِ** »(٤) .

ليس الإيمان لفظاً تلوكه الألسن ، وإنّما هو أمر مستقرّ في أعماق القلب ، ودخائل النفس ، ويدفع الإنسان إلى العمل عن يقين وإخلاص .

٦١ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لأَبي ذَرٍّ : يا أَبا ذَرٍّ ، إِيّاكَ وَالسُّؤالَ ، فَإِنَّهُ ذُلٌّ**

---

(١) الخصال : ١١٢ ، الحديث ٨٨ .

(٢) الخصال : ١٤٥ ، الحديث ١٧٢ .

(٣) الخصال : ١٥٦ ، الحديث ١٩٧ .

(٤) الخصال : ١٧٨ ، الحديث ٢٣٩ .

حاضِرٌ ، وَفَقْرٌ تَتَعَجَّلُهُ ، وَفيهِ حِسابٌ طَويلٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ .

يا أَبا ذَرٍّ ، تَعيشُ وَحْدَكَ ، وَتَموتُ وَحْدَكَ ، وَتَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَحْدَكَ ، يَسْعَدُ بِكَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِراقِ يَتَوَلَّوْنَ غُسْلَكَ وَتَجْهيزَكَ وَدَفْنَكَ .

يا أَبا ذَرٍّ ، لا تُسْأَلْ بِكَفِّكَ ، وَإِنْ أَتاكَ شَيْءٌ فَاقْبَلْهُ .

ثُمَّ قالَ صلى الله عليه وآله لأَصْحابِهِ : أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشِرارِكُمْ ؟

- بَلىٰ يا رَسولَ اللهِ .

الْمَشّاؤونَ بِالنَّميمَةِ ، الْمُفَرِّقونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ ، الْباغونَ لِلْبُراءِ الْعَيْبَ »[١] .

لقد أوصى النبيّ صلى الله عليه وآله أبا ذرّ بالعفّة والإباء ، واستشفّ صلى الله عليه وآله من وراء الغيب عمّا يعانيه هذا المصلح العظيم من التنكيل والارهاق في سبيل أداء رسالته الاصلاحيّة الخالدة ، فقد أعلن أبوذرّ سخطه على الأمويّين الذين تنكّروا لحقوق الأُمّة ، واستبدّوا بثرواتها ، فاتّخذوا مال الله دولاً ، وعباد الله خولاً ، فكان أبوذرّ اللسان الناطق بحقوق المظلومين والمضطهدين ، والمترجم لآلامهم ، وقد ضاق الأمويّون منه ذرعاً ، فنفوه إلى الربذة ، وفرضت عليه الإقامة الجبريّة في تلك البقعة الجرداء التي انعدمت فيها جميع وسائل الحياة ، وتوفّي هذا الثائر العظيم جائعاً منفيّاً عن وطن الله ووطن رسوله .

لقد توفّي أبوذر جائعاً وفي أيدي الأمويّين ذهب الأرض وثروات الأُمّة ، ينفقونها على شهواتهم وملاذّهم .

لقد مات أبوذرّ من أجل أن يحقّق العدالة الاجتماعيّة ، ويحقّق الفرص المتكافئة بين الناس ، وينفي عنهم شبح الفقر وكابوس الظلم ، ويعيد فيهم حكم القرآن وعدالة الإسلام .

---

(١) الخصال : ١٨٣ ، الحديث ٢٤٩.

٦٢ ـ قال عليه السلام: «قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لِعَلِيٍّ: يا عَلِيُّ، أَرْبَعَةٌ لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ: إمامٌ عادِلٌ، وَوالِدٌ لِوَلَدِهِ، وَالرَّجُلُ يَدْعو لأخيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَالْمَظْلومُ يقولُ لَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتي وَجَلالي، لأَنْتَصِرَنَّ لَكَ وَلَوْ بَعْدَ حينٍ»(١).

٦٣ ـ قال عليه السلام: «قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لِعَلِيٍّ: يا عَلِيُّ، إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَشْرَفَ عَلى الدُّنْيا فَاخْتارَني فيها عَلىٰ رِجالِ الْعالَمينَ.

ثُمَّ اطَّلَعَ الثّانِيَةَ فَاخْتارَكَ عَلىٰ رِجالِ الْعالَمينَ بَعْدي.

ثُمَّ اطَّلَعَ الثّالِثَةَ فَاخْتارَ الْأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ عَلىٰ رِجالِ الْعالَمينَ، ثُمَّ اطَّلَعَ الرّابِعَةَ فَاخْتارَ فاطِمَةَ عَلىٰ نِساءِ الْعالَمينَ»(٢).

لقد اختار الله تعالى نبيّه العظيم وأوصيائه الأئمّة الطاهرين من بين خلقه، فجعلهم خزنة لعلمه، ومستودعاً لحكمته، وأركاناً لتوحيده، ومناراً في بلاده، وأدلّاء على مرضاته وطاعته، فصلوات الله عليهم.

٦٤ ـ قال عليه السلام: «قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كانَ في نُورِ اللهِ الْأَعْظَمِ: مَنْ كانَ عِصْمَةُ أَمْرِهِ شَهادَةَ أَنْ لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ وَأَنّي رَسولُ اللهِ، وَمَنْ إذا أَصابَتْهُ مُصيبَةٌ قالَ: إنّا للهِ وَإنّا إلَيْهِ راجِعونَ، وَمَنْ إذا أَصابَ خَيْراً قالَ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمينَ، وَمَنْ إذا أَصابَ خَطيئَةً قالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتوبُ إلَيْهِ»(٣).

٦٥ ـ قال عليه السلام: «قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: بُنِيَ الْإِسْلامُ عَلىٰ عَشَرَةِ أَسْهُمٍ: عَلىٰ شَهادَةِ أَنْ لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ وَهِيَ الْمِلَّةُ، وَالصَّلاةِ وَهِيَ الْفَريضَةُ، وَالصَّوْمِ وَهُوَ الْجُنَّةُ، وَالزَّكاةِ وَهِيَ الطُّهْرُ، وَالْحَجِّ وَهُوَ الشَّريعَةُ، وَالْجِهادِ وَهُوَ الْغَزْوُ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْروفِ وَهُوَ الْوَفاءُ،

---

(١) الخصال: ١٩٧، الحديث ٤.

(٢) الخصال: ٢٠٦، الحديث ٢٥.

(٣) الخصال: ٢٢٢، الحديث ٤٩. تحف العقول: ٤٠ و ٤١.

وَالنَّهي عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ الْحُجَّةُ ، وَالْجَماعَةِ وَهِيَ الأُلْفَةُ ، وَالْعِصْمَةِ وَهِيَ الطّاعَةُ »(١).

٦٦ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : إِنَّكُمْ لَنْ تَسعوا النّاسَ بِأَمْوالِكُمْ فَسَعوهُمْ بِأَخْلاقِكُمْ »(٢).

ما أسمى هذه الحكمة التي تجمع الناس على صعيد المحبّة والأُلفة ، وتوحّد ما بين مشاعرهم وعواطفهم ، إنّ سلطان المال لا يمكن أن يحقّق ذلك ، ولكنّ الأخلاق هي أقوى مؤثّر في بناء المجتمع وإقامته على أُسس سليمة .

٦٧ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : إنَّ هٰذَا الدّينَ مَتينٌ ، فَأَوْغِلوا فيهِ بِرِفْقٍ ، وَلَا تُكَرِّهوا عِبادَةَ اللهِ إِلَى عِبادِ اللهِ فَتَكونوا كَالرّاكِبِ الْمُنْبَتِّ الَّذي لَا سَفراً قَطَعَ ، وَلَا ظَهراً أَبْقى »(٣).

٦٨ ـ قال عليه السلام : « أَتىٰ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقالَ لَهُ : ما لي لَا أُحِبُّ الْمَوْتَ ؟

فَقالَ صلى الله عليه وآله : أَلَكَ مالٌ ؟

قالَ : نَعَمْ .

قالَ : فَقَدَّمْتَهُ ؟

قالَ : لا .

قالَ : فَمِنْ ثَمَّ لَا تُحِبُّ الْمَوْتَ »(٤).

إنّ هذا الإنسان لو قدّم لآخرته وسعى لها لأحبّ الدار الآخرة ليستوفي أجر ما عمله ، ولكنّه لم يفعل شيئاً ممّا يقرّبه إلى الله زلفى ، فلذا كره الموت ، وكره ملاقاة

(١) الخصال : ٤٤٧ ، الحديث ٤٧.

(٢) أمالي الصدوق : ١١.

(٣) أُصول الكافي : ٢ : ٨٦ ، باب الاقتصاد في العبادة ، الحديث ١.

(٤) الخصال : ١٣ ، الحديث ٤٧.

الله تعالى .

٦٩ ـ قال عليه السلام : « **مَرَّ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِقَوْمٍ يَرْبَعونَ حَجَراً ، فَقالَ : ما هٰذا ؟**

قالوا : نَعْرِفُ بِذلِكَ أَشَدَّنا وَأَقْوانا .

فَقالَ صلى الله عليه وآله : أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَشَدِّكُمْ وَأَقْواكُمْ ؟

قالوا : بَلىٰ .

قالَ صلى الله عليه وآله : أَشَدُّكُمْ وَأَقْواكُمُ الَّذي إِذا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضاهُ في إِثْمٍ وَلا باطِلٍ ، وَإِذا سَخِطَ لَمْ يُخْرِجْهُ سَخَطُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ ، وَإِذا قَدَرَ لَمْ يَتَعاطَ ما لَيْسَ بِحَقٍّ »(١) .

إنّ الإسلام لا يعنى إلّا بقوّة الضمير وصلابته إزاء الحقّ ، وأمّا الاعتزاز بقوّة العضلات فهي من الأعراف الجاهليّة التي حاربها الإسلام .

٧٠ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : مُجالَسَةُ أَهْلِ الدّينِ شَرَفُ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ** »(٢) .

لقد ثبت في علم الاجتماع أنّ الحياة الاجتماعيّة حياة تأثير وتأثّر ، فكلّ إنسان يتأثّر ويؤثّر فيمن حوله . ومن الطبيعي أنّ مزاملة الأخيار والمتحرّجين في دينهم تؤثّر فيمن يتّصل بهم تأثيراً مباشراً فتصونهم من رذائل الصفات ، وتحبّب لهم الخير ، وينالون بذلك شرف الدنيا وشرف الآخرة .

٧١ ـ قال عليه السلام : « **قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : إِنَّ هٰذَا الدّينَ مَتينٌ فَأَوْغِلوا فيهِ بِرِفْقٍ ، وَلا تُكَرِّهوا عِبادَةَ اللهِ إِلىٰ عِبادِ اللهِ فَتَكونوا كَالرّاكِبِ الْمُنْبَتِّ الَّذي لا سَفَراً قَطَعَ ، وَلا ظَهْراً أَبْقىٰ** »(٣) .

٧٢ ـ روى عليه السلام عن آبائه : « **أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ لِعَلِيٍّ : يا عَلِيُّ ، أَنا مَدينَةُ الْعِلْمِ**

---

(١) أمالي الصدوق : ٧٢ ، الحديث ٤٠ .

(٢) أمالي الصدوق : ٥٤ ، الحديث ١٠٠ . أصول الكافي : ١ : ٣٩ ، الحديث ٤ .

(٣) أصول الكافي : ٢ : ٨٦ ، الحديث ١ .

وأنت الباب ، وكذب من زعم أنّه يصل إلى المدينة إلّا من الباب »[١].

٧٣ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : مَنْ نَقَلَهُ اللهُ مِنْ ذُلِّ الْمَعاصي إِلىٰ عِزِّ التَّقْوىٰ أَغْناهُ بِلا مالٍ ، وَأَعَزَّهُ بِلا عَشيرَةٍ ، وَآنَسَهُ بِلا أَنيسٍ ، وَمَنْ خافَ اللهَ أَخافَ اللهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللهَ أَخافَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَن رَضِيَ مِنْ مالِ اللهِ بِالْيَسيرِ مِنَ الرِّزْقِ فَقَدْ رَضِيَ مِنْهُ بِالْيَسيرِ مِنَ الْعَمَلِ »[٢].

٧٤ ـ قال عليه السلام : « قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : مِنْ أَهْلِ بَيْتي إِثْنا عَشَرَ نَقيباً مُحَدَّثونَ ، مِنْهُمُ الْقائِمُ بِالْحَقِّ يَمْلَأُها عَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً »[٣].

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض رواياته عن جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله ، والمتتبّع يجد أضعاف هذه الأحاديث التي يرويها الإمام عن جدّه صلى الله عليه وآله .

رواياته عليه السلام عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

روى عليه السلام عن آبائه طائفة من حكم جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذه بعضها :

١ ـ قال عليه السلام : « قالَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام : الْفِتَنُ ثَلاثٌ : حُبُّ النِّساءِ وَهُوَ سَيْفُ الشَّيْطانِ ، وَشرْبُ الْخَمْرِ وَهُوَ مُخُّ الشَّيْطانِ ، وَحُبُّ الدّينارِ وَالدِّرْهَمِ وَهُوَ سَهْمُ الشَّيْطانِ ، فَمَنْ أَحَبَّ النِّساءَ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعَيْشِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ الْأَشْرِبَةَ حَرُمَتْ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ أَحَبَّ الدِّينارَ وَالدِّرْهَمَ فَهُوَ عَبْدُ الدُّنْيا .

وَأَضافَ عليه السلام يَقولُ : قالَ عِيسى بْنُ مَرْيَمَ : بِالدِّينارِ داءُ الدِّينِ ، وَالْعالِمُ طَبيبُ الدِّينِ ،

---

(١) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٨٥.

(٢) تحف العقول : ٥٧. أمالي الطوسي : ٧٢١. الصراط السوي : ١٩٤ ، من مصوّرات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

(٣) الاستنصار في النصّ على الأئمّة الأطهار : ٨.

فَإذا رَأيتُمُ الطَّبيبَ يَجُرُّ الدّاءَ عَلىٰ نَفْسِهِ فَاتَّهِمُوهُ ، وَاعْلَموا أَنَّهُ غَيْرُ ناصِحٍ لِغَيْرِهِ »[١].

٢ ـ قال عليه السلام : « قالَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام : قِوامُ الدّينِ بِأَرْبَعَةٍ : بِعالِمٍ ناطِقٍ مُسْتَعْمِلٍ لَهُ ، وَبِغَنِيٍّ لَا يَبْخَلُ بِفَضْلِهِ عَلىٰ أَهْلِ دينِ اللهِ ، وَبِفَقيرٍ لَا يَبيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْياهُ ، وَبِجاهِلٍ لَا يَتَكَبَّرُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ ، فَإذا كَتَمَ العالِمُ عِلْمَهُ ، وَبَخِلَ الْغَنِيُّ بِمالِهِ ، وَباعَ الفَقيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْياهُ ، وَاسْتَكْبَرَ الْجاهِلُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْم ، رَجَعَتِ الدُّنْيا إلىٰ وَرائِها الْقَهْقَرىٰ ، فَلا تَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ الْمَساجِدِ وَأَجْسادِ قَوْمٍ مُخْتَلِفَةٍ .

قيلَ : يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ ، كَيْفَ الْعَيْشُ في ذٰلِكَ الزَّمانِ !

قالَ عليه السلام : خالِطوهُمْ بِالْبَرّانِيَّةِ ـ يعني في الظاهر ـ وَخالِفوهُمْ في الْباطِنِ ، لِلْمَرْءِ ما اكْتَسَبَ ، وَهُوَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ، وَانْتَظِروا مَعَ ذٰلِكَ الْفَرَجَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »[٢].

إنّ صلاح الدنيا وازدهار الحياة بهؤلاء الأصناف فيما إذا قاموا بمسؤوليّاتهم ، وأدّوا ما عليهم ، وأمّا إذا انحرفوا عن ذلك فإنّ الحياة العامّة تصاب بنكسة وتتدهور فيها جميع القيم العليا .

٣ ـ قال عليه السلام : « قالَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام : إنَّ قُلوبَ الْجُهّالِ تَسْتَفِزُّها الْأَطْماعُ ، وَتَرْتَهِنُها الْمُنىٰ ، وَتَسْتَعْلِقُها الْخَدائِعُ »[٣].

وصوّر هذا الحديث واقع الجهّال ، وألمّ باتّجاهاتهم ، والتي كان منها أنّ الأطماع تسيطر على مشاعرهم وعواطفهم ، وانّ المنى ترتهن قلوبهم ، والخدائع بسهولة تستولي عليهم وذلك لقلّة خبرتهم ومعرفتهم .

٤ ـ قال عليه السلام : « قالَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام : جُمِعَ الْخَيْرُ كُلُّهُ في ثَلاثِ خِصالٍ : النَّظَرُ ،

---

(١) الخصال : ١١٣ ، الحديث ٩١.

(٢) الخصال : ١٩٧ ، الحديث ٥.

(٣) أُصول الكافي : ١ : ٢٣ ، الحديث ١٦.

وَالسُّكوتُ ، وَالْكَلامُ ، فَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ فيهِ اعْتِبارٌ فَهُوَ سَهْوٌ ، وَكُلُّ سُكوتٍ لَيْسَ فيهِ فِكْرَةٌ فَهُوَ غَفْلَةٌ ، وَكُلُّ كَلامٍ لَيْسَ فيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ لَغْوٌ ، فَطُوبىٰ لِمَنْ كانَ نَظَرُهُ عِبْرَةً ، وَسُكوتُهُ فِكْراً ، وَكَلامُهُ ذِكْراً ، وَبَكىٰ عَلىٰ خَطيئَتِهِ ، وَأَمِنَ النّاسُ شَرَّهُ »(١) .

وهذه صفات العارفين بربّهم ، والمنيبين إلى خالقهم ، وهي لا تنطبق إلّا على أئمّة أهل البيت عليهم السلام وعلى المهتدين بهديهم .

٥ ـ قال عليه السلام : « قالَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام : إنّا أَهْلَ الْبَيْتِ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ ، وَمَوْضِعُ الرِّسالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ ، وَبَيْتُ الرَّحْمَةِ ، وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ »(٢) .

٦ ـ قال عليه السلام : « في كِتابِ عَلِيٍّ ثَلاثُ خِصالٍ لا يَموتُ صاحِبُهُنَّ أَبَداً حَتّىٰ يَرىٰ وَبالَهُنَّ : الْبَغْيُ ، وَقَطيعَةُ الرَّحِمِ ، وَالْيَمينُ الْكاذِبَةُ يُبارِزُ اللهَ بِها ، وَإِنَّ أَعْجَلَ الطّاعَةِ ثَواباً لَصِلَةُ الرَّحِمِ ، وَإِنَّ الْقَوْمَ لَيَكونوا فُجّاراً فَيَتَواصَلونَ فَتَنْمى أَمْوالُهُمْ ، وَيَبَرُّونَ فَتَزْدادُ أَعْمارُهُمْ .

وَإِنَّ الْيَمينَ الْكاذِبَةَ وَقَطيعَةَ الرَّحِمِ لَتَذرانِ الدِّيارَ بَلاقِعَ مِنْ أَهْلِها ، وَيُثَقِّلانَ الرَّحِمَ ، وَإِنَّ تَثَقُّلَ الرَّحِمِ انْقِطاعُ النَّسْلِ »(٣) .

وحفلت هذه القطعة من كتاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالوصيّة بالبرّ والتقوى ، وبما يعود على الإنسان من خير عميم في هذه الحياة .

٧ ـ قال عليه السلام : « قامَ رَجلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَى الإمامِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام فَقالَ لَهُ : يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ ، أَخْبِرْنا عَنِ الإِخْوانِ .

فَأَجابَهُ الإِمامُ عليه السلام : الإِخْوانُ صِنْفانِ : إِخْوانُ الثِّقَةِ ، وَإِخْوانُ الْمُكاشَرَةِ ، فَأَمّا إِخْوانُ

---

(١) الخصال : ٩٨ ، الحديث ٤٧ .

(٢) أُصول الكافي : ١ : ٢٢٠ ، الحديث ٢ .

(٣) الخصال : ١٢٤ ، الحديث ١١٩ .

الثِّقَةِ فَهُمُ الْكَفُّ وَالْجَناحُ ، وَالْأَهْلُ وَالْمالُ ، فَإِنْ كُنْتَ عَلىٰ حَدِّ الثِّقَةِ فَـابْذُلْ لَـهُ مـالَكَ وَبَدَنَكَ ، وَصافِ مَنْ صافاهُ ، وَعادِ مَنْ عاداهُ ، وَاكْتُمْ سِرَّهُ وَعَيْبَهُ ، وَأَظْهِرْ مِنْهُ الْحَسَنَ .

وَاعْلَمْ أَيُّها السّائِلُ أَنَّهُمْ أَقَلُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ .

وَأَمّا إِخْوانُ الْمُكاشَرَةِ فَإِنَّكَ تُصيبُ مِنْهُمْ لَذَّتَكَ ، فَلا تَقْطَعَنَّ ذلِكَ مِنْهُمْ ، وَلا تَطْلُبَنَّ ما وَراءَ ذلِكَ مِنْ ضَميرِهِمْ ، وَابْـذُلْ لَـهُمْ مـا بَـذَلوا لَكَ ، مِـنْ طَـلاقَةِ الْـوَجْهِ وَحَـلاوَةِ اللِّسانِ »[١] .

أمّا اخوان المكاشرة في هذا العصر فهم الأكثريّة الساحقة ، تسيّرهم الأطـماع والرغبات ، وتدفعهم المصالح والأهواء ، أمّا مظاهر صداقتهم فـهي طـلاقة الوجـه وعذوبة اللسان ، كما قال الإمام عليه السلام .

٨ ـ قال عليه السلام : « سُئِلَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام كَمْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْباطِلِ ؟

فقالَ عليه السلام : أَرْبَعُ أَصابِعٍ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلىٰ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ، فَقالَ : ما رَأَتْهُ عَيْناكَ فَهُوَ الْحَقُّ ، وَما سَمِعَتْهُ أُذُناكَ فَأَكْثَرُهُ الْباطِلُ »[٢] .

٩ ـ قال عليه السلام : « كانَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام يَقولُ : إِنَّ لِأَهْلِ التَّقْوىٰ عَلاماتٍ يُعْرَفونَ بِها : صِدْقُ الْحَديثِ ، وَأَداءُ الْأَمانَةِ ، وَالْوَفاءُ بِالْعَهْدِ ، وَقِلَّةُ الْفَخْرِ وَالْبُخْلِ ، وَصِلَةُ الْأَرْحامِ ، وَرَحْمَةُ الضُّعَفاءِ ، وَقِلَّةُ الْمواتاةِ لِلنِّساءِ ، وَبَـذْلُ الْـمَعْروفِ ، وَحُسْـنُ الْـخُلُقِ ، وَسَعَةُ الْحِلْمِ ، وَاتِّباعُ الْعِلْمِ ، فيما يُقَرِّبُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، طُوبىٰ لَهُم وَحُسْنُ مآبٍ »[٣] .

١٠ ـ قال عليه السلام : « كانَ عَلِيٌّ يَقولُ : الْعامِلُ بِالظُّلْمِ ، وَالْمُعينُ عَلَيْهِ ، وَالرّاضي بِهِ شُرَكاءُ

---

(١) الخصال : ٤٩ ، الحديث ٥٦ .

(٢) الخصال : ٢٣٦ ، الحديث ٧٨ .

(٣) الخصال : ٤٨٣ ، الحديث ٥٦ .

ثلاثتُهُمْ »(١).

١١ ـ روى عليه السلام عن آبائه : «**أنَّ أميرَ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام قالَ : كانَ لي مِنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله عَشْرُ خِصالٍ ، ما أَحَبُّ لي بِإِحْداهُنَّ مِمّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، قالَ لي : أَنْتَ أَخي في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ، وَأَقْرَبُ الْخَلائِقِ مِنّي في الْمَوْقِفِ ، وَأَنْتَ الْوَزيرُ وَالْوَصِيُّ وَالْخَليفَةُ في الْأَهْلِ وَالْمالِ ، وَأَنْتَ آخِذُ لِوائي في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ، وَلِيُّكَ وَلِيِّي ، وَوَلِيِّي وَلِيُّ اللهِ ، وَعَدُوُّكَ عَدُوّي وَعَدُوّي عَدُوُّ اللهِ »**(٢).

لقد خصّ الله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بفضائل كثيرة ، ومنحه المزيد من ألطافه والتي كان منها ما ذكره النبيّ صلى الله عليه وآله في هذا الحديث .

روايته عليه السلام عن جدّه الحسين عليه السلام

روى عليه السلام عن أبيه ، عن جدّه الإمام الحسين عليه السلام ، قال : **سَمِعْتُ جَدِّي رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقولُ لِي : اعْمَلْ بِفَرائِضِ اللهِ تَكُنْ أَتْقَى النّاسِ ، وَارْضَ بِقَسَمِ اللهِ تَكُنْ أَغْنَى النّاسِ ، وَكُفَّ عَنْ مَحارِمِ اللهِ تَكُنْ مُؤْمِناً ، وَأَحْسِنْ مُصاحَبَةَ مَنْ صاحَبَكَ تَكُنْ مُسْلِماً »**(٣).

روايته عليه السلام عن أبيه عليه السلام

روى عن أبيه عليّ بن الحسين عليه السلام ، أنّه قال : «**أَيُّما مُؤْمِنٍ دَمِعَتْ عَيْناهُ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ حَتّىٰ تَسيلَ عَلىٰ خَدِّهِ بَوَّأَهُ اللهُ في الْجَنَّةِ غُرَفاً يَسْكُنُها أَحْقاباً ، وَأَيُّما مُؤْمِنٍ دَمِعَتْ عَيْناهُ فيما مَسَّنا مِنَ الْأَذىٰ مِنْ عَدُوِّنا في الدُّنْيا بَوَّأَهُ اللهُ مُنْزَلَ صِدْقٍ ، وَأَيُّما مُؤْمِنٍ مَسَّهُ أَذىً فينا فَدَمِعَتْ عَيْناهُ حَتّىٰ تَسيلَ عَلىٰ خَدَّيْهِ مِنْ مَضاضَةِ ما أُوذِيَ فِينا صَرَفَ اللهُ**

---

(١) الخصال : ١٠٧ ، الحديث ٧٢.

(٢) الخصال : ٤٢٨ ، الحديث ٦.

(٣) أمالي الصدوق : ١٧٨.

عَنْ وَجْهِهِ الْأَذىٰ ، وَآمَنَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ سَخَطِ النّارِ »[١] .

روايته عليه السلام عن جابر الأنصاري

وروى عليه السلام عن جابر بن عبدالله مجموعة من الأخبار والأحاديث من بينها :

١ ـ روى عليه السلام عن جابر : « **أَنّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كانَ إذا وَقَفَ عَلَى الصَّفا يُكَبِّرُ ثَلاثاً ، وَيَقولُ : لا إِلٰـهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، يَصْنَعُ ذلِكَ ثَلاثَ مَرّاتٍ وَيَصْنَعُ مِثْلَ ذلِكَ عَلَى الْمَرْوَةِ »**[٢] .

٢ ـ روى عليه السلام عن جابر : « **أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله كانَ يَتَخَتَّمُ بِيَمينِهِ »**[٣] .

٣ ـ سأل عليه السلام جابراً عمّا جرى بين عليّ وعائشة ، فقال جابر : ذهبت يوماً إلى عائشة وسألتها ما تقولين في حقّ عليّ ؟ فأطرقت برأسها ثمّ رفعته وأنشدت :

إذا ما التِّبْرُ حُكَّ عَلىٰ مَحَكٍّ ... تَـبَيَّنَ غِشُّـهُ مِـنْ غَـيرِ شَكِّ
وَفِينا الغِشُّ وَالذَّهَبُ المُصَفّىٰ ... عَـلِيٌّ بَـيْنَنا شِـبْهُ المَحَكِّ[٤]

روايته عليه السلام عن عمر

وروى عليه السلام بسنده عن عمر بن الخطّاب ، قال : « **سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله يَقولُ : كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلّا سَبَبي وَنَسَبي »**[٥] .

---

(١) كامل الزيارات : ١٠٨ .

(٢) تاريخ دمشق : ٥٤ : ٢٦٩ .

(٣) علل الشرائع : ١ : ١٥٨ .

(٤) الصراط السوي : ١١٩ . نور الأبصار : ١٣١ .

(٥) الطبقات الكبرى : ٨ : ٤٦٣ .

روايته عليه السلام عن ابن عبّاس رضي الله عنه

وروى عليه السلام بسنده عن عبدالله بن عبّاس ، أنّه قال : «نظر عليّ في وجوه الناس فقال : إِنّي لَأَخو رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَوَزيرُهُ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنّي أَوَّلُكُمْ إيماناً بِاللهِ وَرَسولِهِ ، ثُمَّ دَخَلْتُمْ بَعْدي في الْإِسْلامِ رِسْلاً ، وَإِنّي لابْنُ عَمِّ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَأَخوهُ وَشَريكُهُ في نَسَبِهِ ، وَأَبو وَلَدِهِ ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ سَيِّدَةِ وَلَدِهِ ، وَسَيِّدَةِ نِساءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

وَلَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنّا ما خَرَجْنا مَعَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مَخْرَجاً قَطُّ إِلّا رَجَعْنا وَأَنا أَحَبُّكُمْ إِلَيْهِ ، وَأَوْثَقُكُمْ في نَفْسِهِ ، وَأَشَدُّكُمْ نِكايَةً لِلْعَدُوِّ ، وَآثَرُ في الْعَدَدِ .

وَلَقَدْ رَأَيْتُمْ بِعْثَتَهُ إِيّايَ بِبَراءَةٍ .

وَلَقَدْ آخىٰ بَيْنَ الْمُسْلِمينَ فَما اخْتارَ أَحَداً غَيْري .

وَلَقَدْ قالَ لي : أَنْتَ أَخي وَأَنا أَخوكَ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ .

وَلَقَدْ أَخْرَجَ النّاسَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَتَرَكَني .

وَلَقَدْ قالَ لي أَنْتَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هارونَ مِنْ موسىٰ ، إِلّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدي »(١) .

روايته عليه السلام عن زيد بن أرقم

وروى عليه السلام عن زيد بن أرقم ، قال : «كنّا جلوساً بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال صلى الله عليه وآله : أَلا أَدُلُّكُمْ عَلىٰ مَنْ إِذا اسْتَرْشَدْتُموهُ لَنْ تَضِلّوا ، وَلَنْ تَهْلَكوا .

قالوا : بَلىٰ يا رَسولَ اللهِ .

قالَ : هٰذا ـ وأشار إلى عليّ بن أبي طالب ـ .

ثُمَّ قالَ : واخوهُ ، وَوازِروهُ ، وَصَدِّقوهُ ، وَانصحوه ، فَإِنَّ جَبْرَئيلَ أَخْبَرَني بِما قُلْتُ

---

(١) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ١١١ و ١١٢ . المناقب / الخوارزمي : ٢٢٦ .

لَكُمْ »[١].

روايته عليه السلام عن أبي ذرّ رضي الله عنه

وروى عليه السلام طائفة من كلمات المصلح العظيم الصحابي أبي ذرّ، منها قوله :

« يا مُبْتَغِيَ الْعِلْمِ لا يَشْغَلُكَ أَهْلٌ وَلا مالٌ عَنْ نَفْسِكَ ، أَنْتَ يَوْمَ تُفارِقُهُمْ كَضَيْفٍ بِتَّ فيهِمْ ، ثُمَّ غَدَوْتَ عَنْهُمْ إِلىٰ غَيْرِهِمْ . . الدُّنْيا وَالآخِرَةُ كَمَنْزِلٍ تَحَوَّلْتَ مِنْهُ إِلىٰ غَيْرِهِ ، وَما بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ إِلّا كَنَوْمَةٍ نِمْتَها ثُمَّ اسْتَيْقَظْتَ مِنْها .

يا مُبْتَغِيَ الْعِلْمِ ، إِنَّ قَلْباً لَيْسَ فيهِ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ كَالْبَيْتِ الْخَرابِ »[٢].

هذه بعض الأحاديث التي أُثرت عنه ، وهي تتعلّق بآداب السلوك والأخلاق ، وبفضل العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم .

---

(١) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢٤٥.

(٢) ناسخ التواريخ : ٢ : ٢٠٤.

تفسير القرآن الكريم

من العلوم التي خاضها الإمام أبو جعفر عليه السلام في محاضراته تفسير القرآن الكريم ، فقد خصّص له وقتاً من أوقاته ، تناول فيه جميع شؤونه ، وقد أخذ عنه علماء التفسير ـ على اختلاف آرائهم وميولهم ـ الشيء الكثير ، فكان عليه السلام من ألمع المفسّرين في الإسلام ، وكان من جملة ما عرض له أثناء بحوثه عن القرآن ما يلي :

فضل قراءة القرآن

وحثّ الإمام أبو جعفر عليه السلام على تلاوة الكتاب العزيز لأنّه المنبع الفيّاض لهداية الناس واستقامتهم ، وهو ممّا يحيي القلوب ، ويمدّها بطاقات من النور والوعي ، وقد روى عليه السلام ما قاله جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل تلاوته ، قال عليه السلام :

«قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آياتٍ في لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغافِلينَ .

وَمَنْ قَرَأَ خَمْسينَ آيَةً كُتِبَ مِنَ الذّاكِرينَ .

وَمَنْ قَرَأَ مائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقانِتينَ .

وَمَنْ قَرَأَ مائَتَي آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْخاشِعينَ .

وَمَنْ قَرَأَ ثَلاثَمائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْفائِزينَ .

وَمَنْ قَرَأَ خَمْسَمائَةِ آيَةٍ كُتِبَ في الْمُجْتَهِدينَ .

وَمَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ كُتِبَ لَهُ قِنطارٌ مِنْ تِبْرٍ»(١) .

ووردت أخبار مماثلة لهذا الحديث عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وهي تحثّ

---

(١) البيان في تفسير القرآن : ٢٥ .

المسلمين على تلاوة القرآن ، وتحفّزهم على الامعان في آياته ، والتأمّل في أسراره ، وهي من دون شكّ تنمّي العقول ، وتهذّب النفوس ، وتصونها من الانحراف ، وتهديها إلى سواء السبيل .

الترجيع بقراءة القرآن

أمّا الترجيع بقراءة القرآن ، وتلاوته بالصوت الحسن ، فإنّه ينفذ إلى أعماق القلب ودخائل النفس ، ويتفاعل مع العواطف ، وذلك لما اشتمل عليه من الحكم والمعارف التي لا غنى للحياة عنها .

وقد عنى أئمّة أهل البيت عليهم السلام بتلاوة القرآن الكريم ، فكان الإمام أبو جعفر عليه السلام من أحسن الناس صوتاً بقراءته للقرآن[١] .

وروى أبو بصير ، قال : « قلت لأبي جعفر : إذا قرأت القرآن فرفعت صوتي جاءني الشيطان فقال : إنّما ترائي بهذا أهلك والناس .

فقال عليه السلام : **يا أَبا مُحَمَّدٍ ، اقْرَأْ قِراءَةً ما بَيْنَ الْقِراءَتَيْنِ تُسْمِعُ أَهْلَكَ ، وَرَجِّعْ بِالْقُرْآنِ صَوْتَكَ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يُرَجَّعُ فيهِ تَرْجيعاً** »[٢] .

تنزيه القرآن من الباطل

القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الكبرى ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾[٣] ، ﴿ **ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[٤] ،

---

(١) أصول الكافي : ٢ : ٦١٦ ، الحديث ١١ .

(٢) البيان في تفسير القرآن : ٢١٠ .

(٣) هود ١١ : ١ .

(٤) البقرة ٢ : ٢ .

وليس فيه أي تناقض في أحكامه ولا تناف في آياته: ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً** ﴾(١)، وهو ﴿ **يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾(٢)، و ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾(٣).

وقد فسّر هذه الآية الإمام أبو جعفر عليه السلام، قال: « ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ** ﴾ **مِنْ قِبَلِ التَّوْراةِ، وَلَا مِنْ قِبلِ الْإِنْجيلِ وَالزَّبورِ،** ﴿ **وَلَا مِن خَلْفِهِ** ﴾ **أيْ لَا يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِهِ كِتابٌ يُبْطِلُهُ** ».

وفي رواية عن الصادقين عليهما السلام أنّه: « **لَيْسَ في إِخْبارِهِ عَمّا مَضىٰ باطِلٌ، وَلَا في إِخْبارِهِ عَمّا يَكونُ في الْمُسْتَقْبَلِ باطِلٌ** ».

ذمّ المحرّفين للقرآن

وذمّ الإمام أبو جعفر عليه السلام المحرّفين لكتاب الله، وهم الذين يؤوّلون آياته حسب أهوائهم، فقد كتب عليه السلام في رسالته إلى سعدالخير:

« **وَكانَ مِنْ نَبْذِهِمُ الْكِتابَ أَنْ أَقاموا حُروفَهُ، وَحَرَّفوا حُدودَهُ، فَهُمْ يَرْوُنَهُ وَلَا يَرْعَوْنَهُ، وَالْجُهّالُ يُعْجِبُهُمْ حِفْظُهُمْ لِلرِّوايَةِ، وَالْعُلَماءُ يُحْزِنُهُمْ تَرْكُهُمْ لِلرِّعايَةِ** »(٤).

الاستعمالات المجازيّة في القرآن

وشاع الاستعمال المجازي في لغة العرب، وذاع أمره في كثير من أنحاء الاستعمال كالإسناد المجازي، والمجاز في الكلمة، ومنه باب الكنايات التي قيل

---

(١) النساء ٤: ٨٢.

(٢) الإسراء ١٧: ٩.

(٣) فصّلت ٤١: ٤٢.

(٤) فروع الكافي: ٨: ٥٣، الحديث ١٦.

إنّها أبلغ من التصريح ، ويعتبر ذلك من لطائف هذه اللغة ومحاسنها .

وفي القرآن الكريم طائفة كبيرة من الآيات كان الاستعمال فيها مجازيّاً ، منها قوله تعالى : ﴿ **يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾(١) ، فإنّ المنصرف من اليد هو العضو المخصوص ، ويستحيل ذلك عليه تعالى لاستلزامه التجسيم وهو ممّا يمتنع عقلاً على الله تعالى ، وقد سأل محمّد بن مسلم الإمام أبا جعفر عن ذلك ، فأجابه عليه السلام : **الْيَدُ في كَلامِ الْعَرَبِ الْقُوَّةُ وَالنِّعْمَةُ** .

قالَ تَعالىٰ : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴾(٢) .

وَقالَ : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾(٣) ، أَيْ بِقُوَّةٍ .

وَقالَ : ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾(٤) ، وَيُقالُ : لِفُلانٍ عِنْدي أيادٍ كَثيرَةٍ ، أَيْ فَواضِلُ وَإِحْسانٌ ، وَلَهُ عِنْدي يَدٌ بَيْضاءُ ، أَيْ نِعْمَةٌ »(٥) .

ومعنى ذلك أنّ اليد لم تستعمل في معناها المنصرف ، وإنّما استعملت في غيره ، إمّا مجازاً أو حقيقة ، بناءً على أنّها مشتركة اشتراكاً لفظيّاً في هذه المعاني التي ذكرها الإمام .

البسملة جزء من سور القرآن

وذهب الإمام أبو جعفر عليه السلام وسائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام إلى أنّ البسملة جزء من سور القرآن الكريم ، وتبعهم على ذلك جمهور غفير من علماء المسلمين ،

---

(١) ص ٣٨ : ٧٥.

(٢) ص ٣٨ : ١٧.

(٣) الذاريات ٥١ : ٤٧.

(٤) المجادلة ٥٨ : ٢٢.

(٥) ناسخ التواريخ : ١ : ٤٣٤ ، نقلاً عن توحيد الصدوق .

وقرّاؤهم[١] ، وقد كتب يحيى بن أبي عمران الهمداني رسالة إلى الإمام أبي جعفر عليه‌السلام جاء فيها : « جعلت فداك ، ما تقول في رجل ابتدأ بـ ﴿ **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ** ﴾ في صلاته وحده في أُمّ الكتاب ، فلمّا صار إلى غير أُمّ الكتاب من السورة تركها ؟ فقال العبّاسي : ليس بذلك بأس .

فأجابه عليه‌السلام برسالة جاء فيها : **يُعيدُها مَرَّتَيْنِ عَلىٰ رَغْمِ أَنْفِهِ** ـ يعني العبّاسي ـ »[٢] .

وتظافرت الأخبار من الفريقين بجزئيّتها ، وقد شذّ من أنكر ذلك .

نزول القرآن على سبعة أحرف

وشاع بين المفسّرين أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف ، وقد استندوا في ذلك إلى ما روي عن أبي جعفر عليه‌السلام من أنّه قال : « **إنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ** »[٣] .

وقد كثرت الأقوال في هذه الجهة حتّى أنّ أبا حاتم ذكر أنّ الأقوال بلغت خمساً وثلاثين قولاً[٤] .

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للنظر إلى معاني الأحرف السبعة ومدى صحّتها ونسبتها إلى الإمام الباقر عليه‌السلام .

الحروف السبعة

أمّا الحروف السبعة فقد اختلفت الأقوال في المراد منها ، وهذه بعضها :

---

(١) تفسير روح المعاني / الآلوسي : ١ : ٣٩ . تفسير فتح القدير / الشوكاني : ١ : ٧ .

(٢) فروع الكافي : ٣ : ٣١٢ ، الحديث ٢ ، ومعنى قوله عليه‌السلام : « يعيدها مرّتين » يعني أنّه كرّر لفظ الإعادة من باب التأكيد .

(٣) غاية النهاية في طبقات القرّاء : ٢ : ٢٠٢ . القراءات القرآنيّة : ٤٢٠ .

(٤) تفسير الجامع لأحكام القرآن / القرطبي : ١ : ٩ .

١ - إنّها الوعد والوعيد ، والأمر والنهي ، والقصص والمجادلة والأمثال ، وقد ضعف هذا الوجه ابن عطيّة ، وقال : « إنّ هذا لا يسمّى أحرفاً »[١].

٢ - إنّها المعاني المتقاربة التي ترد بألفاظ مختلفة نحو أقبل وهلمّ ، أو عجّل واسرع ، وقد اختار هذا الوجه الطبري[٢] ، إلّا أنّ ذلك لا يحمل أي طابع من التحقيق ، فإنّ للإنسان على هذا الوجه أن يقرأ القرآن على أشكال مختلفة ، وذلك يؤدّي إلى اختلاف كبير من إضافة آية أو حذفها ، لأنّ الاختلاف في الألفاظ يستتبع الاختلاف في الجمل حسبما يقول القرطبي[٣].

٣ - إنّ المراد بها الأبواب السبعة التي نزل بها القرآن ، وهي : الزجر ، والأمر ، والحلال ، والحرام ، والمحكم ، والمتشابه ، والأمثال[٤].

ويرد عليه أنّ هذه لا تسمّى أحرفاً ، مضافاً إلى أنّ الزجر والحرام شيء واحد فلا تكون سبعة.

٤ - إنّها اللغات الفصيحة من لغات العرب ، وهي متفرّقة في القرآن ، فبعضها بلغة قريش ، وبعضها بلغة هذيل ، وبعضها بلغة هوازن ، وبعضها بلغة اليمن ، وبعضها بلغة كنانة ، وبعضها بلغة تميم ، وبعضها بلغة ثقيف ، ونسب هذا القول إلى البيهقي والأبهري وصاحب القاموس .. إلّا أنّ هذا الوجه ينافيه ما ورد عن عمر من أنّ القرآن نزل بلغة مضر[٥].

٥ - إنّها سبع قراءات ، وأشكل على ذلك سيّدنا الأستاذ بأنّه إن أُريد منها السبع

---

(١) نظرة عامّة في تاريخ الفقه الإسلامي : ٦٧.

(٢) تفسير الطبري : ١ : ١٥.

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن : ١ : ٣٦.

(٤) البيان في تفسير القرآن : ١٨٣.

(٥) البيان في تفسير القرآن : ١٨٥.

المشهورة فهي غير ثابتة حسبما حقّقه عند البحث عن تواتر القراءات ، وإن أُريد بها السبع على إطلاقها فمن الواضح أنّ عدد القراءات أكثر من ذلك بكثير(١).

هذه بعض الأقوال ، وقد عدّ سيّدنا الأُستاذ عشرة أقوال ، إلّا أنّه فنّدها ، وأثبت أنّها لا ترجع إلى محصّل ، وقد ألّف أبو شامة كتاباً في هذه المعاني ، وأبطل معظمها .

إنكار الإمام للأحرف السبعة

وأنكر الإمام أبو جعفر عليه السلام الأحرف السبعة ، ولم يصحّ ما نسب إليه أنّه رواها ، فقد روى في الصحيح عنه زرارة أنّه قال : « **إِنَّ الْقُرْآنَ واحِدٌ ، نَزَلَ مِنْ عِنْدِ واحِدٍ ، وَلكِنَّ الْإِخْتِلافَ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الرُّواةِ** »(٢).

وأُثر عن الإمام الصادق عليه السلام إنكار ذلك ، فقد سأله الفضيل بن يسار ، فقال له : إنّ الناس يقولون : إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف .

فقال عليه السلام : **كَذِبوا ـ أَعْداءُ اللهِ ـ وَلكِنَّهُ نَزَلَ عَلىٰ حَرْفٍ واحِدٍ مِنْ عِنْدِ الْواحِدِ** »(٣).

طرق التفسير

واختلفت اتّجاهات المفسّرين للقرآن الكريم ، وقد سلكوا في ذلك طرقاً مختلفة ، منها :

التفسير بالمأثور

ونعني به تفسير القرآن بما أُثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّة الهدى ، وهذا ما سلكه أغلب

---

(١) البيان في تفسير القرآن : ١٩١ .

(٢) أُصول الكافي ـ كتاب فضل القرآن : ٢ : ٦٣٠ ، الحديث ١٢ .

(٣) أُصول الكافي ـ كتاب فضل القرآن : ٢ : ٦٣٠ ، الحديث ١٣ .

مفسّري الشيعة ، كتفسير القمّي والعسكري والبرهان وغيرها ، وحجّتهم في ذلك أنّ أهل البيت عليهم السلام هم المخصوصون بعلم القرآن على واقعه وحقيقته ، وليس لغيرهم في ذلك أي نصيب ، وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو جعفر عليه السلام بقوله : **ما يَسْتَطيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ عِنْدَهُ جَميعَ الْقُرْآنِ كُلَّهُ ، ظاهِرَهُ وَباطِنَهُ ، غَيْرُ الْأَوْصِياءِ** »[١] .

فالأوصياء هم الذين عندهم علم الكتاب ، ظاهره وباطنه ، وقد تظافرت الأدلّة على وجوب الرجوع إليهم في تفسير القرآن .

يقول الشيخ الطوسي : « إنّ تفسير القرآن لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن الأئمّة الذين قولهم حجّة كقول النبيّ صلى الله عليه وآله »[٢] .

التفسير بالرأي

ويراد به الأخذ بالاعتبارات العقليّة الظنّيّة الراجعة إلى الاستحسان[٣] ، وقد ذهب إلى ذلك المفسّرون من المعتزلة والباطنيّة ، فلم يعنوا بما أُثر عن أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسيرهم ، وإنّما استندوا إلى ما يروونه من الاستحسانات العقليّة ، وقد نهى عن ذلك الإمام أبو جعفر عليه السلام ، فقد دخل عليه قتادة الفقيه المشهور فقال له الإمام : **أَنْتَ فَقيهُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ؟**

- نعم ، هكذا يزعمون .
- **بَلَغَني أَنَّكَ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ ؟**
- نعم .

فأنكر عليه الإمام ذلك قائلاً: **يا قَتادَةُ ، إنْ كُنْتَ قَدْ فَسَّرْتَ الْقُرْآنَ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِكَ**

---

(١) الوافي : ٢ : ١٣٠ .

(٢) التبيان : ١ : ٤ .

(٣) فرائد الأصول / الأنصاري : ١ : ١٤٢ .

فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ فَسَّرْتَهُ مِنَ الرِّجالِ فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ .

يا قَتادَةُ ، وَيْحَكَ ! إِنَّما يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ »[١] .

وقد قصر الإمام الباقر عليه السلام معرفة الكتاب العزيز على أهل البيت عليهم السلام ، فهم الذين يعرفون المحكم من المتشابه ، والناسخ من المنسوخ ، وليس عند غيرهم هذا العلم .

وقد أُثر عن الأئمّة عليهم السلام القول : « **إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدُ مِنْ عُقولِ الرِّجالِ مِنْ تَفْسيرِ الْقُرْآنِ ، الْآيَةُ يَكونُ أَوَّلُها في شَيْءٍ وَآخِرُها في شَيْءٍ ، وَهُوَ كَلامٌ مُتَّصِلٌ يَنْصَرِفُ إِلىٰ وُجوهٍ** »[٢] .

أمّا الأخذ بظواهر الكتاب فلا يعدّ من التفسير بالرأي المنهيّ عنه ، وقد خالف في حجّيّتها بعض المحدّثين ، وتمسّكوا بأدلّة قد فنّدت من قبل علماء الأُصوليّين[٣] .

تفسير الإمام الباقر عليه السلام

وألّف الإمام أبو جعفر عليه السلام كتاباً في تفسير القرآن الكريم نصّ عليه محمّد بن إسحاق النديم في (الفهرست) عند عرضه للكتب المؤلّفه في تفسير القرآن الكريم ، قال : « كتاب الباقر محمّد بن عليّ بن الحسين رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجاروديّة » .

وقال السيّد حسن الصدر : « وقد رواه عنه أيّام استقامته جماعة من ثقاة الشيعة ، منهم أبو بصير يحيى بن القاسم الأسدي ، وقد أخرجه عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي في تفسيره من طريق أبي بصير[٤] .

---

(١) البيان في تفسير القرآن : ٢٦٧ .

(٢) فرائد الأُصول : ٢٨ .

(٣) يراجع في ذلك : فرائد الأُصول / الشيخ الأنصاري ، والبيان في تفسير القرآن .

(٤) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : ٣٢٧ . فهرست الشيخ الطوسي : ٩٨ ، وحقّق هذا ⇦

ويقول الرواة : إنّ جابر بن يزيد الجعفي ألّف كتاباً في تفسير القرآن أخذه من الإمام[١] .

نماذج من تفسيره عليه السلام

وروى عنه المفسّرون الشيء الكثير من تفسير آيات القرآن الكريم ، وهذه بعضها :

١ » **قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُوا أَنفُسَهُم يَظْلِمُونَ﴾[٢] .**

قال عليه السلام في تفسيره للآية : **إِنَّهُ تَعالىٰ أَعْظَمُ وَأَعزُّ وَأَجلُّ وَأَمْنَعُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَ ، وَلكِنَّهُ خَلَطَنا بِنَفْسِهِ فَجَعَلَ ظُلْمَنا ظُلْمَهُ ، وَولايَتَنا وَلايَتَهُ ، حَيْثُ يَقولُ : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[٣] يَعْني الْأَئِمَّةَ مِنّا ، ثُمَّ قالَ في مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُوا أَنفُسَهُم يَظْلِمُونَ﴾[٤] .**

٢ » **قال تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً﴾[٥] .**

سأل بريد العجلي الإمام أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية .

فقال عليه السلام : **جَعَلَ في آلِ إِبْراهِيمَ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِياءَ وَالْأَئِمَّةَ ، فَكَيْفَ يُقِرّونَهُ في آلِ إِبْراهِيمَ ، وَيُنْكِرونَهُ في آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ؟**

⇦ التفسير المحامي السيّد شاكر الغرباوي ، إلّا أنّه لم يقدّمه للنشر .

(١) رجال النجاشي : ١٢٨ و ١٢٩ .

(٢) البقرة ٢ : ٥٧ .

(٣) المائدة ٥ : ٥٥ .

(٤) أُصول الكافي : ١ : ١٤٦ ، الحديث ١١ .

(٥) النساء ٤ : ٥٤ .

قال بريد : وما المراد ﴿ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً ﴾ ؟

قال : **الْمُلْكُ الْعَظِيمُ أَنْ جَعَلَ فيهِمْ أَئِمَّةً مَنْ أَطاعَهُمْ أَطاعَ اللهَ ، وَمَنْ عَصاهُمْ عَصَى اللهَ ، فَهُوَ الْمُلْكُ الْعَظيمُ**(١) .

٣ » قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ﴾(٢) .

قال عليه السلام : **يَعْني بِذلِكَ تَبْليغَ ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسولِ صلى الله عليه وآله في فَضْلِ عَلِيٍّ**(٣) .

وقد روى عليه السلام : **أَنَّ اللهَ أَوْحىٰ إِلىٰ نَبيِّهِ أَنْ يَسْتَخْلِفَ عَلِيّاً ، فَكانَ يَخافُ أَنْ يَشُقَّ ذلِكَ عَلىٰ جَماعَةٍ مِنْ أَصْحابِهِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالىٰ هٰذِهِ الْآيَةَ تَشْجيعاً لَهُ عَلَى الْقِيامِ بِما أَمَرَهُ اللهُ بِأَدائِهِ**(٤) .

٤ » قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْلَا أَن رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾(٥) .

قال عليه السلام لجابر الجعفي : **ما يَقولُ فُقَهاءُ الْعِراقِ في هٰذِهِ الْآيَةِ ؟**

قال جابر : رأى يعقوب عاضاً على إبهامه .

فقال عليه السلام : **حَدَّثَني أَبي ، عَنْ جَدّي عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ أَنَّ الْبُرْهانَ الَّذي رَآهُ أَنَّها حِينَ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها أَي طَمِعَ فيها ، فَقامَتْ إِلىٰ صَنَمٍ مُكَلَّلٍ بِالدُّرِّ وَالْياقوتِ في ناحِيَةِ الْبَيْتِ فَسَتَرَتْهُ بِثَوبٍ أَبْيَضٍ خَشْيَةَ أَنْ يَراها أَوِ اسْتِحْياءً مِنْهُ .**

فَقالَ لَها يُوسُفُ : ما هٰذا ؟

---

(١) أصول الكافي : ١ : ٢٠٦ .

(٢) المائدة ٥ : ٦٧ .

(٣) خصائص الوحي المبين : ٣٠ .

(٤) مجمع البيان : ٤ : ٢٢٣ .

(٥) يوسف ٢١ : ٢٤ .

فَقالَتْ: إِلـٰهي أَسْتَحِي مِنْهُ أَنْ يَراني عَلىٰ هـٰذِهِ الصّورَةِ.

فَقالَ يُوسُفُ: تَسْتَحي مِنْ صَنَمٍ لا يَنْفَعُ وَلا يَضُرُّ، وَلا يُبْصِرُ، أَفَلا أَسْتَحِي أَنا مِنْ إِلـٰهي الَّذي هُوَ قائِمٌ عَلىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ.

ثُمَّ قالَ: وَاللهِ لا تَنالِينَ مِنّي أَبَداً، فَهُوَ الْبُرْهانُ[١].

٥ » قال تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٢].

سأل بريد بن معاوية الإمام أبا جعفر عليه السلام عن المعنيّين بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾؟

فقال عليه السلام: إِيّانا عَنىٰ، وَعَلِيٌّ أَوَّلُنا، وَأَفْضَلُنا، وَخَيْرُنا بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله[٣].

٦ » قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[٤].

سئل عليه السلام عن الروح، فقال: هِيَ الْقُدْرَةُ[٥].

٧ » قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٦].

قال عليه السلام: «قالَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام: كانَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله الْمُتَوَسِّمُ، وَأَنا مِنْ بَعْدِهِ،

---

(١) البداية والنهاية: ٩: ٣١٠.

(٢) الرعد ١٣: ٤٣.

(٣) أصول الكافي: ١: ٢٢٩، الحديث ٦. مجمع البيان: ٦: ٣٠١، روي عن أبي جعفر أنّها نزلت في آل البيت.

(٤) الحجر ١٥: ٢٩. ص ٣٨: ١٧٢.

(٥) تفسير البرهان: ٣: ٣٤٢، الحديث ٨.

(٦) الحجر ١٥: ٧٥.

وَالْأَئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتي الْمُتَوَسِّمونَ »[١].

٨ » قال تعالى: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

روى محمّد بن مسلم ، قال : « قلت للإمام أبي جعفر : إنّ من عندنا يزعمون أنّ المعنيّين بالآية هم اليهود والنصارى ؟

قال : إِذاً يَدْعونَكُمْ إِلىٰ دِينِهِمْ ، ثمّ أشار إلى صدره فقال : نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ ، وَنَحْنُ الْمَسْؤُولونَ[٣].

٩ » قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[٤].

روى جابر بن يزيد الجعفي ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « لَمّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ قالَ الْمُسْلِمونَ : يا رَسولَ اللهِ ، أَلَسْتَ إِمامَ النّاسِ كُلِّهِمْ أَجْمَعينَ ؟

فَقالَ صلى الله عليه وآله : أَنا رَسولُ اللهِ إِلَى النّاسِ أَجْمَعينَ ، وَلكِنْ سَيَكونُ مِنْ بَعْدي أَئِمَّةٌ عَلَى النّاسِ مِنْ أَهْلِ بَيْتي يَقومونَ في النّاسِ فَيُكَذَّبونَ ، وَيَظْلِمُهُمْ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَالضَّلالِ وَأَشْياعُهُمْ ، فَمَنْ والاهُمْ وَاتَّبَعَهُمْ وَصَدَّقَهُمْ فَهُوَ مِنّي وَمَعي وَسَيَلْقاني ، وَمَنْ ظَلَمَهُمْ وَكَذَّبَهُمْ فَلَيْسَ مِنّي وَلا مَعي ، وَأَنا مِنْهُ بَرِيءٌ »[٥].

١٠ » قال تعالى: ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾[٦].

---

(١) أصول الكافي : ١ : ٢١٩ ، الحديث ٥.

(٢) النحل ١٦ : ٤٣.

(٣) أصول الكافي : ١ : ٢١١ ، الحديث ٧.

(٤) الإسراء ١٧ : ٧١.

(٥) أصول الكافي : ١ : ٢١٥ ، الحديث ١.

(٦) طه ٢٠ : ٨١.

سئل أبو جعفر عليه السلام عن غضب الله ؟

فقال عليه السلام : **طَرْدُهُ وَعِقابُهُ**(١) .

١١ » **قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾**(٢) .

فسّر عليه السلام الهداية بالولاية لأئمّة أهل البيت عليهم السلام وقال : **فَوَاللهِ لَوْ أَنَّ رَجُلاً عَبَدَ اللهَ عُمْرَهُ ما بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقامِ ، وَلَمْ يَجِيء بِولايَتِنا إِلّا أَكَبَّهُ اللهُ في النّارِ عَلىٰ وَجْهِهِ**(٣) .

١٢ » **قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾**(٤) .

قال عليه السلام : **الْغُرْفَةُ : هِيَ الْجَنَّةُ ، وَهِيَ جَزاءٌ لَهُمْ بِما صَبَروا عَلَى الْفَقْرِ في الدُّنْيا**(٥) .

١٣ » **قال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾**(٦) .

المراد من الآية أنّ الغاوين والقوى الكافرة يجمعون ويطرح بعضهم على بعض في النار .

قال الإمام أبو جعفر عليه السلام : **إِنَّها نَزَلَتْ في قَوْمٍ وَصَفوا عَدْلاً بِأَلْسِنَتِهِمْ ، ثُمَّ خالَفوهُ إِلىٰ غَيْرِهِ**(٧) .

---

(١) الفصول المهمّة : ٢٢٧.

(٢) طه ٢٠ : ٨٢.

(٣) مجمع البيان : ٧ : ٢٣.

(٤) الفرقان ٢٥ : ٧٥.

(٥) البداية والنهاية : ٩ : ٣٠١.

(٦) الشعراء ٢٦ : ٩٤.

(٧) أصول الكافي : ١ : ٤٧ ، الحديث ٤.

١٤ »» قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[1].

فسّر الإمام أبو جعفر عليه السلام ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بأئمّة أهل البيت عليهم السلام[2].

وروى أبو بصير: «أنّ الإمام أبا جعفر قرأ هذه الآية، وأومأ بيده إلى صدره»[3].

١٥ »» قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ﴾[4].

وسأل سالم الإمام أبا جعفر عن هذه الآية، فقال عليه السلام: **السّابِقُ بِالْخَيْراتِ الْإمامُ، وَالْمُقْتَصِدُ الْعارِفُ لِلْإِمامِ، وَالظّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذي لا يَعْرِفُ الْإمامَ**[5].

وروى زياد بن المنذر عنه عليه السلام أنّه قال: «**أَمّا الظّالِمُ لِنَفْسِهِ فَمَنْ عَمِلَ صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً، وَأَمّا الْمُقْتَصِدُ فَهُوَ الْمُتَعَبِّدُ الْمُجْتَهِدُ.**

وَأَمّا السّابِقُ بِالْخَيْراتِ فَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَمَنْ قُتِلَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله شَهيداً»[6].

١٦ »» قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[7].

---

(١) العنكبوت ٢٩: ٤٩.

(٢) مجمع البيان: ٧: ٢٨٨.

(٣) أُصول الكافي: ١: ٢١٢، الحديث ١.

(٤) فاطر ٣٥: ٣٢.

(٥) أُصول الكافي: ١: ٢١٤، الحديث ١.

(٦) مجمع البيان: ٧: ٤٠٩.

(٧) الزمر ٣٩: ٩.

قال عليه السلام : **نَحْنُ الَّذينَ يَعْلَمونَ ، وَعَدُوُّنا الَّذينَ لا يَعْلَمونَ ، وَشيعَتُنا أُولوا الْأَلْبابِ**[١] .

١٧ » **قال تعالى:** ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَاءً غَدَقاً ﴾[٢] .

قال عليه السلام : « **يَعْني لَوِ اسْتَقاموا عَلىٰ وَلايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ** عليه السلام **وَالْأَوْصِياءِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَقَبِلوا طاعَتَهُمْ في أَمْرِهِمْ وَنَهْيِهِمْ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً ، يَعْني أَشْرَبْنا قُلوبَهُمُ الْإيمانَ ، وَالطَّريقَةُ : هِيَ الْإيمانُ بِوَلايَةِ عَلِيٍّ وَالْأَوْصِياءِ** »[٣] .

١٨ » **قال تعالى:** ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾[٤] .

نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي الذي اتّهم النبيّ صلى الله عليه وآله بالسحر ، وكان الوليد يسمّى في قومه الوحيد ، والآية سيقت على وجه التهديد له ، وقد روى محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر ، أنّه قال : « **الْوَحيدُ وَلَدُ الزِّنا** » .

وقال زرارة : « ذكر لأبي جعفر أنّ أحد بني هشام قال في خطبته : أنا ابن الوحيد ، فقال : **وَيْلَهُ ، لَوْ عَلِمَ ما الْوَحيدُ ما فَخَرَ بِها** .

فقلنا له : وما هو ؟

قال : **مَنْ لا يُعْرَفُ لَهُ أَبٌ** »[٥] .

١٩ » **قال تعالى:** ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾[٦] .

---

(١) أُصول الكافي : ١ : ٢١٢ ، الحديث ٢ .

(٢) الجنّ ٧٢ : ١٦ .

(٣) أُصول الكافي : ١ : ٢٢٠ ، الحديث ١ .

(٤) المدثّر ٧٤ : ١١ .

(٥) مجمع البيان : ١٠ : ٣٨٧ .

(٦) القدر ٩٧ : ٤ .

قال عليه السلام: **تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالْكَتَبَةُ إلىٰ سَماءِ الدُّنْيا فَيَكْتُبونَ ما يكونُ في السَّنَةِ مِنْ أُمورِ ما يُصيبُ الْعِبادَ، وَالْأَمْرُ عِنْدَهُ مَوْقوفٌ لَهُ فيهِ عَلَى الْمَشِيئَةِ، فَيُقَدِّمُ ما يَشاءُ، وَيُؤَخِّرُ ما يَشاءُ، وَيَمْحُو ما يَشاءُ، وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ**[١].

هذه بعض الآيات التي فسّرها الإمام أبو جعفر عليه السلام، وبها ينتهي بنا الحديث عن تفسيره للقرآن الكريم.

---

(١) دعائم الإسلام: ١: ٢٢٨، الحديث ١٠٧٥.

علم الكلام

وبحث الإمام أبوجعفر عليه السلام في كثير من محاضراته المسائل الكلاميّة ، وسئل عن أعقد المسائل وأدقّها في بحوث هذا العلم ، فأجاب عنها .

ومن الجدير بالذكر أنّ عصر الإمام كان من أشدّ العصور الإسلاميّة حسّاسيّة ، فقد امتدّ فيه الفتح الإسلامي إلى أغلب مناطق العالم وشعوب الأرض ، فأثار ذلك موجة من الحقد في نفوس المعادين للإسلام من الشعوب المغلوبة على أمرها ، ومن غيرها ، فقاموا بحملة دعائيّة ضدّ العقيدة الإسلاميّة ، فأذاعوا الشكوك والأوهام بين أبناء المسلمين ، وقد شجّعت الحكومات الأمويّة الأفكار المعادية للإسلام ، فلم يؤثر عن أي أحد من ملوك بني أُميّة أنّه قاومها أو تصدّى لإيقافها وعدم نشرها بين المسلمين ، ولم يكن هناك أحد قد انبرى إلى إنقاذ المسلمين في ذلك العصر سوى الإمام أبي جعفر عليه السلام ، فقد تصدّى إلى تزييفها والردّ عليها ببالغ الحجّة والبرهان ، وسنعرض تفصيل ذلك عند البحث عن عصر الإمام عليه السلام .

وعلى أي حال ، فهذه بعض البحوث الكلاميّة التي خاضها الإمام ، وهي :

التوحيد

وتناول الإمام أبو جعفر عليه السلام أهمّ مسائل التوحيد ، فكشف الغطاء عنها ، وفنّد ما أُثير حولها من أوهام وشكوك ، وكان من بين ما عرض له :

١ ـ عجز العقول عن إدراك حقيقة الله

والشيء الذي لا جدال فيه أنّ الإنسان بجميع ما يملك من طاقات فكريّة ، فإنّه عاجز عن معرفة حقيقة الله ، لأنّ العقول في جميع تصوّراتها محدودة .

يقول الشافعي : « إنّ للعقل حدّاً ينتهي إليه ، كما أنّ للبصر حدّاً ينتهي إليه » .

إن جميع الأشياء التي يتوصّل إليها حسّ الإنسان لا بدّ أن توجد في مكان ، ويجري عليها الزمان ، ولا يستطيع العقل أن يتخيّل موجودات لا مكان لها أو أشياء لا يجري عليها الزمان ، وذات الله تعالى يعجز العقل أن يدرك واقعها ، لأنها لا يجري عليها الزمان ولا المكان ، فإنّه تعالى هو الذي خلقهما ، وبالإضافة إلى ذلك فإنّ في الكون أموراً كثيرة قد عجز العقل عن الإحاطة بكنهها ، والتي منها الحقيقة الغيبيّة ، فإنّ العقل لم يهتد إلى معرفتها .

إنّ ذات الله تعالى لا تدركها أوهام القلوب على مدى ما تحمل من سعة الخيال فضلاً عن إدراكها بالعين الباصرة ، فإنّ كلّاً منهما محدود بحسب الزمان والمكان ، وقد أدلى بذلك الإمام أبو جعفر عليه السلام حيث سئل عن قوله تعالى : ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ** ﴾[١] .

فقال عليه السلام : **أَوْهامُ الْقُلوبِ أَدَقُّ مِنْ إِبْصارِ الْعُيونِ ، أَنْتَ قَدْ تُدْرِكُ بِوَهْمِكَ السِّنْدَ وَالْهِنْدَ وَالْبُلْدانَ الَّتي لَمْ تَدْخُلْها وَلَا تُدْرِكُها بِبَصَرِكَ ، وَأَوْهامُ الْقُلوبِ لَا تُدْرِكُهُ فَكَيْفَ إِبْصارُ الْعُيونِ؟**[٢]

إنّ البصر ينقلب خاسئاً وهو حسير في تصوّره لذات الله تعالى ، خالق الكون وواهب الحياة .

يقول ابن أبي الحديد :

فيكَ يا أُعْجوبةَ الْكَونِ غَــدا الفِكْــرُ عَـليلا

كُـلَّما قَـدَّمْتُ فِكْـري فـيكَ شِـبْراً فَـرَّ مـيلا

---

(١) الأنعام ٦ : ١٠٣ .

(٢) أُصول الكافي : ١ : ٩٩ ، الحديث ١١ .

أنتَ حَـيَّرتَ ذَوي اللُّـ بِّ وَبَلْبَلْتَ الْـعُقولا[١]

إنّه ليس هناك شيء أبعد من إدراك ذات الله تعالى ، فإنّها تمتنع على العقول ، وتعجز من أن تلمّ بأيّ جانب من جوانبها ، وقد سأل عبدالرحمن بن أبي نجران الإمام أباجعفر عن الله تعالى فقال : إنّي أتوهّم شيئاً .

فقال عليه السلام له : **نَعَمْ غَيْرُ مَعْقولٍ ، وَلَا مَحْدُودٍ ، فَما وَقَعَ وَهْمُكَ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ خِلافُهُ وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهامُ .**

كَيْفَ تُدْرِكُهُ الْأَوْهامُ وَهُوَ خِلافُ ما يُعْقَلُ ، وَخِلَافُ ما يُتَصَوَّرُ فِي الْأَوْهامِ ، إِنَّما يُتَوَهَّمُ شَيْءٌ غَيْرُ مَعْقولٍ وَلَا مَحْدُودٍ[٢] .

٢ ـ أزليّة واجب الوجود

أمّا أزليّة واجب الوجود فهي من أدقّ البحوث الكلاميّة والفلسفيّة ، وقد عرضت على أبي جعفر عليه السلام ، فقد سأله رجل فقال له : أخبرني عن ربّك متى كان ؟

فأجابه الإمام : « **وَيْلَكَ! إِنَّما يُقالُ لِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ مَتىٰ كانَ؟**

إِنَّ رَبِّي تَبارَكَ وَتَعالىٰ كانَ وَلَمْ يَزَلْ حَيّاً بِلاكَيْفٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كانَ ، وَلَاكانَ لِكَوْنِهِ كَوْنٌ ، كَيْفَ وَلَا كانَ لَهُ أَيْنٌ ، وَلَا كانَ فِي شَيْءٍ ، وَلَا كانَ عَلىٰ شَيْءٍ ، وَلَا ابْتَدَعَ لِمَكانِهِ مَكاناً ، وَلَا قَوِيَ بَعْدَ ما كَوَّنَ الْأَشْياءَ ، وَلَاكانَ ضَعيفاً قَبْلَ أَنْ يُكَوِّنَ شَيْئاً ، وَلَا كانَ مُسْتَوْحِشاً قَبْلَ أَنْ يَبْتَدِعَ شَيْئاً

---

(١) شرح النهج / ابن أبي الحديد : ١٣ : ٥١ .

(٢) أُصول الكافي : ١ : ٨٢ ، الحديث ١ .

وَلَا يُشْبِهُ شَيْئاً مَذْكوراً، وَلَا كانَ خِلْواً مِنَ الْمُلْكِ قَبْلَ إنْشائِهِ، وَلَا يَكُونُ مِنْهُ خِلْواً بَعْدَ ذَهابِهِ.

لَمْ يَزَلْ حَيّاً بِلَا حَياةٍ، وَمَلِكاً قادِراً قَبْلَ أَنْ يُنْشِئَ شَيْئاً، وَمَلِكاً جَبّاراً بَعْدَ إنْشائِهِ لِلْكَوْنِ.

فَلَيْسَ لِكَوْنِهِ كَيْفٌ، وَلَا لَهُ أَيْنٌ، وَلَا لَهُ حَدٌّ، وَلَا يُعْرَفُ بِشَيْءٍ يُشْبِهُهُ، وَلَا يَهْرَمُ لِطُولِ الْبَقاءِ، وَلَا يَصْعَقُ[1] لِشَيْءٍ، بَلْ لِخَوْفِهِ تَصْعَقُ الْأَشْياءُ كُلُّها.

كانَ حَيّاً بِلَا حَياةٍ حادِثَةٍ، وَلَا كَوْنٍ مَوْصُوفٍ، وَلَا كَيْفٍ مَحْدُودٍ، وَلَا أَيْنٍ مَوْقوفٍ عَلَيْهِ، وَلَا مَكانٍ جاوَرَ شَيْئاً، بَلْ حَيٌّ يُعْرَفُ، وَمَلِكٌ لَمْ يَزَلْ، لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْمُلْكُ، أَنْشَأَ ما شاءَ حِينَ شاءَ بِمَشيئَتِهِ، لا يُحَدُّ وَلَا يُبَعَّضُ، وَلَا يَفْنىٰ.

كانَ أَوَّلاً بِلَا كَيْفٍ، وَيَكُونُ آخِراً بِلَا أَيْنٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، تَبارَكَ اللهُ رَبُّ الْعالَمينَ.

وَيْلَكَ أَيُّها السّائِلُ! إِنَّ رَبِّي لا تَغْشاهُ الْأَوْهامُ، وَلَا تَنْزِلُ بِهِ الشُّبُهاتُ، وَلَا يَحارُ، وَلَا يُجاوِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا تَنْزِلُ بِهِ الْأَحْداثُ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ، وَلَا يَنْدَمُ عَلىٰ شَيْءٍ، وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَهُ ما فِي السَّمٰواتِ وَما فِي

(١) يصعق: يهلك ويضعف.

الْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرىٰ »[١].

وألمّت هذه القطعة الذهبيّة من كلام الإمام العظيم بأزليّة واجب الوجود وتوحيده وتنزيهه عن المشابهة لمخلوقاته التي يحدّها الجنس والفصل ، والتي تخضع في وجودها وعدمها إلى العلّة ، وتفتقر إلى الزمان والمكان ، وتعالى الله عن جميع ذلك ، فإنّه الأوّل والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكلّ شيء عليم .

وقد سئل بعض المحقّقين عن الله ما هو ؟

فقال : الأوحد .

فيقل له : كيف هو ؟

فقال : ملك قادر .

فقيل له : أين هو ؟

فقال : بالمرصاد .

فقال السائل : ليس عن هذا أسألك .

فقال : ما أجبتك به هو صفة الحقّ ، فأمّا غيره فصفة الخلق .

لقد أرادوا أن يتعرّفوا على ذات الله تعالى حتّى كأنّه شيء من الأشياء التي تخضع للحواسّ وسائر المدركات العقليّة ، ولم يعلموا أنّ الله تعالى فوق ما يدركه العقل ، وفوق ما تتصوّره الأوهام ، لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم .

وعلى أي حال ، فإنّ كلام الإمام عليه السلام قد عرض لأدقّ المسائل الكلاميّة التي لم يطرقها أحد من متكلّمي المسلمين وفلاسفتهم سوى جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، أمّا الإحاطة بكلام الإمام عليه السلام وإيضاحه فإنّه يحتاج إلى دراسة مفصّلة ، وقد عنى

---

(١) أصول الكافي : ١ : ٨٨ ـ ٨٩ ، الحديث ٣.

فلاسفة الإسلام بالاستدلال على النقاط التي وردت في حديث الإمام[١].

٣- النهي عن الكلام في ذات الله

ونهى الإمام أبو جعفر عليه السلام عن الحديث والخوض في ذات الله تعالى؛ لأنّ ذلك مبنيّ على فلسفة عميقة لا تتحمّلها عقول البسطاء الذين لا يملكون رصيداً من العلم، فإنّهم يقعون في حبائل الشيطان، ويخرجون من حضيرة الإيمان إلى حضيض الشرك.

يقول عليه السلام: « **تَكَلَّموا في كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا تَتَكَلَّموا في ذاتِ اللهِ** »[٢].

وقال عليه السلام: « **تَكَلَّموا في خَلْقِ اللهِ وَلَا تَتَكَلَّموا في اللهِ، فَإِنَّ الْكَلامَ في اللهِ لَا يَزْدادُ صاحِبُهُ إِلَّا تَحَيُّراً** »[٣].

إنّ الحديث عن ذات الله تعالى لا يزيد الإنسان إلّا تحيراً وإلقاءً في المهالك والشبهات، أمّا التفكّر في مخلوقات الله، والتأمّل في دقائق هذا الكون، فإنّه يدعو إلى حتميّة الإيمان بالله، فإنّ كلّ مخلوق بحسب صنعته وتركيبه يدلّل على الخالق العظيم.

يقول دارون: « إنّي أرى فيما يظهر لي أنّ الأحياء التي عاشت على هذه الأرض جميعها من صورة واحدة أزليّة نفخ الخالق فيها نسمة الحياة »[٤].

---

(١) عرض لذلك بصورة موضوعيّة الفيلسوف الإسلامي الكبير صدرالدين الشيرازي في كتابه (الشواهد الربوبيّة).

(٢) أُصول الكافي: ١: ٩٢، ذيل الحديث ١.

(٣) أُصول الكافي: ١: ٩٢، الحديث ١.

(٤) النشوء والارتقاء: ٤٧.

وإنّ من الخرافة القول بأنّ هذه العوالم وجدت من باب الصدفة ، فإنّ من غير الممكن أن توجد الصدفة نظاماً دقيقاً قائماً على العلم ، فلماذا لم تخلق الصدفة الطائرة أو الآلات الحديثة التي أوجدها الفكر والعلم ؟

٤ ـ علم الله

إنّ الله تعالى أحاط بكلّ شيء علماً ، وإنّ علمه بالأشياء قبل تكوينها وبعد تكوينها على حدّ سواء ، لأنّه الخالق والمكوّن لها ، كما أنّه العالم بما تنطوي عليه النفوس ، وتضمره القلوب .

وقد روى محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام ، أنّه قال :

«كانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلا شَيْءَ غَيْرَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ عالِماً بِما يَكونُ ، فَعِلْمُهُ بِهِ قَبْلَ كَوْنِهِ كَعِلْمِهِ بِهِ بَعْدَ كَوْنِهِ »[١] .

٥ ـ واقع التوحيد

وطلب جابر بن يزيد الجعفي من الإمام أبي جعفر عليه السلام أن يعلّمه شيئاً من التوحيد ، فقال عليه السلام :

« إِنَّ اللهَ تَبارَكَتْ أَسْماؤُهُ الَّتي يُدْعىٰ بِها ، وَتَعالىٰ في عُلُوِّ كُنْهِهِ واحِدٌ ، تَوَحَّدَ بِالتَّوْحيدِ في تَوَحُّدِهِ ، ثُمَّ أَجْراهُ عَلىٰ خَلْقِهِ ، فَهُوَ واحِدٌ ، صَمَدٌ ، قُدُّوسٌ ، يَعْبُدُهُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَيَصْمِدُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ ، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ... »[٢] .

---

(١) أُصول الكافي : ١ : ١٠٧ ، الحديث ٢ .

(٢) أُصول الكافي : ١ : ١٢٣ ، الحديث ٢ .

٦ ـ صفات الله

إنّ صفات الخالق الحكيم هي عين ذاته ، وليس بينهما تعدّد حسب ما دلّل عليه في علم الكلام ، وقد ظلّ قوم من أهل العراق عن طريق الحقّ ، فأشاعوا أنّه تعالى يسمع بغير ما يبصر ، ويبصر بغير الذي يسمع شأنه في ذلك شأن مخلوقاته ، وقد عرض ذلك محمّد بن مسلم على الإمام أبي جعفر ، فقال عليه السلام :

كَذِبوا وَأَلْحدوا وَشَبَّهوا ، تَعالَى اللهُ عَنْ ذلِكَ . إِنَّهُ سَميعٌ بَصيرٌ ، يَسْمَعُ بِما يُبْصِرُ ، وَيُبْصِرُ بِما يَسْمَعُ .

فقال محمّد بن مسلم : يزعمون أنّه بصير على ما يعقلونه .

فردّ عليه السلام مزاعمهم وقال : **تَعالَى اللهُ ، إِنَّما يُعْقَلُ ما كانَ بِصِفَةِ الْمَخْلوقِ ، وَلَيْسَ اللهُ كَذلِكَ**[١] .

٧ ـ الشكّ والجحود

إنّ الشكّ في وجود الله تعالى فاطر السماوات والأرض ، وجحوده له مضاعفاته السيّئة ، والتي منها أنّه لا يقبل من الشاكّ والجاحد أي عمل خير ، ولا ينفعه يوم حشره ونشره .

يقول عليه السلام : « **لَا يَنْفَعُ مَعَ الشَّكِّ وَالْجُحودِ عَمَلٌ** »[٢] .

الإمامة

الإمامة نفحة من روح الله ، ورحمة من رحماته أنعم بها على هذا الإنسان لتدلّه

---

(١) أُصول الكافي : ٢ : ٤٠٠ ، الحديث ٧ .

(٢) جامع السعادات : ١ : ١١٧ .

على الإيمان ، وتلهمه الخير ، وتهديه إلى سواء السبيل ، وهي من أُصول الدين ، وأركان الإسلام عند الشيعة الإماميّة ، لأنّها القاعدة الصلبة التي تتركّز عليها العدالة الاجتماعيّة في الإسلام ، وقد تحدّث الإمام أبو جعفر عليه السلام عن كثير من جوانب الإمامة ، وكان من بينها ما يلي :

الحاجة إلى الإمام

الإمامة ضرورة من ضروريّات الحياة الإسلاميّة ، لا تستقيم شؤون المجتمع من دونها ، وقد أجمع المسلمون على لزومها وضرورتها ، وقد سأل جابر بن يزيد الجعفي الإمام عليه السلام عن الحاجة إلى النبيّ والإمام .

فقال عليه السلام : **لِبَقاءِ الْعالِمِ عَلىٰ صَلاحِهِ ، وَذلِكَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْفَعُ الْعَذابَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِذا كانَ فيها نَبِيٌّ أَوْ إِمامٌ . قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾**(١) .

وَقالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله : **النُّجومُ أَمانٌ لأَهْلِ السَّماءِ ، وَأَهْلُ بَيْتي أَمانٌ لأَهْلِ الْأَرْضِ ، فَإِذا ذَهَبَتِ النُّجومُ أَتىٰ أَهْلُ السَّماءِ ما يَكْرَهونَ ، وَإِذا ذَهَبَ أَهْلُ بَيْتي أَتىٰ أَهْلَ الْأَرْضِ ما يَكْرَهونَ .**

يَعْني بِأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَئِمَّةَ الَّذينَ قَرَنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ طاعَتَهُمْ بِطاعَتِهِ ، فَقالَ : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾(٢) **، وَهُمُ الْمَعْصومونَ الْمُطَهَّرونَ الَّذينَ لا يُذْنِبونَ وَلا يَعْصونَ ،**

---

(١) الأنفال ٨ : ٣٣.

(٢) النساء ٤ : ٥٩.

وَهُمُ الْمُؤَيَّدونَ الْمُوَفَّقونَ الْمُسَدَّدون.

بِهِمْ يَرْزُقُ اللهُ عِبادَهُ، وَبِهِمْ تَعْمُرُ بِلادُهُ، وَبِهِمْ يَنْزِلُ الْقَطْرُ مِنَ السَّماءِ، وَبِهِمْ تَخْرُجُ بَرَكاتُ الْأَرْضِ، وَبِهِمْ يُمْهَلُ أَهْلُ الْمَعاصي، وَلَا يُعَجَّلُ عَلَيْهِمْ بِالْعُقوبَةِ وَالْعَذابِ، وَلَا تُفارِقُهُمْ روحُ الْقُدُسِ، وَلَا يُفارِقونَهُ، وَلَا يُفارِقونَ الْقُرْآنَ، وَلَا يُفارِقُهُمْ، صَلواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ[١].

وحفل حديث الإمام عليه السلام بضرورة الإمامة لأنّها تنشد صلاح العالم، وتقيم اعوجاج الدين، كما أشاد بالأئمّة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام، وأنّهم أمان لأهل الأرض، وبهم يستدفع البلاء، وينزل الغيث، وتخرج بركات الأرض.

وجوب معرفة الإمام

وتظافرت الأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن سدنة علومه الأئمّة الطاهرين في لزوم معرفة إمام العصر، وإنّ من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهليّة ـ حسب النصّ النبويّ ـ وقد أُثرت عن الإمام أبي جعفر عليه السلام أخبار كثيرة بذلك، كان منها:

١ ـ روى جابر بن يزيد الجعفي، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **إِنَّما يَعْرِفُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَعْبُدُهُ مَنْ عَرَفَ اللهَ وَعَرَفَ إمامَهُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَعْرِفُ الْإِمامَ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّما يَعْرِفُ وَيَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ هٰكَذا وَاللهِ ضَلالاً**»[٢].

٢ ـ روى محمّد بن مسلم، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **كُلُّ مَنْ دانَ اللهَ**

---

(١) علل الشرائع: ١: ١٢٣ و ١٢٤.

(٢) أُصول الكافي: ١: ١٨١، الحديث ٤.

عَزَّ وَجَلَّ بِعِبادَةٍ يُجْهِدُ فيها نَفْسَهُ ، وَلَا إمامَ لَهُ مِنَ اللهِ فَسَعْيُهُ غَيْرُ مَقْبولٍ ، وَهُوَ ضالٌّ مُتَحَيِّرٌ ، وَاللهُ شانِئٌ لِأَعْمالِهِ ، وَمَثَلُهُ كَمَثَلِ شاةٍ ضَلَّتْ عَنْ راعِيها وَقَطيعها فَهَجَمَتْ[(١)] ذاهِبَةً وَجائِيَةً يَوْمَها .

فَلَمّا جَنَّها اللَّيْلُ بَصُرَتْ بِقَطيعِ غَنَمٍ مَعَ راعِيها ، فَحَنَّتْ إِلَيْها وَاغْتَرَّتْ بِها ، فَباتَتْ مَعَها في مَرْبِضِها ، فَلَمّا أَنْ ساقَ الرّاعي قَطيعَهُ أَنْكَرَتْ راعِيها وَقَطيعَها فَهَجَمَتْ مُتَحَيِّرَةً تَطْلُبُ راعِيها وَقَطيعَها ، فَبَصُرَتْ بِغَنَمٍ مَعَ راعِيها فَحَنَّتْ إِلَيْها وَاغْتَرَّتْ بِها ، فَصاحَ بِها الرّاعي : إِلْحَقي بِراعِيكِ وَقَطيعِكِ فَأَنْتِ تائِهَةٌ مُتَحَيِّرَةٌ عَنْ راعِيكِ وَقَطيعِكِ ، فَهَجَمَتْ ذَعِرَةً مُتَحَيِّرَةً تائِهَةً لا راعِيَ لَها يُرْشِدُها إِلىٰ مَرْعاها أَوْ يَرُدُّها ، فَبَيْنَما هِيَ كَذٰلِكَ إِذِ اغْتَنَمَ الذِّئْبُ ضَيْعَتَها فَأَكَلَها .

وَكَذٰلِكَ وَاللهِ يا مُحَمَّدُ مَنْ أَصْبَحَ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ لا إمامَ لَهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ظاهِرٌ عادِلٌ أَصْبَحَ ضالّاً تائِهاً ، وَإِنْ ماتَ عَلىٰ هٰذِهِ الْحالَةِ ماتَ مِيتَةَ كُفْرٍ وَنِفاقٍ .

وَاعْلَمْ يا مُحَمَّدُ أَنَّ أَئِمَّةَ الْجَوْرِ وَأَتْباعَهُمْ لَمَعْزولونَ عَنْ دينِ اللهِ قَدْ ضَلّوا وَأَضَلّوا ، فَأَعْمالُهُمُ الَّتي يَعْمَلونَها كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ في يَوْمٍ عاصِفٍ لاَ يَقْدِرونَ مِمّا كَسَبوا عَلىٰ شَيْءٍ ذٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعيدُ[(٢)]»[(٣)] .

إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم الذين تجب معرفتهم لأنّهم سدنة الوحي وأوصياء الرسول صلى الله عليه وآله وخلفاؤه على اُمّته ، لا ملوك بني اُميّة وملوك بني العبّاس الذين تمرّغوا في الإثم ، وأشاعوا الجور والفساد في الأرض .

---

(١) **هجمت** : أي تعبت بلا رويّة ، فهي متحيّرة في أمرها .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ** ﴾ إبراهيم ١٤ : ١٨ .

(٣) اُصول الكافي : ١ : ١٨٣ و ١٨٤ ، الحديث ٨ .

وجوب طاعة الإمام

وطاعة الإمام واجب ديني أعلنه القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾[١].

وتظافرت الأخبار بذلك، روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: **ذُرْوَةُ الْأَمْرِ وَسَنامُهُ، وَمِفْتاحُهُ، وَبابُ الْأَشْياءِ، وَرِضا الرَّحْمنِ تَبارَكَ وَتَعالىٰ، الطّاعَةُ لِلْإِمامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ.**

إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ يَقولُ: ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً** ﴾[٢].

إنّ في طاعة أئمّة الهدى عليهم السلام نظاماً للدين، وإقامة للعدل لأنّهم لا يأمرون إلّا بالحقّ وبه يحكمون.

حقّ الإمام على الناس

إنّ للإمام على الناس حقّاً، كما أنّ لهم عليه حقّاً، وقد تحدّث الإمام أبو جعفر عليه السلام عن ذلك، فقد سأله أبو حمزة قائلاً: ما حقّ الإمام على الناس؟

- **حَقُّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْمَعوا وَيُطيعوا.**

- ما حقّهم عليه؟

- **يُقَسِّمُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ، وَيَعْدِلُ فِي الرَّعِيَّةِ**[٣].

إنّ حقّ الإمام على الناس السمع والطاعة لأوامره الهادفة لسعادتهم وصلاحهم،

---

(١) النساء ٤: ٥٩.

(٢) النساء ٤: ٨٠.

(٣) أُصول الكافي: ١: ٤٠٥، الحديث ١.

وأمّا حقّهم عليه فهو أن يقسّم أموال الله بينهم بالسويّة، فلا يؤثر قوماً على آخرين، وأن يبسط فيهم العدل الذي هو ظلّ الله في أرضه.

عظمة الإمامة

إنّ للإمام كرامة عند الله ومنزلة لا يبلغها أي أحد من عباده، وقد تحدّث عنها الإمام أبو جعفر عليه السلام، قال عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي: **إنَّ اللهَ اتَّخَذَ إبْراهِيمَ عَبْداً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيّاً، وَاتَّخَذَهُ نَبِيّاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسولاً، وَاتَّخَذَهُ رَسولاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خليلاً، وَاتَّخَذَهُ خليلاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ إماماً.**

فَلَمّا جَمَعَ لَهُ هٰذِهِ الْأَشْياءَ وَقَبَضَ يَدَهُ[١] **قالَ لَهُ: يا إِبْراهِيمُ ﴿إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِمَاماً﴾، فَمَنْ عِظَمِها في عَيْنِ إِبْراهِيمَ قالَ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**[٢].[٣]

ومعنى هذا الحديث أنّ الإمامة أرقى منزلة عند الله لا يصل إليها الأنبياء والمرسلون، وقد خصّ الله بها خليله إبراهيم، وجعلها من مكمّلات ذاتيّاته المشرقة، وخصّ الله بها الأئمّة الطاهرين من أهل البيت الذين هم سدنة الوحي، وأبواب الهداية والرحمة لهذه الأُمّة.

الولاية لأئمّة أهل البيت عليهم السلام

إنّ الولاية للأئمّة الطاهرين جزء من الإسلام، وعنوان للإيمان، وقد أذاع الرسول صلى الله عليه وآله بين أُمّته هذا الفرض الديني المقدّس، وألزم الأمّة به، وعنى به أكثر

---

(١) قبض يده: الضمير راجع إلى الإمام، أي ضمّ أصابعه إلى الكفّ.

(٢) البقرة ٢: ١٢٤.

(٣) أُصول الكافي: ١: ١٧٥، الحديث ٤.

ممّا عني بأيّ واجب ديني .

يقول الإمام أبو جعفر عليه السلام : « **بُنِيَ الْإِسْلامُ عَلىٰ خَمْسٍ : عَلَى الصَّلاةِ ، وَالزَّكاةِ ، وَالصَّوْمِ ، وَالْحَجِّ ، وَالْوَلايَةِ ، وَلَمْ يُنادَ بِشَيْءٍ كَما نُودِيَ بِالْوَلايَةِ ، فَأَخَذَ النّاسُ بِأَرْبَعٍ وَتَرَكوا هٰذِهِ يَعْني الْوَلايَةَ** »(١) .

إنّ الواجب على كلّ مسلم أن يكنّ في دخائل نفسه الولاء للأئمّة الطيّبين الذين هم مصدر النور في الأرض ، ومن أظهر الولاء لهم الأخذ بما أُثر عنهم من الأحكام وقواعد الأخلاق والآداب .

الإشادة بالأئمّة عليهم السلام

وأشاد الإمام أبو جعفر عليه السلام في كثير من أحاديثه بالأئمّة الطيّبين ، وتحدّث عن سموّ منزلتهم ، وكان من بين أحاديثه ما يلي :

١ ـ قال عليه السلام : « **نَحْنُ وُلاةُ أَمْرِ اللهِ ، وَخُزّانُ عِلْمِ اللهِ ، وَوَرَثَةُ وَحْيِ اللهِ ، وَحَمَلَةُ كِتابِ اللهِ ، طاعَتُنا فَريضَةٌ ، وَحُبُّنا إيمانٌ ، وَبُغْضُنا كُفْرٌ . مُحِبُّنا فِي الْجَنَّةِ ، وَمُبْغِضُنا فِي النّارِ** »(٢) .

٢ ـ قال عليه السلام : « **نَحْنُ جَنْبُ اللهِ تَعالىٰ ، نَحْنُ صَفْوَةُ اللهِ ، نَحْنُ أُمَناءُ اللهِ ، نَحْنُ مُسْتَوْدَعُ مَواريثِ الْأَنْبِياءِ ، نَحْنُ حُجَجُ اللهِ ، نَحْنُ حَبْلُ اللهِ الْمَتينُ ، نَحْنُ صِراطُ اللهِ الْمُسْتَقيمُ . قالَ اللهُ تَعالىٰ : ﴿وَأَنَّ هٰذا صِراطي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾** »(٣) .

---

(١) أُصول الكافي : ٢ : ١٨ ، الحديث ٥ و : ٢١ ، الحديث ٧ و ٨ و : ٤ : ٦٢ ، الحديث ١ . من لا يحضره الفقيه : ٢ : ٧٤ ، الحديث ١٨٧ . تهذيب الأحكام : ٤ : ١٥١ ، الحديث ٤١٨ باختلاف التعابير .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٢ : ٣٣٦ .

(٣) الأنعام ٦ : ١٥٣ .

نَحْنُ رَحْمَةُ اللهِ لِلْمُؤْمِنينَ ، بِنا يَفْتَحُ اللهُ ، وَبِنا يَخْتِمُ اللهُ . مَنْ تَمَسَّكَ بِنا نَجا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنّا غَوىٰ .

نَحْنُ الْقادَةُ الْغُرُّ الْمُحَجَّلونَ . مَنْ عَرَفَنا وَعَرَفَ حَقَّنا ، وَأَخَذَ بِأَمْرِنا فَهُوَ مِنّا وَإِلَيْنا »(١) .

٣ ـ قال عليه السلام : « نَحْنُ خَزَنَةُ عِلْمِ اللهِ ، وَنَحْنُ وُلاةُ أَمْرِ اللهِ . بَنا فَتَحَ الْإِسْلامَ ، وَبِنا يَخْتِمُهُ ، وَمِنّا تَعَلَّموا ، فَوَاللهِ الَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، ما عِلْمُ اللهِ في أَحَدٍ إِلّا فينا ، وَما يُدْرَكُ ما عِنْدَ اللهِ إِلّا بِنا »(٢) .

٤ ـ قال عليه السلام : « نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، وَشَجَرَةُ النُّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنُ الْحِكْمَةِ ، وَمَوْضِعُ الْمَلائِكَةِ ، وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ »(٣) .

٥ ـ قال عليه السلام : « وَاللهِ إِنّا لَخُزّانُ اللهِ في سَمائِهِ وَأَرْضِهِ لَا عَلىٰ ذَهَبٍ وَلَا عَلىٰ فِضَّةٍ إِلّا عَلىٰ عِلْمِهِ »(٤) .

٦ ـ قال عليه السلام : « نَحْنُ خُزّانُ عِلْمِ اللهِ ، وَنَحْنُ تَراجِمَةُ وَحْيِ اللهِ ، وَنَحْنُ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ عَلىٰ مَنْ دونَ السَّماءِ ، وَمَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ »(٥) .

وتظافرت الأخبار من النبيّ صلى الله عليه وآله وهي تحمل هذا الطابع الخاصّ في فضل الأئمّة الطاهرين ، وما منحهم الله من مزيد الفضل ، فقد جعلهم ينابيع الحكمة ، وورثة علوم الأنبياء ، وخصّهم بكلّ كرامة ، وهو حقّ لا شبهة فيه ، فإنّ من راجع سيرتهم ،

---

(١) عيون المعجزات : ٦٧.

(٢) إعلام الورى : ١ : ٥٠٨ .

(٣) روضة الواعظين : ٢٧٥ .

(٤) أُصول الكافي : ١ : ١٩٢ ، الحديث ٢ .

(٥) أُصول الكافي : ١ : ١٩٢ ، الحديث ٣ .

وما أُثر عنهم من الهدي والصلاح وسائر الكمالات النفسيّة يؤمن بأنّهم سادات الخلق ، وأوصياء النبيّ ﷺ ، وحملة علومه ، وليس في هذا القول أي غلوّ أو انحراف عن الحقّ ، فقد وهب الله أنبياءه العلم والحكمة وفصل الخطاب ، وهم ليسوا بأفضل من أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين أخلصوا لله ، وقدّموا في سبيل طاعته ودينه من التضحيات ما لم يقدّمه أي مصلح في الأرض .

عدد الأئمّة عليهم السلام

وأعلن الإمام أبو جعفر عليه السلام عدد الأئمّة الطاهرين الذين هم خلفاء النبيّ ﷺ على أُمّته ، وأوصياؤه ، وحملة علومه ، وفيما يلي بعض ما روي عنه :

١ - روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : « **الْأَئِمَّةُ إِثْنا عَشَرَ إماماً ، مِنْهُمُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، ثُمَّ الْأَئِمَّةُ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ** »[١] .

٢ - روى أبو بصير : « أنّ الإمام أبا جعفر عليه السلام قال : **نَحْنُ إِثْنا عَشَرَ مُحَدَّثاً** »[٢] .

٣ - روى عنه أبو بصير ، أنّه قال : « **تَكونُ تِسْعَةُ أَئِمَّةٍ بَعْدَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، تاسِعُهُمْ قائِمُهُمْ** »[٣] .

وقد أذاع ذلك الرسول الأعظم ﷺ ، وتواترت الأخبار عنه ، فقد روى سلمان الفارسي ، قال : « كنّا مع رسول الله ﷺ والحسين بن عليّ على فخذه ، إذ تفرّس في وجهه وقال له : **يا أَبا عَبْدِاللهِ ، أَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ سادَةٍ ، وَأَنْتَ إِمامٌ ابْنُ إِمامٍ أَخو إِمامٍ ، أَبو أَئِمَّةٍ تِسْعَة ، تاسِعُهُمْ قائِمُهُمْ ، أَعْلَمُهُمْ ، أَحْكَمُهُمْ ، أَفْضَلُهُمْ** »[٤] .

---

(١) الاستنصار / محمّد بن عليّ الكراجكي : ١٧ .

(٢) الاستنصار : ١٧ .

(٣) الخصال : ٤١٩ ، الحديث ١٢ .

(٤) مقتضب الأثر / أحمد بن محمّد . ٨ و ٩ .

وروى عبدالله بن عمر، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **يَكونُ خَلْفي إثْنا عَشَرَ خليفةً**»[١].

وعلّق الشيخ أبو عبدالله أحمد بن عيّاش على هذا الحديث بقوله: «فإذا كانت هذه العدّة المنصوصة عليها لم توجد في القائمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا في بني أميّة لأنّ عدّة خلفائهم تزيد على اثني عشر، ولا في القائمين من بعدهم إلّا زائدة عليهم، ولم تدع فرقة من فرق هذه الأُمّة هذه العدّة في أئمّتها غير الإماميّة دلّ ذلك على أنّ أئمّتهم هي المعتدّة بها»[٢].

وقد عدّهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وذكر أسماءهم واحداً بعد واحد حتّى انتهى إلى القائم[٣].

وقال بعض الشعراء:

إنّ الأَئِـمَّةَ تِسْـعَةٌ وَثَـلاثَةٌ ... نَقْلاً عَنِ الهـادي البَشيرِ المُـنذِرِ
لا زائِـدٌ فـيهِمْ وَلَـيسَ بِـناقِصٍ ... مِنهُمْ كَما قَـدْ قـيلَ عَـدُّ الأَشْـهُرِ
مِـثْلُ النُّـبُوَّةِ صُـيِّرَتْ فـي مَـعْشَرٍ ... وَكَذا الإِمامَةُ صُيِّرَتْ في مَعْشَرِ[٤]

وقال الشاعر عبدالله بن أيّوب الخريبي مخاطباً للإمام الجواد عليه السلام بعد وفاة أبيه عليه السلام:

يابْنَ الذَّبيحِ وَيابْنَ أَعْراقِ الثَّرىٰ ... طـابَتْ أَرومَـتُهُ وَطـابَ عُـروقا
يابْنَ الوَصِيِّ وَصِيِّ أَفْضَلِ مُرسَلٍ ... أَعْني النَّبيَّ الصّادِقَ المَـصْدوقا
ما لُفَّ في خِرَقِ القَـوابِـلِ مِـثْلُهُ ... أَسَدٌ يُـلَفُّ مَـعَ الخَـريقِ خَـريقا

---

(١) مقتضب الأثر: ٤.

(٢) مقتضب الأثر: ٥.

(٣) بصائر الدرجات: ١٠٨.

(٤) غاية الاختصار: ١٣١.

يا أَيُّها الْحَبلُ الْمَتينُ مَتىٰ أَعُذْ يَوْماً بِعَقْوَتِهِ أَجِدْهُ وَثيقا
أَنا عائِذٌ بِكَ في القِيامَةِ لائِذٌ أَبْغي لَديكَ مِنَ النَّجاةِ طَريقا
لاَ يَسْبِقَنّي في شَفاعَتِكُمْ غَداً أَحَدٌ فَلَسْتُ بِحُبِّكُمْ مَسْبوقا
يابْنَ الثَّمانِيَةِ الْأَئِمَّةِ غُرِّبوا وَأَبا الثَّلاثَةِ شُرِّقوا تَشْريقا
إِنَّ المَشارِقَ وَالمَغارِبَ أَنتُمْ جاءَ الكِتابُ بِذلِكُمْ تَصْديقا (١)

والشيء المحقّق أنّ خلفاء النبيّ صلى الله عليه وآله الاثني عشر الذين تواترت فيهم الأخبار إنّما هم الأئمّة الطيّبون من أهل البيت عليهم السلام ، فهم الذين يمثّلون هدي النبيّ صلى الله عليه وآله وسمته .

محن الأئمّة عليهم السلام

وتحدّث الإمام أبو جعفر عليه السلام مع حمران عن المحن والخطوب التي ألمّت بالأئمّة الطاهرين من طواغيت زمانهم ، وأنّهم سلام الله عليهم لو سألوا الله تعالى أن يكشفها عنهم لاستجاب لهم ، ولكنّهم لم يسألوه لينالوا المنزلة الكريمة عنده .

يقول عليه السلام : « **وَلَوْ أَنَّهُمْ** ـ أي الأئمّة ـ **يا حُمْرانُ حَيْثُ نَزَلَ بِهِمْ ما نَزَلَ مِنْ أَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِظْهارِ الطَّواغيتِ عَلَيْهِمْ سَأَلوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَدْفَعَ ذلِكَ عَنْهُمْ ، وَأَلَحّوا في إِزالَةِ تِلْكِ الطَّواغيتِ ، وَذَهابِ مُلْكِهِمْ إِذَنْ لَأَجابَهُمْ ، وَرَفَعَ ذلِكَ عَنْهُمْ ، ثُمَّ كانَ انْقِضاءُ مُدَّةِ الطَّواغيتِ ، وَذَهابُ مُلْكِهِمْ أَسْرَعَ مِنْ رَفْعِ سِلْكٍ مَنْظومٍ انْقَطَعَ فَتَبَدَّدَ ، ماكانَ ذلِكَ الَّذي أَصابَهُمْ ـ يا حُمْرانُ ـ لِذَنْبٍ اقْتَرَفوهُ ، وَلا لِعُقوبَةِ مَعْصِيَةٍ خالَفوا اللهَ فيها ، وَلكِنْ لِمَنازِلٍ وَكَرامَةٍ**

---

(١) مقتضب الأثر : ٥١ .

مِنَ اللهِ أَنْ يَبْلُغوها ، فَلا تَذْهَبْ فيكَ الْمَذاهِبُ فيهِمْ »(١).

حثّه على نشر مآثر الأئمّة عليهم السلام

وكان عليه السلام يحثّ الرواة والمحدّثين على إذاعة مآثر أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، ونشر فضائلهم ، لأنّهم القدوة الحسنة لهذه الأمّة . يقول سعد الاسكاف : « قلت لأبي جعفر : إنّي أجلس فأقصّ ، وأذكر حقّكم وفضلكم ، فشكر عليه السلام مساعيه وقال له : **وَدِدْتُ أنّ عَلىٰ كُلِّ ثَلاثينَ ذِراعاً قاصّاً مِثْلَكَ »**(٢).

علم الأئمّة عليهم السلام

وآمنت الشيعة منذ فجر تأريخها حتّى يوم الناس هذا بأنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد وهبهم الله العلم والحكمة وفصل الخطاب ،كما وهب أنبياءه ورسله ﴿ **ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَن يَشَاءُ** ﴾(٣).

وقد أجمع المؤرّخون والرواة على أنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا يملكون طاقات هائلة من العلم لم يملكها أي أحد من الناس ، وأنّهم قد فاقوا بمواهبهم وعبقريّاتهم جميع العلماء الذين عاصروهم وغيرهم ، وليس في هذا الإيمان ولا في هذه الدعوى أيّة مؤاخذة بعد ما توفّرت الأدلّة على ذلك .

ألم يذع سيّد العترة وزعيمها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من على منبر الكوفة قوله : « **سَلُوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوني ، فَلَأَنا بِطُرُقِ السَّماءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ »**(٤) ، ومعنى

---

(١) ناسخ التواريخ : ٢ : ٢٠٢ .

(٢) رجال الكشّي : ٣٨٤/٢١٤ .

(٣) المائدة ٥ : ٥٤ . الحديد ٥٧ : ٢١ . الجمعة ٦٢ : ٤ .

(٤) نهج البلاغة / محمّد عبده : ٢ : ١٣٠ .

ذلك أنّ علومه ومعارفه قد تجاوزت شؤون هذا الكوكب الذي يعيش عليه الإنسان إلى شؤون الفضاء والمجرّات وسائر الكواكب ، وأنّه قد أحاط علماً بأسرار الكون ، ودقائق الطبيعة .

ألم يقل هذا العملاق العظيم : **لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ الْوِسادَةُ فَجَلَسْتُ عَلَيْها لَأَفْتَيْتُ أَهْلَ التَّوْراةِ بِتَوْراتِهِمْ حَتّىٰ تَنْطِقَ التَّوْراةُ فَتَقُولَ : صَدَقَ عَلِيٌّ ما كَذَبَ ، لَقَدْ أَفْتاكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فِيَّ . وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ حَتّىٰ يَنْطِقَ الْإِنْجِيلُ فَيَقُولَ : صَدَقَ عَلِيٌّ ما كَذَبَ ، لَقَدْ أَفْتاكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فِيَّ . وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ الْقُرْآنِ بِقُرآنِهِمْ حَتّىٰ يَنْطِقَ الْقُرْآنَ فَيَقُولَ : صَدَقَ عَلِيٌّ ما كَذَبَ ، لَقَدْ أَفْتاكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيَّ** »[١] .

وهذا يدلّ بوضوح على إحاطته التامّة بشؤون جميع الشرائع والأديان ، ووقوفه على ما في تلك الكتب السماويّة من أحكام .

ألم يكن عليّ صاحب نهج البلاغة الذي هو أثرى كتاب عالمي عرفته الإنسانيّة بعد القرآن الكريم ، هذا هو زعيم العترة الطاهرة باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله ووصيّه ، الذي فاق جميع علماء الدنيا في مواهبه وعلومه .

وعلى هذا الطراز من سعة العلم الذي لا يحدّ سائر الأئمّة الطاهرين عليهم السلام ، فهذا الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام حينما نصّبه المأمون وليّ عهده ، فأوعز إلى جميع علماء الدنيا بالحضور إلى خراسان لامتحان الإمام واختباره ريثما يظهر عليه العجز فيتّخذ ذلك وسيلة إلى هدم مذهب التشيّع ، وإبطال ما ذهب إليه الشيعة من أنّ الإمام أفضل أهل عصره ، وأعلم أهل زمانه .

ولمّا اجتمع العلماء في خراسان أجزل لهم المأمون العطاء ، وندبهم إلى مهمّته ، وكان المدوّن لمسائلهم عليّ بن عيسى ، يقول : « وقد سئل الإمام عن أربعة وعشرين

---

(١) بحار الأنوار : ٨٩ : ٧٨ .

ألف مسألة ، وقد دوّنتها ، وتناولت علوماً مختلفة من علم الفلك والنجوم والطبّ والفيزياء والفلسفة وعلم الكلام وغيرها ، وقد أجاب الإمام عنها ، وما التقى به وفد من العلماء وخرج إلّا وهو يقول بإمامة الرضا ».

وعقّب عليّ بن عيسى كلامه بقوله : « ومَن قال إنّ الله خلق أفضل من عليّ بن موسى فلا تصدّقه »[١].

وهذا ولده الإمام محمّد الجواد عليه السلام حينما آلت إليه الإمامة بعد وفاة أبيه عليه السلام كان عمره الشريف لا يتجاوز العشر سنين ، فقرّبه المأمون وعظّمه ، فحسده العبّاسيّون ، وكلّموا المأمون في أمره ، فعرّفهم بإمامته ، وأنّ الله منحه العلم والفضل ، وميّزه على الخلق أجمعين ، فأنكروا ذلك عليه ، فعهد إليهم باختباره وامتحانه ، فخفّوا إلى يحيى بن أكثم الذي تقلّد رئاسة القضاء ، وهو ألمع شخصيّة علميّة في بغداد ، وطلبوا منه امتحان الإمام عليه السلام ، فأجابهم إلى ذلك ، وعقدوا مؤتمراً علمياً في البلاط العبّاسي حضره كبار العلماء ، وأقبل يحيى بن أكثم فسأل الإمام عن أعقد المسائل وأشكلها ، فأخذ الإمام عليه السلام يحلّل كلّ مسألة إلى عدّة فروع ، ويسأل يحيى عن أي فرع أراده ليجيبه عنه ، وذهل يحيى وبان عليه العجز ، وطلب من الإمام أن يجيبه عن تلك الفروع التي شقّقها على مسألته . فأجابه عليه السلام عنها ، وانفضّ المؤتمر ، وقد آمن جميع من حضر فيه بقدراته العلميّة التي لا تحدّ .

وقد روى جميع المؤرّخين هذه البادرة حتّى ابن حجر ذكرها في صواعقه المحرقة ، فبأي شيء تعلّل هذه الطاقات العلميّة عند الإمام الجواد عليه السلام وهو في سنّه المبكّرة ؟

وعلى أي حال ، فإنّ علم الأئمّة عليهم السلام كعلم الأنبياء من دون أن يكون أي فرق بينهما ، وقد عرض لذلك الإمام أبو جعفر عليه السلام ، فقد قال لبعض شيعته : **ما تقولُ**

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ١٨٤ .

الشِّيعَةُ في عَلِيٍّ وَمُوسىٰ وَعِيسىٰ ؟

- جعلت فداك ، عن أي الحالات تسألني ؟
- **أَسْأَلُكَ عَنِ الْعِلْمِ .**
- هو والله أعلم منهما .
- **أَلَيْسَ يَقولونَ : إنَّ لِعَلِيٍّ ما لِرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مِنَ الْعِلْمِ ؟**
- ولكن لا يقدّمون على أُولي العزم من الرسل أحداً .
- **فَخَاصِمْهُمْ بِكتابِ اللهِ .**
- في أي موضع منه ؟
- **يَقولُ تَعالىٰ لِمُوسىٰ عليه السلام : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1] .**

وَقالَ لِعيسىٰ عليه السلام : ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾[2] .

بينما قال لمحمّد صلى الله عليه وآله : ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ ﴾ ، كما قال في نفس الآية : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾[3] » .

وقد تظافرت الأخبار أنّ علم الأئمّة مستمدّ من علم جدّهم الرسول صلى الله عليه وآله ، فقد ورّث صلى الله عليه وآله علومه إلى وصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد ورثها من بعده الأئمّة الطاهرون من أبنائه .

---

(١) الأعراف ٧ : ١٤٥ .

(٢) الزخرف ٤٣ : ٦٣ .

(٣) النحل ١٦ : ٨٩ .

الملاحم التي أخبر عنها عليه السلام

وأجمع المؤرّخون والرواة على أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد أخبروا عن وقوع كثير من الملاحم والأحداث ، وتحقّقت بعد ذلك على مسرح الحياة كما أخبروا عنها ، فقد أخبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بما سيجري على الصحابي العظيم حجر بن عدي من صنوف التنكيل والقتل من قِبل معاوية ، وجرى عليه ذلك .

وأخبر عليه السلام عن حكومة مروان بن الحكم القصيرة الأمد ، فقال عليه السلام : « **لَيَحْمِلَنَّ رايَةَ ضَلالَةٍ بَعْدَما يَشيبُ صِدْغاهُ ، وَلَهُ إِمْرَةٌ كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ** »[1] .

وأخبر عليه السلام عن حكومة بني العبّاس ، فقد روى المبرّد وغيره ، قال : « لمّا ولد عليّ بن عبدالله بن العبّاس جاء به أبوه إلى الإمام عليّ عليه السلام فقال له : **ما سَمَّيْتَهُ ؟**

فقال عبدالله : أوَ يجوز لي أن أُسمّيه قبلك ؟

فقال عليه السلام : **قَدْ سَمَّيْتُهُ بِاسْمي ، وَكَنَّيْتُهُ بِكُنْيَتي ، وَهُوَ أَبو الْأَمْلاكِ** »[2] .

وأخبر عليه السلام عن مصرع ولده أبي الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ، فقد روى الأصبغ ، قال : « أتينا مع عليّ عليه السلام فمررنا بموضع قبر الحسين عليه السلام ، فقال عليّ : **هاهُنا مُناخُ رِكابِهِمْ ، وَهاهُنا مَوْضِعُ رِحالِهِمْ ، وَهاهُنا مِهْراقُ دِمائِهِمْ ، فِتْيَةٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله يُقْتَلونَ بِهٰذِهِ الْعَرَصَةِ تَبْكي عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ** »[3] .

كما أخبر عليه السلام عن الأحداث التي تجري آخر الزمان ، وما يخترعه الإنسان من الآلات والأجهزة الحديثة ، وسائر ألوان التقدّم التكنولوجي في العالم ، كلّ ذلك أخبر

---

(١) الطبقات الكبرى : ٥ : ٣٠ .

(٢) تهذيب التهذيب : ٧ : ٣٥٨ .

(٣) الرياض النضرة : ٢ : ٢٢٢ .

عنه الإمام عليه السلام.

ولم تقتصر هذه الظاهرة على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وإنّما شملت جميع أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فهذا الإمام الصادق عليه السلام قد قال للمنصور الدوانيقي: «**تَتَلاعَبُ بِها** -أي الخلافة- **الصِّبْيانُ مِنْ وَلَدِكَ**»[(١)].

وقال عليه السلام لابن عمّه عبدالله بن الحسن أنّه لا يلي الخلافة، وإنّما يليها السفّاح، وتحقّق جميع ما أخبر به.

وقد اعترف ابن خلدون بهذه الظاهرة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، يقول: «وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم، فما ظنّك بهم علماً وديناً، وآثاراً من النبوّة، وعناية بالأصل الكريم، تشهد لفروعه الطيّبة، والشريعة قد قرّرت أنّ البشر محجوبون عن الغيب، إلّا من أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية، وقد وقع لجعفر وأمثاله من أهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه -والله أعلم- الكشف بما كانوا من الولاية، فهم أوْلى الناس بهذه الرتب الشريفة، والكرامات الموهوبة»[(٢)].

أمّا الملاحم التي أخبر عنها الإمام أبو جعفر فهذه بعضها:

١ - إنّه تنبّأ بدولة بني العبّاس. يقول أبو بصير: «كنت مع محمّد بن عليّ إذ دخل المنصور وداود بن سليمان قبل أن يفضي الملك لبني العبّاس، فجاء داود إلى الإمام محمّد الباقر فسلّم عليه، فقال عليه السلام له: **ما مَنَعَ الدّوانِيقِيَّ أَنْ يَأْتِيَ؟**

فاعتذر داود بن سليمان، وقال: إنّه فيه جفاءاً.

وأحاطه الإمام عليه السلام علماً بما يصير إليه المنصور قائلاً: **لَا تَذْهَبُ الأَيّامُ حَتّىٰ يَلِيَ هٰذَا الرَّجُلُ أَمْرَ الْخَلْقِ، فَيَطَأَ أَعْناقَ الرِّجالِ، وَيَمْلِكَ شَرْقَها وَغَرْبَها، وَيَطولُ عُمْرُهُ حَتّىٰ**

---

(١) إثبات الوصيّة: ١٨٢.

(٢) مقدّمة ابن خلدون: ٢٣٢ - ٢٣٤.

يَجْمَعَ مِنْ كُنوزِ الْمالِ ما لَا يَجْمَعُ غَيْرُهُ.

وبادر داود نحو المنصور، وهو يحمل إليه البشرى بما قاله الإمام، وخفّ المنصور مسرعاً نحو الإمام ليتبيّن مقالته فيه، وأبدى للإمام معاذيره في عدم السلام عليه قائلاً: ما منعني من الجلوس إليك إلّا إجلالاً لك، ثمّ سأله عمّا أخبر به داود، فقال عليه السلام: **هُوَ كائِنٌ.**

وراح المنصور يطلب المزيد من الايضاح قائلاً: ملكنا قبل ملككم؟

- **نَعَمْ.**
- ويملك أحد بعدي من ولدي؟
- **نَعَمْ.**
- فمدّة بني أُميّة أطول أم مدّتنا؟
- **مُدَّتُكُمْ أَطْوَلُ، لَيَلْعَبَنَّ بِهـٰذَا الْمُلْكِ صِبْيانُكُمْ كَما يَلْعَبونَ بِالْكُرَةِ، بِهـٰذا عَهِدَ إِلَيَّ أَبي.**

وانصرف المنصور وهو جذلان مسرور قد صار على يقين بأنّ الملك سيؤول إليه، وظلّت مقالة الإمام عليه السلام تراوده في جميع أوقاته، فلمّا صارت إليه الخلافة تعجّب من تنبّؤ الإمام[1].

ويقول الدوانيقي: «كنت هارباً من بني أُميّة أنا وأخي أبو العبّاس، فمررنا بمسجد النبيّ صلى الله عليه وآله ومحمّد بن عليّ جالس، فقال عليه السلام لرجل إلى جانبه: **كَأَنّي بِهـٰذَا الْأَمْرِ قَدْ صارَ إِلىٰ هـٰذَيْنِ**، وأشار إلينا، فجاء الرجل وأخبرنا بمقالته، فملنا إليه وقلنا له: يابن رسول الله، ما الذي قلت؟

فقال عليه السلام: **هـٰذَا الْأَمْرُ صائِرٌ إِلَيْكُمْ عَنْ قَريبٍ، وَلـٰكِنَّكُمْ تُسيئُونَ إِلىٰ ذُرِّيَّتي وَعِتْرَتي،**

---

(١) الخرائج والجرائح: ١: ٢٧٣. جامع كرامات الأولياء: ١: ٩٧. الدرّ المسكوك (مخطوط).

فَالْوَيْلُ لَكُمْ »(١).

فكان كما أخبر عليه السلام ، وقد أساء المنصور حينما ولي الخلافة إلى ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعترته ، فنكّل بهم أفظع ما يكون التنكيل ، وقد قاست عترة رسول الله صلى الله عليه وآله في عهد هذا الطاغية من صنوف العذاب ما لم تقاسه في عهد الأمويّين ، فقد كانت أيّامه عليهم كلّها محنة وألماً وعذاباً .

٢ ـ وممّا أنبأ عنه الإمام أبو جعفر عليه السلام أنّه أخبر عن الحجر الأسود ، وأنّه يعلّق في الجامع الأعظم في الكوفة(٢) .

وتحقّق ذلك أيّام القرامطة ، فقد أخذوه من الكعبة وجعلوه في جامع الكوفة ، باعتقادهم أنّ الحجّ يدور مداره ، وقد أرادوا أن يكون الحجّ إلى مسجد الكوفة وبقي فيه مدّة تقرب من عشرين عاماً ، ثمّ أُرجع إلى مكانه .

٣ ـ ومن الملاحم التي أخبر عنها غزو نافع بن الأزرق يثرب ، وإباحتها لجنوده . يقول الإمام الصادق عليه السلام : **« كانَ أَبي في مَجْلِسٍ عامٍّ إِذْ أَطْرَقَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهُ وَقالَ : يا قَوْمِ ، كَيْفَ أَنْتُمْ إِذا جاءَكُمْ رَجُلٌ يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مَدينَتَكُمْ في أَرْبَعَةِ آلافٍ حَتّىٰ يَسْتَعْرِضَكُمْ عَلَى السَّيْفِ ثَلاثَةَ أَيّامٍ مُتَوالِيَةٍ ، فَيَقْتُلُ مُقاتِلَكُمْ ، وَتَلْقَوْنَ مِنْهُ بَلاءً لَا تَقْدِرونَ عَلَيْهِ وَلَا عَلىٰ دَفْعِهِ ، وَذلِكَ مِنْ قابِلٍ** ـ أي السنّة التي تأتي ـ **فَخُذوا حِذْرَكُمْ ، وَاعْلَموا أَنَّ الَّذي قُلْتُ لَكُمْ هُوَ كائِنٌ لَا بُدَّ مِنْهُ** .

فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه ، وقالوا : لا يكون هذا أبداً .

فلمّا كانت السنة المقبلة حمل أبو جعفر عياله ، وصحب معه جماعة من بني هاشم ، وخرجوا من المدينة ، فجاء نافع بن الأزرق فدخلها في أربعة آلاف

---

(١) دلائل الإمامة : ٩٦.

(٢) اتّعاض الحنفاء / المقريزي : ٢٤٥.

واستباحها ثلاثة أيام ، وقتل فيها خلقاً كثيراً[١] .

واستبان لأهل المدينة مدى صدق الإمام في تنبّؤه .

٤ ـ وأخبر عليه السلام عن شهادة أخيه زيد الشهيد العظيم ، فقد روى زيد بن حازم ، قال : «كنت مع أبي جعفر عليه السلام فمرّ بنا زيد بن عليّ ، فقال لي أبو جعفر : **أَما رَأَيْتَ هٰذا ؟ لَيَخْرُجَنَّ بِالْكُوفَةِ ، وَلَيُقْتَلَنَّ ، وَلَيُطافَنَّ بِرَأْسِهِ**»[٢] .

ولم تمض الأيّام حتّى قُتل زيد بالكوفة ، وطيف برأسه في الأقطار والأمصار .

٥ ـ ومن الأحداث التي تنبّأ عنها أنّه أخبر بهدم دار هشام بن عبدالملك ، وهي من أضخم الدور في يثرب ، وكان قد بناها بأحجار الزيت ، قال عليه السلام : **أَما وَاللهِ لَتُهْدَمَنَّ ، أَما وَاللهِ لَتَنْدُرُ أَحْجارُ الزَّيْتِ** .

يقول أبو حازم : لمّا سمعت هذا تعجّبت منه وقلت : من يهدمها وأمير المؤمنين هشام قد بناها !

فلمّا مات هشام وولي الخلافة من بعده الوليد أمر بهدمها ، ونقل أحجار الزيت منها حتّى ندرت في يثرب[٣] .

٦ ـ ومن الملاحم التي أنبأ عنها ما رواه الفضيل ، قال : « سألت أبا جعفر فقلت له : بلغنا أنّ لآل جعفر راية ، ولآل العبّاس رايتين ، فهل انتهى إليك من علم ذلك شيء ؟

فقال عليه السلام : **أَمّا آلُ جَعْفَرٍ فَلَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ ، وَلا لِأَهْلِ بَيْتي شَيْءٌ ، وَأَمّا آلُ الْعَبّاسِ**

---

(١) نور الأبصار : ١٣٠ . جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام : ١٣٤ . الخرائج والجرائح : ١ : ٢٨٩ .

(٢) نور الأبصار : ١٣١ .

(٣) دلائل الإمامة : ١١٠ .

فَإِنَّ لَهُمْ مُلْكاً عَظيماً ، يُقَرِّبونَ فيهِ الْبَعيدَ ، وَيُبَعِّدونَ فيهِ الْقَريبَ ، وَسُلْطانُهُمْ عُسْرٌ لَيْسَ فيهِ يُسْرٌ حَتّىٰ إِذا أَمِنوا مَكْرَ اللهِ ، وَأَمِنوا عِقابَهُ صِيحَ فيهِمْ صَيْحَةٌ واحِدَةٌ لا يَبْقىٰ لَهُمْ مَنْزِلٌ يَجْمَعُهُمْ ، وَلا أُذُنٌ تَسْمَعُهُمْ ، وَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ حَتّىٰ إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها ﴾[١] »[٢].

هذه بعض البوادر من الملاحم التي أخبر عنها الإمام عليه السلام ، وهي تلقي الأضواء على مدى سعة علوم الإمام عليه السلام ، وإحاطته بمثل هذه الأمور التي منحها الله تعالى للأنبياء وأوصيائهم .

ومن الطبيعي أنّ الإقرار للأئمّة عليهم السلام بهذه الظاهرة يحتاج إلى إيمان راسخ ويقين ثابت ، وقد أشار الإمام أبو جعفر عليه السلام إلى ذلك بقوله : « **إِنَّ حَديثَنا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ ، لا يَحْتَمِلُهُ إِلّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإيمانِ** »[٣].

هذه بعض البحوث الكلاميّة وإخباره عليه السلام عن المغيّبات التي خاض فيها الإمام عليه السلام ، وله بحوث أُخرى في غير هذه المجالات سنذكرها عند البحث عن عصره .

---

(١) يونس ١٠ : ٢٤.

(٢) إثبات الهداة : ٥ : ٣١٠.

(٣) الكافي : ١ : ٤٠١. بصائر الدرجات : ٤١.

علم الفقه

أمّا فقه أهل البيت عليهم السلام فقد أخذ معظمه من الإمامين الباقر وولده الصادق عليهما السلام ، وقد حفلت موسوعات الفقه الإمامي ـ كالحدائق والجواهر ومستمسك العروة الوثقى ـ بالروايات الكثيرة التي أُثرت عنهما ، وإليها يرجع فقهاء الإماميّة في استنباطهم للأحكام الشرعيّة وفي إصدارهم للفتوى .

أمّا موسوعات الحديث ، كوسائل الشيعة والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه وغيرها ، فأغلب ما فيها من الأحاديث قد أُخذت عنهما ، وقد شكّلت تلك الموسوعات دائرة معارف للفقه الإسلامي هي من أروع وأثرى ما قنّن في عالم التشريع .

لقد جهد الإمام الباقر وولده الصادق عليهما السلام على نشر الفقه الإسلامي ، وتبنّياه بصورة إيجابيّة في وقت كان المجتمع الإسلامي غارقاً في الأحداث السياسيّة ، وقد أهملت الحكومات في تلك العصور الشؤون الدينيّة إهمالاً تامّاً ، فلم تعد الشعوب الإسلاميّة تفقه من أُمور دينها القليل ولا الكثير .

يقول الدكتور عليّ حسن : « وقد أدّى تتبّعنا للنصوص التاريخيّة إلى أمثلة كثيرة تدلّ على هذه الظاهرة ـ أي إهمال الشؤون الدينيّة ـ التي كانت تسود القرن الأوّل ، سواء لدى الحكّام أو العلماء أو الشعب ، ونعني بها عدم المعرفة بشؤون الدين ، والتأرجح ، وعدم الجزم والقطع فيها ، حتّى في العبادات .

فمن ذلك ما روي : « أنّ ابن عبّاس خطب في آخر رمضان على منبر البصرة فقال : أخرجوا صدقة صومكم ، فكان النّاس لا يعلمون .

فقال : من هاهنا من أهل المدينة ، فقوموا إلى إخوانكم فعلّموهم ، فإنّهم

لا يعلمون من زكاة الفطرة الواجبة شيئاً »[١].

ممّا يدلّ على أنّ أهل البلاد الإسلاميّة لم يكونوا يعرفون شؤون دينهم معرفة مفصّلة، وقد كان يوجد في بلاد الشام من لا يعرف عدد الصلوات المفروضة، فراحوا يسألون الصحابة عن ذلك[٢].

وهذه مسألة أوقات الصلاة لم تكن معروفة عند عمر بن عبدالعزيز[٣] وبعض أهل العلم، فكان العلماء يرون سنّة مخصوصة في ذلك، وكانت الحكومة ترى رأياً مخالفاً، وعلى هذا جاء الحديث: « **سَيَأْتي في آخِرِ الزّمانِ أُمَراءٌ يُميتونَ الصَّلاةَ، فَأَدُّوا الصَّلاةَ في وَقْتِها** ».

والمؤرّخون المتقدّمون إذا لم يعرفوا كيف يشرحون لنا هذه الحالة فإنّهم لم يجدوا أمامهم إلّا سبباً مفروضاً، وهو أنّ الأمويّين قد غيّروا أوقات الصلاة برأيهم.

ولكنّ الحقيقة هو إنّه في أثناء عصر بني أُميّة الذين كانوا لا يهتمّون كثيراً بأُمور الدين كان الشعب في الواقع قليل الفهم والمعرفة للفقه ومسائل الدين، ولم يكن يعرف من هذه الشؤون إلّا أهل المدينة وحدهم[٤] »[٥].

إنّ الدور المشرق الذي قام به الإمام الباقر والصادق عليهما السلام في نشر الفقه وبيان

---

(١) الإحكام في أُصول الأحكام / ابن حزم: ٢: ١٣١.

(٢) سنن أبي داود: ١: ١٤٣. سنن النسائي: ١: ٤٢.

(٣) إنّ خفاء أوقات الصلاة على عمر بن عبدالعزيز من الموضوعات والمفتريات عليه، وسنعرض لذلك عند البحث عن سيرته.

(٤) يراجع في كيفيّة صلاة عمر بن عبدالعزيز الطبقات الكبرى: ٥: ٤٧. الإمامة والسياسة: ٢: ١٤٣. وللاطّلاع على عصر عبدالملك بن مروان فإنّه لم تكن مسائل الحجّ قد عرفت تماماً. راجع: الطبقات الكبرى: ٥: ١٧٠. تاريخ اليعقوبي: ٢: ٣٥٨.

(٥) نظرة عامّة في تاريخ الفقه الإسلامي: ١١٠.

أحكام شريعة الله كان من أعظم الخدمات التي قدّمت للعالم الإسلامي ، ولولاهما لخسر المسلمون أعظم ثروة دينيّة لهم .

وعلى أي حال ، فإنّه لمّا لم يكن في العالم الإسلامي ـ في تلك العصور ـ من هو أدرى بشؤون الشريعة وأحكام الدين غير الإمامين عليهما السلام فقد أسرع إلى الأخذ من علومهما أبناء الصحابة والتابعون ، ورؤساء المذاهب الإسلاميّة ، كأبي حنيفة ومالك وغيرهما ، وقد تخرّج على يد الإمام أبي جعفر جمهرة كبيرة من الفقهاء ، كزرارة بن أعين ومحمّد بن مسلم وأبان بن تغلب ، وإليهم يرجع الفضل في تدوين أحاديث الإمام عليه السلام ، كما كانوا من مراجع الفتيا بين المسلمين ، وبذلك فقد أعاد الإمام أبو جعفر عليه السلام للإسلام نضارته ، وحافظ على ثرواته الدينيّة من الضياع .

ومن الجدير بالذكر أنّ الشيعة هي أوّل من سبق إلى تدوين الفقه . يقول مصطفى عبدالرزّاق : « ومن المعقول أن يكون النزوع إلى تدوين الفقه كان أسرع إلى الشيعة لأنّ اعتقادهم العصمة في أئمّتهم أو ما يشبه العصمة كان حريّاً إلى تدوين أقضيتهم وفتاواهم »[١] .

وبذلك فقد ساهمت الشيعة في بناء الصرح الإسلامي ، وحافظت على أهمّ ثرواته . ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للنظر في فقه أهل البيت عليهم السلام الذي هو مستمد من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .

مميّزاته

ويمتاز فقه أهل البيت عليهم السلام بمميّزات رائعة جعلته في قمّة الفقه الإسلامي وغيره ، وهذه بعضها :

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلاميّة : ٢٠٢ .

١ ـ اتّصاله بالنبيّ صلى الله عليه وآله

والشيء المهمّ في فقه أهل البيت عليهم السلام أنّه يتّصل اتّصالاً مباشراً بالنبيّ صلى الله عليه وآله ، فطريقه إليه أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، وجعلهم النبيّ صلى الله عليه وآله سفن النجاة ، وأمن العباد ، وعدلاء الذكر الحكيم حسبما تواترت الأخبار بذلك .

وممّا لا شبهة فيه أنّهم سلام الله عليهم ألصق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ، وأدرى بشؤون شريعته وأحكامه من غيرهم ، فروايتهم عن جدّهم صلى الله عليه وآله إن صحّ طريق سندها إليه فهي أصحّ الروايات إليهم ، وأقربها إلى الواقعيّة وبراءة الذمّة .

وهذا ممّا دعا فقهاء الإماميّة إلى الاقتصار على روايات الأئمّة في استنباطهم للأحكام الشرعيّة ، باعتبارها قد حازت على وثاقة الدليل وأصالته اللذين يعتمد عليهما الفقيه .

وقد عرض الإمام أبو جعفر عليه السلام إلى روايات الأئمّة عليهم السلام ، وأنّها لم تكن وإنّما هي مأخوذة عن النبيّ صلى الله عليه وآله . يقول عليه السلام : **« لَوْ إِنَّنا حَدَّثْنا بِرَأْيِنا ضَلَلْنا كَما ضَلَّ مَنْ قَبْلَنا ، وَلكِنّا حَدَّثْنا بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّنا لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله فَبَيَّنَها لَنا »**[١] .

وسئل عن الحديث الذي يرسله ولا يسنده ، فقال عليه السلام : **« إِذا حَدَّثْتُ بِالْحَديثِ فَلَمْ أُسْنِدْ فَسَنَدي فيهِ أَبي زَيْنُ الْعابِدينَ ، عَنْ أَبيهِ الْحُسَيْنِ الشَّهيدِ ، عَنْ أَبيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ ، عَنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، عَنْ جَبْرَئيلَ ، عَنِ اللهِ »**[٢] .

وهل هناك سند أشرق من هذا السند أو أصحّ منه ؟

وهل يجد المسلم الذي يبتغي وجه الله والدار الآخرة طريقاً يوصله إلى الله أعلم وأضمن من هذا الطريق ؟

---

(١) و (٢) إعلام الورى : ١ : ٥٠٨ و ٥٠٩ .

٢ـ مرونته

وفقه أهل البيت عليهم السلام يساير الحياة، ويواكب التطوّر، ولا يشذّ عن الفطرة، ويتمشّى مع جميع متطلّبات الحياة، فليس فيه ـ والحمد لله ـ حرج ولا ضيق، ولا ضرر ولا ضرار، وإنّما فيه الصالح العامّ، والتوازن في جميع مناحي تشريعاته، وقد نال إعجاب جميع رجال القانون، واعترفوا بأنّه من أثرى ما قنّن في عالم التشريع عمقاً وأصالة وإبداعاً.

إنّ فقه أهل البيت عليهم السلام ثبت يضيء للباحثين القوّة التشريعيّة الدافعة للتقدّم العلمي والحضاري، وهو آية للعدل المطلق، والحقّ المحض لأنّه نابع من صميم الواقع، فقد استعرض خلايا جسم الأُمّة، فوضع الحلول الحاسمة لجميع مشاكلها.

٣ـ فتح باب الجهاد

والشيء الذي تميّز به فقه أهل البيت عليهم السلام عن بقيّة الفقه الإسلامي هو فتح باب الاجتهاد، فقد دلّل ذلك على أصالة فقه أهل البيت، وتفاعله مع الحياة، واستمراره في العطاء لجميع شؤون الإنسان، وأنّه لا يقف مكتوفاً أمام الأحداث المستجدّة التي يبتلي بها الناس، خصوصاً في هذا العصر الذي استجدّت فيه كثير من الأحداث التي لم تكن موجودة في العصور السابقة كالتلقيح الصناعي وغرس الأعضاء، وغير ذلك من الأُمور التي لا يوجد لها حلّ على غير مائدة فقه أهل البيت.

وقد أدرك كبار علماء المسلمين من الأزهر مدى الحاجة الملحّة إلى فتح باب الاجتهاد، ومتابعة الشيعة في هذه الظاهرة.

يقول أحمد أمين: «وقد أُصيب المسلمون بحكمهم على أنفسهم بالعجز وقولهم بإقفال باب الاجتهاد؛ لأنّ معناه لم يبق في الناس من تتوفّر فيه شروط المجتهد، ولا يرجى أن يكون ذلك في المستقبل وإنّما قال هذا القول بعض المقلّدين لضعف

ثقتهم بأنفسهم وسوء ظنّهم بالناس »(١).

ويقول السيّد رشيد رضا: « ولا نعرف في ترك الاجتهاد منفعة ما، وأمّا مضاره فكثيرة، وكلّها ترجع إلى إهمال العقل، وقطع طريق العلم، والحرمان من استغلال الفكر، وقد أهمل المسلمون كلّ علم بترك الاجتهاد فصاروا إلى ما نرى »(٢).

إنّ الإسلام ـ والحمد لله ـ قد نعى على الفكر الجمود، ودعاه إلى الانطلاق في ميادين الفكر والعلم، وليس من الحكمة في شيء إقفال باب الاجتهاد وفرض التقليد؛ إذ ليس في الاجتهاد استحالة، ولا فيه خروج على المنطق والدليل، وأمّا إقفال بابه فقد كان في وقت خاصّ فرضته الحكومات القائمة في تلك العصور، حسبما يقوله المحقّقون.

٤ ـ الرجوع إلى حكم العقل

وانفرد فقهاء الإماميّة عن بقيّة المذاهب الإسلاميّة فاعتبروا العقل أحد المدارك الأربعة لاستنباط الأحكام الشرعيّة، وقد أضفوا عليه أسمى ألوان التقديس، فاعتبروه رسول الله الباطني، وأنّه ممّا يعبد به الرحمن، ويكتسب به الجنان.

ومن الطبيعي أنّ الرجوع إلى حكم العقل إذا لم يكن في المسألة نصّ، وإلّا فهو حاكم عليه، وأنّ للعقل مسرحاً كبيراً في علم الأُصول الذي يتوقّف عليه الاجتهاد، إذ أكثر مسائل الفقه يستند فيها الفقهاء إلى ما تقتضيه القواعد الأُصوليّة فيها، وعلى ضوء حكم العقل فقد حكموا بوجوب مقدّمة الواجب، وأنّ الأمر بالشيء يقتضي النهي عن ضدّه، كما حكموا بحجّيّة الظنّ المطلق بناءً على الحكومة لا على الكشف، وأرجعوا الخبرين المتعارضين إلى حكم العقل، فإن أيّد أحدهما فيؤخذ به

---

(١) يوم الإسلام: ١٨٩.

(٢) الوحدة الإسلامية: ٩٩.

حسبما دلّت عليه الأخبار ، إلى غير ذلك من المسائل التي يرتبط موضوعها بحكم العقل ، وهذا ممّا يدعو إلى الاعتزاز والفخر بحيويّة الفقه الإمامي وأصالته .

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن مميّزات الفقه الإمامي .

مسائل فقهيّة

وليس من المستطاع لي تدوين ما أُثر عن الإمام أبي جعفر عليه السلام من المسائل الفقهيّة ، فإنّ ذلك يستدعي تدوين موسوعة فقهيّة كبيرة ، فإنّ معظم أبواب الفقه وبحوثه قد رويت عنه ، إلّا أنّا نذكر عرضاً موجزاً لبعض المسائل التي أُثرت عنه ، وهي :

حكم القتال في الإسلام

وتحدّث الإمام أبو جعفر عليه السلام عن حكم القتال والحرب في الإسلام حينما سأله رجل من شيعته عن حروب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال له :

بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِخَمْسَةِ أَسْيافٍ : ثَلاثَةٌ مِنْها شاهِرَةٌ لَا تُغْمَدُ حَتّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها ، وَلَنْ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها حَتّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها ، فَإِذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها أَمِنَ النّاسُ كُلُّهُمْ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ ، فَيَوْمَئِذٍ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً ﴾[١] ، وَسَيْفٌ مَكْفوفٌ ، وَسَيْفٌ مِنْها مَغْمودٌ سَلُّهُ إِلىٰ غَيْرِنا ، وَحُكْمُهُ إِلَيْنا .

---

(١) الأنعام ٦ : ١٥٨ .

فَأَمّا السُّيوفُ الثَّلاثَةُ الشّاهِرَةُ:

فَسَيْفٌ عَلىٰ مُشْرِكي الْعَرَبِ. قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَاقْتُلُوا الْـمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾(١)، ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾(٢)، هٰؤُلاءِ لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَتْلُ أَوِ الدُّخولُ في الْإِسْلامِ، وَأَمْوالُهُمْ فَيْءٌ، وَذَراريهِمْ سَبْيٌ عَلىٰ ما سَنَّ رَسولُ اللهِ ﷺ، فَإِنَّهُ سَبىٰ وَعَفا، وَقَبِلَ الْفِداءِ.

وَالسَّيْفُ الثّاني: عَلىٰ أَهْلِ الذِّمَّةِ. قالَ اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾(٣)، نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ في أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَنَسَخَها قَوْلُهُ: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾(٤)، فَمَنْ كانَ مِنْهُمْ في دارِ الْإِسْلامِ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ إِلَّا الْجِزْيَةُ أَوِ الْقَتْلُ، وَمالُهُمْ فَيْءٌ، وَذَراريهِمْ سَبْيٌ، فَإِذا قَبِلوا الْجِزْيَةَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ حَرُمَ عَلَيْنا سَبْيُهُمْ، وَحَرُمَتْ أَمْوالُهُمْ، وَحَلَّتْ لَنا مَناكِحُهُمْ(٥)، وَمَنْ كانَ مِنْهُمْ في دارِ الْحَرْبِ حَلَّ لَنا سَبْيُهُمْ وَأَمْوالُهُمْ،

---

(١) التوبة ٩: ٥.

(٢) التوبة ٩: ١١.

(٣) البقرة ٢: ٨٣.

(٤) التوبة ٩: ٢٩.

(٥) في التهذيب والكافي: «مناكحتهم».

وَلَمْ تَحِلَّ لَنا مُناكَحَتُهُمْ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُمْ إِلَّا دُخولُ دارِ الْإِسْلامِ وَالْجِزْيَةُ أَوِ الْقَتْلُ.

وَالسَّيفُ الثّالِثُ: عَلىٰ مُشْرِكي الْعَجَمِ كَالتُّرْكِ وَالدَّيْلَمِ وَالْخَزَرِ. قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في أَوَّلِ السُّورَةِ الَّتي يَذْكُرُ فيها الَّذينَ كَفروا فَقَصَّ قِصَّتَهُمْ، ثُمَّ قالَ: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[١].

فَأَمّا قَوْلُهُ: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ يَعْني بَعْدَ السَّبْيِ مِنْهُمْ ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾ يَعْني الْمُفاداةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلامِ، فَهٰؤُلاءِ لَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَتْلُ أَوِ الدُّخولُ في الْإِسْلامِ، وَلا يَحِلُّ لَنا نِكاحُهُمْ ما داموا في الْحَرْبِ.

وَأَمّا السَّيْفُ الْمَكْفوفُ: فَسَيْفٌ عَلىٰ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالتَّأْويلِ. قالَ اللهُ: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ﴾[٢]، فَلَمّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقاتِلُ بَعْدي عَلَى التَّأْويلِ كَما قاتَلْتُ عَلَى التَّنْزيلِ.

فَسُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: مَن هُوَ؟

فَقالَ: خاصِفُ النَّعْلِ -يعني أمير المؤمنين-.

---

(١) محمّد صلى الله عليه وآله ٤٧: ٤.

(٢) الحجرات ٤٩: ٩.

وَقالَ عَمّارُ بْنُ ياسِرٍ: قاتَلْتُ بِهٰذِهِ الرّايَةِ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ ثَلاثاً[١]، وَهٰذِهِ الرّابِعَةُ، وَاللهِ لَوْ ضَرَبونا حَتّىٰ يَبْلُغوا بِنا السَّعَفاتِ مِنْ هَجَرَ[٢] لَعَلِمْنا أَنّا عَلَى الْحَقِّ، وَأَنَّهُمْ عَلَى الْباطِلِ، وَكانَتِ السِّيْرَةُ فيهِمْ مِنْ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام مِثْلَ ما كانَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ في أَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِها فَإِنَّهُ لَمْ يَسْبِ لَهُمْ ذُرِّيَّةً، وَقالَ: مَنْ أَغْلَقَ بابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقىٰ سِلاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَكَذٰلِكَ قالَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام يَوْمَ الْبَصْرَةِ، نادىٰ فيهِمْ: لا تَسْبوا لَهُمْ ذُرِّيَّةً، وَلا تُدَفِّفوا عَلىٰ جَريحٍ[٣]، وَلا تَتْبَعوا مُدْبِراً، وَمَنْ أَغْلَقَ بابَهُ، وَأَلْقىٰ سِلاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ.

وَالسَّيْفُ الْمَغْمودُ: فَالسَّيْفُ الَّذي يُقامُ بِهِ الْقِصاصُ. قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾[٤]، فَسَلُّهُ إِلىٰ أَوْلِياءِ الْمَقْتولِ وَحُكْمُهُ إِلَيْنا.

فَهٰذِهِ السُّيوفُ الَّتي بَعَثَ اللهُ بِها مُحَمَّداً ﷺ، فَمَنْ جَحَدَها أَوْ جَحَدَ واحِداً مِنْها أَوْ شَيْئاً مِنْ سِيَرِها وَأَحْكامِها فَقَدْ كَفَرَ بِما أَنْزَلَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ عَلىٰ مُحَمَّدٍ نَبِيِّه »[٥].

---

(١) الثلاث التي قاتل الصحابي العظيم عمّار بن ياسر مع رسول الله بتلك الراية هي: يوم بدر، ويوم أُحد، ويوم حنين، وكان يتزعّم تلك الحروب أبو سفيان عميد الأمويّين.

(٢) **هجر** ـ بالتحريك ـ: بلدة باليمن، كما أنّها اسم لجميع أرض البحرين.

(٣) لا تدفّفوا على جريح: أي لا تجهزوا عليه.

(٤) المائدة ٥: ٤٥.

(٥) تحف العقول: ٢٨٨ ـ ٢٩٠، ورواه الصدوق في الخصال: ٢٧٤ ـ ٢٧٦، الحديث ⇦

واستمدّ فقهاء المسلمين الأحكام التي رتّبوها على قتال أهل البغي من سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل، كما أخذوا عن أئمّة الهدى عليهم السلام الكثير من الأحكام في هذه المسألة.

المسح على الخفّين

وجوّز فقهاء المذاهب الإسلاميّة المسح على الخفّين في الوضوء، ولم يعتبروا مماسة اليد لظاهر القدمين(١)، أمّا أئمّة أهل البيت عليهم السلام فاعتبروا المماسّة ولم يسوّغوا غيرها.

يقول الربيع: «سألت أبا إسحاق عن المسح؟ فقال: أدركت الناس يمسحون -يعني على الخفّين- حتّى لقيت رجلاً من بني هاشم لم أرَ مثله قطّ يقال له محمّد بن عليّ بن الحسين، فسألته عن المسح؟ فنهاني عنه، وقال: **لَمْ يَكُنْ أميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام يَمْسَحُ، وَكانَ يَقولُ: سَبَقَ الْكِتابُ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ**»(٢).

لقد دلّ الكتاب العظيم على اعتبار المماسّة. قال تعالى: ﴿**وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ**﴾(٣)، والآية ظاهرة أشدّ الظهور فيما حكم به أهل البيت عليهم السلام.

مسّ الفرج لا ينقض الوضوء

وذهب الشافعي إلى أنّ مسّ الفرج من نواقض الوضوء، وتمسّك بذلك بما روي عن ابن عمر وسعد بن أبي وقّاص وأبي هريرة وعائشة وسعيد بن المسيّب وسليمان

⇦ ١٨، والكليني في فروع الكافي: ٥: ١٠ ـ ١٢، الحديث ٢، والطوسي في التهذيب: ٤: ١١٤ ـ ١١٦، الحديث ٣٣٦.

(١) الخلاف: ١: ١٨.

(٢) روضة الواعظين: ٢٤٣.

(٣) المائدة ٥: ٦.

ابن يسار من أنّ مسّ الفرج من نواقض الوضوء.

أمّا الإمام أبو جعفر عليه السلام وسائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام فإنّهم لا يرون ذلك. روى زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، أنّه قال: «**لَيْسَ في الْقُبْلَةِ، وَلَا الْمُباشَرَةِ، وَلَا مَسِّ الْفَرْجِ وُضوءٌ**»(١).

ويضاف إلى ذلك ثبوت حكم الطهارة وجريان استصحابها، وإنّ نقضها يحتاج إلى دليل.

الجهر في صلاة الاخفات

وذهب فقهاء المذاهب الإسلاميّة إلى أنّ الجهر في صلاة الاخفات أو الاخفات في صلاة الجهر متعمّداً غير مبطل للصلاة، أمّا في فقه مذهب أهل البيت عليهم السلام فإنّه مبطل للصلاة، فقد روى زرارة عن الإمام أبي جعفر عليه السلام في رجل جهر فيما لا ينبغي الاجهار فيه أو أخفت فيما لا ينبغي الإخفات فيه.

فقال عليه السلام: **إنْ فَعَلَ ذلِكَ مُتَعَمِّداً فَقَدْ نَقَضَ صَلاتَهُ، وَعَلَيْهِ الْإعادَةُ، وَإنْ فَعَلَ ذلِكَ ناسِياً أَوْ ساهِياً أَوْ لَا يَدْري، فَلا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَقَدْ تَمَّتْ صَلاتُهُ**»(٢).

الصلاة على آل النبيّ في التشهّد

وذهب أكثر فقهاء المسلمين إلى وجوب الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله في التشهّد، وقد روى جابر الجعفي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، أنّه قال: «**قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ صَلّىٰ صَلاةً لَمْ يُصَلِّ فيها عَلَيَّ، وَلَا عَلىٰ أَهْلِ بَيْتي لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ**»(٣).

---

(١) الخلاف: ١: ٢٣.

(٢) الخلاف: ١: ١٣٠.

(٣) الخلاف ١: ١٣١.

هذه بعض المسائل الفقهيّة التي أدلى بها الامام أبو جعفر عليه السلام ، ومعظم أبـواب الفقه أُصولاً وفروعاً قد أخذت منه ، كما ذكرنا ذلك .

علم الأُصول

من العلوم التي فتق أبوابها الإمام الباقر عليه السلام علم الأُصول، وهو من أجلّ العلوم الإسلاميّة بعد علم الفقه، لأنّ الاجتهاد يتوقّف عليه، فإنّه لا يكون المجتهد قد حصل على ملكة الاجتهاد حتّى يجتهد في بحوث هذا العلم[١].

وقد اتّفق البحاث والعلماء على أنّ الإمام أبا جعفر عليه السلام هو أسبق من أسّس هذا العلم، وأرسى قواعده.

يقول السيّد حسن الصدر: «إنّ أوّل من فتح بابه ـ أي باب علم الأُصول ـ وفتق مسائله هو باقر العلوم الإمام أبو جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام، وبعده ابنه أبو عبدالله الصادق عليه السلام، وقد أمليا فيه على جماعة من تلامذتهما قواعده ومسائله، جمعوا من ذلك مسائل رتّبها المتأخّرون على ترتيب مباحثه ككتاب (أُصول آل الرسول)، وكتاب (الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة) وكتاب (الأُصول الأصيلة) كلّها بروايات الثقات مسندة متّصلة الاسناد إلى أهل البيت عليهم السلام»[٢].

وفيما يلي بعض القواعد الأُصوليّة التي أسّسها الإمام عليه السلام، أو نقلها عن أجداده الطاهرين، وإليها يرجع الفقهاء عند عدم النصّ على الحكم الشرعي. وإن كانت الكثير منها قواعد فقهيّة، إلّا أنّ علماء الأُصول ذكروها استطراداً في علم الأُصول، ونحن نذكرها كذلك.

---

(١) كفاية الأُصول: الجزء الثاني ـ باب الاجتهاد والتقليد.

(٢) الشيعة وفنون الإسلام: ٩٥.

الاستصحاب

وهو أحد الأُصول الأربعة التي يرجع إليها الشاكّ في مقام العمل ، أمّا سبب شكّه فيرجع إمّا إلى فقدان النصّ أو إجماله ، أو إلى تعارض النصوص وتساقطها فيما إذا تكافأت ، ولم يكن أحدهما أرجح من الآخر ، ولا يجري الاستصحاب حتّى يتوفّر في المستصحب اليقين السابق والشكّ اللّاحق .

وقد نصّ الإمام عليه السلام على حجّيّة الاستصحاب في كثير من المسائل التي سئل عنها ، خصوصاً في أبواب الشكّ في الصلاة ، وقد ذكرت تلك الأخبار في (وسائل الشيعة) وغيرها من الموسوعات الفقهيّة .

قاعدة التجاوز

وتعني هذه القاعدة الحكم بوجود الشيء المشكوك بعد الدخول في غيره ممّا هو مترتّب عليه(١) ، كما إذا شكّ في القراءة وقد ركع ، وقد تظافرت الأخبار عن الإمام الباقر عليه السلام وولده الإمام الصادق عليه السلام في عدم العناية بالشكّ والمضيّ في الصلاة .

قاعدة الفراغ

وهي عبارة عن الحكم بصحّة الفعل الموجود في ظرف الشكّ في صحّته(٢) .

وقد استفيدت هذه القاعدة من موثّق محمّد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر عليه السلام ، قال : **« كُلُّ ما شَكَكْتَ فيهِ مِمّا قَدْ مَضىٰ فَامْضِهِ كَما هُوَ »**(٣) .

كما دلّت على ذلك صحيحة محمّد بن مسلم ، عنه عليه السلام ، جاء فيها : **« كُلَّما شَكَكْتَ**

---

(١) و (٢) حقائق الأصول : ٢ : ٥٤٧ .

(٣) مستمسك العروة الوثقى : ٧ : ٣٥٠ .

فيهِ بَعْدَ ما تَفْرَغْ مِنْ صَلاتِكَ فَامْضِ وَلَا تَعُدْ»[١].

وعلى ضوء الموثّقة والصحيحة أفتى فقهاء الإماميّة بعدم الاعتناء بالشكّ في أفعال الصلاة بعد الفراغ منها.

قاعدة نفي الضرر

من القواعد المهمّة في التشريع الإسلامي قاعدة (نفي الضرر)، ومفادها نفي الحكم المؤدّي إلى الضرر -كما يرى ذلك الشيخ الأنصاري ﷺ- ويترتّب عليها كثير من الأحكام ذكرها الفقهاء.

وقد نصّ الإمام أبو جعفر عليه السلام على مدرك هذه القاعدة، فقد قال عليه السلام لزرارة: **إنَّ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ**[٢] **كانَ لَهُ عَذْقٌ**[٣] **في حائِطٍ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصارِ، وَكانَ مَنْزِلُ الْأَنْصارِيِّ بِبابِ الْبُسْتانِ، وَكانَ سَمُرَةُ يَمُرُّ إِلىٰ نَخْلَتِهِ وَلَا يَسْتَأْذِنُ، فَكَلَّمَهُ الْأَنْصارِيُّ أَنْ يَسْتَأْذِنَ إذا جاءَ، فَأَبىٰ سَمُرَةُ، فَلَمّا تَأَبّىٰ جاءَ الْأَنْصارِيُّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَشَكا إِلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ.**

فَأَرْسَلَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله إِلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ الْأَنْصارِيِّ وَما شَكا وَقالَ لَهُ: إذا أَرَدْتَ

---

(١) مستمسك العروة الوثقى: ٧: ٣٤٩.

(٢) **سمرة بن جندب الصحابي الكذّاب:**

كان من سماسرة معاوية وأعوانه على نشر الظلم والارهاب، استعمله زياد بن أبيه والياً على البصرة فأسرف في قتل الأبرياء، فقتل -فيما يقول المؤرّخون- ثمانية آلاف.

وفي الأمم والملوك: ٦: ٦٣٢: أنّ أبا سوار العدوي قال: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً ممّن جمع القرآن.

وقد تحدّثنا بصورة مفصّلة عن جرائمه في كتابنا (حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: ٢: ١٩٢-١٩٦).

(٣) **العذق** -بفتح العين-: النخلة، وبكسرها: العرجون بما فيه من الشماريخ.

الدُّخولَ فاسْتَأْذِنْ ، فَأَبىٰ .

فَلَمّا أَبى ساوَمَهُ حَتّىٰ بَلَغَ مِنَ الثَّمَنِ ما شاءَ اللهُ ، فَأَبىٰ أَنْ يَبيعَهُ ، فَقالَ صلى الله عليه وآله : لَكَ بِها عَذْقٌ في الْجَنَّةِ ، فَأَبىٰ أَنْ يَقْبَلَ .

فَقالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لِلأَنْصاريِّ : اذْهَبْ فَاقْلَعْها ، وَارْمِ بِها إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لا ضَرَرَ وَلا ضِرارَ»(١) .

وقد ذكر الأُصوليّون مفاد هذا الحديث ، وشرحوا مفردات ألفاظه ، وما يترتّب عليه من الأحكام .

علاج التعارض

ووردت أخبار كثيرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام متعارضة في مدلولها بين النفي والايجاب في موضوع واحد ، ومن المعلوم استحالة هذا اللون من التناقض في أحاديث الأئمّة .

أمّا سبب التعارض فلا يخلو من أحد أمرين :

الأوّل : صدور أحدهما للتقيّة ، فقد ابتلي الأئمّة الطاهرون بفراعنة زمانهم الذين جهدوا على ظلمهم ، والتنكيل بهم وبشيعتهم ، وقد أحاطوا مجالسهم بمباحثهم لحجبهم عن المسلمين ، فكانت ظروفهم قاسية وحرجة ، فإذا سئلوا عن مسألة ، وشكّوا في أمر السائل ، أوكان في المجلس من يخافون منه أفتوا بالمسألة على وفق رأي الجمهور حذراً من التنكيل .

وسنتحدّث عن هذه الجهة بالتفصيل في البحوث الآتية .

---

(١) الكافي : ٥ : ٢٩٢ و ٢٩٣ ، الحديث ٢ . تهذيب الأحكام : ٧ : ١٤٦ و ١٤٧ ، الحديث ٦٥١ . ايضاح الكفاية ٣ : ٤٣٩ (مخطوط للمؤلّف) .

الثاني : أن يكون أحد الخبرين من الموضوعات عليهم ، فإنّ وضع الحديث وافتعاله قد كثر في تلك العصور ، وسنعرض لذلك عند البحث عن مشاكل عصر الإمام عليه السلام. وكانت معرفة الخبر الصحيح وتميّزه عن غيره في مجالات التعارض تهمّ المتحرّجين في دينهم من الرواة ، فخفّوا إلى الإمام أبي جعفر عليه السلام وسألوه عن ذلك ، فوضع عليه السلام البرامج العلاجيّة لذلك ، وهي :

١ ـ الشهرة

ونعني بها الشهرة في الرواية لا في الفتوى ، فإذا كان أحد الخبرين المتعارضين مشهوراً بين الرواة فيؤخذ به ، وأمّا الشاذّ النادر من الخبرين فيطرح .

يقول عليه السلام لزرارة : « **يا زُرارَةُ ، خُذْ بِما اشْتَهَرَ بَيْنَ أَصْحابِكَ ، وَدَعِ الشّاذَّ النّادِرَ** »[١] .

ومعنى هذا أنّ الشاذّ النادر من الخبرين يطرح ولا يؤخذ به ، ويعوّل على الخبر المشهور بين الرواة .

٢ ـ موافقة الكتاب والسنّة

والمقياس الثاني الذي وضعه الإمام أبو جعفر لعلاج التعارض هو عرض الخبرين المتعارضين على الكتاب والسنّة ، فإن اتّفق أحدهما مع منطوق الكتاب والسنّة فيؤخذ به ، ويطرح الآخر .

يقول عليه السلام لبعض أصحابه : « **لَا تُصَدِّقْ عَلَيْنا إلّا بِما يُوافِقُ كِتابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ** »[٢] .

٣ ـ الترجيح بالصفات

الطريق الثالث لمعرفة الخبر الصحيح هو النظر في صفات الراوي من حيث

---

(١) عوالي اللئالي / ابن أبي جمهور الأحسائي : ٤ : ١٣٣ . رواه عن العلّامة مرفوعاً إلى زرارة .

(٢) تفسير العيّاشي : ١ : ٩ ، الحديث ٦ . بحار الأنوار : ٢ : ٢٤٤ ، الحديث ٥١ .

الوثاقة والعدالة ، فتقدّم روايته على مَن لا تتوفّر فيه هذه الصفات .

يقول الإمام أبو جعفر لزرارة : « **خُذْ بِما يَقولُهُ أَعْدَلُهُما عِنْدَكَ وَأَوْثَقُهُما** »[1] .

ودلّت هذه الرواية على أنّ عدالة الراوي ووثاقته من موجبات الترجيح لأحد الخبرين المتعارضين على الآخر .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن القواعد الأُصوليّة التي ألقاها الإمام عليه السلام في بحوثه ومحاضراته .

---

(١) فرائد الأُصول : ٤ : ١٨٨ .

بحوث اقتصاديّة

وعرض الإمام عليه السلام في محاضراته وسيرته إلى أهمّ المباحث الاقتصاديّة ، وهذه بعضها :

ضرورة تحسين المعيشة

ودعا الإمام عليه السلام إلى الجدّ والسعي في طلب المعيشة لينعم الإنسان مع عائلته بالرفاه والرخاء ، ويتجنّب الفقر والبؤس .

قال عليه السلام : « **مَنْ تَسَلَّحَ لِطَلَبِ الْمَعيشَةِ خَفَّتْ مَؤُونَتُهُ ، وَرَخا بالُهُ ، وَنَعِمَ عِيالُهُ** » .

وقال عليه السلام : « **بِسَعَةِ الْخُلُقِ تَطيبُ الْمَعِيشَةُ** »[1] .

إنّ التسلّح لطلب المعيشة والجدّ فيها ممّا يوفّر للإنسان الحياة الاقتصاديّة الحافلة بالرخاء والنعم ، وهدوء البال والاستقرار ، وإنّ الحياة إنّما تطيب وتنعم إذا كانت في ظلال الرخاء لا في ظلال البؤس والشقاء .

التحذير من الكسل

وحذّر الإمام أبو جعفر عليه السلام من الكسل لأنّه موجب لشلّ الحركة الاقتصاديّة ، وتجميد الطاقات الإنسانيّة ، ونشر الفساد في الأرض .

يقول عليه السلام : « **الْكَسَلُ يَضُرُّ بِالدِّينِ وَالدُّنْيا** »[2] .

أمّا إنّ الكسل يضرّ بالدين فإنّه يمنع من ذكر الله ، وأداء فرائضه وواجباته ،

---

(١) نزهة الناظر : ٩٧.

(٢) تحف العقول : ٣٠٠.

فإنّ الكسول يتقاعس عن الإتيان بالواجبات الدينيّة ، وأي ضرر أعظم من هذا الضرر ؟

وأمّا إنّه يضرّ بالدنيا فإنّ الكسول دائماً يميل إلى الخمول ، ويرغب أن يعيش حياة بائسة تسودها الحاجة والفقر ، ولا يدخل في ميادين العمل التي تضمن له الرخاء والسعادة .

وحذّر عليه السلام بعض أبنائه من الكسل فقال له : « **إِيّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ ، فَإِنَّهُما مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ ، مَنْ كَسِلَ لَمْ يُؤَدِّ حَقّاً ، وَمَنْ ضَجِرَ لَمْ يَصْبِرْ عَلىٰ حَقٍّ** »[١] .

إنّ الإسلام بكلّ اعتزاز يريد انطلاق الإنسان في هذه الحياة ، يريده أن يعمل وينتج ، كما يريد له أن يؤدّي حقوق الناس ، ويرتبط معهم ، ويؤدّي ما عليه من الواجبات ، ومن الطبيعي إنّ الانسان إذا أُصيب بداء الكسل فإنّه يهمل حقوق الله وحقوق الناس .

مقته عليه السلام لتارك العمل

كان الإمام أبو جعفر عليه السلام يمقت تارك العمل لأنّه يؤدّي إلى ضعف الانتاج ، وزيادة البطالة ، وانتشار الأزمات الاقتصاديّة في البلاد .

يقول عليه السلام : « **إِنّي أَجِدُني أَمْقُتُ الرَّجُلَ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ الْمَكاسِبُ ، فَيَسْتَلْقي عَلىٰ قَفاهُ وَيَقولُ : اللّٰهُمَّ ارْزُقْني ، وَيَدَعُ أَنْ يَنْتَشِرَ في الْأَرْضِ ، وَيَلْتَمِسَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَالذَّرَّةُ**[٢] **تَخْرُجُ مِنْ جُحْرِها تَلْتَمِسُ رِزْقَها** »[٣] .

---

(١) تحف العقول : ١١٠ .

(٢) **الذرة** : النملة الصغيرة .

(٣) من لا يحضره الفقيه : ٣ : ١٥٨ .

العمل طاعة لله

وكان الإمام أبو جعفر عليه السلام يرى أنّ العمل طاعة لله ، فكان عليه السلام يعمل بنفسه في إصلاح أرض له ، يقول محمّد بن المنذر : « خرجت إلى بعض نواحي المدينة ، فلقيني أبو جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام ، وكان بادناً ثقيلاً ، وهو متّكئ على غلامين أسودين ، ومولييين ، فقلت في نفسي : سبحان الله ! شيخ من أشياخ قريش في هذه الحالة ، وفي هذه الساعة يخرج في طلب الدنيا ! أما إنّي لأعظنّه ، فدنوت منه فسلّمت عليه ، وهو يتصابّ عرقاً ، فقلت له : أصلحك الله ، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة يخرج لطلب الدنيا ؟ ! أرأيت لو جاء أجلك على هذه الحالة ما كنت تصنع ؟

فأجابه الإمام بمنطق الإسلام قائلاً : **لَوْ جاءَني الْمَوْتُ وَأَنا في طاعَةٍ مِنْ طاعاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْمَلُ فَأَكُفُّ نَفْسي وَعِيالي عَنْكَ وَعَنِ النّاسِ ، وَإِنَّما كُنْتُ أَخافُ لَوْ جاءَني الْمَوْتُ وَأَنا عَلىٰ مَعْصِيَةٍ مِنْ مَعاصِي اللهِ**.

فخجل محمّد ولم يطق جواباً ، وانبرى يقول : صدقت يرحمك الله ، أردت أن أعظك فوعظتني »[١].

إنّ العمل طاعة من طاعات الله على حدّ تعبير الإمام ، لأنّ به كفّ النفس ، وكفّ العيال من الاحتياج إلى ما في أيدي الناس .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض البحوث الاقتصاديّة التي خاضها الإمام عليه السلام كما ينتهي بنا الحديث عن العلوم التي عرضها في بحوثه ومحاضراته .

---

(١) الكافي : ٥ : ٧٣ و ٧٤ ، الحديث ١ .

أهميّة العلم والعلماء

وتحدّث الإمام أبو جعفر عليه السلام كثيراً عن أهميّة العلم، وحثّ على طلبه لأنّه الدعامة الأولى الذي ترتكز عليه حياة الأمم والشعوب، كما أشاد عليه السلام بفضل العلماء لأنّهم مصدر الوعي والتوجيه للأمّة، وفيما يلي بعض ما أُثر عنه في ذلك.

فضل العلم

ومجّد الإمام أبو جعفر عليه السلام العلم، ودعا إليه، وحثّ على طلبه، وأثنى على طلابه.

يقول عليه السلام: «**تَعَلَّموا الْعِلْمَ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ جُنَّةٌ، وَطَلَبَهُ عِبادَةٌ، وَمُذاكَرَتَهُ تَسْبيحٌ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهادٌ، وَتَعليمَهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلَهُ لأَهْلِهِ قُرْبَةٌ.**

وَالْعِلم مَنارُ الْجَنَّةِ، وَأُنْسٌ في الْوَحْشَةِ، وصاحِبٌ في الْغُرْبَةِ، وَرَفيقٌ في الْخَلْوَةِ، وَدَليلٌ عَلَى السَّرّاءِ، وَعَوْنٌ عَلَى الضَّرّاءِ، وَزَيْنٌ عِنْدَ الأَخِلّاءِ، وَسِلاحٌ عَلَى الأَعْداءِ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ قَوْماً فَيَجْعَلُهُمْ في الْخَيْرِ أَئِمَّةً، يُقْتَدىٰ بِفِعالِهِمْ، وَتُقْتَصُّ آثارُهُمْ، وَيُصَلّي عَلَيْهِمْ كُلُّ رَطْبٍ وَيابِسٍ، وَحيتانُ الْبَحْرِ وَهَوامُّهُ، وَسِباعُ الْبَرِّ وَأَنْعامُهُ»[1].

لا أعرف كلمة مجّدت العلم، وقيّمت أهله، وأحاطت بثمراته وفوائده كهذه الكلمة الذهبيّة التي من حقّها أن ترسم في معاهد العلم وجامعاته.

---

(١) التذكرة الحمدونيّة: ٢٦٨.

فضل العالم

وأشاد عليه السلام بفضل العالِم، وبيّن مكانته الاجتماعيّة، وما أعدّ الله له من مزيد الأجر، وفيما يلي بعض ما أثر عنه:

١ ـ قال عليه السلام: «**عالِمٌ يُنْتَفَعُ بِعِلْمِهِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعينَ أَلْفَ عابِدٍ**»(١).

٢ ـ قال عليه السلام: «**مَنْ عَلَّمَ بابَ هُدىً فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهِ، وَلا يَنْقُصُ أُولئِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً.**

وَمَنْ عَلَّمَ بابَ ضَلالٍ كانَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَوْزارِ مَنْ عَمِلَ بِهِ، وَلا يَنْقُصُ أُولئِكَ مِنْ أَوْزارِهِمْ شَيْئاً»(٢).

٣ ـ قال عليه السلام: «**ما مِنْ عَبْدٍ يَغْدو في طَلَبِ الْعِلْمِ وَيَروحُ إِلّا خاضَ الرَّحْمَةَ خَوْضاً**»(٣).

مجالسة العلماء والمتّقين

وحثّ الإمام عليه السلام على مجالسة العلماء والمتحرّجين في دينهم للاستفادة من هديهم وسلوكهم.

يقول عليه السلام: «**لَمَجْلِسٌ أَجْلِسُهُ إِلىٰ مَنْ أَثِقُ بِهِ، أَوْثَقُ في نَفْسي مِنْ عَمَلِ سَنَةٍ**»(٤).

مذاكرة العلم

ودعا عليه السلام إلى المذاكرة في العلوم لأنّها تفتح آفاقاً واسعة في ميادين المعرفة والعلم.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: ١: ٣٢. جامع السعادات: ١: ١٠٤. تحف العقول: ٢٩٤.

(٢) أُصول الكافي: ١: ٣٥، الحديث ٤.

(٣) ناسخ التواريخ: ٢: ٢٠٥.

(٤) أُصول الكافي: ١: ٣٩، الحديث ٥.

يقول عليه السلام : « تَذاكُرُ الْعِلْمِ دِراسَةٌ ، وَالدِّراسَةُ صَلاةٌ حَسَنَةٌ »(١) .

آداب المتعلّم

ووضع عليه السلام البرامج الرائعة لآداب المتعلّمين .

يقول عليه السلام : « إِذا جَلَسْتَ إِلىٰ عالِمٍ فَكُنْ عَلىٰ أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلىٰ أَنْ تَقولَ ، وَتَعَلَّمْ حُسْنَ الْإِسْتِماعِ كَما تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْقَوْلِ ، وَلَا تَقْطَعْ عَلىٰ أَحَدٍ حَديثَهُ »(٢) .

بذل العلم

ودعا عليه السلام إلى بذل العلم وإشاعته بين الناس حتّى لا يبقى جاهل .

يقول عليه السلام : « زَكاةُ الْعِلْمِ أَنْ تُعَلِّمَهُ عِبادَ اللهِ »(٣) .

وقال عليه السلام : « إِنَّ الَّذي يُعَلِّمُ الْعِلْمَ مِنْكُمْ لَهُ أَجْرٌ مِثْلُ أَجْرِ الَّذي يُعَلِّمُهُ ، وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَيْهِ ، تَعَلَّموا الْعِلْمَ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ ، وَعَلِّموهُ إِخْوانَكُمْ كَما عَلَّمَكُمُ الْعُلَماءُ »(٤) .

الحثّ على التعلّم

وحثّ الإمام على التعلّم والسؤال من أهل العلم .

يقول عليه السلام : « الْعِلْمُ خَزائِنٌ ، وَالْمَفاتيحُ السُّؤالُ ، فَاسْأَلوا يَرْحَمُكُمُ اللهُ ، فَإِنَّهُ يُؤْجَرُ فِي الْعِلْمِ أَرْبَعَةٌ : السّائِلُ ، وَالْمُتَكَلِّمُ ، وَالْمُسْتَمِعُ ، وَالْمُحِبُّ لَهُمْ »(٥) .

---

(١) أُصول الكافي : ١ : ٤١ ، الحديث ٩ .

(٢) ناسخ التواريخ : ٢ : ٢٠٥ .

(٣) أُصول الكافي : ١ : ٤١ ، الحديث ٣ .

(٤) ناسخ التواريخ : ٢ : ٢٠٥ . أُصول الكافي : ١ : ٣٥ ، الحديث ٢ .

(٥) الخصال : ٢٢٣ .

التفقّه في الدين

ودعا عليه السلام إلى التفقّه في الدين، ومعرفة الحلال والحرام.

قال عليه السلام: «**الْكَمالُ كُلُّ الْكَمالِ التَّفَقُّهُ في الدّينِ، وَالصَّبْرُ عَلَى النّائِبَةِ، وَتَقْديرُ الْمَعيشَةِ**»[1].

إنّ التفقّه في الدين ممّا يحفظ توازن الإنسان وسلوكه، ويبعده عن اقتراف أي شذوذ أو انحراف عن الدين.

العمل بالعلم

وحثّ عليه السلام أهل العلم بتطبيق ما علموه على واقع حياتهم.

يقول عليه السلام: «**إذا سَمِعْتُمُ الْعِلْمَ فَاسْتَعْمِلوهُ، وَلْتَتَّسِعْ قُلوبُكُمْ، فَإِنَّ الْعِلْمَ إذا كَثُرَ في قَلْبِ رَجُلٍ لَا يَحْتَمِلُهُ قَدَرَ الشَّيْطانُ عَلَيْهِ، فَإِذا خاصَمَكُمُ الشَّيْطانُ فَأَقْبِلوا عَلَيْهِ بِما تَعْرِفونَ، فَإِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعيفاً**».

فقال له ابن أبي ليلى: وما الذي نعرفه؟

قال عليه السلام: **خاصِموهُ بِما ظَهَرَ لَكُمْ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[2].

قبول العمل بالمعرفة

والمعرفة شرط في قبول العمل، فمن يعمل من دون معرفة الله ولا للواجب الذي يؤدّيه فلا أثر لعمله.

قال عليه السلام: «**لَا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلاً إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ، وَلَا مَعْرِفَةَ إِلَّا بِعَمَلٍ، فَمَنْ عَرَفَ دَلَّتْهُ**

---

(١) أُصول الكافي: ١: ٣٢، الحديث ٤.

(٢) أُصول الكافي: ١: ٤٥، الحديث ٧.

الْمَعْرِفَةُ عَلَى الْعَمَلِ ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلَا مَعْرِفَةَ لَهُ ، أَلَا إِنَّ الْإِيمانَ بَعْضَهُ مِنْ بَعْضٍ »(١).

ذمّ المباهاة بطلب العلم

وحذّر الإمام أبو جعفر عليه السلام من المباهاة والافتخار بطلب العلم ، وحثّ أهل العلم أن يجهدوا أنفسهم على التقرّب به إلى الله ، وأن يلتمسوا به الدار الآخرة .

قال عليه السلام : « **مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُباهِيَ بِهِ الْعُلَماءَ ، أَوْ يُمارِيَ بِهِ السُّفَهاءَ ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجوهَ النّاسِ إِلَيْهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ . إِنَّ الرِّئاسَةَ لَا تَصْلُحُ إِلّا لأَهْلِها »**(٢).

إنّ هذه الدواعي الفاسدة ، والأغراض السقيمة لتحبط الأجر الجزيل الذي أعدّه الله لطالب العلم الديني الذي هو داعية الله في الأرض ، وعليه إن أراد النجاح في الدنيا والسعادة في الآخرة أن يخلص في نيّته لله ، ولا يبتغي غير وجهه .

الفتوى بغير علم

وأُثرت عن الإمام أبي جعفر عليه السلام عدّة أحاديث تنهى عن الفتيا بغير علم ، لأنّها مصدر لغواية الناس وضلالهم ، وهذا بعض ما أُثر عنه :

١ ـ قال عليه السلام : « **مَنْ أَفْتَى النّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدىً لَعَنَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذابِ ، وَلَحِقَهُ وِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِفُتْياهُ »**(٣).

٢ ـ قال عليه السلام : « **ما عَلِمْتُمْ فَقُولوا ، وَما لَمْ تَعْلَموا فَقُولوا : اللهُ أَعْلَمُ . إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْتَزِعُ الْآيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَخِرُّ فيها أَبْعَدَ ما بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ »**(٤).

---

(١) أصول الكافي : ١ : ٤٤ ، الحديث ٢.

(٢) أصول الكافي : ١ : ٤٧ ، الحديث ٦. جامع السعادات : ١ : ١٠٦.

(٣) أصول الكافي : ١ : ٤٢ ، الحديث ٣.

(٤) أصول الكافي : ١ : ٤٢ ، الحديث ٤.

٣ ـ سأل زرارة الإمام أبا جعفر عليه السلام ، فقال له : ما حقّ الله على العباد ؟

قال عليه السلام : **أَنْ يَقولوا ما يَعْلَمونَ ، وَيَقِفوا عِنْدَما لَا يَعْلَمونَ**[١] .

٤ ـ قال عليه السلام : «**لِلْعالِمِ إذا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ وَهُوَ لَا يَعْلَمُهُ أَنْ يَقولَ : اللهُ أَعْلَمُ ، وَلَيْسَ لِغَيْرِ الْعالِمِ أَنْ يَقولَ ذٰلِكَ**»[٢] .

صفات العالِم

وتحدّث الإمام أبو جعفر عليه السلام في كثير من أحاديثه عن صفات العلماء ، وهذه بعضها :

١ ـ قال عليه السلام : «**لَا يَكونُ الْعَبْدُ عالِماً حَتّىٰ لَا يَكونَ حاسِداً لِمَنْ فَوْقَهُ ، وَلَا مُحَقِّراً لِمَنْ دونَهُ**»[٣] .

إنّ العالم إنّما يكون عالماً فيما إذا صفت نفسه من الحسد الذي هو من أعظم الآفات النفسيّة ، فهو الذي يلقي الناس في البلاء ، ويجرّ لهم الويلات والخطوب ، كما أنّ العالم لا يكون عالماً فيما إذا احتقر من دونه ، فإنّه ينمّ عن عدم انتفاعه بالعلم الذي يدعو إلى تكريم الناس ، ومقابلتهم بالأخلاق الرفيعة ، فإنّ الرسول صلى الله عليه وآله إنّما بعث ليتمّم مكارم الأخلاق ، وإذا تجرّد العالم من هذه الظاهرة فقد شذّ عن سنن الرسول صلى الله عليه وآله وأخلاقه .

٢ ـ قال عليه السلام : «**إنَّ الْفَقيهَ حَقَّ الْفَقيهِ الزّاهِدُ في الدُّنْيا ، الرّاغِبُ في الْآخِرَةِ ، الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله**»[٤] .

---

(١) أُصول الكافي : ١ : ٤٣ ، الحديث ٤.

(٢) تحف العقول : ٢٩٧.

(٣) تحف العقول : ٢٩٤.

(٤) أُصول الكافي : ١ : ٧٠ ، الحديث ٨.

٣ ـ قال عليه السلام: «**إذا رَأَيْتُمُ الْقارِئَ** ـ أي العالِم ـ **يُحِبُّ الْأَغْنِياءَ فَهُوَ صاحِبُ دُنْيا، وَإِذا رَأَيْتُموهُ يَلْزَمُ السُّلْطانَ مِنْ غَيْرِ ضَرورَةٍ فَهُوَ لِصٌّ**»(١).

إنّ حبّ العالم للأغنياء إنّما هو للطمع في أموالهم، وما يستفيده منهم، وهذا ليس من أخلاق العلماء الذين أمروا أن يرجوا ما عند الله، ولا يرجون غيره، وأمّا ملازمة السلطان من غير حاجة، ولا ضرورة فإنّه ينمّ عن عدم واقعيّة ذلك العالم، وأنّه لصّ ـ على حدّ تعبير الإمام ـ.

وهجا محمود الورّاق العلماء الذين لازموا دوائر السلطان بقوله:

رَكِبوا المَراكِبَ وَاغْتَدَوا ... زُمَراً إِلىٰ بابِ الخَليفَة
وَصَلوا البُكورَ إِلى الرَّواحِ ... لِيَبلُغوا الرُّتَبَ الشَّريفَة
حَتّىٰ إذا ظَفِروا بِما طَلَبوا ... مِنَ الحالِ اللَّطيفَة
وَغَدا المُوالي مِنهُمُ فَرِحاً ... بِما تَحْوي الصَّحيفَة
وَتَعَسَّفوا مَنْ تَحتَهُمْ ... بِالظُّلمِ وَالسِّيَرِ العَنيفَة
خانوا الخَليفَةَ عَهدَهُ ... بِتَعسُّفِ الطُّرُقِ المَخوفَة
باعُوا الأَمانَةَ بِالْخِيانَةِ ... وَاشْتَرَوا بِالْأَمنِ جيفَة
عَقَدوا الشُّحومَ وَأَهْزَلوا ... تِلكَ الأَماناتِ السَّخيفَة
ضاقَتْ قُبورُ القَومِ وَاتَّـ ... ـسَعَتْ قُصورُهُمُ المُنيفَة
مِنْ كُلِّ ذي أَدَبٍ وَمَعـ ... ـرِفَةٍ وَآراءٍ حَصيفَة
مُتَفَقِّهٌ جَمَعَ الْحَديـ ... ـثَ إِلىٰ قِياسِ أَبي حَنيفَة
فَأَتاكَ يَصلُحُ لِلقَضـ ... ـا بِلحيفَةٍ فَوقَ الوَظيفَة
لَمْ يَنْتَفِعْ بِالعِلْمِ إِذْ ... شَغَفَتْهُ دُنْياهُ الشَّغوفَة

---

(١) أعيان الشيعة: ١: ٦٥٦.

نَسِـــيَ الإلـــهَ وَلاذَ فـــي الدُّنْـيا بِـأَسْبابٍ ضَـعيفَةْ[١]

وقال أبو العتاهية في هجائهم :

عَـــجَباً لأَرْبــابِ العُـقولِ وَالحِرصِ في طَلَبِ الفُضولِ
سَــــلّابُ أَكْسِـيَةِ الأَرا مِـلِ وَاليَـتامىٰ وَالْكُـهولِ
وَالجـــامِعينَ المُكْـــثِريـ نَ مِـــنَ الخِـيانَةِ وَالغُـلولِ
وَالمُـؤْثِرينَ لِـدارِ رِحْـلَتِهِمْ عَـــلىٰ دارِ الحُـــلولِ
وَضَـــعوا عُـقولَهُمُ مِـنَ الدُّ نْـيا بِـــمَدْرَجَةِ السُّـيولِ
وَلَـــهوا بِـــأَطرافِ الفُـــر وعِ وَأَغْـفَلوا عِـلْمَ الأُصـولِ
وَتَـــتَبَّعوا جَـــمْعَ الحُـطـ امِ وَفـارَقوا أَثَـرَ الرَّسـولِ[٢]

وبهذا ينتهي بنا الحديث عمّا أُثر عن الإمام عليه السلام في فضل العلم ، وتكريم حملته ، وما ينبغي أن يتّصفوا به من معالي الأخلاق ليكونوا قدوة الأُمّة .

---

(١) و (٢) جامع بيان العلم وفضله : ١ : ٢٠١ .

في رحاب الإيمان

وحلّل الإمام أبو جعفر عليه السلام في أحاديثه حقيقة الإيمان ومراتبه، وتحدّث عن صفات المتّقين ونِعم الله عليهم، وغير ذلك. وهذا بعض ما أُثر عنه:

حقيقة الإيمان

وحدّد الإمام عليه السلام حقيقة الإيمان بقوله: **«الْإِيمانُ ثابِتٌ في الْقُلوبِ، وَالْيَقينُ خَطَراتٌ، فَيَمُرُّ الْيَقينُ بِالْقَلْبِ فَيَصيرُ كَأَنَّهُ زُبَرُ الْحَديدِ، وَيَخْرُجُ مِنْهُ فَيصيرُ كَأَنَّهُ خِرْقَةٌ بالِيَةٌ»**(١).

إنّ الإيمان إذا استقرّ في أعماق القلوب ودخائل النفوس فإنّها تكون في صلابتها كزبر الحديد فتتحمّل الأهوال، وتخوض الشدائد في سبيل ما تذهب إليه، وقد كان ذلك الإيمان الراسخ هو السمت البارز في سيرة الأنبياء والعظماء والمصلحين الذين قدّموا أرواحهم قرابين لمبادئهم وآرائهم.

وإذا خرج اليقين من القلب فإنّه يكون خرقة بالية قد فقد إرادته واختياره، وصار خالياً من الشعور والإحساس.

مراتب الإيمان

وتحدّث الإمام عليه السلام عن مراتب الإيمان بقوله: **«إنَّ الْمُؤْمِنينَ عَلىٰ مَنازِلَ، مِنْهُمْ عَلىٰ واحِدَةٍ، وَمِنْهُمْ عَلى اثْنَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ عَلىٰ ثَلاثٍ، وَمِنْهُمْ عَلىٰ أَرْبَعٍ، وَمِنْهُمْ عَلىٰ خَمْسٍ، وَمِنْهُمْ عَلىٰ سِتٍّ، وَمِنْهُمْ عَلىٰ سَبْعٍ.**

---

(١) حلية الأولياء: ٣: ١٨٠.

فَلَوْ ذَهَبْتَ تَحْمِلُ عَلىٰ صاحِبِ الْواحِدَةِ ثِنْتَيْنِ لَمْ يَقْوَ، وَعَلىٰ صاحِبِ الثِّنْتَيْنِ ثَلاثاً لَمْ يَقْوَ، وَعَلىٰ صاحِبِ الثَّلاثِ أَرْبَعاً لَمْ يَقْوَ، وَعَلىٰ صاحِبِ الْأَرْبَعِ خَمْساً لَمْ يَقْوَ، وَعَلىٰ صاحِبِ الْخَمْسِ سِتّاً لَمْ يَقْوَ، وَعَلىٰ صاحِبِ السِّتِّ سَبْعاً لَمْ يَقْوَ، وَعَلىٰ هٰذِهِ الدَّرَجاتِ»[1].

إنّ مراتب اليقين والمعرفة بالله متفاوتة أشدّ ما يكون التفاوت، فقد أحاط الله تعالى بعض أنبيائه علماً بأسرار الكون وحقائق الوجود، وما يحدث في هذه الدنيا من الأحداث بما لم يحط به غيرهم من الأنبياء لأنّهم لا يقوون على حملها.

ومن هذا القبيل كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله، ومستودع أسراره وحكمه قد أحاط بعض حواريه، كميثم التمّار، علماً بما سيجري عليه من الخطوب والكوارث من بني أُميّة، وأطلعه على كثير من الأسرار، وعلى ما سيجري في آخر الزمان في حين أنّه لم يخبر بذلك عبدالله بن عبّاس، وهو حبر الأُمّة لعلمه عليه السلام بعدم قدرته على تحمّلها.

وعلى مقدار الإيمان كانت محن الأنبياء والمصلحين من قِبل طواغيت زمانهم متفاوتة، وكان أشدّهم إيذاءً وأعظمهم محنة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، فقد أُوذي من قِبل طواغيت قريش وجهّالها بما لم يؤذه أي نبيّ من أنبياء الله.

وأُوذي صلى الله عليه وآله من بعد وفاته بعترته، فقد عانت من الظلم والتنكيل ما يقصم الأصلاب ويذهل الألباب، فلم تراع حرمته صلى الله عليه وآله في عترته، فلم يمض على وفاته إلّا خمسون عاماً، وإذا برؤوس أبنائه على الحراب، وبناته سبايا من بلد إلى بلد، فأيّ محنة وأي بلاء أعظم من هذه المحنة وهذا البلاء؟

---

(١) أُصول الكافي: ٢: ٤٥، باب درجات الإيمان، الحديث ٣.

صفات المتّقين

وتحدّث عليه السلام في جملة من أحاديثه عن معالي صفات المتّقين ، وهذا بعض ما أُثر عنه :

١ ـ قال عليه السلام : « **أَهْلُ التَّقْوىٰ أَيْسَرُ أَهْلِ الدُّنْيا مَؤُونَةً ، وَأَكْثَرُهُمْ مَعونَةً ، إِنْ نَسِيْتَ ذَكَّرُوكَ ، وَإِنْ ذَكَرْتَ أَعانوكَ ، قَوّالِينَ بِحَقِّ اللهِ ، قَوّامِينَ بِأَمْرِ اللهِ** »(١) .

وهذه صفات الأفذاذ الذين هم قوّة الإنسانيّة ، ومثلها الأعلى ، وقادتها إلى سبل الرشاد .

٢ ـ قال عليه السلام : « **إِنَّما الْمُؤْمِنُ إذا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضاهُ في إِثْمٍ وَلَا باطِلٍ ، وَإِذا سَخِطَ لَمْ يُخْرِجْهُ سَخَطُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ ، وَالْمُؤْمِنُ إذا قَدَرَ لَمْ تُخْرِجْهُ قُدْرَتُهُ إِلَى التَّعَدِّي إِلىٰ ما لَيْسَ بِحَقٍّ** »(٢) .

إنّ من أميز صفات المؤمن بربّه أن يكون متماسكاً في شخصيّته ، ومتميّزاً في سلوكه ، ورائده الحقّ في جميع حالاته وشؤونه .

٣ ـ قال عليه السلام : « **الْغِنىٰ وَالْعِزُّ يَجولانِ في قَلْبِ الْمُؤْمِنِ ، فَإِذا وَصَلا إِلىٰ مَكانٍ فيهِ التَّوَكُّلُ اسْتَوْطَناهُ** »(٣) .

ونظم هذه الحكمة الرائعة اليافعي بقوله :

يَجولُ الغِنىٰ وَالعِزُّ في قَلْبِ مُؤْمِنٍ ... فَإِنْ أَلْفَيا جوفَ الْقُلوبِ تَوَكُّلا
أَقاما فَأَمْسى الْعَبْدُ بِاللهِ ذاعِناً ... عَزيزاً وَإِنْ لَمْ يَلْقَياهُ تَرَحَّلا(٤)

---

(١) شذرات الذهب : ١ : ١٤٩ .

(٢) الخصال : ١٠١ .

(٣) صفة الصفوة : ٢ : ٦١ .

(٤) مرآة الجنان : ١ : ٢٤٨ .

٤ ـ وتحدّث عليه السلام عن الفرق بين الإيمان والإسلام، فقال: «**الْإِيْمانُ ما كانَ فِي الْقَلْبِ، وَالْإِسْلامُ ما عَلَيْهِ التَّناكُحُ وَالتَّوارُثُ، وَحُقِنَتْ بِهِ الدِّماءُ، وَالْإِيمانُ يَشْرَكُ الْإِسْلامَ، وَالْإِسْلامُ لَا يَشْرَكُ الْإِيمانَ**»(١).

إنّ الإيمان يقيم في ضمائر المتّقين والمنيبين إلى الله تعالى، به يخشونه ويخافون عقابه، فلا يتركون واجباً، ولا يقترفون إثماً، أمّا الإسلام فهو التلفّظ بكلمة التوحيد، وإذا نفذ إلى أعماق القلب صار للمسلم مؤمناً، وإلّا فلا.

وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾(٢).

وصرّح عليه السلام بكلام آخر عن الفرق بينهما يقول عليه السلام: «**الْإِيْمانُ إِقْرارٌ وَعَمَلٌ، وَالْإِسْلامُ إِقْرارٌ بِلا عَمَلٍ**»(٣).

٦ ـ ومنح الله المؤمنين المزيد من ألطافه وفضله، وقد تحدّث الإمام عليه السلام عن العطاء الذي أفاضه عليهم بقوله: «**إِنَّ اللهَ أَعْطَى الْمُؤْمِنَ ثَلاثَ خِصالٍ: الْعِزَّ في الدُّنْيا في دِينِهِ، وَالْفَلَجَ في الْآخِرَةِ، وَالْمَهابَةَ في صُدورِ العالَمينَ**»(٤).

هذه بعض أحاديثه عن حقيقة الإيمان وواقعه.

مع الشيعة

وكان الإمام أبو جعفر عليه السلام وسائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام حريصين كلّ الحرص على أن تكون شيعتهم مقتدين بهديهم، ومتميّزين في سلوكهم، ومتورّعين في

---

(١) تحف العقول: ٢٩٧.

(٢) الحجرات ٤٩: ١٤.

(٣) تحف العقول: ٢٩٧.

(٤) الخصال: ١٣٩، الحديث ١٥٧.

مكاسبهم ، ومتحرّجين في أُمور دينهم أشدّ ما يكون التحرّج ليكونوا قدوة لبقيّة المسلمين بما يحملونه من طاقات إسلاميّة مشرقة ، تضيء الطريق ، وتهدي الحائر ، وتدلّل على واقع أهل البيت عليهم السلام .

وقد أُثر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لبعض شيعته : «**إنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إذا وَرِعَ في دينِهِ ، وَصِدْقِ الْحَديثِ ، وَأَدّى الْأَمانَةَ ، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ مَعَ النّاسِ ، قيلَ هٰذا جَعْفَرِيٌّ ، وَيَسُرُّني ذلِكَ ، وَيَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْهُ السُّرورُ ، وَقيلَ : هٰذا أَدَبُ جَعْفَرٍ ، وَإِذا كانَ عَلىٰ غَيْرِ ذلِكَ دَخَلَ عَلَيَّ بَلاؤُهُ وَعارُهُ ، وَقيلَ : هٰذا أَدَبُ جَعْفَرٍ . . .**»[1] .

ورأى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بعض شيعته قد شذّ في سلوكه ، وارتكب ما حرّم الله ، فوجّه عليه السلام إليه هذه النصيحة الرائعة قائلاً له : **إنَّ الْحَسَنَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ حَسَنٌ وَمِنْكَ أَحْسَنُ ، وَالْقَبيحَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ قَبيحٌ وَمِنْكَ أَقْبَحُ ، نَظَراً لاتِّصالِكَ بِنا أَهْلَ الْبَيْتِ**[2] .

أمّا الإمام أبو جعفر عليه السلام فقد اهتمّ أشدّ ما يكون الاهتمام في تربية الشيعة وتهذيبهم ، وقد وجّه لهم النصائح الرفيعة ، والتعاليم الكريمة التي يجب أن يسيروا عليها ويقتدوا بها ، وهذا بعض ما أُثر عنه :

وصيّته عليه السلام لشيعته

إنّ من الواجب على مَن انتحل مبدأ أهل البيت عليهم السلام أن يأخذ بهذه الوصيّة الخالدة ، ويعمل بما تضمّنته من بنود مشرقة ليكون مثالاً للإنسانيّة ، وأُنموذجاً يقتدى به ، وهذا نصّ وصيّته :

يا مَعْشَرَ شيعَتنا ، اسْمَعوا وَافْهَموا وَصايانا ، وَعَهْدَنا إِلىٰ أَوْلِيائِنا ،

---

(١) أُصول الكافي ـ كتاب العِشرة : ٢ : ٦٣٦ ، الحديث ٥ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٣٦٢ . بحار الأنوار : ٤٧ : ٣٤٩ ، الحديث ٥٠ .

اصْدُقوا في حَديثِكُمْ ، وَبِرّوا في أَيْمانِكُمْ لأَوْلِيائِكُمْ وَأَعْدائِكُمْ ، وَتَواسَوا بِأَمْوالِكُمْ ، وَتَحابّوا بِقُلوبِكُمْ ، وَتَصَدَّقوا عَلىٰ فُقَرائِكُمْ ، وَاجْتَمِعوا عَلىٰ أَمْرِكُمْ ، وَلا تُدْخِلوا غِشّاً وَلا خِيانَةً عَلىٰ أَحَدٍ ، وَلا تَشُكّوا بَعْدَ الْيَقينِ ، وَلا تَوَلَّوا بَعْدَ الْإِقْدامِ جُبْناً ، وَلا يُوَلِّ أَحَدُكُمْ أَهْلَ مَوَدَّتِهِ قَفاهُ ، وَلا تَكونَنَّ شَهْوَتُكُمْ في مَوَدَّةِ غَيْرِكُمْ ، وَلا مَوَدَّتُكُمْ في سِواكُمْ ، وَلا عَمَلُكُمْ لِغَيْرِ رَبِّكُمْ ، وَلا إيمانُكُمْ وَقَصْدُكُمْ لِغَيْرِ نَبِيِّكُمْ ، وَاسْتَعينوا بِاللهِ ، وَاصْبِروا ، فَإِنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقينَ[1] .

وأضاف عليه السلام قائلاً :

إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ وَأَوْلِياءَ رَسولِهِ مِنْ شيعَتِنا مَنْ إِذا قالَ صَدَقَ ، وَإِذا وَعَدَ وَفىٰ ، وَإِذا ائْتُمِنَ أَدّىٰ ، وَإِذا حُمِّلَ احْتَمَلَ فِي الْحَقِّ ، وَإِذا سُئِلَ الْواجِبَ أَعْطىٰ ، وَإِذا أُمِرَ بِالْحَقِّ فَعَلَ .

شيعَتُنا مَنْ لا يَعْدو عِلْمُهُ سَمْعَهُ ، شيعَتُنا مَنْ لا يَمْدَحُ لَنا مُعيباً ، وَلا يُواصِلُ لَنا مُبْغِضاً ، وَلا يُجالِسُ لَنا خائِناً ، إِنْ لَقِيَ مُؤْمِناً أَكْرَمَهُ ، وَإِنْ لَقِيَ جاهِلاً هَجَرَهُ .

شيعَتُنا مَنْ لا يَهِرُّ هَريرَ الْكَلْبِ ، وَلا يَطْمَعُ طَمَعَ الْغُرابِ ، وَلا يَسْأَلُ أَحَداً إِلّا مِنْ إِخْوانِهِ وَإِنْ ماتَ جوعاً .

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الأعراف ٧ : ١٢٨ .

شِيعَتُنا مَنْ قالَ بِقَوْلِنا ، وَفارَقَ أَحِبَّتَهُ فِينا ، وَأَدْنى الْبُعَداءَ في حُبِّنا ، وَأَبْعَدَ الْقُرَباءَ في بُغْضِنا .

وبهر بعض الجالسين من وصف الامام عليه السلام لشيعته وراح يقول له : أين يوجد مثل هؤلاء ؟

فأجابه الإمام : **في أَطْرافِ الْأَرْضِينَ ، أُوْلئِكَ الْخَفيضُ عَيْشُهُمْ ، الْقَريرَةُ أَعْيُنُهُمْ ، إِنْ شَهِدوا لَمْ يُعْرَفوا ، وَإِنْ غابوا لَمْ يُفْتَقَدوا ، وَإِنْ مَرِضوا لَمْ يُعادوا ، وَإِنْ خَطَبوا لَمْ يُزَوَّجوا ، وَإِنْ وَرَدوا طَريقاً تَنَكَّبوا ، وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلونَ قالوا سَلاماً ، وَ يَبيتونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً** [١] .

وراح بعض الجالسين يندّد بالشيعة ممّن عاصروا الإمام قائلاً : يابن رسول الله ، وكيف بالمتشيّعين بألسنتهم وقلوبهم على خلاف ذلك ؟

وانبرى الإمام فأجابه : **التَّمْحيصُ يَأْتي عَلَيْهِمْ بِسِنينَ تُفْنيهِمْ ، وَضَغائِنَ تُبيدُهُمْ ، وَاخْتِلافٍ يَقْتُلُهُمْ ، أَما وَالَّذي نَصَرَنا بِأَيْدي مَلائِكَتِهِ ، لا يَقْتُلُهُمُ اللهُ إِلّا بِأَيْديهِمْ ، فَعَلَيْكُمْ بِالْإِقْرارُ إِذا حَدَّثْتُمْ ، وَتَرْكِ الْخُصومَةِ فَإِنَّها تُقْصيكُمْ .**

وَإِيّاكُمْ أَنْ يَبْعَثَكُمْ قَبْلَ وَقْتِ الْأَجَلِ فَتُطَلَّ دِماؤُكُمْ ، وَتَذْهَبُ أَنْفُسُكُمْ ، وَيَذُمُّكُمْ مَنْ يَأْتي بَعْدَكُمْ ، وَتَصيروا عِبْرَةً لِلنّاظِرينَ ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النّاسِ

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ وَإِذَا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً ﴾ الفرقان ٢٥ : ٦٣ و ٦٤.

فِعْلاً مَنْ فارَقَ أَهْلَ الدُّنْيا مِنْ والِدٍ وَوَلِيٍّ وَناصِحٍ ، وَكافى إِخْوانَهُ في اللهِ ، وَإِنْ كانَ حَبَشِيّاً أَوْ زَنْجِيّاً ، وَإِنْ كانَ لَا يُبْعَثُ مِنَ الْمُؤْمِنينَ أَسْوَدٌ ، بَلْ يَرْجِعونَ كَالْبَرَدِ قَدْ غُسِلوا بِماءِ الْجِنانِ ، وَأَصابوا النَّعيمَ الْمُقيمَ ، وَجالَسوا الْمَلائِكَةَ الْمُقَرَّبينَ ، وَرافَقوا الْأَنْبِياءَ الْمُرْسَلينَ ، وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْ عَبْدٍ شُرِّدَ وَطُرِدَ في اللهِ حَتّىٰ يَلْقَى اللهَ ، عَلىٰ ذٰلِكَ شيعَتُنا الْمُنْذِرونَ في الْأَرْضِ سُرُجٌ وَعَلاماتٌ ، وَنورٌ لِمَنْ طَلَبَ ما طَلَبوا ، وَقادَةٌ لِأَهْلِ طاعَةِ اللهِ ، شُهَداءُ عَلىٰ مَنْ خالَفَهُمْ مِمَّنِ ادَّعىٰ دَعْواهُمْ ، سَكَنٌ لِمَنْ أَتاهُمْ ، لُطَفاءُ بِمَنْ والاهُمْ ، سُمَحاءُ ، أَعِفّاءُ ، رُحَماءُ ، فَذٰلِكَ صِفَتُهُمْ في التَّوراةِ وَالْإِنْجيلِ وَالْقُرْآنِ الْعَظيمِ .

إِنَّ الرَّجُلَ الْعالِمَ مِنْ شيعَتِنا إِذا حَفِظَ لِسانَهُ ، وَطابَ نَفْساً بِطاعَةِ أَوْلِيائِهِ ، وَأَظْهَرَ الْمُكايَدَةَ لِعَدُوِّهِ بِقَلْبِهِ ، وَيَغْدو حينَ يَغْدو وَهُوَ عارِفٌ بِعُيوبِهِمْ ، وَلَا يُبْدي ما في نَفْسِهِ لَهُمْ ، يَنْظُرُ بِعَيْنِهِ إِلىٰ أَعْمالِهِمُ الرَّدِيَّةَ ، وَيَسْمَعُ بِإِذْنِهِ مَساوِئَهُمْ ، وَيَدْعو بِلِسانِهِ عَلَيْهِمْ ، مُبْغِضوهُمْ أَوْلِياؤُهُ ، وَمُحِبّوهُمْ أَعْداؤُهُ » .

وانطلق رجل من الحاضرين فقال للإمام : بأبي أنت وأُمّي ، ما ثواب من وصفت إذا كان يمشي آمناً ، ويصبح آمناً ، ويبيت محفوظاً ، فما منزلته وثوابه ؟

فقال عليه السلام : **تُؤْمَرُ السَّماءُ بِإِظْلالِهِ ، وَالْأَرْضُ بِإِكْرامِهِ ، وَالنّورُ بِبُرْهانِهِ .**

فقيل للإمام : فما صفته في الدنيا ؟

قال عليه السلام : **إِنْ سُئِلَ أَعْطىٰ ، وَإِنْ دُعِيَ أَجابَ ، وَإِنْ طَلَبَ أَدْرَكَ ، وَإِنْ نَصَرَ**

مَظْلوماً أَعزَّ »[١].

لا أكاد أعرف وصيّة أُثرت عن أئمّة المتّقين مثل هذه الوصيّة الحافلة بالتعاليم الرفيعة التي تسمو بالإنسان، وترفعه إلى أرقى ما يصل إليه الأبرار والمتّقون، ففيها الدعوة إلى التحلّي بالأخلاق الكريمة، والتجنّب عن مساوئ الأخلاق، والتخلّي عن النزعات السيّئة، ولو سار المسلمون على ضوئها لكانوا سادة الأُمم، وقادة الشعوب.

إنّ هذه الوصيّة من كنوز الإسلام، وهي تحمل جوهره وواقعه، وما ينشده من خير ورحمة وهدى إلى الناس، فمن واجب كلّ مسلم أن يجعلها منهاجاً يسير عليها في حياته.

الشيعة الأوائل

وأشاد الإمام أبو جعفر عليه السلام بالشيعة الأوائل، وبيّن معالي أخلاقهم، وما اتّصفوا به من الصفات الرفيعة والخيّرة.

فقال عليه السلام: **أَوْلِياؤُنا وَشِيعَتُنا فيما مَضىٰ خَيْرُ مَنْ كانوا فيهِ، إِنْ كانَ إِمامُ مَسْجِدٍ في الْحَيِّ كانَ مِنْهُمْ، وَإِنْ كانَ مُؤَذِّنٌ في الْقَبيلَةِ كانَ مِنْهُمْ، وَإِنْ كانَ صاحِبُ وَديعَةٍ كانَ مِنْهُمْ، وَإِنْ كانَ صاحِبُ أَمانَةٍ كانَ مِنْهُمْ، وَإِنْ كانَ عالِمٌ في النّاسِ يَقْصُدونَهُ لِدينِهِمْ وَمَصالِحِ أُمورِهِمْ كانَ مِنْهُمْ »**[٢].

وألمّت هذه الوصيّة بما اتّصف به الشيعة الأوائل من النسك والورع والتقوى

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار: ٢٢٣ ـ ٢٢٥.

(٢) دعائم الإسلام: ١: ٧١.

والحريجة في الدين ، حتّى نالوا ثقة الناس ، فائتمّوا بهم في صلاتهم ، وائتمنوهم على أموالهم ودينهم ، وقد عرفوا بهذا السمت من الورع والصلاح ، وذاع عنهم ذلك .

ومن طريف ما ينقل أنّ شيعيّاً مثل شاهداً أمام القضاء ، فردّ القاضي عليه شهادته لأنّه من الرافضة ، فأغرق في البكاء ، فبهر القاضي وتوهّم أنّ بكاءه لردّ شهادته ، وسأله عن ذلك ، فأجابه بما مضمونه : إنّك حدت عن الحقّ فنسبتني إلى طائفة لا ينتسب إليها إلّا الأنبياء والمتّقون .

صفات الشيعة

وأدلى عليه السلام في كثير من أحاديثه عن الصفات الرفيعة التي ينبغي أن يتحلّى بها من انتحل مذهب أهل البيت عليهم السلام . وهذا بعض ما أُثر عنه :

١ ـ قال عليه السلام : « **ما شِيعَتُنا إلّا مَنِ اتَّقَى اللهَ وَأَطاعَهُ ، وَما كانوا يُعْرَفونَ إلّا بِالتَّواضُعِ ، وَالتَّخَشُّعِ ، وَأَداءِ الْأَمانَةِ ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ ، وَالصَّوْمِ ، وَالصَّلاةِ ، وَالْبِرِّ بِالْوالِدَيْنِ ، وَتَعَهُّدِ الْجِيرانِ مِنَ الْفُقَراءِ ، وَذَوي الْمَسْكَنَةِ ، وَالْغارِمينَ ، وَالْأَيْتامِ ، وَصِدْقِ الْحَديثِ ، وَتِلاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَكَفِّ الْأَلْسُنِ عَنِ النّاسِ إلّا مِنْ خَيْرٍ ، وَكانوا أُمَناءَ عَشائِرِهِمْ في الْأَشْياءِ** »[1] .

ولا يتحلّى بهذه الصفات إلّا الأبرار والمتّقون الذين يخشون الله ويخافون عقابه .

٢ ـ قال عليه السلام : « **إنَّما شيعَةُ عَلِيٍّ عليه السلام الْمُتَباذِلونَ في وَلايَتِنا ، الْمُتَحابّونَ في مَوَدَّتِنا ، الْمُتَزاوِرونَ لِإِحْياءِ أَمْرِنا ، الَّذينَ إذا غَضِبوا لَمْ يَظْلِموا ،**

(١) تحف العقول : ٢٩٥ .

وَإذا رَضوا لَمْ يُسْرِفوا ، بَرَكَةٌ عَلىٰ مَنْ جاوَرَهُمْ ، وَسِلْمٌ لِمَنْ خالَطوا »[١].

ومن توفّرت فيهم هذه الصفات من الشيعة فإنّهم يكونون بركة ورحمة لمن جاورهم ، وأمناً وسلماً لمن خالطهم ، إذ لا تصدر منهم بادرة من بوادر الظلم سوى الخير العميم إلى الناس .

٣ ـ وتحدّث عليه السلام مع أبي المقدام عن شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وما اتّصفوا به من معالي الأخلاق .

قال عليه السلام : « **يا أَبا الْـمِقْدامِ ، إِنَّـما شِيعَةُ عَـلِيٍّ الشّـاحِبونَ ، النّـاحِلونَ ، الذّابِلونَ ، ذابِلَةٌ شِفاهُهُمْ ، خَميصَةٌ بُطونُهُمْ ، مُتَغَيِّرَةٌ أَلْوانُـهُمْ ، مُـصْفَرَّةٌ وُجوهُهُمْ ، إِذا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ اتَّخَذوا الْأَرْضَ فِـراشـاً ، وَ اسْـتَقْبَلوا الْأَرْضَ بِجِباهِهِمْ ، كَثيرٌ سُجودُهُمْ ، كَثيرَةٌ دُموعُهُمْ ، كَثيرٌ دُعاؤُهُمْ ، كَثيرٌ بُكاؤُهُمْ ، يَفْرَحُ النّاسُ وَهُمْ يَحْزَنونَ** »[٢].

وهذه صفات عبّاد الشيعة ونسّاكهم أمثال عمّار بن ياسر ، وأبي ذرّ وحجر بن عدي ، وميثم التمّار ، ونظرائهم من هداة هذه الأُمّة وقادتها .

نصائحه عليه السلام للشيعة

وزوّد الإمام أبو جعفر عليه السلام الشيعة بكثير من نصائحه الرفيعة ، وتعاليمه القـيّمة ، ومن بينها :

١ ـ روى جابر بن يزيد الجعفي ، قال : «كنّا جماعة فدخلنا على أبي جعفر عليه السلام

---

(١) تحف العقول : ٣٠٠.

(٢) الخصال : ٤٤٤ ، الحديث ٤٠.

بعد ما قضينا مناسكنا فودّعناه ، وقلنا له : أوصنا بشيء يابن رسول الله ﷺ .

فوجّه عليه السلام لهم هذه النصيحة القيّمة .

قال عليه السلام : « **لِيُعِنْ قَوِيُّكُمْ ضَعيفَكُمْ ، وَلِيَعْطِفْ غَنِيُّكُمْ عَلىٰ فَقيرِكُمْ ، وَلِيَنْصَح الرَّجُلُ أَخاهُ كَنَصيحَتِهِ لِنَفْسِهِ ، وَاكْتُموا أَسْرارَنا ، وَلَا تَحْمِلوا النّاسَ عَلىٰ أَعْناقِنا ، وَانْظُروا أَمْرَنا وَما جاءَكُمْ عَنّا ، فَإِنْ وَجَدْتموهُ لِلْقُرْآنِ مُوافِقاً فَخُذوا بِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَجِدوهُ مُوافِقاً فَرُدّوهُ ، وَإِنِ اشْتَبَهَ عَلَيْكُمُ الْأَمْرُ فَقِفوا عِنْدَهُ ، وَرُدُّوهُ إِلَيْنا حَتّىٰ نَشْرَحَ لَكُمْ مِنْ ذٰلِكَ ما شُرِحَ لَنا** »[١] .

لقد أوصاهم بمعالي الأخلاق ، ودلّهم على ما يصلحهم في دنياهم وآخرتهم ، كما أوصاهم بعرض ما أُثر عن الأئمّة من الأخبار على كتاب الله ، فما وافقه فيأخذون به ، وما شذّ عنه فيطرحونه ، وإنّما عهد لهم بذلك لأنّ كثيراً من الأخبار قد افتعلت عليهم ، فقد وضعها من لا حريجة له في الدين لتشويه واقع أهل البيت عليهم السلام وتشويه أحكامهم .

٢ ـ قال عليه السلام : « **عَلَيْكُمْ بِالْوَرَعِ وَالْإِجْتِهادِ ، وَصِدْقِ الْحَديثِ ، وَأَداءِ الْأَمانَةِ إِلىٰ مَنْ ائْتَمَنَكُمْ ، بَرّاً كانَ أَوْ فاجِراً ، فَلَوْ أَنَّ قاتِلَ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ ائْتَمَنَني عَلىٰ أَمانَةٍ لَأَدَّيْتُها إِلَيْهِ** »[٢] .

وهل هناك أسمى وأرفع من هذه النصائح القيّمة التي تنشد خير الإنسان وتوازنه في سلوكه مع الناس .

٣ ـ وأوفد عليه السلام بعض أصحابه إلى جماعة من شيعته ، وأمره أن يبلّغهم بما يلي :

---

(١) أمالي الطوسي : ٢٣٢ .

(٢) تحف العقول : ٢٩٩ .

قال عليه السلام: «بَلِّغْ شِيعَتَنا السَّلَامَ، وَأَوْصِهِمْ بِتَقْوَى اللهِ الْعَظِيمِ، وَبِأَنْ يَعُودَ غَنِيُّهُمْ عَلىٰ فَقِيرِهِمْ، وَيَعُودَ صَحِيحُهُمْ عَلِيلَهُمْ، وَيَحْضُرَ حَيُّهُمْ جِنازَةَ مَيِّتِهِمْ، وَيَتَلاقَوا فِي بُيُوتِهِمْ فَإِنَّ لِقاءَ بَعْضِهِمْ بَعْضاً حَياةٌ لِأَمْرِنا. رَحِمَ اللهُ امْرِءاً أَحْيا أَمْرَنا وَعَمِلَ بِأَحْسَنِهِ. وَقُلْ لَهُمْ: إِنّا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِلَّا بِعَمَلٍ صالِحٍ، وَلَنْ يَنالُوا وَلَايَتَنا إِلَّا بِالْوَرَعِ وَالْإِجْتِهادِ، وَإِنَّ أَشَدَّ النّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ لَمَنْ وَصَفَ عَمَلاً ثُمَّ خالَفَهُ إِلىٰ غَيْرِهِ»[١].

لقد أوصاهم بالخير بجميع رحابه ومفاهيمه، وأمرهم بالتماسك والتضامن، وما يصون جماعتهم من الاختلاف والفرقة.

٤ ـ قال عليه السلام: «رَحِمَ اللهُ عَبْداً حَبَّبَنا إِلَى النّاسِ، وَلَمْ يُبَغِّضْنا إِلَيْهِمْ، أَما وَاللهِ لَوْ يَرْوُونَ عَنّا ما نَقُولُ وَلَا يُحَرِّفُونَهُ، وَلَا يُبَدِّلُونَهُ عَلَيْنا بِرَأْيِهِمْ ما اسْتَطاعَ أَحَدٌ أَنْ يَتَعَلَّقَ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ، وَلكِنَّ أَحَدَهُمْ يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُنِيطُ إِلَيْها عَشْراً، وَيَتَأَوَّلُها عَلىٰ ما يَراهُ، فَرَحِمَ اللهُ عَبْداً سَمِعَ مِنْ مَكْنُونِ سِرِّنا فَدَفَنَهُ فِي قَلْبِهِ، وَاللهِ لَا يَجْعَلُ اللهُ مَنْ عادانا وَمَنْ تَوَلّانا فِي دارٍ واحِدَةٍ»[٢].

وحذّر عليه السلام بهذا الحديث من تحريف أخبارهم وتبديلها، لأنّها تعود بالأضرار البالغة على أهل البيت عليهم السلام، فإنّ فيها تشويهاً لسيرتهم وواقعهم.

حبّ أهل البيت عليهم السلام

وتحدّث الإمام أبو جعفر عليه السلام في جملة من أحاديثه مع جماعة من شيعته عن

---

(١) و (٢) عيون الأخبار وفنون الآثار: ٢٢٣.

حبّ أهل البيت عليهم السلام ، وما يترتّب عليه من مزيد الأجر عند الله تعالى ، وفيما يلي ذلك :

١ - وفد عليه جماعة من شيعته من خراسان ، فنظر عليه السلام إلى رجل منهم وقد تشقّقت رجلاه ، فقال عليه السلام له : **ما هٰذا؟**

فقال : بعد المسافة يابن رسول الله ، والله ما جاءني من حيث جئت إلّا محبّتكم أهل البيت .

فقال عليه السلام : **أَبْشِرْ فَأَنْتَ وَاللهِ مَعَنا تُحْشَرُ.**

وطار الخراساني فرحاً وراح يقول : معكم يابن رسول الله ؟

قال عليه السلام : **نَعَمْ ، ما أَحَبَّنا عَبْدٌ إِلّا حَشَرَهُ اللهُ مَعَنا ، وَهَلِ الدِّينُ إِلّا الْحُبُّ ، إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ يَقولُ في كِتابِهِ : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾**[1] [2].

٢ - وفد زياد الأسود على الإمام أبي جعفر عليه السلام وقد قصده من مسافة طويلة ، ومكان بعيد ، وقد جهد في طريقه من كثرة السير حتّى تشقّقت رجلاه .

فقال له الإمام أبو جعفر : **ما هٰذا يا زِيادُ؟**

فقال زياد : يا مولاي ، أقبلت على بكر لي[3] ضعيف ، فمشيت عامّة الطريق ، وذلك أنّه لم يكن عندي ما أشتري به مسنّاً ، وإنّما ضممت شيئاً إلى شيء حتّى اشتريت هذا البكر .

ورقّ الإمام أبو جعفر عليه السلام على حاله ، وجرت دموع عينيه ، وقال له زياد : جعلني

---

(١) آل عمران ٣ : ٣١.

(٢) عيون الأخبار وفنون الآثار : ٢٢٦.

(٣) **البكر** : الفتي من الإبل.

الله فداك ، إنّي والله كثير الذنوب ، مسرف على نفسي ، حتّى ربّما قلت : قد هلكت ، ثمّ اذكر ولايتي إيّاكم وحبّي لكم أهل البيت فأرجو بذلك المغفرة .

فأقبل عليه الإمام بوجهه وقال له بعطف وحنان : **سُبْحانَ اللهِ! وَهَلِ الدِّيْنُ إلّا الْحُبُّ . إنَّ اللهَ تبارَكَ وَتَعالى يَقولُ في كِتابِهِ : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾**[1] .

وَقالَ : ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[2] .

وَقالَ : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾[3] .

إنَّ أَعْرابِيّاً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَقالَ : يا رَسولَ اللهِ ، إنّي أُحِبُّ الْمُصَلِّينَ وَلا أُصَلِّي ، وَأُحِبُّ الصّائِمينَ وَلا أَصومُ ، يَعْني لا أُصَلِّي وَلا أَصومُ التَّطَوُّعَ ـ أي المندوب ـ.

فَقالَ لَهُ رَسولُ اللهِ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ .

ما الَّذي تَبْغونَ؟ أَما وَاللهِ لَوْ وَقَعَ أَمْرٌ يَفْزَعُ النّاسُ لَهُ ما فَزِعْتُمْ إلّا إلَيْنا ، وَلا فَزِعْنا إلّا إلىٰ نَبِيِّنا ، إنَّكُمْ مَعَنا فَأَبْشِروا ثُمَّ أَبْشِروا وَاللهِ ما يُساوِيكُمُ اللهُ وَغَيْرَكُمْ ، لا وَاللهِ وَلا كَرامَةَ »[4] .

٣ ـ قال عليه السلام : « **إنَّ الْجَنَّةَ لَتَشْتاقُ وَيَشْتَدُّ ضَوْءُها لِمُحِبّي آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله**

---

(١) الحجرات ٤٩ : ٧.

(٢) آل عمران ٣ : ٣١.

(٣) الحشر ٥٩ : ٩.

(٤) عيون الأخبار وفنون الآثار : ٢٢٦.

وَشِيعَتِهِمْ، وَلَوْ أَنَّ عَبْداً عَبَدَ اللهَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقامِ حَتّىٰ تَتَقَطَّعَ أَوْصالُهُ وَهُوَ لَا يَدِينُ بِحُبِّنا وَوَلايَتِنا أَهْلَ الْبَيْتِ ما قُبِلَ مِنْهُ »[١].

٤ ـ قال عليه السلام لجماعة من شيعته: « إِنَّما يَغْتَبِطُ أَحَدُكُمْ إِذا بَلَغَتْ نَفْسُهُ هاهُنا ـ وأومأ بيده إلى حلقه ـ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقولُ لَهُ: أَمّا ما كُنْتَ تَرْجوهُ فَقَدْ أُعْطيتَهُ، وَأَمّا ما كُنْتَ تَخافُهُ فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْهُ، وَيُفْتَحُ لَهُ بابٌ إِلىٰ مَنْزِلِهِ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقولُ لَهُ: انْظُرْ إِلىٰ مَسْكَنِكَ مِنَ الْجَنَّةِ، فَهٰذا رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام هُمْ رُفَقاؤُكَ، وَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾[٢]»[٣].

وتواترت الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن الأئمّة الطاهرين بهذا المضمون، وقد ذكرتها مصادر الحديث والأخبار.

تسمية الشيعة بالرافضة

وحدّث أبو بصير، قال: « قلت لأبي جعفر: جعلت فداك، اسم سمّينا به استحلّت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا.

قال: **ما هُوَ ؟**

ـ الرافضة.

قال عليه السلام ـ بعد حديث له ـ: **إِنَّ ذٰلِكَ إِسْمٌ قَدْ نَحَلَكُمُوهُ اللهُ »**[٤].

---

(١) و (٣) عيون الأخبار وفنون الآثار: ٢٢٧.

(٢) يونس ١٠: ٦٣ و ٦٤.

(٤) المحاسن: ١: ١٥٧، الحديث ٩٢.

لقد أصبح هذا الاسم علماً للشيعة الذين هم دعاة الاصلاح الاجتماعي في الأرض ، وقد أخذ يعيبهم به من لا خلاق له .

إنّ الشيعة لتعتزّ بهذا الاسم ، وتفخر به ، فقد أصبح لهم وساماً لحبّهم وإخلاصهم لآل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، وقد فخر به الإمام الشافعي بقوله :

إنْ كانَ رَفْضاً حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ　　　فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلانِ إنّي رافِضي

دعاؤه عليه السلام لشيعته

وكان الإمام أبو جعفر عليه السلام يخلص لشيعته أعظم ما يكون الإخلاص ، وكان يدعو لهم بهذا الدعاء :

يا دانٍ غَيْرَ مُتَوانٍ ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ ، اجْعَلْ لِشيعَتي مِنَ النّارِ وِقاءً لَهُمْ ، وَلَهُمْ عِنْدَكَ رِضاً ، وَاغْفِرْ ذُنوبَهُمْ ، وَيَسِّرْ أُمورَهُمْ ، وَاقْضِ دُيونَهُمْ ، وَاسْتُرْ عَوْراتِهِمْ ، وَهَبْ لَهُمُ الْكَبائِرَ الَّتي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، يا مَنْ لَا يَخافُ الضَّيْمَ ، وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، اجْعَلْ لي مِنْ كُلِّ غَمٍّ فَرَجاً وَمَخْرَجاً »(١) .

وكان عليه السلام يدعو لشيعته بهذا الدعاء : **اللّهُمَّ إنْ كانَ لي رِضْوانٌ وَوُدٌّ فَاغْفِرْ لي وَلِمَنْ تَبِعَني مِنْ إخْواني وَشيعَتي ، وَطَيِّبْ ما في صُلْبي ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ**(٢) .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الإمام أبي جعفر عليه السلام مع شيعته .

---

(١) مهج الدعوات : ١٨ .

(٢) مصباح الكفعمي : ١٦١ .

سنن وحكم الأنبياء

وتحدّث الإمام أبو جعفر عليه السلام كثيراً عن حكم الأنبياء وسننهم، وقد نقل عنه المختصّون بهذه البحوث الشيء الكثير، وفيما يلي بعضها:

من وحي الله لآدم عليه السلام

وعرض الإمام عليه السلام لأصحابه ما أوحى الله به لآدم عليه السلام من الحكم ومعالي الأخلاق.

قال عليه السلام: «**أَوْحَى اللهُ تبارَكَ وَتَعالىٰ لآدَمَ: إنّي أَجْمَعُ لَكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ في أَرْبَعِ كَلِماتٍ: واحِدَةٌ مِنْهُنَّ لي، وَواحِدَةٌ لَكَ، وَواحِدَةٌ فيما بَيْني وَبَيْنَكَ، وَواحِدَةٌ فيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ النّاسِ.**

فَأَمّا الَّتي لي فَتَعْبُدُني وَلا تُشْرِكُ بي شَيْئاً، وَأَمّا الَّتي لَكَ فَأُجازيكَ بِعَمَلِكَ في وَقْتٍ أَحْوَجَ ما تَكونُ إِلَيْهِ، وَأَمّا الَّتي بَيْني وَبَيْنَكَ فَعَلَيْكَ الدُّعاءُ وَعَلَيَّ الْإِجابَةُ، وَأَمّا الَّتي بَيْنَكَ وَبَيْنَ النّاسِ فَتَرضىٰ لِلنّاسِ ما تَرْضىٰ لِنَفْسِكَ»[1].

حكمة لسليمان عليه السلام

وحكى عليه السلام لأصحابه حكمة رائعة لنبيّ الله سليمان بن داود عليهما السلام.

قال عليه السلام: «**قالَ سُلَيْمانُ بْنُ داوُدٍ: أُوتينا ما أُوتِيَ النّاسُ وَما لَمْ يُؤْتوا،**

---

(١) أمالي الصدوق: ٧٠٦، الحديث ٩٦٩.

وَعُلِّمْنا ما عُلِّمَ النّاسُ وَما لَمْ يَعْلَموا، فَلَمْ نَجِدْ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ فِي الْغَيْبِ وَالْمَشْهَدِ، وَالْقَصْدِ فِي الْغِنىٰ وَالْفَقْرِ، وَكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي الرِّضا وَالْغَضَبِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في كُلِّ حالٍ»(١).

وهذه الحكمة تجمع خصال الخير، ففيها الدعوة إلى خشية الله والخوف منه، والحثّ على الاقتصاد، وعدم التبذير والإسراف في الأموال، كما فيها الدعوة إلى قول الحقّ، وإيثاره على كلّ شيء، والالتجاء إلى الله تعالى الذي بيده مصير العباد.

حكمة في التوراة

ونقل عليه السلام لأصحابه حكمة مكتوبة في التوراة.

قال عليه السلام: **«إِنَّ فِي التَّوْراةِ مَكْتوباً: يا مُوسىٰ، إِنّي خَلَقْتُكَ وَاصْطَفَيْتُكَ وَقَوَّيْتُكَ وَأَمَرْتُكَ بِطاعَتي، وَنَهَيْتُكَ عَنْ مَعْصِيَتي، فَإِنْ أَطَعْتَني أَعَنْتُكَ عَلىٰ طاعَتي، وَإِنْ عَصَيْتَني لَمْ أُعِنْكَ عَلىٰ مَعْصِيَتي.**

يا مُوسىٰ، وَلِيَ الْمِنَّةُ عَلَيْكَ في طاعَتِكَ لي، وَلِيَ الْحُجَّةُ عَلَيْكَ في مَعْصِيَتِكَ لِي»(٢).

تسمية نوح بالعبد الشكور

روى محمّد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: **«إِنَّ نُوحاً إِنَّما سُمِّيَ عَبْداً شَكوراً لأَنَّهُ كانَ يَقولُ إِذا أَمْسىٰ وَأَصْبَحَ: اللّٰهُمَّ إِنّي أُشْهِدُكَ أَنَّهُ**

---

(١) الخصال: ٢٤١، الحديث ٩١.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٧٤.

ما أَمسىٰ وَأَصْبَحَ بي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ عافِيَةٍ، في دينٍ أَوْ دُنْياً، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شَريكَ لَكَ، لَكَ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ بِها عَلَيَّ حَتّىٰ تَرْضىٰ »[١].

دعاء نوح عليه السلام على قومه

سأل سدير الإمام أبا جعفر عليه السلام عن دعاء نوح عليه السلام على قومه، فقال له: أرأيت نوحاً حين دعا على قومه فقال: **﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾**[٢] إنّه كان عالماً بهم ؟

فأجابه عليه السلام: **أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ**[٣]، **فَعِنْدَ ذٰلِكَ دَعا عَلَيْهِمْ بِهٰذَا الدُّعاءِ**[٤].

إسماعيل أوّل من تكلّم بالعربيّة

ونقل الإمام أبو جعفر عليه السلام لأصحابه أنّ نبيّ الله إسماعيل عليه السلام هو أوّل من فتق لسانه باللغة العربيّة.

قال عليه السلام: « **أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ لِسانَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ الْمُبينَةِ إِسْماعِيلُ، وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنينَ** »[٥].

---

(١) علل الشرائع: ٢٩.

(٢) نوح ٧١: ٢٦ و ٢٧.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ ﴾ هود ١١: ٣٦.

(٤) علل الشرائع: ٣١.

(٥) البيان والتبيين: ٣: ٢٩٠.

مناجاة الله مع موسى عليه السلام

وحكى الإمام لأصحابه مناجاة الله تعالى مع نبيّه موسى عليه السلام.

قال عليه السلام: «**فِي التَّوْراةِ مَكْتوبٌ: فيما ناجَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عليه السلام: يا مُوسىٰ، خِفْني في سِرِّ أَمْرِكَ أَحْفَظْكَ مِنْ وراءِ عَوْرَتِك، وَاذْكُرْني في خَلَواتِكَ، وَعِنْدَ سُرورِ لَذّاتِكَ أَذْكُرْكَ عِنْدَ غَفْلاتِك، وَأَمْلِكْ غَضَبَكَ عَمَّنْ مَلَّكْتُكَ عَلَيْهِ أَكُفُّ عَنْكَ غَضَبي، وَاكْتُمْ مَكْنونَ سِرّي في سَريرَتِكَ، وَأَظْهِرْ في عَلانِيَتِكَ الْمُداراةَ عَنّي لِعَدُوّي وَعَدُوِّكَ مِنْ خَلْقي، وَلَا تَسْتَسِبَّ لي عِنْدَهُمْ بِإِظْهارِكَ مَكْنونَ سِرّي فَتَشْرَكَ عَدُوَّكَ وَعَدُوّي في سَبّي**»(١).

نفي الأُمّيّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله

روى عليّ بن أسباط، قال: «قلت لأبي جعفر: إنّ الناس يزعمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكتب ولم يقرأ؟

فأنكر عليه السلام ذلك وقال: **أَنّىٰ يَكونُ ذٰلِكَ؟! وَقَدْ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٢)، كَيْفَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَلَيْسَ يُحْسِنُ أَنْ يَقْرَأَ وَيَكْتُبَ؟**

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٢٦.

(٢) الجمعة ٦٢: ٢.

وانبرى عليّ بن أسباط فقال للإمام: لِمَ سمّي النبيّ الأُمّيّ؟

فأجابه الإمام: **لأنَّهُ نُسِبَ إِلىٰ مَكَّةَ، وَذٰلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[1]، فَأُمُّ الْقُرىٰ مَكَّةُ، فَقيلَ: أُمِّيٌّ »**[2].

نوح عليه السلام وإبليس

وحكى الإمام أبو جعفر عليه السلام محاورة جرت بين نبيّ الله نوح عليه السلام حينما دعا على قومه وبين إبليس، وهي:

إِبْليسُ: يا نُوحُ، إِنَّ لَكَ عِنْدي يَداً أُريدُ أَنْ أُكافِئَكَ عَلَيْها.

نُوحُ: وَاللهِ إِنّي لَبَغيضٌ إِلَيَّ أَنْ تَكونَ لي عَلَيْكَ يَدٌ فَما هِيَ؟

إِبْليسُ: بَلىٰ دَعَوْتَ اللهَ عَلىٰ قَوْمِكَ فَأَغْرَقْتَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ فَأُغْويهِ، فَأَنا مُسْتَريحٌ حَتّى يَنْشَأَ قَرْنٌ آخَرٌ فَأُغْويَهُمْ.

نُوحُ: ما الَّذي تُريدُ أَنْ تُكافِئَني بِهِ؟

إِبْليسُ: اذْكُرْني في ثَلاثَةِ مَواطِنٍ فَإِنّي أَقْرَبُ ما أَكونُ إِلَى الْعَبْدِ إِذا كانَ في إِحْداهُنَّ: اذْكُرْني إِذا غَضِبْتَ، وَاذْكُرْني إِذا حَكَمْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَاذْكُرْني مَعَ امْرَأَةٍ خالِياً لَيْسَ مَعَكُما أَحَدٌ[3].

وحقّاً إنّ إبليس إنّما يغزو الإنسان في هذه المواطن الثلاثة، فهي التي تجرّه إلى

---

(١) الأنعام ٦: ٩٢.

(٢) علل الشرائع: ١: ١٥٢، الحديث ٢.

(٣) الخصال: ١٢٨.

اقتراف الإثم والعصيان ، أعاذنا الله من شروره .

موت سليمان عليه السلام

وروى الإمام أبو جعفر عليه السلام لأبي بصير موت نبيّ الله سليمان عليه السلام ، فقال :

أَمَرَ سُلَيْمانُ بْنُ داوُدَ عليه السلام الْجِنَّ فَصَنَعوا لَهُ قُبَّةً مِنْ قَوارِيرٍ ، فَبَيْنَما هُوَ مُتَّكِئٌ عَلىٰ عَصاهُ في الْقُبَّةِ يَنْظُرُ إِلَى الْجِنِّ كَيْفَ يَعْمَلونَ ، وَهُمْ يَنْظُرونَ إِلَيْهِ إِذْحانَتْ مِنْهُ الْتِفاتَةٌ ، فَإِذا رَجُلٌ مَعَهُ في الْقُبَّةِ ، قالَ : مَنْ أَنْتَ؟

قالَ : أَنا الَّذي لا أَقْبَلُ الرُّشا ، وَلا أَهابُ الْمُلوكَ ، أَنا مَلَكُ الْمَوْتِ ، فَقَبَضَهُ وَهُوَ قائِمٌ مُتَّكِئٌ عَلىٰ عَصاهُ في الْقُبَّةِ ، وَالْجِنُّ يَنْظُرونَ إِلَيْهِ ، فَمَكَثوا سَنَةً يَدْأَبونَ لَهُ حَتّىٰ بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَرْضَةَ فَأَكَلَتْ مِنْسَأَتَهُ وَهِيَ الْعَصا ، ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾[1] [2].

التقاء يعقوب بيوسف عليهما السلام

وروى الإمام أبو جعفر عليه السلام قصّة التقاء يعقوب بيوسف عليهما السلام .

قال عليه السلام : « **إِنَّ يَعْقوبَ قالَ لِوَلَدِهِ : تَحَمِلوا إِلىٰ يُوسُفَ مِنْ يَوْمِكُمْ هٰذا بِأَهْليكُمْ أَجْمَعينَ ، فَساروا إِلَيْهِ وَيَعْقوبُ مَعَهُمْ ، وَخالَةُ يُوسُفَ أُمُّ يامين ، فَحَثّوا السَّيْرَ فَرَحاً وَسروراً تِسْعَةَ أَيّامٍ إِلىٰ مِصْرَ .**

---

(١) سبأ ٣٤ : ١٤.

(٢) علل الشرائع : ١ : ٧٤.

فَلَمّا دَخَلوا عَلىٰ يُوسُفَ في دارِ الْمَلِكِ اعْتَنَقَ أَباهُ وَقَبَّلَهُ، وَبَكىٰ وَرَفَعَهُ وَرَفَعَ خالَتَهُ عَلىٰ سَريرِ الْمَلِكِ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَاكْتَحَلَ وَادَّهَنَ، وَلَبِسَ ثِيابَ الْعِزِّ وَالْمُلْكِ.

فَلَمّا رَأَوْهُ سَجَدوا جَميعاً إِعْظاماً لَهُ وَشُكْراً للهِ عِنْدَ ذاكَ وَلَمْ يَكُنْ يُوسُفُ في تِلْكَ الْعِشْرينَ سَنَةً يَدَّهِنُ، وَلا يَكْتَحِلُ، وَلا يَتَطَيَّبُ حَتّىٰ جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبيهِ وَإِخْوَتِهِ»[١].

مدّة حياة يعقوب بمصر

وسأل محمّد بن مسلم الإمام أبا جعفر عليه السلام عن مدى حياة يعقوب عليه السلام بمصر.

فقال عليه السلام: **عاشَ يَعْقوبُ مَعَ يُوسُفَ بِمِصْرَ حَوْلَيْنِ.**

فقال له محمّد بن مسلم: فمن كان الحجّة لله في الأرض يعقوب أم يوسف؟

قال عليه السلام: **كانَ يَعْقوبُ الْحُجَّةَ، وَكانَ الْمُلْكُ لِيُوسُفَ، فَلَمّا ماتَ يَعْقوبُ حَمَلَهُ يُوسُفُ في تابوتٍ إِلىٰ أَرْضِ الشّامِ فَدَفَنَهُ في بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَكانَ يُوسُفُ بَعْدَ يَعْقوبَ الْحُجَّةَ.**

قال محمّد: وكان يوسف رسولاً نبيّاً؟

قال عليه السلام: **نَعَمْ أَما تَسْمَعُ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ﴾**[٢][٣].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٦٤.

(٢) غافر ٤٠: ٣٤.

(٣) مجمع البيان: ٦: ١٦٦.

مع السيرة النبويّة

وروى الإمام أبو جعفر عليه السلام الشيء الكثير من شؤون السيرة النبويّة ، وقد أخذ عنه المدوّنون لها ، وفيما يلي بعض ما رووه عنه .

استعارة النبيّ صلى الله عليه وآله السلاح من صفوان

وروى الطبري بسنده عن الإمام أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **لَمّا أَجْمَعَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله السَّيْرَ إِلىٰ هَوازِنَ لِيَلْقاهُمْ ذُكِرَ لَهُ أَنَّ عِنْدَ صَفْوانَ بْنِ أُمَيَّةَ أَدْراعاً وَسِلاحاً ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقالَ : يا أَبا أُمَيَّةَ ـ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ ـ أَعِرْنا سِلاحَكَ هٰذا نَلْقَ فيهِ عَدُوَّنا غَداً .**

فَقالَ لَهُ صَفْوانُ : أَغَصْباً يا مُحَمَّدُ ؟

قالَ : بَلْ عارِيَةً مَضْمونَةً ، حَتّىٰ نُؤَدِّيَها إِلَيْكَ .

قالَ : لَيْسَ بِهٰذا بَأْسٌ ، فَأَعْطاهُ مائَةَ دِرْعٍ بِما يُصْلِحُها مِنَ السِّلاحِ ، وَزَعَموا أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله سَأَلَهُ أَنْ يَكْفِيَهُ حَمْلَها فَفَعَلَ .

قال الإمام أبو جعفر : **فَمَضَتِ السُّنَّةُ أَنَّ الْعارِيَةَ مَضْمونَةٌ** »(١) .

وقد ألمع الإمام إلى أنّ هذه الحادثة قد استفيد منها القاعدة الفقهيّة ، وهو أنّ العارية مضمونة مع التفريط ، فمن استعار شيئاً فقد ضمنه حتّى يؤديه إلى صاحبه .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٢ : ٣٤٦ .

مسيرة خالد إلى بني جذيمة

وروى ابن هشام بسنده عن الإمام أبي جعفر عليه السلام:

إِنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله بعَثَ خالِدَ بْنَ الْوَليدِ إِلىٰ بَني جَذيمَةَ حينَ فَتَحَ مَكَّةَ داعِياً إِلَى اللهِ، وَلَمْ يَبْعَثْهُ مُقاتِلاً إِلّا أَنَّ خالِداً غارَ عَلَيْهِمْ، فَأَوْجَسوا مِنْهُ خِيفَةً، فَبادَروا إِلىٰ أَسْلِحَتِهِمْ فَحَمَلوها.

فَلَمّا رَأىٰ خالِدُ ذلِكَ قالَ لَهُمْ: ضَعوا السِّلاحَ، فَإِنَّ النّاسَ قَدْ أَسْلَموا، وَوَثِقوا بِقَوْلِهِ، فَوَضَعوا سِلاحَهُمْ، إِلّا أَنَّهُ غَدَرَ بِهِمْ، فَأَمَرَ بِتَكْتيفِهِمْ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى السَّيْفِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ.

وَلَمّا انْتَهىٰ خَبَرُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله بَلَغَ بِهِ الْحُزْنُ أَقْصاهُ وَرَفَعَ يَدَيْهِ بِالدُّعاءِ وَقالَ: اللّٰهُمَّ إِنّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمّا صَنَعَ خالِدُ.

وَدَعا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله الْإِمامَ أَميرَ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام فَقالَ لَهُ: اخْرُجْ إِلىٰ هٰؤُلاءِ الْقَوْمِ، فَانْظُرْ في أَمْرِهِمْ، وَاجْعَلْ أَمْرَ الْجاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْكَ.

وَخَرَجَ عَلِيٌّ حَتّىٰ جاءَهُمْ وَمَعَهُ مالٌ، فَوَدّىٰ لَهُمُ الدِّماءَ، وَما أُصيبَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوالِ، حَتّىٰ أَنَّهُ لَيَدِي مَيْلَغَةَ الْكَلْبِ[1] حَتّىٰ إِذا لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْ دَمٍ وَلا مالٍ إِلّا وَدّاهُ، وَبَقِيَتْ مَعَهُ بَقِيَّةٌ مِنَ الْمالِ، فَقالَ لَهُمْ عَلِيٌّ: هَلْ بَقِيَ لَكُمْ بَقِيَّةٌ مِنْ دَمٍ أَوْ مالٍ لَمْ يُؤَدَّ لَكُمْ؟

قالوا: لا.

---

(١) **الميلغة**: الإناء يلغ فيه الكلب أو يسقى فيه.

قالَ: فَإِنّي أعْطيكُمْ هـٰذِهِ الْبَقِيَّةَ مِنْ هـٰذَا الْمالِ احْتِياطاً لِرَسولِ اللهِ ﷺ مِمّا يَعْلَمُ وَلَا تَعْلَمونَ، فَأَعْطاهُمْ ثُمَّ رَجَعَ إِلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ.

فَقالَ ﷺ: أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ، وَقامَ رَسولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ شاهِراً يَدَيْهِ، حَتّىٰ كانَ يُرىٰ ما تَحْتَ مَنْكِبَيْهِ، وَهُوَ يَقولُ: اللّٰهُمَّ إِنّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمّا صَنَعَ خالِدُ بْنُ الْوَليدِ، وَكَرَّرَ ذٰلِكَ ثَلاثَ مَرّاتٍ[1].

هذه بعض رواياته عن السيرة النبويّة ،أمّا ذكر جميع ما روي عنه فإنّه يستدعي الاطالة ، وقد آثرنا الايجاز في أمثال هذه البحوث .

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٢: ٤٢٩ و ٤٣٠.

سيرة الإمام عليّ عليه السلام

تحدّث الإمام أبو جعفر عليه السلام في كثير من أحاديثه عن سيرة جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رائد الحقّ والعدالة في الأرض، وكان من بين ما رواه هذه البادرة.

روى زرارة بن أعين، عن أبيه، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: **كانَ عَلِيٌّ عليه السلام إذا صَلَّى الْفَجْرَ لَمْ يَزَلْ مُعَقِّباً إِلىٰ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذا طَلَعَتِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفُقَراءُ وَالْمَساكِينُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ النّاسِ فَيُعَلِّمُهُمُ الْفِقْهَ وَالْقُرْآنَ، وَكانَ لَهُ وَقْتٌ يَقومُ فيهِ مِنْ مَجْلِسِهِ ذٰلِكَ.**

فَقامَ يَوْماً فَمَرَّ بِرَجُلٍ فَرَماهُ بِكَلِمَةِ هُجْرٍ - ولم يسمّ أبو جعفر عليه السلام ذلك الرجل - **فَرَجَعَ الْإِمامُ وَصَعَدَ الْمِنْبَرَ، وَأَمَرَ فَنُودِيَ الصَّلاةُ جامِعَة، فَلَمّا حَضَرَ النّاسُ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنىٰ عَلَيْهِ، وَصَلّىٰ عَلىٰ نَبِيِّهِ، ثُمَّ قالَ: أَيُّها النّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَى اللهِ، وَلَا أَعَمُّ نَفْعاً مِنْ حِلْمِ إِمامٍ وَفِقْهِهِ، وَلَا شَيْءٌ أَبْغَضُ إِلَى اللهِ، وَلَا أَعَمُّ ضَرَراً مِنْ جَهْلِ إِمامٍ وَخَرْقِهِ، أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ واعِظٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ اللهِ حافِظٌ، أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ أَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلّا عِزّاً، أَلَا وَإِنَّ الذُّلَّ في طاعَةِ اللهِ أَقْرَبُ إِلَى اللهِ مِنَ التَّعَزُّزِ في مَعْصِيَتِهِ.**

ثُمَّ قالَ: أَيْنَ الْمُتَكَلِّمُ آنِفاً؟ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْإِنْكارَ، فَقالَ: ها أَنَذا يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ، فَقالَ: أَما إِنّي لَوْ أَشاءُ لَقُلْتُ.

فَقالَ: إنْ تَعْفُ وَتَصْفَحْ فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذلِكَ.

فَقالَ: قَدْ عَفَوْتُ وَصَفَحْتُ»(١).

وليس في تاريخ الإنسانيّة على الاطلاق مثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عدله ورحمته، وصفحه عمّن أساء إليه.

لقد كان المؤسّس الأوّل بعد النبيّ صلى الله عليه وآله لمكارم الأخلاق ونكران الذات، وقد ساس الناس أيّام خلافته سياسة قوامها العدل الخالص والحقّ المحض، فآثر طاعة الله على كلّ شيء.

إخبار أمير المؤمنين عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام

وتواترت الأخبار عن الإمام أمير المؤمنين بقتل ولده الإمام الحسين عليه السلام، ومن بين تلك الأخبار ما رواه الإمام أبو جعفر عليه السلام.

قال عليه السلام: **خَطَبَ عَلِيٌّ عليه السلام في الْكُوفَةِ، فَلَمّا قالَ: سَلوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدوني، فَوَاللهِ لا تَسْأَلوني عَنْ فِئَةٍ تُضِلُّ مائَةً، وَتَهْدي مائَةً، إلّا أَنْبَأْتُكُمْ بِناعِقِها وَسائِقِها، فَقامَ إلَيْهِ رَجُلٌ فَقالَ: أَخْبِرْني بِما في رَأْسي وَلِحْيَتي مِنْ طاقَةِ شَعَرٍ.**

فَقالَ لَهُ عَلِيٌّ: وَاللهِ لَقَدْ حَدَّثَني خَليلي -يعني رسول الله صلى الله عليه وآله- **أَنَّ عَلىٰ كُلِّ طاقَةِ شَعَرٍ مِنْ رَأْسِكَ مَلَكاً يَلْعَنُكَ، وَإنَّ عَلىٰ كُلِّ طاقَةِ شَعَرٍ مِنْ لِحْيَتِكَ شَيْطاناً يُغْويكَ، وَأَنَّ في بَيْتِكَ سَخَلاً يَقْتُلُ ابْنَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَكانَ ابْنُهُ**

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤: ١٠٩ و ١١٠.

قاتِلُ الْحُسَيْنِ يَوْمَئِذٍ طِفْلاً يَحْبو ، وَهُوَ سِنانُ بْنُ أَنَسٍ النَّخْعِيُّ[١].

وتحقّق ما أخبر به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فلم تمض حفنة من السنين وإذا بالخبيث الدنس سنان بن أنس صار من القتلة المجرمين لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه.

صفة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

وسأل إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة الإمام أبا جعفر عن صفة جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال عليه السلام : **رَجُلٌ آدَمُ شَديدُ الْأَدْمَةِ ، ثَقيلُ الْعَيْنَيْنِ ، عَظيمُهُما ، ذَو بَطْنٍ ، أَصْلَعُ هُوَ إِلَى الْقِصَرِ أَقْرَبُ »**[٢].

أحداث صفّين

وروى الإمام أبو جعفر عليه السلام الكثير من أحداث صفّين ، وقد نقلها عنه نصر بن مزاحم ، والطبري وابن أبي الحديد ، وغيرهم من المؤرّخين ، وفيما يلي بعضها :

فكّ الحصار عن الماء

وزحف معاوية بجنوده إلى صفّين قبل أن يقدم إليها جيش الإمام ، وقد أجمع رأيه على احتلال الفرات ، فأحاطه بقوى مكثّفة لمنع أصحاب الإمام من الاستسقاء منه ، ولمّا قدمت جيوش الإمام رأوا الفرات قد احتلّته قوّات معاوية ، وهي تمنعهم

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ١٠ : ١٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ١١٧.

أشد المنع من الدنوّ منه ، وقد روى الإمام أبو جعفر عليه السلام كيفيّة احتلاله من قِبل جيش الإمام عليه السلام .

قال عليه السلام : **وَنادى الْأَشْعَثُ عَمْرَو بْنُ الْعاصِ ، فَقالَ : وَيْحَكَ يابْنَ الْعاصِ! خَلِّ بَيْنَنا وَبَيْنَ الْماءِ ، فَوَاللهِ لَئِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَتَأْخُذَنا وَإِيّاكُمُ السُّيوفُ .**

فَقالَ عَمْرو: وَاللهِ لا نُخَلّي عَنْهُ حَتّىٰ تَأْخُذَنا السُّيوفُ وَإِيّاكُمْ ، فَيَعْلَمَ رَبُّنا أَيُّنا أَصْبَرُ الْيَوْمَ .

فَتَرَجَّلَ الْأَشْعَثُ وَالْأَشْتَرُ وَذَوو الْبَصائِرِ مِنْ أَصْحابِ عَلِيٍّ عليه السلام **، وَتَرَجَّلَ مَعَهُما إِثْنا عَشَرَ أَلْفاً ، فَحَمِلوا عَلىٰ عَمْرو وَأَبي الْأَعْوَرِ وَمَنْ مَعَهُما مِنْ أَهْلِ الشّامِ ، فَأَزالوهُمْ عَنِ الْماءِ ، حَتّىٰ غَمَسَتْ خَيْلُ عَلِيٍّ سَنابِكَها في الْماءِ »**[1] .

ومن الجدير بالذكر أنّ جيش الإمام لمّا احتلّ الفرات أرادوا أن يقابلوا أهل الشام بالمثل فيمنعونهم عنه ، كما صنعوا ذلك معهم ، إلّا أنّ الإمام لم يسمح لهم بذلك ، وعاملهم معاملة المحسن الكريم ، فخلّى بينهم وبين الماء .

معاوية مع ابن العاص

وروى الإمام أبو جعفر عليه السلام حديثاً دار بين معاوية وعمرو بن العاص .

قال عليه السلام : **طَلَبَ مُعاوِيَةُ إِلىٰ عَمْرِو بْنِ الْعاصِ أَنْ يُسَوِّيَ صُفوفَ أَهْلِ الشّامِ ، فَقالَ لَهُ عَمْرٌو : عَلىٰ أَنَّ لي حُكْمي إِنْ قَتَلَ اللهُ ابْنَ أَبي طالِبٍ ،**

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٣ : ٣٢٤ .

وَاسْتَوْسَقَتْ لَكَ الْبِلادُ.

قالَ: أَلَيْسَ حُكْمُكَ في مِصْرَ؟

قالَ: وَهَلْ مِصْرُ تكونُ عِوَضاً عَنِ الْجَنَّةِ، وَقَتْلُ ابْنِ أَبـي طـالِبٍ ثَـمَناً لِعَذابِ النّارِ الَّذي لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فيهِ مُبْلِسونَ؟

فَقالَ مُعاوِيَةُ: إِنَّ لَكَ حُكْمَكَ أَبا عَبْدِاللهِ إِنْ قُتِلَ ابْنُ أَبي طالِبٍ، رُوَيْداً لا يَسْمَعُ النّاسُ كَلامَكَ.

فَقالَ لَهُمْ ـ أي لأهل الشام ـ عَمْرُو: يا مَعْشَرَ أَهْلِ الشّامِ، سَوُّوا صُفوفَكُمْ، وَأَعيروا رَبَّكُمْ جَماجِمَكُمْ، وَاسْتَعينوا بِاللهِ إِلـٰهِكُمْ، وَجـاهِدوا عَـدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ، وَاقْتُلوهُمْ قَتَلَهُمُ اللهُ وَأَبادَهُمْ ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وبهذا الخداع والتضليل استطاع معاوية أن يناجز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رائد الحكمة والحقّ في الأرض.

خطبة للإمام عليه السلام بصفّين

وروى الإمام أبو جعفر عليه السلام خطبة لجدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خطبها بصفّين، وقد تحدّث فيها عن سموّ أخلاق النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله، ومدى الخسارة العظمى التي منيت بها الإنسانيّة بفقده صلى الله عليه وآله، كما ذكر فيها مكانته ومنزلته عند النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ دعا فيها إلى جهاد عدوّه معاوية بن أبي سفيان، وهذا نصّها:

الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلىٰ نِعَمِهِ الْفاضِلَةِ عَلىٰ جَميعِ مَنْ خَلَقَ مِنَ الْبَرِّ وَالْفاجِرِ،

---

(١) الأعراف ٧: ١٢٨.

وَعَلىٰ حُجَجِهِ الْبالِغَةِ عَلىٰ خَلْقِهِ، مَنْ أَطاعَهُ فيهِمْ وَمَنْ عَصاهُ، إِنْ رَحِمَ فَبِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ، وَإِنْ عَذَّبَ فَبِما كَسَبَتْ أَيْديهِمْ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلّامٍ لِلْعَبيدِ.

أَحْمَدُهُ عَلىٰ حُسْنِ الْبَلاءِ، وَتَظاهُرِ النَّعْماءِ، وَأَسْتَعينُهُ عَلىٰ ما نابَنا مِنْ أَمْرِ دُنْيا أَوْ آخِرَةٍ، وَأُؤْمِنُ بِهِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَكَفىٰ بِاللهِ وَكيلاً.

وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَريكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدىٰ وَدينِ الْحَقِّ، ارْتَضاهُ لِذٰلِكَ، وَكانَ أَهْلَهُ، وَاصْطَفاهُ عَلىٰ جَميعِ الْعِبادِ لِتَبْليغِ رِسالَتِهِ، وَجَعَلَهُ رَحْمَةً مِنْهُ عَلىٰ خَلْقِهِ، فَكانَ كَعِلْمِهِ فيهِ رَؤُوفاً رَحيماً، أَكْرَمُ خَلْقِ اللهِ حَسَباً، وَأَجْمَلُهُ مَنْظَراً، وَأَسْخاهُ نَفْساً، وَأَبَرُّهُ بِوالِدٍ، وَأَوْصَلُهُ لِرَحِمٍ، وَأَفْضَلُهُ عِلْماً، وَأَثْقَلُهُ حِلْماً، وَأَوْفاهُ بِعَهْدٍ، وَآمَنُهُ عَلىٰ عَقْدٍ، لَمْ يَتَعَلَّقْ عَلَيْهِ مُسْلِمٌ وَلَا كافِرٌ بِمَظْلِمَةٍ قَطُّ، بَلْ كانَ يُظْلَمُ فَيَغْفِرُ، وَيَقْدِرُ فَيَصْفَحُ وَيَعْفو.

حَتّىٰ مَضىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُطيعاً للهِ، صابِراً عَلىٰ ما أَصابَهُ، مُجاهِداً في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ، حَتّىٰ أَتاهُ الْيَقينُ ﷺ، فَكانَ ذَهابُهُ أَعْظَمَ الْمُصيبَةِ عَلىٰ جَميعِ أَهْلِ الْأَرْضِ الْبَرِّ وَالْفاجِرِ، ثُمَّ تَرَكَ كِتابَ اللهِ فيكُمْ يَأْمُرُ بِطاعَةِ اللهِ وَيَنْهىٰ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ رَسولُ اللهِ ﷺ عَهْداً فَلَسْتُ أَحيدُ عَنْهُ، وَقَدْ حَضَرْتُمْ عَدُوَّكُمْ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَنْ رَئيسُهُمْ مُنافِقٌ ابْنُ مُنافِقٍ، يَدْعوهُمْ إِلَى النّارِ، وَابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ مَعَكُمْ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ يَدْعوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِلىٰ طاعَةِ رَبِّكُمْ، وَيَعْمَلُ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ، فَلا سَواءَ

مَنْ صَلّىٰ قَبْلَ كُلِّ ذَكَرٍ ، لَمْ يَسْبِقْني بِصَلاتي مَعَ رَسولِ اللهِ أَحَدٌ ، وَأَنا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، وَمُعاوِيَةُ طَليقٌ ابْنُ طَليقٍ ، وَاللهِ إِنَّكُمْ لَعَلىٰ حَقٍّ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلى باطِلٍ ، فَلا يَكونَنَّ الْقَوْمُ عَلىٰ باطِلِهِمُ اجْتَمَعوا عَلَيْهِ ، وَتَفَرَّقونَ عَنْ حَقِّكُمْ ، حَتّىٰ يَغْلِبَ باطِلُهُمْ حَقَّكُمْ ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾(١) ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلوا يُعَذِّبْهُمْ بِأَيْدي غَيْرِكُمْ .

فَأَجابَهُ أَصْحابُهُ قائِلينَ : يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ ، انْهَضْ بِنا إِلىٰ عَدُوِّنا وَعَدُوِّكَ إِذا شِئْتَ ، فَوَاللهِ ما نُريدُ بِكَ بَدَلاً نَموتُ مَعَكَ ، وَنَحْيا مَعَكَ .

فَقالَ لَهُمْ عَلِيٌّ : وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ ، لَنَظَرَ إِلَيَّ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَضْرِبُ قُدّامَهُ بِسَيْفي فَقالَ : لَا سَيْفَ إِلّا ذو الْفَقارِ ، وَلَا فَتىٰ إِلّا عَلِيٌّ .

وَقالَ : يا عَلِيُّ ، أَنْتَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هارونَ مِنْ موسىٰ ، غَيْرَ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدي ، وَمَوْتُكَ وَحَياتُكَ يا عَلِيُّ مَعي .

وَاللهِ ما كَذِبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ ، وَلَا ضَلَلْتُ وَلَا ضُلَّ بي ، وَما نَسيتُ ما عُهِدَ إِلَيَّ ، وَإِنّي لَعَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبّي ، وَإِنّي لَعَلَى الطَّريقِ الْواضِحِ ، أَلْفُظُهُ لَفْظاً(٢) .

يوم الهرير

وكان من أعظم أيّام صفّين وأشدّها محنة يوم الهرير ، وهو اليوم الأعظم ـ كما

(١) التوبة ٩ : ١٤ .

(٢) وقعة صفّين : ٣١٣ ـ ٣١٥ .

يسمّيه المؤرّخون ـ فقد استعرت فيه نار الحرب واشتدّ أوارها ، حتّى خيّم الفزع والموت على الناس .

وقد تحدّث عنه الإمام أبو جعفر عليه السلام قال : **لَمّاكانَ الْيَوْمُ الْأَعْظَمُ قالَ أَصْحابُ مُعاوِيَةَ : وَاللهِ لَا نَبْرَحُ الْيَوْمَ الْعَرْصَةَ حَتّىٰ نَموتَ أَوْ يُفْتَحَ لَنا .**

وَقالَ أَصْحابُ عَلِيٍّ عليه السلام : لَا نَبْرَحُ الْيَوْمَ الْعَرْصَةَ حَتّىٰ نَموتَ أَوْ يُفْتَحَ لَنا .

فَبادَروا الْقِتالَ غُدْوَةً في يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ الشِّعْرىٰ[1] **، طَويلٌ ، شَديدُ الْحَرِّ ، فَتَرامَوا حَتّىٰ فَنِيَتِ النِّبالُ ، وَتَطاعَنوا حَتّىٰ تَقَصَّفَتِ الرِّماحُ .**

ثُمَّ نَزَلَ الْقَوْمُ عَنْ خُيولِهِمْ ، وَمَشىٰ بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ بِالسُّيوفِ ، حَتّىٰ كُسِّرَتْ جُفونُها ، وَقامَ الْفُرْسانُ في الرُّكَبِ ، ثُمَّ اضْطَرَبوا بِالسُّيوفِ ، وَبِعَمَدِ الْحَديدِ ، فَلَمْ يَسْمَعِ السّامِعونَ إِلّا تَغَمْغُمَ الْقَوْمِ ، وَصَليلَ الْحَديدِ في الْهامِ ، وَتَكادُمَ الْأَفْواهِ ، وَكُسِفَتِ الشَّمْسُ ، وَثارَ الْقَتامُ ، وَضَلَّتِ الْأَلْوِيَةُ وَالرّاياتُ ، وَمَرَّتْ مَواقيتُ أَرْبَعِ صَلَواتٍ ما يُسْجَدُ فيهِنَّ لِلّهِ إِلّا تَكْبيراً ، وَنادَتِ الْمَشْيَخَةُ في تِلْكَ الْغَمَراتِ : يا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، اللهَ اللهَ في الْحُرُماتِ مِنَ النِّساءِ وَالْبَناتِ .

ولمّا انتهى أبو جعفر عليه السلام إلى هذه الكلمات بكى[2] ، فقد طافت به تلك الذكريات

---

(١) **الشعرى** :كوكب نيّر يقال له : المرزم ، يطلع بعد الجوزاء ، وطلوعه في شدّة الحرّ . لسان العرب .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٢ : ٢١٢ و ٢١٣ . وقعة صفّين : ٥٤٧ .

الحزينة التي تذيب من هولها القلوب ، فقد مثلت أمامه محنة أمير المؤمنين عليه السلام حينما ابتلي بتلك الزمرة الخائنة التي عملت على محو الإسلام ، وإزالة مكاسبه ، وإعادة الحياة الجاهليّة في الأرض .

إنّ من أبشع مهازل التاريخ البشري هي مكيدة ابن العاص في رفع المصاحف ، وقد وصفها (راوحوست ميلر) بأنّها من أشنع المهازل وأسوئها في التاريخ البشري[١] .

فقد أشرف جيش الإمام على الفتح ، وتفلّلت جميع قوى معاوية ، وأراد أن يلوذ بالفرار ، ولجأ إلى ابن العاص يطلب منه الرأي ، فأشار عليه برفع المصاحف ، وهي مكيدة مدبّرة قد حكيت أُصولها ، ووضعت مخطّطاتها بين ابن العاص وبين الأشعث بن قيس الماكر الخبيث في جيش الإمام .

وقد تحدّث الإمام أبو جعفر عن عدد المصاحف التي رفعت .

فقال عليه السلام : **اسْتَقْبَلوا عَلِيّاً بِمائَةِ مُصْحَفٍ وَوَضَعوا في كُلِّ مُجَنِّبَةٍ[٢] مائَتَيْ مُصْحَفٍ ، فَكانَ جَميعُها خَمْسَمائَةِ مُصْحَفٍ .**

وَقامَ فَريقٌ مِنْ أَتْباعِ مُعاوِيَةَ فَنادَوا في الْمُعَسْكَرِ الْعِراقِيِّ : يا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، اللهَ اللهَ في النِّساءِ وَالْبَناتِ وَالْأَبْناءِ مِنَ الرّومِ وَالْأَتْراكِ وَأَهْلِ فارِسَ غَداً إِذا فَنِيتُمْ . اللهَ اللهَ في دينِكُمْ هٰذا كِتابُ اللهِ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ .

وَالْتاعَ الْإِمامُ وَانْبرىٰ قائِلاً : اللّٰهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ ما الْكِتابَ يُريدونَ ، فَاحْكُمْ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْحَكَمُ الْحَقُّ الْمُبينُ »[٣] .

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام : ١٩٠ .

(٢) **المجنبة** ـ بكسر النون المشدّدة : ميمنة الجيش وميسرته .

(٣) شرح نهج البلاغة : ٢ : ٢١٢ . وقعة صفّين : ٥٤٦ و ٥٤٧ .

وقد أطاحت هذه المكيدة بالنصر الذي أحرزه جيش الإمام، فقد انقلب على أعقابه وماج في الفتنة، واضطرب أشدّ ما يكون الاضطراب، وكان من المتوقّع أن تمنى حكومة الإمام بانقلاب عسكري يتزعّمه الأشعث بن قيس، وقد أدرك الإمام هذا الوضع المتفجّر فأبدى من الأناة والصبر ما لا يوصف، فقد استجاب ـ على كره ـ إلى إيقاف القتال، وأوعز إلى قائد قوّاته المسلّحة الزعيم مالك الأشتر بالانسحاب عن ساحة الحرب بعد أن أشرف على الفتح، وصار أمراً محتوماً.

وثيقة التحكيم

وبعد أن أُجبر الإمام على التحكيم الذي أنقذ حكومة معاوية، وأطاح بحكومة الإمام عليه السلام، فقد تسابق زعماء الفتنة في جيش الإمام مع أهل الشام إلى تسجيل ما يرومونه من الشروط التي تنهي الحرب مؤقّتاً حتّى يجتمع الحكمان، وقد روى الإمام أبو جعفر عليه السلام نصّ الوثيقة، وأخذها عنه المؤرّخون لهذه الأحداث، وهذا نصّها بعد البسملة:

هٰذا ما تَقاضىٰ عَلَيْهِ عَلِيَّ بْنُ أَبي طالِبٍ وَمُعاوِيَةُ بْنُ أَبي سُفْيانَ، قاضىٰ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ عَلىٰ أَهْلِ الْعِراقِ، وَمَنْ كانَ مَعَهُ مِنْ شيعَتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُسْلِمينَ.

وَقاضىٰ مُعاوِيَةُ بْنُ أَبي سُفْيانَ عَلىٰ أَهْلِ الشّامِ، وَمَنْ كانَ مَعَهُ مِنْ شيعَتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُسْلِمينَ.

إِنّا نَنْزِلُ عَلىٰ حُكْمِ اللهِ تَعالىٰ وَكِتابِهِ، وَلا يَجْمَعُ بَيْنَنا إِلّا إِيّاهُ، وَإِنَّ كِتابَ اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ بَيْنَنا مِنْ فاتِحَتِهِ إِلىٰ خاتِمَتِهِ، نُحْيي ما أَحْيا الْقُرْآنُ، وَنُميتُ ما أَماتَ الْقُرْآنُ، فَإِنْ وَجَدَ الْحَكَمانِ ذٰلِكَ في كِتابِ اللهِ

اتَّبعاهُ، وَإنْ لَمْ يَجِداهُ أَخَذا بِالسُّنَّةِ الْعادِلَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ، وَالْحَكَمانِ: عَبْدُاللهِ بْنُ قَيْسٍ وَعَمْرو بْنُ الْعاصِ، وَقَدْ أَخَذَ الْحَكَمانِ مِنْ عَلِيٍّ وَمُعاوِيَةَ وَمِنَ الْجُنْدَيْنِ أَنَّهُما أَمينانِ عَلىٰ أَنْفُسِهِما وَأَمْوالِهِما وَأَهْلِهِما، وَالأُمَّةُ لَهُما أَنْصارٌ.

وَعَلَى الَّذي يَقْضِيانِ عَلَيْهِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنينَ وَالْمُسْلِمينَ مِنَ الطّائِفَتَيْنِ عَهْدُ اللهِ أَنْ يَعْمَلوا بِما يَقْضِيانِ عَلَيْهِ مِمّا وافَقَ الْكِتابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَنَّ الأَمْنَ وَالْمُوادَعَةَ وَوَضْعَ السِّلاحِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الطّائِفَتَيْنِ إِلىٰ أَنْ يَقَعَ الْحُكْمُ، وَعَلىٰ كُلِّ واحِدٍ مِنَ الْحَكَمَيْنِ عَهْدُ اللهِ لَيَحْكُمَنَّ بِالأُمَّةِ بِالْحَقِّ لا بِالْهَوىٰ، وَأَجَلُ الْمُوادَعَةِ سَنَةٌ كامِلَةٌ، فَإِنْ أَحَبَّ الْحَكَمانِ أَنْ يُعَجِّلا الْحُكْمَ عَجَّلاهُ.

وَإِنْ تُوُفِّيَ أَحَدُهُما فَلأَميرِ شيعَتِهِ أَنْ يَخْتارَ مَكانَهُ رَجُلاً، لا يَأْلو الْحَقَّ وَالْعَدْلَ.

وَإِنْ تُوُفِّيَ أَحَدُ الأَميرَيْنِ كانَ نَصْبُ غَيْرِهِ إِلىٰ أَصْحابِهِ مِمَّنْ يَرْضَوْنَ أَمْرَهُ، وَيَحْمَدونَ طَريقَتَهُ.

اللّٰهُمَّ إِنّا نَسْتَنْصِرُكَ عَلىٰ مَنْ تَرَكَ ما في هٰذِهِ الصَّحيفَةِ وَأَرادَ فيها إِلْحاداً وَظُلْماً»[١].

ووقّع الفريقان على هذه الوثيقة، ولم تتعرّض إلى مطالبة معاوية بدم عثمان ذلك الدم الذي اتّخذه شعاراً لتمرّده وبغيه على حكومة الإمام.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢: ٢٣٣ و ٢٣٤.

ومن المؤكّد أنّه لم يكن يهتمّ بعثمان ، فقد استنجد به حينما حاصره الثوّار فأعاره أُذناً صمّاء حتّى قتل ، فاتّخذ قتله وسيلة لنيل أطماعه .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن روايات الإمام أبي جعفر لأحداث صفّين . تلك الأحداث المؤلمة التي جرّت للمسلمين أعظم المحن والخطوب ، وألقتهم في شرّ عظيم .

مأساة الإمام الحسين عليه السلام

وفزع المسلمون أشدّ ما يكون الفزع من مأساة الحسين عليه السلام التي انتهكت فيها حرمة الرسول صلى الله عليه وآله في أبنائه وعترته، فقد عمد الجيش الأموي إلى استئصال آل النبيّ صلى الله عليه وآله، واقترفوا معهم من الفضائع ما لم يمرّ مثلها في جميع مراحل هذه الحياة.

وكان الإمام أبو جعفر عليه السلام صبيّاً يافعاً، قد حضر يوم الطفّ، وشاهد المحن الكبرى التي تواكبت على آل البيت عليهم السلام وقد وعاها، وارتسمت فصولها الحزينة في أعماق نفسه ودخائل ذاته، وظلّت مناظرها الرهيبة ملازمة له ولأبيه الإمام زين العابدين عليهما السلام طوال حياتهما.

وأقبل علماء المسلمين ورواتهم على الإمام أبي جعفر عليه السلام وهم يسألونه عمّا شاهده وما سمعه من أبيه من رزايا كربلاء، وما جرى على العترة الطاهرة من صنوف القتل والتنكيل، وكان عليه السلام يزوّدهم بمعلوماته عنها وهم يدوّنونها.

وقد دوّن العلماء في ذلك العصر وما تلاه حوالي ستّين مؤلّفاً كلّها بعنوان (مقتل الحسين).

رواية عمّار الدهني

ويروي الطبري أنّ عمّار الدهني وفد على الإمام أبي جعفر عليه السلام يسأله عن مقتل الحسين عليه السلام.

فأجابه عليه السلام، وقد روى الطبري الرواية متقطّعة غير متّصلة، ونحن نجمع بين فصولها، ولنا فيها مواقع للنظر نذكرها في آخر الرواية، وهذا نصّها:

حدّثني زكريا بن يحيى الضرير، قال: حدّثنا أحمد بن جناب المصيصي ـ ويكنّى أبا الوليد ـ قال: حدّثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبدالله القسري، قال: حدّثني عمّار

الدهني ، قال : « قلت لأبي جعفر : حدّثني بمقتل الحسين حتّى كأنّي حضرته ؟

قال عليه السلام : **ماتَ مُعاوِيَةُ وَالْوَليدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبي سُفْيانَ عَلى الْمَدينَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فَقالَ لَهُ : أَخِّرْني وَارْفُقْ ، فَأَخَّرَهُ .**

فَخَرَجَ إِلىٰ مَكَّةَ ، فَأَتاهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَرُسُلُهُمْ : إِنّا قَدْ حَبَسْنا أَنْفُسَنا عَلَيْكَ ، وَلَسْنا نَحْضَرُ الْجُمُعَةَ مَعَ الْوالي ، فَأَقْدِمْ عَلَيْنا . وَكانَ النُّعْمانُ بْنُ بَشيرٍ الْأَنْصارِيُّ عَلَى الْكُوفَةِ .

قالَ : فَبَعَثَ الْحُسَيْنُ إِلىٰ مُسْلِمِ بْنِ عَقيلِ بْنِ أَبي طالِبٍ ابْنِ عَمِّهِ ، فَقالَ لَهُ : سِرْ إِلَى الْكُوفَةِ فَانْظُرْ ما كَتَبوا بِهِ إِلَيَّ ، فَإِنْ كانَ حَقّاً خَرَجْنا إِلَيْهِمْ .

فَخَرَجَ مُسْلِمٌ حَتّىٰ أَتَى الْمَدينَةَ فَأَخَذَ مِنْها دَليلَيْنِ ، فَمَرّا بِهِ في الْبَرِّيَّةِ فَأَصابَهُمْ عَطَشٌ ، فَماتَ أَحَدُ الدَّليلَيْنِ ، وَكَتَبَ مُسْلِمٌ إِلَى الْحُسَيْنِ يَسْتَعْفيهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ : أَنِ امْضِ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَخَرَجَ حَتّىٰ قَدِمَها ، وَنَزَلَ عَلىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِها يُقالُ لَهُ ابْنُ عَوْسَجَةَ(١) .

قالَ : فَلَمّا تَحَدَّثَ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِمَقْدَمِهِ دَبُّوا إِلَيْهِ فَبايَعوهُ ، فَبايَعَهُ إِثْنا عَشَرَ أَلْفاً .

قالَ : فَقامَ رَجُلٌ مِمَّنْ يَهْوىٰ يَزيدَ بْنَ مُعاوِيَةَ إِلَى النُّعْمانِ بْنِ بَشيرٍ ، فَقالَ لَهُ : إِنَّكَ ضَعيفٌ أَوْ مُتَضَعِّفٌ ، قَدْ فَسَدَ الْبِلادُ .

فَقالَ لَهُ النُّعْمانُ : أَنْ أَكونَ ضَعيفاً وَأَنا في طاعَةِ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ

---

(١) المعروف بين المؤرّخين إنّ مسلم أوّل ما نزل في دار المختار .

أَكونَ قَوِيّاً في مَعْصِيَتِهِ، وَما كُنْتُ لأَهْتِكَ سِتْراً سَتَرَهُ اللهُ.

فَكَتَبَ بِقَوْلِ النُّعْمانِ إِلىٰ يَزيدَ، فَدَعا مَوْلىً يُقالُ لَهُ: سَرْجونُ ـ وَكانَ يَسْتَشيرُهُ ـ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقالَ لَهُ: أَكُنْتَ قابِلاً مِنْ مُعاوِيَةَ لَوْ كانَ حَيّاً؟

قالَ: نَعَمْ.

قالَ: فَاقْبَلْ مِنّي فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْكوفَةِ إِلّا عُبَيْدُاللهِ بْنِ زِيادٍ، فَوَلِّها إِيّاهُ ـ وَكانَ يَزيدُ عَلَيْهِ ساخِطاً، وَكانَ هَمَّ بِعَزْلِهِ عَنِ الْبَصْرَةِ ـ فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِرِضائِهِ، وَأَنَّهُ قَدْ وَلّاهُ الْكوفَةَ مَعَ الْبَصْرَةِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَطْلُبَ مُسْلِمَ بْنَ عَقيلٍ فَيَقْتُلَهُ إِنْ وَجَدَهُ.

قالَ: فَأَقْبَلَ عُبَيْدُاللهِ في وُجوهِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ حَتّىٰ قَدِمَ الْكوفَةَ مُتَلَثِّماً، وَلا يَمُرُّ عَلىٰ مَجْلِسٍ مِنْ مَجالِسِهِمْ فَيُسَلِّمُ إِلّا قالوا: عَلَيْكَ السَّلامُ يابْنَ بِنْتِ رَسولِ اللهِ ـ وَهُمْ يَظُنّونَ أَنَّهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام ـ حَتّىٰ نَزَلَ الْقَصْرَ، فَدَعا مَوْلىً لَهُ فَأَعْطاهُ ثَلاثَةَ آلافٍ وَقالَ لَهُ: اذْهَبْ حَتّىٰ تَسْأَلَ عَنِ الرَّجُلِ الَّذي يُبايِعُ لَهُ أَهْلُ الْكوفَةِ فَأَعْلِمْهُ أَنَّكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ حِمْصٍ جِئْتَ لِهٰذا الْأَمْرِ، وَهٰذا مالٌ تَدْفَعُهُ إِلَيْهِ لِيَتَقَوّىٰ.

فَلَمْ يَزَلْ يَتَلَطَّفُ وَيَرْفُقُ بِهِ، حَتّىٰ دَلَّ عَلىٰ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْكوفَةِ يَلِي الْبَيْعَةَ، فَلَقِيَهُ فَأَخْبَرَهُ، فَقالَ لَهُ الشَّيْخُ: لَقَدْ سَرَّني لِقاؤُكَ إِيّايَ، وَقَدْ ساءَني، فَأَمّا ما سَرَّني مِنْ ذٰلِكَ فَما هَداكَ اللهُ لَهُ، وَأَمّا ما ساءَني فَإِنَّ أَمْرَنا لَمْ يَسْتَحْكِمْ بَعْدُ فَأَدْخَلَهُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ الْمالَ وَبايَعَهُ وَرَجَعَ إِلىٰ عُبَيْدِ اللهِ فَأَخْبَرَهُ.

فَتحَوَّلَ مُسْلِمُ حينَ قَدِمَ عُبَيْدُاللهِ بْنُ زِيادٍ مِنَ الدّارِ الَّتي كانَ فيها إِلىٰ مَنْزِلِ هاني بْنِ عُرْوَةَ الْمُرادِيِّ، وَكَتَبَ مُسْلِمُ بْنُ عَقيلٍ إِلى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام يُخْبِرُهُ بِبَيْعَةِ اثْنَي عَشَرَ أَلْفاً مِنْ أَهْلِ الْكوفَةِ، وَيَأْمُرُهُ بِالْقُدومِ، وَقالَ عُبَيْدُاللهِ لِوُجوهِ أَهْلِ الْكُوفَةِ: ما لي أَرىٰ هانِيَ بْنَ عُرْوَةَ لَمْ يَأْتِني فيمَنْ أَتاني!

قالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ في ناسٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَهُوَ عَلىٰ بابِ دارِهِ، فَقالوا: إِنَّ الْأَميرَ قَدْ ذَكَرَكَ وَاسْتَبْطَأَكَ فَانْطَلِقْ إِلَيْهِ.

فَلَمْ يَزالوا بِهِ حَتّىٰ رَكِبَ مَعَهُمْ، وَسارَ حَتّىٰ دَخَلَ عَلىٰ عُبَيْدِاللهِ وَعِنْدَهُ شُرَيْحُ الْقاضي، فَلَمّا نَظَرَ إِلَيْهِ قالَ لِشُرَيْحٍ: أَتَتْكَ بِخائِنٍ رِجْلاهُ، فَلَمّا سَلَّمَ عَلَيْهِ قالَ: يا هاني، أَيْنَ مُسْلِمُ؟

قالَ: ما أَدْري، فَأَمَرَ عُبَيْدُاللهِ مَوْلاهُ صاحِبَ الدَّراهِمِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَلَمّا رَآهُ قُطِعَ بِهِ، فَقالَ: أَصْلَحَ اللهُ الْأَميرَ، وَاللهِ ما دَعَوْتُهُ إِلىٰ مَنْزِلي، وَلكِنَّهُ جاءَ فَطَرَحَ نَفْسَهُ عَلَيَّ.

قالَ: ائْتِني بِهِ.

قالَ: وَاللهِ لَوْ كانَ تَحْتَ قَدَمَيَّ ما رَفَعْتُهُما عَنْهُ.

قالَ: أَدْنوهُ إِلَيَّ، فَأُدْنِيَ، فَضَرَبَهُ عَلىٰ حاجِبِهِ فَشَجَّهُ.

قالَ: وَأَهْوىٰ هاني إِلىٰ سَيْفِ شَرَطِيٍّ لِيَسُلَّهُ، فَدُفِعَ عَنْ ذلِكَ، وَقالَ: قَدْ أَحَلَّ اللهُ دَمَكَ.

فَأَمَرَ بِهِ فَحُبِسَ في جانِبِ الْقَصْرِ[١].

وروى الطبري بعد هذا حديثاً فيما يتعلّق بتفصيل الحادثة، ثمّ ذكر كلام الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال:

« فَبَيْنا هُوَ كَذلِكَ إِذْ خَرَجَ الْخَبَرُ إِلىٰ مَذْحِجٍ، فَإِذا عَلىٰ بابِ الْقَصْرِ جَلَبَةٌ سَمِعَها عُبَيْدُاللهِ، فَقالَ: ما هٰذا؟

فَقالوا: مَذْحِجٌ.

فَقالَ لِشُرَيْحٍ: اخْرُجْ إِلَيْهِمْ فَأَعْلِمْهُمْ أَنّي إِنَّما حَبَسْتُهُ لأَسْأَلَهُ، وَبَعَثَ عَيْناً عَلَيْهِ مِنْ مَوالِيهِ يَسْمَعُ ما يَقولُ، فَمَرَّ بِهاني بْنِ عُرْوَةَ، فَقالَ لَهُ هاني: اتَّقِ اللهَ يا شُرَيْحٍ، فَإِنَّهُ قاتِلي.

فَخَرَجَ شُرَيْحٌ حَتّىٰ قامَ عَلىٰ بابِ الْقَصْرِ، فَقالَ: لا بَأْسَ عَلَيْهِ، إِنَّما حَبَسَهُ الأَميرُ لِيَسْأَلَهُ.

فَقالوا: صَدَقَ، لَيْسَ عَلىٰ صاحِبِكُمْ بَأْسٌ، فَتَفَرَّقوا، فَأَتىٰ مُسْلِماً الْخَبَرُ، فَنادىٰ بِشِعارِهِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةُ آلافٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَدَّمَ مُقَدِّمَتَهُ، وَعَبّىٰ مَيْمَنَتَهُ وَمَيْسَرَتَهُ، وَصارَ في الْقَلْبِ إِلىٰ عُبَيْدِاللهِ، وَبَعَثَ عُبَيْدُاللهِ إِلىٰ وُجوهِ أَهْلِ الْكوفَةِ فَجَمَعَهُمْ عِنْدَهُ في الْقَصْرِ، فَلَمّا سارَ إِلَيْهِمْ مُسْلِمُ فَانْتَهىٰ إِلىٰ بابِ الْقَصْرِ أَشْرَفوا عَلىٰ عَشائِرِهِمْ فَجَعَلوا يُكَلِّمونَهُمْ وَيُرِدّونَهُمْ، فَجَعَلَ أَصْحابُ مُسْلِمٍ يَتَسَلَّلونَ حَتّىٰ أَمْسىٰ في خَمْسِمائَةٍ،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٢٥٧ ـ ٢٥٩.

فَلَمّا اخْتَلَطَ الظَّلامُ ذَهَبَ أُوْلئِكَ أَيْضاً.

فَلَمّا رَأىٰ مُسْلِمٌ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ وَحْدَهُ جَعَلَ يَتَرَدَّدُ في الطُّرُقِ، فَأَتىٰ باباً فَنزَلَ عَلَيْهِ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ، فَقالَ لَها: اسْقيني، فَسَقَتْهُ.

ثُمَّ دَخَلَتْ فَمَكَثَتْ ما شاءَ اللهُ ثُمَّ خَرَجَتْ، فَإِذا هُوَ عَلَى الْبابِ، قالَتْ: يا عَبْدَ اللهِ، إِنَّ مَجْلِسَكَ مَجْلِسُ ريبَةٍ، فَقُمْ.

قالَ: إِنّي مُسْلِمُ بْنُ عَقيلٍ، فَهَلْ عِنْدَكِ مَأْوىً؟

قالَتْ: نَعَمْ، ادْخُلْ.

وَكانَ ابْنُها مَوْلىً لِمُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ، فَلَمّا عَلِمَ بِهِ الْغُلامُ انْطَلَقَ إِلىٰ مُحَمَّدٍ فَأَخْبَرَهُ، فَانْطَلَقَ مُحَمَّدٌ إِلىٰ عُبَيْدِاللهِ فَأَخْبَرَهُ، فَبَعَثَ عُبَيْدُاللهِ عَمْرو بْنَ حُرَيْثٍ الْمَخْزومِيَّ - وَكانَ صاحِبَ شَرطِهِ - إِلَيْهِ وَمَعَهُ عَبْدُالرَّحْمٰنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ، فَلَمْ يَعْلَمْ مُسْلِمٌ حَتّىٰ أُحيطَ بِالدّارِ، فَلَمّا رَأىٰ ذٰلِكَ مُسْلِمٌ خَرَجَ إِلَيْهِمْ بِسَيْفِهِ فَقاتَلَهُمْ، فَأَعْطاهُ عَبْدُالرَّحْمٰنِ الْأَمانَ، فَأَمْكَنَ مِنْ يَدِهِ، فَجاءَ بِهِ إِلىٰ عُبَيْدِاللهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُصْعِدَ إِلىٰ أَعْلَى الْقَصْرِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَأَلْقىٰ جُثَّتَهُ إِلَى النّاسِ، وَأَمَرَ بِهاني فَسُحِبَ إِلَى الْكُناسَةِ، فَصُلِبَ هُنالِكَ.

وَقالَ شاعِرُهُمْ في ذٰلِكَ:

إِذَا كُنتِ لَاتَدرِينَ مَاالمَوتُ فَانظُرِي

إِلَىٰ هَانِئٍ فِي السُّوقِ وَابنِ عَقِيلِ

أَصَابَهُمَا أمرُ الأَمِيرِ فَأَصبحَا
أَحَادِيثَ مِن يَسرِي بِكُلِّ سَبيلِ
أَيَركَبُ أَسمَاءُ الهَمَالِيجَ(١) آمِناً
وَقَدْ طَلَبَتَهُ مَذحِجٌ بِذُحُولِ(٢)

ثمّ يذكر الطبري روايات أُخرى عن أبي مخنف وغيره في تفصيل الأحداث، ثمّ عقب ذلك بقوله: حدّثنا خالد بن يزيد بن عبدالله القسري، قال: حدّثنا عمّار الدهني، قال: «قلت لأبي جعفر: حدّثني عن مقتل الحسين حتّى كأنّي حضرته.

قال: **فَأَقْبَلَ حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بِكِتَابِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ كانَ إِلَيْهِ حَتّىٰ إذا كانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ ثَلاثَةُ أَمْيالٍ، لَقِيَهُ الْحُرُّ بْنُ يَزِيدٍ التَّمِيمِيُّ، فَقالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟**

قالَ: أُرِيدُ هٰذَا الْمِصْرَ.

قالَ لَهُ: ارْجِعْ فَإِنّي لَمْ أَدَعْ لَكَ خَلْفي خَيْراً أَرْجوهُ، فَهَمَّ أَنْ يَرْجِعَ، وَكانَ مَعَهُ أُخْوَةُ مُسْلِمِ بْنِ عَقيلٍ، فَقالوا: وَاللهِ لَا نَرْجِعُ حَتّىٰ نُصيبَ بِثَأْرِنا أَوْ نُقْتَلَ.

---

(١) **الهماليج** ـ جمع هملاج ـ: وهو نوع من البرذون. لسان العرب: ١٥: ١٣٦ ـ هملج.
الذحول ـ جمع ذحل ـ: طلب الثأر. لسان العرب: ٥: ٢٧.

(٢) في مروج الذهب: ٣: ٦٠ أنّها لشاعر مجهول. وكذلك في الأغاني: ١٤: ١٦١. وفي مقاتل الطالبيّين: ١٠٩، أنّها لعبد الله بن الزبير الأسدي. وكذلك في تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٢٥٩ ـ ٢٦٠، وقيل: إنّها للفرزدق. وفي الأخبار الطوال: ٢٤٢، إنّها لعبد الرحمن بن الزبير الأسدي. وفي لسان العرب: ٨: ١٩٩، أنّها لسليم بن سلام الحنفي.

فَقالَ: لَا خَيْرَ في الْحَياةِ بَعْدَكُمْ، فَسارَ فَلَقيتَهُ أَوائِلُ خَيْلِ عُبَيْدِاللهِ، فَلَمّا رَأىٰ ذٰلِكَ عَدَلَ إلىٰ كَرْبَلاء فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إلىٰ قَصَبٍ وَحَلَفَ أَلّا يُقاتِلَ إلّا مِنْ وَجْهٍ واحِدٍ، فَنَزَلَ وَضَرَبَ أَبْنِيَتَهُ وَكانَ أَصْحابُهُ خَمْسَةً وَأَرْبَعينَ فارِساً، وَمائَةَ راجِلٍ، وَكانَ عُمَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبي وَقّاصٍ قَدْ وَلّاهُ عُبَيْدُاللهِ بْنُ زِيادٍ الرَّيَّ، وَعَهِدَ إلَيْهِ عَهْدَهُ، فَقالَ: اكْفِني هٰذا الرَّجُلَ.

قالَ: اعْفِني فَأَبىٰ أَنْ يَعْفِيَهُ، قالَ: فَأَنْظِرْني اللَّيْلَةَ فَأَخَّرَهُ فَنَظَرَ في أَمْرِهِ، فَلَمّا أَصْبَحَ غَدا عَلَيْهِ راضِياً بِما أَمَرَ بِهِ، فَتَوَجَّهَ إلَيْهِ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ، فَلَمّا أَتاهُ قالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: اخْتَرْ واحِدَةً مِنْ ثَلاثٍ: أَمّا أَنْ تَدَعْني فَأَنْصَرِفَ مِنْ حَيْثُ جِئْتُ، وَأَمّا أَنْ تَدَعْني فَأَذْهَبَ إلىٰ يَزيدَ، وَأَمّا أَنْ تَدَعْني فَأَلْحَقَ بِالثُّغورِ.

فَقَبِلَ ذٰلِكَ عُمَرُ، فَكَتَبَ إلَيْهِ عُبَيْدُاللهِ: لَا وَلَا كَرامَةَ، حَتّىٰ يَضَعَ يَدَهُ في يَدي.

فَقالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: عَشر شابّاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَجاءَ سَهْمٌ فَأَصابَ ابْناً لَهُ مَعَهُ في حِجْرِهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقولُ: اللّٰهُمَّ احْكُمْ بَيْننا وَبَيْنَ قَوْمٍ دَعَوْنا لِيَنْصُرونا فَقَتَلونا، ثمَّ أَمَرَ بِحِبَرَةٍ فَشَقَّها ثُمَّ لَبِسَها، وَخَرَجَ بِسَيْفِهِ، فَقاتَلَ حَتّىٰ قُتِلَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ مَذْحِجٍ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ وَانْطَلَقَ بِهِ إلىٰ عُبَيْدِاللهِ وَقالَ:

أَوْقِرْ رِكابِي فِضَّةً وَذَهَبا ... إنّي قَتَلْتُ السَّيِّدَ الْمُحَجَّبا
قَتَلْتُ خَيْرَ النّاسِ أُمّاً وَأَبا ... وَخَيْرَهُم إذْ يَنسِبُونَ النَّسَبا

وَأَوْفَدَهُ إلىٰ يَزيدَ بْنِ مُعاوِيَةَ، وَمَعَهُ الرَّأْسُ فَوَضَعَ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعِنْدَهُ

أَبو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِالْقَضيبِ عَلىٰ فيهِ وَيقولُ :

يُفلِّقنَ هاماً مِن رِجالٍ أعِزَّةٍ عَلَينا وَهُمْ كانُوا أَعَقَّ وَأظْلَما

فَقالَ لَهُ أَبو بَرْزَةَ : إرْفَعْ قَضيبَكَ ، فَوَاللهِ لَرُبَّما رَأَيْتُ فاهَ رَسولِ اللهِ ﷺ عَلىٰ فيهِ يَلْثِمُهُ ، وَسَرَّحَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بِحَرَمِهِ وَعِيالِهِ إِلىٰ عُبَيْدِاللهِ ، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام إِلّا غُلامٌ كانَ مَريضاً مَعَ النِّساءِ ، فَأَمَرَ بِهِ عُبَيْدُاللهِ لِيُقْتَلَ ، فَطَرَحَتْ زَيْنَبُ نَفْسَها عَلَيْهِ ، وَقالَتْ : وَاللهِ لا يُقْتَلُ حَتّىٰ تَقْتُلوني! فَرَقَّ لَها ، فَتَرَكَهُ وَكَفَّ عَنْهُ .

قالَ : فَجَهَّزَهُمْ وَحَمَلَهُمْ إِلىٰ يَزيدَ ، فَلَمّا قَدِموا عَلَيْهِ جَمَعَ مَنْ كانَ بِحَضْرَتِهِ مِنْ أَهْلِ الشّامِ ، ثُمَّ أَدْخَلوهُمْ فَهَنَّئوهُ بِالْفَتْحِ ، قالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَزْرَقُ أَحْمَرُ ، وَنَظَرَ إِلىٰ وَصيفَةٍ مِنْ بَناتِهِمْ فَقالَ : يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ ، هَبْ لي هٰذِهِ .

فَقالَتْ زَيْنَبُ : لَا وَاللهِ ، وَلَا كَرامَةَ لَكَ وَلَا لَهُ ، إِلّا أَنْ يَخْرُجَ مِنْ دينِ اللهِ ، قالَ : فَأَعادَها الأَزْرَقُ ، فَقالَ لَهُ يَزيدُ : كُفَّ عَنْ هٰذا ، ثُمَّ أَدْخَلَهُمْ عَلىٰ عِيالِهِ فَجَهَّزَهُمْ ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمَدينَةِ ، فَلَمّا دَخَلوها خَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَني عَبْدِالْمُطَّلِبِ ناشِرَةً شَعْرَها ، واضِعَةً كُمَّها عَلىٰ رَأْسِها تَلَقّاهُمْ ، وَهِيَ تَبْكي وَتَقولُ :

مَاذَا تَقُولُونَ إِن قَالَ النَّبِيُّ لَكُم مَاذَا فَعَلتُم وأَنتُم آخِرُ الأُمَمِ

بِعِتْرَتي وَبِأَهْلي بَعْدَ مُفْتَقَدِي مِنهُم أُسَارىٰ وَقَتلَىٰ ضُرِّجُوا بِدَمِ

مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي إِذْ نَصَحتُ لَكُم أن تَخلِفُوني بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي»[١]

وانتهت بذلك رواية عمّار الدهني عن الإمام أبي جعفر عليه السلام في ذكر كارثة كربلاء.

المؤاخذات

وتواجه هذه الرواية عدّة من المؤاخذات منها ما يلي:

١ ـ إنّ عمّار الدهني طلب من الإمام عليه السلام أن يحدّثه بالتفصيل عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام، كأنّه قد حضره، أمّا الجواب فقد كان موجزاً، ولم يشر إلى كثير من الأحداث لا بقليل ولا بكثير، فقد طويت فيه أكثر فصول تلك المأساة، ومن الطبيعي أنّ هذا لا يتناسب مع السؤال الذي يطلب فيه المزيد من المعلومات.

٢ ـ إنّه جاء في هذه الرواية أنّ الإمام الحسين عليه السلام حينما اجتمع بابن سعد طلب منه أحد هذه الأمور:

١ ـ أن يسمحوا له بالرجوع إلى يثرب.

٢ ـ أن يذهب إلى يزيد.

٣ ـ أن يلحق بالثغور.

ومن المقطوع به عدم صحّة الأمرين الأخيرين، فإنّ الإمام عليه السلام لو فرض أنّه أدلى بهما لما قدم الجيش الأموي على قتاله وحربه، وقد تحدّث عن افتعال ذلك عقبة بن سمعان، وهو ممّن صاحب الإمام من المدينة إلى مكّة ثمّ إلى العراق، وظلّ ملازماً له حتّى قتل يقول: «صحبت الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكّة، ومنها إلى العراق، ولم أُفارقه حتى قتل، وقد سمعت جميع كلامه، فما سمعت منه ما يتذاكر فيه الناس

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٤٢٠. تاريخ مدينة دمشق ٦٩: ١٧٨ ـ ١٧٩. تذكرة الخواص: ٢٤٠. وقد ورد الشعر في الإرشاد / المفيد: ٢: ١٢٤، وروضة الواعظين: ١٦٣، أنه لأُم لقمان بنت عقيل. وفي بعض المصادر: نسبه لامرأة من بني عبدالمطلب ولم يسمها.

من أن يضع يده في يد يزيد ، ولا أن يسير إلىٰ ثغر من الثغور لا في المدينة ، ولا في مكة ، ولا في العراق ، ولا في عسكره إلى حين قتل . نعم ، سمعته يقول : **دَعُـونِي فَلَأَذْهَبْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ العَرِيضَةِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ مَا يَصِيرُ النَّاسُ** »[١] .

ونظراً لاشتمال الرواية على هذه البنود فلا تصحّ نسبتها إلى الإمام أبي جعفر عليه السلام ، ومن المحتمل أنّ الرواية بناءً على صحّتها قد نقص منها الشيء الكثير وزيد فيها ، ممّا جعلها مضطربة لا يمكن التعويل عليها .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض ما أُثر عنه من نقل السيرة النبويّة ، وسائر الأحداث التي جرت في العصر الإسلامي الأوّل .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ٣١٣ . مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : ٢٠ .

وصاياه عليه السلام القيّمة

وأُثرت عن الإمام أبي جعفر عليه السلام وصايا كثيرة ، وجه بعضها لأبنائه ، وبعضها لأصحابه وهي حافلة بالقيم الكريمة ، والمثل العليا ، وزاخرة بآداب السلوك ، والتوجيه الصالح الذي يصون الإنسان من الانحراف والسلوك في المنعطفات ، وفيما يلي ذلك :

وصاياه لولده الصادق عليه السلام

وزوّد الإمام أبو جعفر عليه السلام ولده الصادق عليه السلام بجمهرة من الوصايا القيّمة ، ومن بينها :

١ ـ قال عليه السلام : « **يا بُنَيَّ ، إنَّ اللهَ خَبَّأَ ثلاثَةَ أَشْياءٍ في ثَلاثَةِ أَشْياءٍ : خَبَّأَ رِضاهُ في طاعَتِهِ ، فَلا تَحْقِرَنَّ مِنَ الطّاعَةِ شَيْئاً ، فَلَعَلَّ رِضاءُهُ فيهِ .**

وَخَبَّأَ سَخَطَهُ في مَعْصِيَتِهِ ، فَلا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْصِيَةِ شَيْئاً ، فَلَعَلَّ سَخَطَهُ فيهِ .

وَخَبَّأَ أَوْلياءَهُ في خَلْقِهِ ، فَلا تَحْقِرَنَّ أَحَداً فَلَعَلَّهُ ذلِكَ الْوَلي »[١] .

وحفلت هذه الوصيّة بمعالي الأخلاق ، ففيها الترغيب في طاعة الله والحثّ عليها ، وفيها التحذير من المعصية والتشديد في أمرها ، وفيها الحثّ على تكريم الناس وعدم الاستهانة بأي أحد منهم .

٢ ـ حكى الإمام الصادق عليه السلام إحدى وصايا أبيه إلى سفيان الثوري ، فقد قال له :

---

(١) الفصول المهمّة : ٢٩ . وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل : ٢٠٨ .

يا سُفْيانُ ، أَمَرَني أبي بِثَلاثٍ ، وَنَهاني عَنْ ثَلاثٍ ، فَكانَ فيما قالَ لي : يا بُنَيَّ ، مَنْ يَصْحَبْ صاحِبَ السّوءِ لَا يَسْلَمْ ، وَمَنْ يَدْخُلْ مَداخِلَ السّوءِ يُتَّهَمُ ، وَمَنْ لَا يَمْلِكْ لِسانَهُ يَنْدَمْ ، ثُمَّ أَنْشَدَني :

عَوِّدْ لِسانَكَ قَوْلَ الْخَيْرِ تَحْظَ بِهِ ... إِنَّ اللِّسانَ لِما عَوَّدتَ يَعْتادُ
مُوَكَّلٌ بِتَقاضي ما سَنَنْتَ لَهُ ... فِي الخَيْرِ والشَّرِّ فانْظُرْ كيفَ تَعْتادُ[1]

وهذه الوصايا من روائع الحكم ، ومن خيرة وصايا المصلحين لأبنائهم ، فقد حفلت بجميع مقوّمات الآداب والفضائل .

وصيته عليه السلام لبعض أبنائه

وأوصى بعض أبنائه بهذه الوصيّة ، فقال له :

يا بُنَيَّ ، إِذا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ نِعْمَةً فَقُلْ : الْحَمْدُ للهِ ، وَإِذا حَزَبَكَ[2] أَمْرٌ فَقُلْ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ ، وَإِذا أَبْطَأَ عَنْكَ رِزْقُكَ ، فَقُلْ : أَسْتَغْفِرُ اللهَ »[3].

وصيّته عليه السلام لعمر بن عبدالعزيز

وحينما ولي الخلافة عمر بن عبدالعزيز طلب من الإمام أبي جعفر عليه السلام أن يزوّده بوصيّة ينتفع بها ، ويسوس بها دولته .

---

(١) الخصال : ١٦٩ ، الحديث ٢٢٢.

(٢) **حزبه الأمر** : نابه واشتدّ عليه.

(٣) البيان والتبيين : ٣ : ٢٨٠. الأخبار الموفّقيات : ٣٩٩.

فقال عليه السلام له : **أُوْصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ ، وَأَنْ تَتَّخِذَ صَغِيرَ الْمُسْلِمِينَ وَلَداً ، وَأَوْسَطَهُمْ أَخاً ، وَ كَبِيرَهُمْ أَباً ، فَارْحَمْ وَلَدَكَ ، وَصِلْ أَخاكَ ، وَبِرَّ أَباكَ ، وَإِذا صَنَعْتَ مَعْروفاً فَرَبِّهِ**[١] »[٢].

وبهر عمر بهذه الحكمة الجامعة وراح يبدي إعجابه قائلاً: « جمعت والله ما إن أخذنا به ، وأعاننا الله عليه استقام لنا الخير إن شاء الله »[٣].

وأروع كلمة جامعة لشؤون السياسة العادلة هذه الكلمة القيّمة ، فإنّ رئيس الدولة إذا ساس رعيّته بسياسة العدل والانصاف ، واعتبر أبناء الأمّة من أفراد أسرته ، وعاملهم كما يعامل الرجل أهله ، فيشيع فيهم الخير ، ويبسط فيهم العدل ، فإنّ الحكومة والشعب يسعدان ، ويستقيم لهما الخير .

وصيّته عليه السلام لجابر الجعفي

وزوّد الإمام أبو جعفر عليه السلام تلميذه العالم جابر بن يزيد الجعفي بهذه الوصيّة الخالدة الحافلة بجميع القيم الكريمة والمثل العليا التي يسمو بها الإنسان فيما لو طبّقها على واقع حياته ، وهذا بعض ما جاء فيها :

أُوْصِيكَ بِخَمْسٍ : إِنْ ظُلِمْتَ فَلا تَظْلِمْ ، وَإِنْ خانوكَ فَلا تَخُنْ ، وَإِنْ كُذِّبْتَ فَلا تَغْضَبْ ، وَإِنْ مُدِحْتَ فَلا تَفْرَحْ ، وَإِنْ ذُمِمْتَ فَلا تَجْزَعْ .

وَفَكِّرْ فيما قِيلَ فيكَ ، فَإِنْ عَرَفْتَ مِنْ نَفْسِكَ ما قيلَ فيكَ فَسُقوطُكَ مِنْ عَيْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ غَضَبِكَ مِنَ الْحَقِّ أَعْظَمُ عَلَيْكَ مُصيبَةً مِمّا خِفْتَ

---

(١) **ربّه** : أي أدمه . يقال : **ربّ بالمكان** ، أي أقام به .

(٢) أمالي أبي عليّ القالي : ٢ : ٣٠٨ . جمهرة رسائل العرب : ٢ : ١٤٧ .

(٣) تاريخ دمشق : ٥٤ : ٢٧٠ .

مِنْ سُقوطِكَ مِنْ أَعْيُنِ النّاسِ.

وَإنْ كُنْتَ عَلىٰ خِلافِ ما قيلَ فيكَ، فَثوابٌ اكْتَسَبْتَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْعَبَ بَدَنُكَ.

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَنْ تَكونَ لَنا وَلِيّاً حَتّىٰ لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أَهْلُ مِصْرِكَ، وَقالوا: إِنَّكَ رَجُلُ سُوءٍ لَمْ يَحْزُنْكَ ذٰلِكَ، وَلَوْ قالوا: إِنَّكَ رَجُلٌ صالِحٌ لَمْ يَسُرَّكَ ذٰلِكَ، وَلٰكِنِ اعْرِضْ نَفْسَكَ عَلىٰ كِتابِ اللهِ، فَإِنْ كُنْتَ سالِكاً سَبيلَهُ، زاهِداً في تَزْهيدِهِ، راغِباً في تَرْغيبِهِ، خائِفاً مِنْ تَخْويفِهِ، فَاثْبُتْ وَأَبْشِرْ، فَإِنَّهُ لا يَضُرُّكَ ما قيلَ فيكَ، وَإِنْ كُنْتَ مُبائِناً لِلْقُرْآنِ، فَماذا الَّذي يَغُرُّكَ مِنْ نَفْسِكَ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَعْنِيٌّ بِمُجاهَدَةِ نَفْسِهِ لِيَغْلِبَها عَلىٰ هَواها، فَمَرَّةً يُقيمُ أَوْدَها وَيُخالِفُ هَواها في مَحَبَّةِ اللهِ، وَمَرَّةً تَصْرَعُهُ نَفْسُهُ فَيَتَّبِعُ هَواها فَيُنْعِشُهُ اللهُ، فَيَنْتَعِشُ، وَيُقيلُ اللهُ عَثْرَتَهُ فَيَتَذَكَّرُ، وَيَفْزَعُ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْمَخافَةِ فَيَزْدادُ بَصيرَةً وَمَعْرِفَةً لِما زيدَ فيهِ مِنَ الْخَوْفِ وَذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ يَقولُ: ﴿إِنَّ الَّذينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[1].

يا جابِرُ، اسْتَكْثِرْ لِنَفْسِكَ مِنَ اللهِ قَليلَ الرِّزْقِ تَخَلُّصاً إِلَى الشُّكْرِ، وَاسْتَقْلِلْ مِنْ نَفْسِكَ كَثيرَ الطّاعَةِ لِلّٰهِ إِزْراءاً عَلَى النَّفْسِ[2]، وَتَعَرُّضاً

---

(١) الأعراف ٧: ٢٠١.

(٢) ازدراءاً على النفس: أي احتقاراً واستخفافاً بها.

لِلْعَفْوِ، وَادْفَعْ عَنْ نَفْسِكَ حاضِرَ الشَّرِّ بِحاضِرِ الْعِلْمِ، وَاسْتَعْمِلْ حاضِرَ الْعِلْمِ بِخالِصِ الْعَمَلِ، وَتَحَرَّزْ في خالِصِ الْعَمَلِ مِنْ عَظيمِ الْغَفْلَةِ بِشِدَّةِ التَّيَقُّظِ، وَاسْتَجْلِبْ شِدَّةَ التَّيَقُّظِ بِصِدْقِ الْخَوْفِ، وَاحْذَرْ خَفِيَّ التَّزَيُّنِ بِحاضِرِ الْحَياةِ، وَتَوَقَّ مُجازَفَةَ الْهَوىٰ بِدلالَةِ الْعَقْلِ، وَقِفْ عِنْدَ غَلَبَةِ الْهَوىٰ بِاسْتِرْشادِ الْعِلْمِ، وَاسْتَبْقِ خالِصَ الْأَعْمالِ لِيَوْمِ الْجَزاءِ، وَانْزِلْ ساحَةَ الْقَناعَةِ بِاتِّقاءِ الْحِرْصِ، وَادْفَعْ عَظيمَ الْحِرْصِ بِإيثارِ الْقَناعَةِ، وَاسْتَجْلِبْ حَلاوَةَ الزَّهادَةِ بِقِصَرِ الْأَمَلِ، وَاقْطَعْ أَسْبابَ الطَّمَعِ بِبُرْدِ الْيَأْسِ، وَسُدَّ سَبيلَ الْعُجْبِ بِمَعْرِفَةِ النَّفْسِ، وَتَخَلَّصْ إِلىٰ راحَةِ النَّفْسِ بِصِحَّةِ التَّفْويضِ.

وَاطْلُبْ راحَةَ الْبَدَنِ بِإِجْمامِ[١] الْقَلْبِ، وَتَخَلَّصْ إِلىٰ إِجْمامِ الْقَلْبِ بِقِلَّةِ الْخَطأَ، وَتَعَرَّضْ لِرِقَّةِ الْقَلْبِ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ في الْخَلَواتِ، وَاسْتَجْلِبْ نورَ الْقَلْبِ بِدَوامِ الْحُزْنِ، وَتَحَرَّزْ مِنْ إِبْليسَ بِالْخَوْفِ الصّادِقِ.

وَإِيّاكَ وَالرَّجاءَ الْكاذِبَ فَإِنَّهُ يوقِعُكَ في الْخَوْفِ الصّادِقِ، وَتَزَيَّنْ لِلّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالصِّدْقِ في الْأَعْمالِ، وَتَحَبَّبْ إِلَيْهِ بِتَعْجيلِ الْإِنْتِقالِ.

وَإِيّاكَ وَالتَّسْويفَ فَإِنَّهُ بَحْرٌ يَغْرَقُ فيهِ الْهَلْكىٰ.

وَإِيّاكَ وَالْغَفْلَةَ فَفيها تَكونُ قَساوَةُ الْقَلْبِ.

وَإِيّاكَ وَالتَّوانِيَ فيما لا عُذْرَ لَكَ فيهِ، فَإِلَيْهِ يَلْجَأُ النّادِمونَ، وَاسْتَرْجِعْ

---

(١) الجمام ـ بالفتح ـ: الراحة.

سالِفَ الذُّنوبِ بِشِدَّةِ النَّدَمِ، وَكَثْرَةِ الْإِسْتِغْفارِ، وَتَعَرَّضْ لِلرَّحْمَةِ وَعَفْوِ اللهِ بِحُسْنِ الْمُراجَعَةِ، وَاسْتَعِنْ عَلىٰ حُسْنِ الْمُراجَعَةِ بِخالِصِ الدُّعاءِ، وَالْمُناجاةِ في الظُّلَمِ، وَتَخَلَّصْ إِلىٰ عَظيمِ الشُّكْرِ بِاسْتِكْثارِ قَليلِ الرِّزْقِ، وَاسْتِقْلالِ كَثيرِ الطّاعَةِ، وَاسْتَجْلِبْ زِيادَةَ النِّعَمِ بِعَظيمِ الشُّكْرِ، وَالتَّوَسُّلِ إِلىٰ عَظيمِ الشُّكْرِ بِخَوْفِ زَوالِ النِّعَمِ، وَاطْلُبْ بَقاءَ الْعِزِّ بِإِماتَةِ الطَّمَعِ، وَادْفَعْ ذُلَّ الطَّمَعِ بِعِزِّ الْيَأْسِ، وَاسْتَجْلِبْ عِزَّ الْيَأْسِ بِبُعْدِ الْهِمَّةِ، وَتَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيا بِقِصَرِ الْأَمَلِ، وَبادِرْ بِانْتِهازِ الْبُغْيَةِ عِنْدَ إِمْكانِ الْفُرْصَةِ، وَلا إِمْكانَ كَالْأَيّامِ الْخالِيَةِ مَعَ صِحَّةِ الْأَبْدانِ.

وَإِيّاكَ وَالثِّقَةَ بِغَيْرِ الْمَأْمونِ، فَإِنَّ لِلشَّرِّ ضَراوَةً كَضَراوَةِ الْغِذاءِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا عِلْمَ كَطَلَبِ السَّلامَةِ، وَلا سَلامَةَ كَسَلامَةِ الْقَلْبِ، وَلا عَقْلَ كَمُخالَفَةِ الْهَوىٰ، وَلا خَوْفَ كَخَوْفٍ حاجِزٍ، وَلا رَجاءَ كَرَجاءٍ مُعينٍ، وَلا فَقْرَ كَفَقْرِ الْقَلْبِ، وَلا غِنىً كَغِنَى النَّفْسِ، وَلا قُوَّةَ كَغَلَبَةِ الْهَوىٰ، وَلا نورَ كَنورِ الْيَقينِ، وَلا يَقينَ كَاسْتِصْغارِكَ لِلدُّنْيا، وَلا مَعْرِفَةَ كَمَعْرِفَتِكَ بِنَفْسِكَ، وَلا نِعْمَةَ كَالْعافِيَةِ، وَلا عافِيَةَ كَمُساعَدَةِ التَّوْفيقِ، وَلا شَرَفَ كَبُعْدِ الْهِمَّةِ، وَلا زُهْدَ كَقِصَرِ الْأَمَلِ، وَلا حِرْصَ كَالْمُنافَسَةِ في الدَّرَجاتِ، وَلا عَدْلَ كَالْإِنْصافِ، وَلا تَعَدِّيَ كَالْجَوْرِ، وَلا جَوْرَ كَمُوافَقَةِ الْهَوىٰ، وَلا طاعَةَ كَأَداءِ الْفَرائِضِ، وَلا خَوْفَ كَالْحُزْنِ، وَلا مُصيبَةَ كَعَدَمِ الْعَقْلِ، وَلا عَدَمَ عَقْلٍ كَقِلَّةِ الْيَقينِ، وَلا قِلَّةَ يَقينٍ كَفَقْدِ الْخَوْفِ، وَلا فَقْدَ خَوْفٍ كَقِلَّةِ الْحُزْنِ عَلىٰ فَقْدِ الْخَوْفِ، وَلا مُصيبَةَ كَاسْتِهانَتِكَ بِالذَّنْبِ،

وَرِضاكَ بِالْحالَةِ الَّتي أَنْتَ عَلَيْها ، وَلَا فَضيلَةَ كَالْجِهادِ ، وَلَا جِهادَ كَمُجاهَدَةِ الْهَوىٰ ، وَلَا قُوَّةَ كَرَدِّ الْغَضَبِ ، وَلَا مَعْصِيَةَ كَحُبِّ الْبَقاءِ ، وَلَا ذُلَّ كَذُلِّ الطَّمَعِ .

وَإِيّاكَ وَالتَّفْريطَ عِنْدَ إِمْكانِ الْفُرْصَةِ ، فَإِنَّهُ مَيْدانٌ يَجُرُّ لأَهْلِهِ الْخُسْرانَ »(١) .

ودلّت هذه الوصيّة الرائعة الحافلة بجواهر الحكم على إمامة الإمام أبي جعفر عليه السلام ، وأضاءت جانباً كبيراً من مواهبه وعبقريّاته ، ولو لم تكن له إلّا هذه الوصيّة لكفت في الاستدلال على عظمته وما يملكه من طاقات علميّة لا تحدّ ، لقد نظر الإمام العظيم إلى أعماق النفوس ، وسبر أغوارها ، وحلّل أبعادها ، وعرف ما ابتلي به الإنسان من الأمراض والآفات .

لقد ابتلي الإنسان بالجهل والغرور والكبرياء والجشع والطمع وطول الأمل ، وغير ذلك ممّا يدفعه إلى الاغراق في المعاصي ، واقتراف الآثام ، والانحراف عن طريق الحقّ ، وعدم الاستقامة في سلوكه .

درس الإمام عليه السلام هذه الأمراض فوضع لها العلاج الحاسم ، ووصف لها الدواء السليم الذي يقضي على جراثيمها ، وإذا أخذ الإنسان بهذه الوصفة فإنّه يعود إنساناً مثالياً مهذّباً ، قد صان نفسه ، واتّصل بخالقه الذي إليه مرجعه ومآله ، ولولا خوف الاطالة لشرحنا بنودها شرحاً مفصّلاً ، ودلّلنا على ما فيها من الحكم والأسرار .

وصيّته عليه السلام لرجل

وفد عليه عليه السلام رجل من المسلمين وطلب منه أن يمنحه بوصيّة يسير على

---

(١) تحف العقول : ٢٨٤ ـ ٢٨٦ .

ضوئها ، فقال عليه السلام له : **هَيِّئْ جهازَكَ ، وَقَدِّمْ زادَكَ ، وَكُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ »**(١).

لقد دلّه على ما يقرّبه إلى الله زلفى ، وما يضمن له السلامة في دار البقاء والخلود ، إنّ الإنسان إذا هيّأ جهازه وقدّم زاده كان على سلامة من دينه ، وضمان آخرته .

وصيّته عليه السلام لبعض أصحابه

وأراد بعض أصحاب الإمام عليه السلام السفر ، فزوّده عليه السلام بهذه الوصيّة القيّمة .

قال له عليه السلام : **لَا تَسيرَنَّ سَيْراً وَأَنْتَ حافي ، وَلَا تَنْزِلَنَّ عَنْ دابَّتِكَ لَيْلاً لِقَضاءِ حاجَةٍ إِلّا وَرِجْلُكَ في خُفٍّ ، وَلَا تَبولَنَّ في نَفَقٍ ، وَلَا تَذوقَنَّ بَقْلَةً وَلَا تَشُمَّها حَتّىٰ تَعْلَمَ ما هِيَ ، وَلَا تَشْرَبْ مِنْ سِقاءٍ حَتّىٰ تَعْرِفَ ما فيهِ ، وَاحْذَرْ مَنْ تَعْرِفْ ، وَلَا تَصْحَبْ مِنْ لَا تَعْرِفْ**(٢).

لقد أوصاه الإمام عليه السلام بالمناهج الصحيّة ، والدروس الأخلاقيّة التي تضمن له الصحّة والسلامة .

أمّا ما يتعلّق بالصحّة والوقاية من الأمراض ، فهي :

١ ـ أمره أن لا يسير حافياً ، فإنّ المشي حافياً كثيراً ما يجلب للإنسان بعض الأمراض التي انتشرت جراثيمها في الأرض ، وهي ممّا تنفذ بسرعة إلى مسام القدمين مثل البلهارزيا .

٢ ـ أوصاه أن لا ينزل من دابّته في الليل حافياً لقضاء حاجته ، لأنّه لا يؤمن أن تلدغه بعض هوام الأرض الكامنة في التراب وهو لا يدري .

٣ ـ حذّره من أن يبول في النفق لأنّه غالباً ما تكمن فيه بعض الحيوانات القاتلة

---

(١) تاريخ دمشق : ٥٤ : ٢٩٢.

(٢) التذكرة الحمدونيّة : ٢٧.

فتنساب إليه وتسبّب هلاكه .

٤ ـ نهاه عن تناول أحد البقول المنتشرة في الصحراء ، ما لم يعرفها ، فإنّها قد تكون سامّة وهو لا يعلم فتسبّب تسمّمه وتودي بحياته أو مرضه .

٥ ـ نهاه عن الشرب من السقاء حتّى يعلم ما فيه لأنّه قد يكون شراباً فاسداً ومضرّاً بصحّته ، فيسبّب هلاكه أو سقمه .

هذه بعض المناهج الصحيّة التي أمره بها .

وأمّا الدروس الأخلاقيّة ، فقد أوصاه بأمرين :

١ ـ أن يحذر من يعرف ، فلا يبيح له أسراره ، كما أنّ عليه أن يحسن صحبته خوفاً منه ، فإنّ السفر يكشف عن حقيقة الشخص ، ويظهر كوامن سرّه ، وكم سافر جماعة كانت بينهم أعمق المودّة فعادوا وهم أعداء يلعن بعضهم بعضاً ، فعلى الإنسان المستقيم أن يكون في سفره على حذر ممّن يعرفه وممن لا يعرفه .

٢ ـ نهاه عن السفر مع من لا يعرف ، فإنّه قد يسبّب له كثيراً من المشاكل التي قد تؤدّي إلى هلاكه ، وقد وقع ذلك بكثرة للمسافرين مع من لا يعرفونهم .

هذه بعض وصاياه عليه السلام القيّمة .

مواعظه عليه السلام

ووجّه الإمام أبو جعفر عليه السلام إلى شيعته المواعظ التي وعظ بها الأوصياء أُممهم، فحذّرهم من غرور الدنيا وفتنها، وبصّرهم صولة الدهر، وفجائع الأيّام، ودعاهم إلى التفكّر والتبصّر فيما يصيرون إليه من مفارقة الدنيا إلى القبور المظلمة، واللحود الموحشة التي لا ينفع فيها إلّا ما ادّخره الإنسان من العمل الصالح، وهذه بعض مواعظه عليه السلام:

١ - قال عليه السلام: **أَيُّها النّاسُ، إِنَّكُمْ في هٰذِهِ الدّارِ أَغْراضٌ تَنْتَضِلُ فيكُمُ الْمَنايا، لَنْ يَسْتَقْبِلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَوْماً جَديداً مِنْ عُمُرِهِ إِلّا بِانْقِضاءِ آخَرَ مِنْ أَجْلِهِ.**

فَأَيَّةُ أَكْلَةٍ لَيْسَ فيها غُصَصٌ؟ أَمْ أَيُّ شُرْبَةٍ لَيْسَ فيها شَرَقٌ؟

اسْتَصْلِحوا ما تُقْدِمونَ عَلَيْهِ بِما تَظْعَنونَ عَنْهُ، فَإِنَّ الْيَوْمَ غَنيمَةٌ، وَغداً لا تَدْري لِمَنْ هُوَ.

أَهْلُ الدُّنْيا في سَفَرٍ يَحُلّونَ عُقَدَ رِحالِهِمْ في غَيْرِها، قَدْ خَلَتْ مِنّا أُصولٌ نَحْنُ فُروعُها، فَما بَقاءُ الْفَرْعِ بَعْدَ أَصْلِهِ.

أَيْنَ الَّذينَ كانوا أَطْوَلَ أَعْماراً مِنْكُمْ، وَأَبْعَدَ آمالاً؟!

أَتاكَ يابْنَ آدَمَ ما لا تَرُدُّهُ، وَذَهَبَ عَنْكَ ما لا يَعودُ، فَلا تَعُدَّنَّ عَيْشاً مُنْصَرِفاً عَيْشاً، ما لَكَ مِنْهُ إِلّا لَذَّةٌ تَزْدَلِفُ بِكَ إِلىٰ حِمامِكَ، وَتُقَرِّبُكَ مِنْ أَجَلِكَ؟ فَكَأَنَّكَ قَدْ صِرْتَ الْحَبيبَ الْمَفْقودَ، وَالسَّوادَ الْمُخْتَرَمَ.

فَعَلَيْكَ بِذاتِ نَفْسِكَ ، وَدَعْ ما سِواها وَاسْتَعِنْ بِاللهِ يُعِنْكَ »(١).

٢ ـ وحضر عنده جماعة من الشيعة فوعظهم ، وحذّرهم عقاب الله ، فلم يحفلوا بكلامه فغاظه ذلك ، وأطرق برأسه ملياً إلى الأرض ، ثمّ رفع رأسه ، فجعل يعاتبهم ، ويعظهم مرّة أُخرى قائلاً :

إنَّ كَلامي لَوْ وَقَعَ طَرَفٌ مِنْهُ في قَلْبِ أَحَدِكُمْ لَصارَ مَيِّتاً ، أَلا يا أَشْباحاً بِلا أَرْواحٍ ، وَذُباباً بِلا مِصْباحٍ ، كَأَنَّكُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ، وَأَصْنامٌ مَرِيدَةٌ ، أَلا تَأْخُذونَ الذَّهَبَ مِنَ الْحَجَرِ ، أَلا تَقْتَبِسونَ الضِّياءَ مِنَ النُّورِ الْأَزْهَرِ ، أَلا تَأْخُذونَ اللُّؤْلُؤَ مِنَ الْبَحْرِ . خُذوا الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ مِمَّنْ قالَها وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ بِها ، فَإِنَّ اللهَ يَقولُ : ﴿ الَّذينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولـئِكَ الَّذينَ هَدَاهُمُ اللهُ ﴾(٢).

وَيْحَكَ يا مَغْرورُ! أَلا تَحْمَدُ مَنْ تُعْطيهِ فانياً ، وَيُعْطيكَ باقِياً ، دِرْهَمٌ يَفْنىٰ بِعَشْرَةٍ تَبْقىٰ إِلىٰ سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ مُضاعَفَةٍ مِنْ جَوادٍ كَريمٍ ، أَتاكَ اللهُ عِنْدَ مُكافَأَةٍ هُوَ مُطْعِمُكَ وَساقيكَ ، وَكاسيكَ ، وَمُعافيكَ ، وَكافيكَ ، وَساتِرُكَ مِمَّنْ يُراعيكَ ، مَنْ حَفِظَكَ في لَيْلِكَ وَنَهارِكَ ، وَأَجابَكَ عِنْدَ اضْطِرارِكَ ، وَعَزَمَ لَكَ عَلَى الرُّشْدِ في اخْتِبارِكَ ، كَأَنَّكَ قَدْ نَسيتَ لَيالِيَ أَوْجاعِكَ وَخَوْفِكَ ، دَعَوْتَهُ فَاسْتَجابَ لَكَ ، فَاسْتَوْجَبَ بِجَميلِ صَنيعِهِ الشُّكْرَ ، فَنَسيتَهُ فيمَنْ ذَكَرَ ، وَخالَفْتَهُ فيما أَمَرَ .

---

(١) تحف العقول : ٢٩٩ . الكامل / المبرد : ١ : ١٢٧ .

(٢) الزمر ٣٩ : ١٨ .

وَيْلَكَ! إِنَّما أَنْتَ لِصٌّ مِنْ لُصوصِ الذُّنوبِ، كُلَّما عَرَضَتْ لَكَ شَهْوَةٌ، أَوِ ارْتِكابُ ذَنْبٍ سارَعْتَ إِلَيْهِ، وَأَقْدَمْتَ بِجَهْلِكَ عَلَيْهِ، فَارْتَكَبْتَهُ كَأَنَّكَ لَسْتَ بِعَيْنِ اللهِ أَوْ كَأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَكَ بِالْمِرْصادِ!

يا طالِبَ الْجَنَّةِ، ما أَطْوَلَ نَوْمَكَ، وَأَكَلَّ مَطِيَّتَكَ، وَأَوْهىٰ هِمَّتَكَ، فَللهِ أَنْتَ مِنْ طالِبٍ وَمَطْلوبٍ، وَيا هارِباً مِنَ النّارِ ما أَحَثَّ مَطِيَّتَكَ إِلَيْها، وَما أَكْسَبَكَ لِما يُوقِعُكَ فيها!

انْظُروا إِلىٰ هٰذِهِ الْقُبورِ سُطوراً بِأَفْناءِ الدُّورِ، تَدانَوا في خِطَطِهِمْ، وَقَرُبوا في مَزارِهِمْ، وَبَعُدوا في لِقائِهِمْ، عَمَّروا فَخَرَّبوا، وَآنَسوا فَأَوْحَشوا، وَسَكَنوا فَأزْعِجوا، وَقَطَنوا فَرَحَلوا، فَمَنْ سَمِعَ بِدانٍ بَعيدٍ وَشاحِطٍ[١] قَريبٍ، وَعامِرٍ مَخْرِبٍ، وَآنِسٍ مُوحِشٍ، وَساكِنٍ مُزْعَجٍ، وَقاطِنٍ مُرْحَلٍ غَيْرِ أَهْلِ الْقُبورِ!

يابْنَ الْأَيّامِ الثَّلاثِ: يَوْمِكَ الَّذي وُلِدْتَ فيهِ، وَيَوْمِكَ الَّذي تَنْزِلُ فيهِ قَبْرَكَ، وَيَوْمِكَ الَّذي تَخْرُجُ فيهِ إِلىٰ رَبِّكَ، فَيا لَهُ مِنْ يَوْمٍ عَظيمٍ يا ذَوِي الْهَيْئَةِ الْمُعْجِبَةِ، وَالْهِيمِ الْمُعْطَنَةِ[٢]، ما لي أَرىٰ أَجْسامَكُمْ عامِرَةً، وَقُلوبَكُمْ دامِرَةً، أَما وَاللهِ لَوْ عايَنْتُمْ ما أَنْتُمْ مُلاقوهُ، وَما أَنْتُمْ إِلَيْهِ صائِرونَ لَقُلْتُمْ: ﴿يا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

---

(١) **الشاحط**: البعيد.

(٢) **الهيم**: الإبل العطاش. **العاطنة**: الإبل التي رويت ثمّ بركت.

(٣) الأنعام ٦: ٢٧.

قالَ جَلَّ مِنْ قائِلٍ: ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[١] »[٢].

لقد أنكر الإمام أبو جعفر عليه السلام على هؤلاء القوم انصرافهم عن وعظه، وإرشاداته الهادفة إلى استقامتهم وحسن سلوكهم، وظفرهم بخير الدنيا والآخرة، وقد وجّه إليهم هذه الموعظة البالغة فدعاهم إلى الله، والتمسّك بطاعته، فإنّه بيده الخير والحرمان.

لقد وعظهم بهذه المواعظ التي تخشع لها النفوس، وتتوجّل منها القلوب ليرجعهم إلى حضيرة الإيمان وواقع الإسلام.

٣ ـ ووعظ الإمام بعض أصحابه، فأحاطه علماً بواقع هذه الحياة.

فقال عليه السلام له: **أَنْزِلِ الدُّنْيا كَمَنْزِلٍ نَزَلْتَهُ وَارْتَحَلْتَ عَنْهُ، أَوْ كَمالٍ أَصَبْتَهُ في مَنامِكَ فَاسْتَيْقَظْتَ، وَلَيْسَ مَعَكَ مِنْهُ شَيْءٌ**[٣].

إنّ الإنسان لو نظر إلى الدنيا بهذه النظرة الصائبة، وتعرف على واقعها وحالها لما أُصيب بداء الغرور والأنانيّة، والجشع والطمع، وغير ذلك من الآفات النفسيّة التي تضلّه عن طريق الحقّ.

٤ ـ ومن مواعظه عليه السلام أنه قال: « **ما اغْرَوْرَقَتْ عَيْنٌ بِمائِها مِنْ خَشْيَةِ اللهِ إلّا وَحَرَّمَ اللهُ وَجْهَ صاحِبِها عَلَى النّارِ، فَإِنْ سالَتْ عَلَى الْخَدَّيْنِ دُموعُهُ لَمْ يَرْهَقْ وَجْهَهُ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ، وَما مِنْ شَيْءٍ إلّا لَهُ جَزاءٌ إلّا الدَّمْعَةَ، فَإِنَّ اللهَ**

---

(١) الأنعام ٦: ٢٨.

(٢) تحف العقول: ٢٩١ و ٢٩٢.

(٣) مرآة الجنان: ١: ٢٤٨. شذرات الذهب: ١: ١٤٩.

يُكَفِّرُ بِها بُحورَ الْخَطايا »(١).

لقد دعا عليه السلام إلى البكاء من خشية الله ، فإنّه من علامة الإيمان ، وهو يكشف عن اتّصال العبد بربّه وخالقه .

٥ ـ قال عليه السلام : « **أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُكْثِرْ إِنسانٌ ذِكْرَ الْمَوْتِ إِلَّا زَهَدَ في الدُّنْيا** »(٢).

إنّ الإنسان متى ذكر الموت وجعله أمام عينيه فإنّه يزهد في هذه الدنيا ، وينصرف عن مباهجها وملاذّها .

٦ ـ وسئل الإمام أبو جعفر عليه السلام عن أشدّ الناس زهداً ؟

فقال عليه السلام : **مَنْ لَا يُبالي الدُّنْيا في يَدِ مَنْ كانَتْ .**

فقيل له : من أخسر الناس صفقة ؟

فقال عليه السلام : **مَنْ باعَ الْباقِيَ بِالْفاني** .

قيل له : من أعظم الناس قدراً ؟

فقال عليه السلام : **مَنْ لَا يَرَى الدُّنْيا لِنَفْسِهِ قَدْراً**(٣).

٧ ـ ووعظ عليه السلام أصحابه فقال لهم : **إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقولُ : يابْنَ آدَمَ ، تَطَوَّلْتُ عَلَيْكَ بِثَلاثٍ : سَتَرْتُ عَلَيْكَ ما لَوْ يَعْلَمْ بِهِ أَهْلُكَ ما داروكَ ، وَأَوْسَعْتُ عَلَيْكَ فَاسْتَقْرَضْتَ مِنْكَ فَلَمْ تُقَدِّمْ خَيْراً ، وَجَعَلْتُ لَكَ نَظِرَةً في ثُلُثِكَ**

---

(١) أخبار الدول : ١١.

(٢) جامع السعادات : ٢ : ٦١. أُصول الكافي : ٢ : ١٣١ ، الحديث ١٣.

(٣) البيان والتبيين : ٣ : ١٦١.

فَلَمْ تُقَدِّمْ خَيْراً »(١) .

هذه بعض النماذج من مواعظه القيّمة وقد ساقها عليه السلام إلى معالجة النفوس وتهذيبها ، وكانت هذه الظاهرة التربويّة من أبرز القيم في تعاليم أئمّة أهل البيت عليهم السلام .

فضل العقل

وتحدّث الإمام أبو جعفر عليه السلام عن فضل العقل ، وإنّه من أعظم ما خلق الله تعالى .

قال عليه السلام : **لَمّا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ .**

ثُمَّ قالَ لَهُ : أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ، ثُمَّ قالَ : وَعِزَّتي وَجَلالي ما خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ ، وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلّا فيمَنْ أُحِبُّ أَما إِنّي إِيّاكَ آمُرُ ، وَإِيّاكَ أَنْهىٰ ، وَإِيّاكَ أُعاقِبُ ، وَإِيّاكَ أُثيبُ »(٢) .

إنّ بالعقل ترتفع قيمة الإنسان ، ولولاه لما كان هناك أي فرق بينه وبين الحيوان السائم ، وهو من الشرائط الأوليّة في صحّة التكليف ـ كما يقول الفقهاء ـ .

الفطنة

وأشاد الإمام أبو جعفر عليه السلام بالفطنة ، وجعلها المصدر الوحيد لسعادة الإنسان ، وصلاح معيشته .

قال عليه السلام : « **صَلاحُ جميعِ التَّعايُشِ وَالتَّعاشُرِ مِلْءُ مِكْيالٍ ثُلْثاهُ فِطْنَةٌ ، وَثُلْثُهُ تَغافُلٌ ، فَلَمْ يُجْعَلْ لِغَيْرِ الْفِطْنَةِ نَصيباً مِنَ الْخَيْرِ ، وَلا حَظّاً في**

---

(١) الخصال : ١٣١ .

(٢) أصول الكافي : ١ : ١٠ ، الحديث ١ .

الصَّلاحِ، لأَنَّ الْإِنْسانَ لَا يَتَغافَلُ إِلّا عَنْ شَيْءٍ قَدْ فَطِنَهُ وَعَرَفَهُ »[١].

وما أروع هذه الكلمة، وقد علّق عليها بعض العلماء فقال: « إنّها جمعت صلاح شأن الدنيا بحذافيرها ».

إجالة الفكر

ودعا عليه السلام إلى إجالة الفكر وانطلاقه.

قال عليه السلام: « **بِإِجالَةِ الْفِكْرِ يُسْتَدَرُّ الرَّأْيُ الْمُعْشِبُ** »[٢].

وهذه الكلمة من روائع الحكم، فإنّ الرأي الأصيل والسديد إنّما يصل إليه الإنسان بعد إجالة فكره في الأُمور، وكذلك الحقائق العلميّة والمخترعات إنّما هي وليدة التفكّر والدراسة للأُمور، فإنّه من غير الممكن أن يتوصّل الإنسان لذلك من دون إجالة الفكر وإمعانه.

---

(١) الكامل / المبرد: ١: ٧٦. زهر الآداب: ١: ١١٦. البيان والتبيين: ٣: ٩٩.

(٢) جامع السعادات: ١: ١٦٥.

مكارم الأخلاق

واهتمّ الإمام أبو جعفر عليه السلام بنشر مكارم الأخلاق وإذاعتها بين الناس ، لأنّها من العناصر الذاتيّة في بناء المجتمع الإسلامي ، وقد حفلت مصادر الحديث وغيرها بالشيء الكثير من كلماته الحكيمة ، وفيما يلي ذلك :

الإحسان

أمّا الإحسان إلى الناس فإنّه من أوثق الأسباب إلى تماسك المجتمع وترابطه وشيوع المحبّة والألفة بين أبنائه ، وقد ندب إليه الإسلام ، وحثّ عليه .

قال الإمام أبو جعفر عليه السلام : « **ما تُذُرِّعَ إِلَيَّ بِذَرِيعَةٍ ، وَلَا تُوُسِّلَ بِوَسِيلَةٍ هِيَ أَقْرَبُ لَهُ إِلىٰ ما يُحِبُّ مِنْ يَدٍ سالِفَةٍ مِنِّي إِلَيْهِ أَتْبَعْتُها أُخْتُها لِتُحْسِنَ حِفْظَها وَرَبَّها ؛ لِأَنَّ مَنْعَ الْأَواخِرِ يَقْطَعُ لِسانَ شُكْرِ الْأَوائِلِ ، وَما سَمِحَتْ لي نَفْسي بِرَدِّ بِكْرِ الْحَوائِجِ** »[١] .

إنّ أحبّ الأشياء إلى الإمام عليه السلام مواصلة الإحسان وتكراره ليغرس به المودّة والحبّ في قلوب الناس .

فعل المعروف

وحثّ الإمام عليه السلام على فعل المعروف إلى الناس في كثير من أحاديثه ، ومن بين ما قاله :

---

(١) تحف العقول : ٢٩٦ و ٢٩٧ .

١ ـ قال عليه السلام «إنَّ اللهَ تَعالىٰ جَعَلَ لِلْمَعْروفِ أَهْلاً مِنْ خَلْقِهِ، حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْمَعْروفَ، وَحبَّبَ إِلَيْهِمْ فَعالَهُ، وَوَجَّهَ لِطُلّاب الْمَعْروفِ الطَّلَبَ إِلَيْهِمْ، وَيَسَّرَ إِلَيْهِمْ قَضاءَهُ، كَما يَسَّرَ الْغَيْثَ لِلْأَرْضِ الْمُجْدِبَةِ لِيُحْيِيها، وَيُحْيي أَهْلَها، وَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ جَعَلَ لِلْمَعْرُوفِ أَعْداءً مِنْ خَلْقِهِ بَغَّضَ إِلَيْهِمُ الْمَعْروفَ، وَبَغَّضَ إِلَيْهِمْ فِعالَهُ، وَحَظَرَ عَلىٰ طُلّابِ الْمَعْرُوفِ التَّوَجُّهَ إِلَيْهِمْ، وَحَظَرَ عَلَيْهِمْ قَضاءَهُ كَما يَحْظُرُ الْغَيْثَ عَنِ الْأَرْضِ الْمُجْدِبَةِ لِيُهْلِكَها وَيُهْلِكَ أَهْلَها، وَما يَعْفُو اللهُ عَنْهُ أَكْثَرَ»(١).

٢ ـ قال عليه السلام: «صَنائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقي مَصارِعَ السُّوءِ، وَكُلُّ مَعْروفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ في الدُّنْيا هُم أَهْلُ الْمَعْروفِ في الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ في الدُّنْيا أَهْلُ الْمُنْكَرِ في الْآخِرَةِ، وَأَوَّلُ أَهْلِ الْجَنَّة دُخولاً إِلى الْجَنَّةِ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ، وَإِنَّ أَوَّلَ أَهْلِ النّارِ دُخُولاً إِلى النّارِ أَهْلُ الْمُنْكَرِ»(٢).

مقابلة المعروف بالإحسان

وأوصى عليه السلام أصحابه بمقابلة المعروف بالمزيد من الإحسان.

قال عليه السلام: «مَنْ صَنَعَ مِثْلَ ما صُنِعَ إِلَيْهِ فَقَدْ كافاهُ، وَمَنْ أَضْعَفَ كانَ شَكوراً، وَمَنْ شَكَرَ كانَ كَريماً، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ ما صَنَعَ كانَ إِلىٰ نَفْسِهِ لَمْ يَسْتَبْطِئِ النّاسَ في شُكْرِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَزِدْهُمْ في مَوَدَّتِهِمْ، فَلَا تَلْتَمِس

---

(١) تحف العقول: ٢٩٥.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٢٥.

مِنْ غَيْرِكَ شُكْرَ ما أَتَيْتَهُ إِلىٰ نَفْسِك، وَوَقَيْتَ بِهِ عِرْضَك، وَاعْلَمْ أَنَّ طالِبَ الْحاجَةِ لَمْ يُكْرِمْ وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَتِك، فَأَكْرِمْ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ»[1].

وبعدما أوصى عليه السلام بمقابلة المعروف بالإحسان دعا إلى صنع المعروف بما هو معروف، وأن لا يبغي صاحبه جزاءاً، فإنّه قد صنع ذلك لنفسه، ووقى به شرفه وعِرضه.

---

(١) تحف العقول: ٣٠٠ و ٣٠١.

آداب السلوك

وحثّ الإمام عليه السلام على آداب السلوك الاجتماعي مع الناس ، وكان من بين ذلك :

طلاقة الوجه

وأمر عليه السلام بمقابلة الناس بطلاقة الوجه والبشرى بهم .

قال عليه السلام : « **الْبِشْرُ الْحَسَنُ ، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ مَكْسَبَةٌ لِلْمَحَبَّةِ ، وَقُرْبَةٌ مِنَ اللهِ تَعالىٰ ، وَعُبوسُ الْوَجْهِ ، وَسُوءُ الْبِشْرِ مَكْسَبَةٌ لِلْمَقْتِ ، وَبُعْدٌ مِنَ اللهِ** »[1] .

معاملة الناس بالحسنى

وحثّ عليه السلام على معاملة الناس بالحسنى ، واجتناب هجر الكلام معهم .

قال عليه السلام : « **قُولُوا لِلنّاسِ أَحْسَنَ ما تُحِبّونَ أَنْ يُقالَ لَكُمْ ، فَإِنَّ اللهَ يُبْغِضُ اللَّعّانَ السَّبّابَ الطَّعّانَ عَلَى الْمُؤْمِنينَ ، الْفاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ ، السّائِلَ الْمُلْحِفَ ، وَيُحِبُّ الْحَيِيَّ الْحَليمَ ، الْعَفيفَ الْمُتَعَفِّفَ** »[2] .

حقوق المسلم

وأدلى عليه السلام بالحقوق التي شرّعها الإسلام للمسلم تجاه أخيه المسلم .

قال عليه السلام : « **أَحِبَّ أَخاكَ الْمُسْلِمَ ، وَأَحِبَّ لَهُ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاكْرَهْ لَهُ**

---

(١) تحف العقول : ٢٩٦.

(٢) تحف العقول : ٣٠٠.

ما تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَإِذا احْتَجْتَ فَسَلْهُ، وَإِذا سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَلَا تَدَّخِرْ عَنْهُ خَيْراً فَإِنَّهُ لَا يَدَّخِرُهُ عَنْكَ، كُنْ لَهُ ظَهْراً فَإِنَّهُ لَكَ ظَهْرٌ، إِنْ غابَ فَاحْفَظْهُ في غَيْبَتِهِ، وَإِنْ شَهِدَ فَزُرْهُ، وَأَجِلَّهُ، وَأَكْرِمْهُ، فَإِنَّهُ مِنْكَ وَأَنْتَ مِنْهُ، وَإِنْ كانَ عَلَيْكَ عاتِباً فَلَا تُفارِقْهُ حَتّىٰ تَسُلَّ سَخيمَتَهُ[1] وَما في نَفْسِهِ، وَإِذا أَصابَهُ خَيْرٌ فَاحْمَدِ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ ابْتُلِيَ فَاعْضُدْهُ، وَتَمَحَّلْ لَهُ »[2].

ولو طبّق المسلمون هذه التعاليم الحيّة على واقع حياتهم لصاروا من أقوى شعوب العالم، وما تداعت الأمم على غزوهم واستعبادهم، ونهب ثرواتهم.

لقد انحرفوا عن هذه المبادئ الأصيلة فهانوا وذلّوا وتفرّقوا شيعاً وأحزاباً **﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾**[3].

قضاء حاجة المسلم

وندب الإمام الباقر عليه السلام المسلمين إلى قضاء حوائج إخوانهم، وحذّر من تركها.

قال عليه السلام: **« ما مِنْ عَبْدٍ يَمْتَنِعُ عَنْ مَعونَةِ أَخيهِ الْمُسْلِمِ، وَالسَّعْيِ لَهُ في حاجَتِهِ، قُضِيَتْ لَهُ أَوْ لَمْ تُقْضَ، إِلَّا ابْتُلِيَ بِالسَّعْيِ في حاجَةٍ فيما يَأْثَمُ عَلَيْهِ وَلَا يُؤْجَرُ وَما مِنْ عَبْدٍ يَبْخَلُ بِنَفَقَةٍ يُنْفِقُها فيما يُرضي اللهَ إِلَّا ابْتُلِيَ بِأَنْ يُنْفِقَ أَضْعافَها فيما أَسْخَطَ اللهَ »**[4].

---

(١) السخيمة: الضغينة.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٨٨.

(٣) المؤمنون ٢٣: ٥٣. الروم ٣٠: ٣٢.

(٤) تحف العقول: ٢٩٣.

صلة الأرحام

وعنى الإسلام بصلة الأرحام، وندب إليها، لأنها توجب تماسك الأسرة وارتباطها، وتعود على الأمّة بأروع الثمرات، وقد حثّ عليها الإمام أبو جعفر عليه السلام.

قال عليه السلام: «**صِلَةُ الْأَرْحامِ تُزَكّي الْأَعْمالَ، وَتُنْمي الْأَمْوالَ، وَتَدْفَعُ الْبَلْوىٰ، وَتُيَسِّرُ الْحِسابَ، وَتُنْسِئُ في الْأَجَلِ**»[1].

الصدقة

وأكّد الإمام عليه السلام على الصدقة، وذكر الفوائد التي يظفر بها المتصدّق، وقد أدلى بذلك أمام أصحابه.

قال عليه السلام: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذا فَعَلْتموهُ يُبْعِدُ السُّلْطانَ وَالشَّيْطانَ مِنْكُمْ**.

فقال له أبو حمزة: بلى أخبرنا حتّى نفعله.

قال عليه السلام: **عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَبَكِّروا بِها، فَإِنَّها تُسَوِّدُ وَجْهَ إِبْليسَ، وَتَكْسِرُ شَرَهَ السُّلْطانِ الظّالِمِ عَنْكُمْ في يَوْمِكُمْ ذٰلِكَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْحُبِّ للهِ، وَالتَّوَدُّدِ وَالْمُوازَرَةِ عَلَى الْعَمَلِ الصّالِحِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ دابِرَهُما** ـ يعني الشيطان والسلطان ـ **وَأَلِحّوا في الْإِسْتِغْفارِ فَإِنَّهُ مَمْحاةٌ لِلذُّنوبِ**»[2].

العطف على اليتيم

ودعا الإمام عليه السلام إلى العطف على اليتيم والبرّ بالضعيف.

---

(١) أصول الكافي: ٢: ١٥٠، الحديث ٤. تحف العقول: ٢٩٩.

(٢) تحف العقول: ٢٩٨.

قال عليه السلام: «**أَرْبَعٌ مِنْ كُنَّ فيهِ بَنَى اللهُ تَعالىٰ لَهُ بَيْتاً في الْجَنَّةِ: مَنْ آوى الْيَتيمَ، وَرَحِمَ الضَّعيفَ، وَأَشْفَقَ عَلىٰ والِدَيهِ، وَرَفَقَ بِمَمْلوكِهِ**»[1].

محاسن الصفات

وتحدّث الإمام أبو جعفر عليه السلام عن محاسن الصفات التي تقرّب الإنسان من الله، وتبعده عن سخطه وعذابه.

قال عليه السلام: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كَمُلَ إِسْلامُهُ، وَأُعينَ عَلىٰ إِيمانِهِ، وَمُحِّصَتْ ذُنُوبُهُ، وَلَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَنْهُ راضٍ، وَلَوْ كانَ فيما بَيْنَ قَرْنِهِ إِلىٰ قَدَمَيْهِ ذُنوبٌ حَطَّها اللهُ عَنْهُ، وَهِيَ الْوَفاءُ بِما يَجْعَلُ للهِ عَلىٰ نَفْسِهِ، وَصِدْقُ اللِّسانِ مَعَ النّاسِ، وَالحَياءُ بِما يَقْبَحُ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ النّاسِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ الْأَهْلِ وَالنّاسِ.**

وَأَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ مِنَ الْمُؤْمِنينَ أَسْكَنَهُ اللهُ تَعالىٰ في أَعْلىٰ عِلِّيّينَ في غُرَفٍ فَوْقَ الْغُرَفِ: مَنْ آوى الْيَتيمَ، وَنَظَرَ لَهُ وَكانَ لَهُ أَباً، وَمَنْ رَحِمَ الضَّعيفَ، وَأَعانَهُ وَكَفاهُ، وَمَنْ أَنْفَقَ عَلىٰ والِدَيْهِ وَتَرَفَّقَ بِهِما وَسَرَّهُما، وَلَمْ يُحْزِنْهُما وَمَنْ لَمْ يَخْرَقْ مَمْلوكَهُ فَأَعانَهُ عَلىٰ ما يُكَلِّفُه»[2].

لقد أمر الإمام عليه السلام بكلّ ما يقرّب الإنسان من ربّه، وقد أرشده إلى محاسن الأعمال التي يحبّها الله، ويجزل عليها ثوابه، وتستوجب المزيد من ألطافه.

---

(١) الخصال: ٢٠٤.

(٢) الدرّ النظيم: ٥٨٦.

الصمت

ودعا عليه السلام إلى الصمت وعدم الخوض فيما لا يكسب فيه الإنسان فائدة أو خيراً.

قال عليه السلام: «**إِنَّ هـٰذَا اللِّسانَ مِفْتاحُ كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَـيَنْبَغي لِـلْمُؤْمِنِ أَنْ يَخْتِمَ لِسانَهُ كَما يَخْتِمُ عَلىٰ ذَهَبِهِ وَفِضَّتِهِ، فَإِنَّ رَسولَ اللهِ ٩ قالَ: رَحِمَ اللهُ مُؤْمِناً أَمْسَكَ لِسانَهُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، فَإِنَّ ذلِكَ صَدَقَةٌ مِنْهُ عَلىٰ نَفْسِهِ، لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِن ض الذُّنوبِ حَتّىٰ يَخْزُنَ لِسانَهُ**»[١].

---

(١) تحف العقول: ٢٩٨.

مساوئ الصفات والأعمال

وحذّر الإمام عليه السلام من الاتّصاف بالصفات السيّئة، والأعمال المنكرة، وهذا بعض ما أُثر عنه:

١ - قال عليه السلام: «**ما دَخَلَ قَلْبُ امْرِئٍ شَيْءٌ مِنَ الْكِبْرِ إلَّا نَقَصَ مِنْ عَقْلِهِ مِثْلُ ما دَخَلَهُ مِنْ ذلِكَ، قَلَّ ذلِكَ أَوْ كَثُر**»(١).

وقال عليه السلام: «**الْمُتَكَبِّرُ يُنازِعُ اللهَ رِداءَهُ**»(٢).

إنّ الكبرياء ينمّ عن الجهل ونقصان العقل، فإنّ الإنسان لو عرف مآله وما يصير إليه من مفارقة هذه الحياة، ونسيان ذكره، واستحالة جسمه الذي يزهو به إلى كتلة من التراب المهين، لو أدرك ذلك وتبصّر فيه لما تكبّر على خلق الله.

٢ - وذمّ الإمام عليه السلام الإنسان المنافق الذي يكون ذا وجهين ولسانين.

قال عليه السلام: «**بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَكُونُ ذا وَجْهَينِ، وَذا لِسانَيْنِ يُطْري أَخاهُ شاهِداً، وَيأْكُلُهُ غائِباً، إنْ أُعْطِيَ حَسَدَهُ، وَإنِ ابْتُلِيَ خَذَلَهُ**»(٣).

إنّ هذا الانحراف يكشف عن خبث السريرة، وسوء الطويّة، وأنّ صاحبه لا خلق له، ولا ايمان له بربّه.

٣ - وحذّر الإمام من الاتّصاف بالصفات التالية.

قال عليه السلام: «**ما أَقْبَحَ الْأَسْرَ عِنْدَ الظَّفَرِ، وَالْكآبَةَ عِنْدَ النّائِبَةِ، وَالْغِلْظَةَ عَلى**

---

(١) صفة الصفوة: ٢: ٦١. حلية الأولياء: ٢: ١٨٠.

(٢) تحف العقول: ٢٩٢.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٠.

الْفقيرِ، وَالْقَسْوَةَ عَلى الْجارِ، وَمُشاحَّةَ الْقَريبِ، وَالْخِلافَ عَلى الصّاحِبِ، وَسُوءَ الْخُلُقِ عَلَى الْأَهْلِ، وَالْإِسْتِطالَةَ بِالْقُدْرَةِ، وَالْجَشَعَ مَعَ الْفَقْرِ، وَالْغيبَةَ لِلْجَليسِ، وَالْكَذِبَ في الْحَديثِ، وَالسَّعْيَ بِالْمُنْكَرِ، وَالْغَدْرَ مِنَ السُّلْطانِ، وَالْخَرْقَ مِنْ ذَوِي الْمُروءَةِ، مَنْ سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الْحِرْمانَ، صَلاحُ مَنْ جَهِلَ الْكَرامَةَ في هَوانِهِ، الْمُسْتَرْسِلُ مَرْقِيٌّ، وَالْمُحْتَرِس مَلْقِيٌّ »(١).

ومن تجنّب هذه الصفات فقد تحلّى بمعالي الأخلاق الرفيعة، وصار من أفذاذ الناس وخيارهم.

٤ ـ ونهى الإمام عليه السلام عن ارتكاب ما يلي.

قال عليه السلام: « ثَلاثُ خِصالٍ لَا يَموتُ صاحِبُهُنَّ أَبَداً حَتّىٰ يَرىٰ وَبالَهُنَّ: الْبَغْيُ، وَقَطيعَةُ الرَّحِمِ، وَالْيَمينُ الْكاذِبَةُ يُبارِزُ اللهَ بِها.

وَإِنَّ أَعْجَلَ الطّاعَةِ ثَواباً لَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَأَنَّ الْقَوْمَ لَيَكونوا فُجّاراً فَيَتواصَلونَ فَتَنْمي أَمْوالُهُمْ.

وَإِنَّ الْيَمينَ الْكاذِبَةَ وَقَطيعَةَ الرَّحِمِ لَيَذرانِ الدِّيارَ بَلاقِعَ مِنْ أَهْلِها، وَيُثَقِّلانِ الرَّحِمَ، وَإِنَّ تَثَقُّلَ الرَّحِمِ انْقِطاعُ النَّسْلِ »(٢).

٥ ـ وكره الإمام عليه السلام اتّصاف الإنسان بما يلي من الصفات:

قال عليه السلام: « أَرْبَعَةٌ أَسْرَعُ شَيْءٍ عُقوبَةً: رَجُلٌ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ وَيُكافيكَ

---

(١) التذكرة الحمدونيّة: ٦٠.

(٢) الخصال: ١٢٤، الحديث ١١٩.

بِالْإِحْسانِ إِلَيْهِ إِساءَةً، وَرَجُلٌ لا تَبْغي عَلَيْهِ وَيَبْغي عَلَيْك، وَرَجُلٌ عاهَدْتَهُ عَلىٰ أَمْرٍ فَمِنْ أَمْرِكَ الْوَفاءُ لَهُ وَمِنْ أَمْرِهِ الْغَدْرُ بِكَ، وَرَجُلٌ يَصِلُ قَرابَتَهُ وَيَقْطَعونَهُ »(١).

٦ ـ وحذّر الإمام عليه السلام من شرب الخمر الذي هو من أعظم المحرّمات.

قال عليه السلام: « **إِنَّ مُدْمِنَ الْخَمْرِ كَعابِدِ وَثَنٍ، وَيورِثُهُ الْإِرْتِعاشَ، وَيَهْدِمُ مُروءَتَهُ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى التَّجَسُّرِ عَلَى الْمُحَرَّماتِ مِنْ سَفْكِ الدِّماءِ، وَرُكوبِ الزِّنا »**(٢).

إنّ الخمر مصدر لكلّ رذيلة وموبقة، وهو من الآفات الاجتماعيّة التي تسبّب فقدان الشرف، والوقوع في جميع المحرّمات، أمّا أضراره الجسميّة فقد تحدّثنا عنها في بعض مؤلّفاتنا.

٧ ـ وذمّ الإمام عليه السلام الفاحش بقوله: « **إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ »**(٣).

الغيبة والبهتان

وفرّق الإمام عليه السلام بين الغيبة والبهتان بقوله: « **الغِيْبَةُ أَنْ تَقُولَ فِي أَخيكَ ما سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَمَّا الْأَمْرُ الظّاهِرُ مِنْهُ مِثْلُ الْحِدَّةِ وَالْعَجَلَةِ فَلا بَأْسَ أَنْ تَقُولَهُ، وَإِنَّ الْبُهْتانَ أَنْ تَقُولَ في أَخيكَ ما لَيْسَ فيهِ »**(٤).

---

(١) الخصال: ٢٣٠، الحديث ٧١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٢: ١٦٤.

(٣) تحف العقول: ٢٩٦.

(٤) تحف العقول: ٢٩٨.

الغضب وعلاجه

وحذّر الإمام عليه السلام من الغضب ووضع له علاجاً.

قال عليه السلام: «**إِنَّ هـٰذَا الْغَضَبَ جَمْرَةٌ مِنَ الشَّيْطانِ تُوقَدُ في قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذا غَضِبَ احْمَرَّتْ عَيْناهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْداجُهُ، وَدَخَلَ الشَّيْطانُ فيهِ، فإذاخافَ أَحَدُكُمْ ذلِكَ مِنْ نَفْسِهِ فَلْيَلْزَمِ الْأَرْضَ، فَإِنَّ رِجْزَ الشَّيْطانِ لَيَذْهَبُ عَنْهُ عِنْدَ ذلِكَ**»(١).

وقد شدّد الإمام أبو جعفر عليه السلام في أمر الغضب، وحذّر من عواقبه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**كانَ أَبي يَقولُ: أَيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ مِنَ الْغَضَبِ، إِنَّ الرَّجُلَ لِيَغْضَبُ فَيَقْتُلُ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ وَيَقْذِفُ الْمُحْصَنَةَ**»(٢).

وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ فَما يَرْضىٰ أَبَداً حَتّىٰ يَدْخُلَ النّارَ**»(٣).

العجب

قال عليه السلام: «**عَجَباً لِلْمُخْتالِ الفَخُورِ، إِنَّما خُلِقَ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ يَعُودُ جيفَةً، وَهُوَ فِيما بَيْنَ ذلِكَ لَا يَدْري ما يُصْنَعُ بِهِ**»(٤).

---

(١) جامع السعادات: ١: ٢٨٩. أُصول الكافي: ٢: ٣٠٥، الحديث ١٢.

(٢) أُصول الكافي: ٢: ٣٠٣، الحديث ٤.

(٣) أُصول الكافي: ٢: ٣٠٢، الحديث ٢. جامع السعادات: ١: ٢٨٩.

(٤) الكافي: ٢: ٣٢٩، الحديث ٤. وسائل الشيعة: ١٦: ٤٢، الحديث ٢٠٩٢٨.

أدعيته عليه السلام

وفي أدعية أئمّة أهل البيت عليهم السلام تراث رائع، ومناجم أخّاذة تكمن فيها جواهر الحكم والآداب، وهي تمثّل مدى اتّجاه الأئمّة عليهم السلام نحو الله، واتّصالهم به، وانقطاعهم إليه، كما تمثّل الرصيد الروحي الذي يملكونه من النسك والتقوى والحريجة في الدين، وبالإضافة لذلك فإنّها من الثروات الكبرى للأخلاق والفلسفة وعلم الكلام.

وقد أُثرت عن الإمام أبي جعفر عليه السلام كثير من الأدعية، وهذه بعضها:

١ - روى أبو حمزة الثمالي هذا الدعاء عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، وكان يسمّيه (الجامع)، وقد جاء فيه بعد البسملة:

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَريكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسولُهُ، آمَنْتُ بِاللهِ وَبِجَميعِ رُسُلِ اللهِ، وَبِجَميعِ ما أُنْزِلَ بِهِ جَميعُ رُسُلِ اللهِ، وَأَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وَلِقاءَهُ حَقٌّ، وَصَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ الْمُرْسَلونَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمينَ، وَسُبْحانَ اللهِ كُلَّما سَبَّحَ اللهَ شَيْءٌ، وَكَما يُحِبُّ اللهُ أَنْ يُسَبَّحَ، وَالْحَمْدُ للهِ كُلَّما حَمِدَ اللهَ شَيْءٌ، وَكَما يُحِبُّ اللهُ أَنْ يُحْمَدَ، وَلَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ كُلَّما هَلَّلَ اللهَ شَيْءٌ، وَكَما يُحِبُّ اللهُ أَنْ يُهَلَّلَ، وَاللهُ أَكْبَرُ كُلَّما كَبَّرَ اللهَ شَيْءٌ، وَكَما يُحِبُّ اللهُ أَنْ يُكَبَّرَ.

اللّٰهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ مَفاتيحَ الْخَيْرِ وَخَواتِيمَهُ وَشَرائِعَهُ، وَسَوابِغَهُ وَفَوائِدَهُ وَبَرَكاتِهِ، وَما بَلَغَ عِلْمَهُ عِلْمي، وَما قَصُرَ عَنْ إِحْصائِهِ حِفْظي، اللّٰهُمَّ انْهَجْ

لي أَسْبابَ مَعْرِفَتِهِ، وَافتَحْ لي أَبْوابَهُ، وَغَشِّني بِبَرَكاتِ رَحْمَتِكَ، وَمُنَّ عَلَيَّ بِعِصْمَةٍ عَنِ الْإِزالَةِ عَنْ دينِكَ، وَطَهِّرْ قَلْبي مِنَ الشَّكِّ، وَلَا تُشْغِلْ قَلْبي بِدُنْيايَ، وَعاجِلَ مَعاشي عَنْ آجِلِ ثَوابِ آخِرَتي، وَأَشْغِلْ قَلْبي بِحِفْظِ ما لَا تَقْبَلُ مِنّي جَهْلَهُ، وَذَلِّلْ لِكُلِّ خَيْرٍ لِساني، وَطَهِّرْ قَلْبي مِنَ الرِّياءِ وَالسُّمْعَةِ، وَلَا تُجْرِهِما في مَفاصِلي، وَاجْعَلْ عَمَلي خالِصاً لَكَ.

اللّٰهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ، وَأَنْواعِ الْفَواحِشِ كُلِّها، ظاهِرِها وَباطِنِها وَغَفَلاتِها، وَجَميعِ ما يُريدُني بِهِ الشَّيْطانُ الرَّجيمُ، وَما يُريدُني بِهِ السُّلْطانُ الْعَنيدُ، مِمّا أَحَطْتَ بِعِلْمِهِ، وَأَنْتَ الْقادِرُ عَلىٰ صَرْفِهِ عَنّي.

اللّٰهُمَّ إِنّي أَعوذُ بِكَ مِنْ طَوارِقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَزَوابِعِهِمْ وَبَوائِقِهِمْ وَمَكائِدِهِمْ وَمَشاهِدِ الْفَسَقَةِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَأَنْ أُسْتَزَلَّ عَنْ ديني، فَتَفْسُدَ عَلَيَّ آخِرَتي، وَأَنْ يَكونَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ ضَرراً عَلَيَّ في مَعاشي، أَوْ بِعَرَضِ بَلاءٍ يُصيبُني مِنْهُمْ، لَا قُوَّةَ لي بِهِ، وَلَا صَبْرَ لي عَلىٰ احْتِمالِهِ، فَلَا تَبْتَلِني يا إِلٰهي بِمُقاساتِهِ[1]، فَيَمْنَعُني ذٰلِكَ عَنْ ذِكْرِكَ، وَيُشْغِلُني عَنْ عِبادَتِكَ، أَنْتَ الْعاصِمُ الْمانِعُ، وَالدّافِعُ الْواقي مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ.

أَسْأَلُكَ اللّٰهُمَّ الرَّفاهِيَةَ في مَعيشَتي ما أَبْقَيْتَني، مَعيشَةً أَقْوىٰ بِها عَلىٰ طاعَتِكَ، وَأَبْلُغُ بِها رِضْوانَكَ، وَأَصيرُ بِها بِمَنِّكَ إِلىٰ دارِ الْحَيَوانِ غَداً،

---

(١) أي بمكابدته وتحمّل مشقّته.

وَلَا تَرْزُقْني رِزْقاً يُطغيني ، وَلَا تَبْتَلِني بِفَقْرٍ أَشْقىٰ بِهِ ، مُضَيِّقاً عَلَيَّ ، اعْطِني حَظّاً وافِراً في آخِرَتي ، وَمَعاشاً واسِعاً هَنيئاً مَريئاً في دُنْيايَ ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيا عَلَيَّ سِجْناً ، وَلَا تجْعَلْ فِراقَها عَلَيَّ حُزْناً ، أَجِرْني مِنْ فِتْنَتِها سَليماً ، وَاجْعَلْ عَمَلي فيها مَقْبولاً ، وَسَعْيي فيها مَشْكوراً .

اللّٰهُمَّ وَمَنْ أَرادَني بِسوءٍ فَأَرِدْهُ بِمِثْلِهِ ، وَمَنْ كادَني فيها فَكِدْهُ ، وَاصْرِفْ عَنّي هَمَّ مَنْ أَدْخَلَ عَلَيَّ هَمَّهُ ، وَامْكُرْ بِمَنْ مَكَرَ بي ، فَإِنَّكَ خَيْرُ الْماكِرينَ ، وَافْقَأْ عَنّي عُيونَ الْكَفَرَةِ الظَّلَمَةِ الطُّغاةِ وَالْحَسَدَةِ . اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْكَ سَكينَةً ، وَأَلْبِسْني دِرْعَكَ الْحَصينَةَ ، وَاحْفَظْني بِسِتْرِكَ الْواقي ، وَجَلِّلْني عافِيَتَكَ النّافِعَةَ ، وَصَدِّقْ قَوْلي وَفِعالي ، وَبارِكْ لي في أَهْلي وَمالي وَوَلَدي وَما قَدَّمْتُ وَما أَخَّرْتُ وَما أَغْفَلْتُ وَما تَعَمَّدْتُ وَما تَوانَيْتُ وَما أَعْلَنْتُ وَما أَسْرَرْتُ ، فَاغْفِرْ لي ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ ، وَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرينَ الطَّيِّبينَ ، كَما أَنْتَ أَهْلُهُ يا وَلِيَّ الْمُؤْمِنينَ (١) .

ويكشف هذا الدعاء عن مدى انقطاع الإمام إلى الله ، وشدّة اتّصاله به ، فقد ألجأ جميع أُموره إليه ، واستعاذ به من فتن الدنيا وغرورها ، خوفاً أن تصدّه عن ذكره تعالى .

٢ - روى الربيع عن عبدالله بن عبدالرحمن ، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنّه قال له :

أَلا أُعَلِّمُكَ دُعاءً لا نَدْعو بِهِ نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ إِذا أَكْرَبَنا أَمْرٌ ، وَتَخَوَّفْنا

---

(١) أصول الكافي : ٢ : ٥٨٧ ـ ٥٨٩ ، الدعاء ٢٦ . مهج الدعوات : ٢١٦ ـ ٢١٨ .

مِنْ شَرِّ السُّلْطانِ إلّا قُبِلَ لَنا بِهِ ؟

بلى بأبي أنت وأمّي .

قُلْ : ياكائِناً قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَيا مُكَوِّنَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَيا باقِياً بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ ، صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ... ثُمَّ تَذْكُرُ حاجَتَكَ »[١].

وذكرت له أدعية أخرى ، وهي تدلّل على مدى روحانيّته ، وعظيم اتّصاله بخالقه .

الحثّ على الدعاء

وحثّ الإمام عليه السلام على الدعاء إلى الله .

قال عليه السلام : « **إِنَّ اللهَ كَرِهَ إِلْحاحَ النّاسِ بَعْضِهِمْ عَلىٰ بَعْضٍ فِي الْمَسْأَلَةِ ، وَأَحَبَّ ذٰلِكَ لِنَفْسِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يُسْأَلَ ، وَيُطْلَبَ ما عِنْدَهُ** »[٢].

---

(١) مهج الدعوات : ٢١٥ .

(٢) تحف العقول : ٢٩٣ .

روائع الحكم

وأُثرت عن الإمام أبي جعفر عليه السلام روائع الحكم القصار الحافلة بالقيم الكريمة والحكم الصائبة والتجارب النافعة، وهذه بعضها:

١ - قال عليه السلام: «إذا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ فيكَ خَيْراً فَانْظُرْ إِلىٰ قَلْبِكَ، فَإِنْ كانَ يُحِبُّ أَهْلَ طاعَةِ اللهِ، وَيُبْغِضُ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ فَفيكَ خَيْرٌ، وَاللهُ يُحِبُّكَ، وَإِنْ كانَ يُبْغِضُ أَهْلَ طاعَةِ اللهِ، وَيُحِبُّ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ فَلَيْسَ فيكَ خَيْرٌ، وَاللهُ يُبْغِضُكَ، وَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»(١).

٢ - قال عليه السلام: «إذا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ بِأَعْمالِهِمْ، فَأَيْنَ عُتَقاءُ اللهِ مِنَ النّارِ، إِنَّ للهِ عُتَقاءَ مِنَ النّارِ»(٢).

٣ - قال عليه السلام: «إذا شَبِعَ الْبَطْنُ طَغىٰ»(٣).

٤ - قال عليه السلام: «إذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ نادىٰ مُنادٍ: أَيْنَ الصّابِرونَ؟ فَيَقومُ فِئامٌ مِنَ النّاسِ، ثُمَّ يُنادي مُنادٍ: أَيْنَ الْمُتَصَبِّرونَ؟ فَيَقومُ فِئامٌ مِنَ النّاسِ.

فقيل له: ما الصابرون والمتصبّرون؟

قال عليه السلام: الصّابِرونَ عَلىٰ أَداءِ الْفَرائِضِ، وَالْمُتَصَبِّرونَ عَلىٰ تَرْكِ الْمَحارِمِ»(٤).

٥ - قال عليه السلام: «أَرْبَعٌ مِنْ كُنوزِ الْبِرِّ: كِتْمانُ الْحاجَةِ، وَكِتْمانُ الصَّدَقَةِ، وَكِتْمانُ

---

(١) أُصول الكافي: ٢: ١٢٦ و ١٢٧، الحديث ١١.

(٢) أمالي الطوسي: ١٧٩ و ١٨٠، الحديث ٣٠٠.

(٣) أُصول الكافي: ٦: ٢٧٠، الحديث ١٠.

(٤) تحف العقول: ٢١٣.

الْوَجَعِ ، وَكِتْمانُ الْمُصيبَةِ »[١] .

٦ - قال عليه السلام : « أَشَدُّ الأَعْمالِ ثَلاثَةٌ : مُواساةُ الإِخْوانِ فـي الْـمالِ ، وَإِنْـصافُ النّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، وَذِكْرُ اللهِ عَلىٰ كُلِّ حالٍ »[٢] .

٧ - قال عليه السلام : « اصْبِرْ لِلنَّوائِبِ ، وَلا تَتَعَرَّضْ لِلْحُقوقِ ، وَلا تُعْطِ أَحَداً مِنْ نَفْسِكَ ما ضَرُّهُ عَلَيْكَ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ »[٣] .

٨ - قال عليه السلام : « اعْرِفِ الْمَوَدَّةَ في قَلْبِ أَخيكَ بِما لَهُ في قَلْبِكَ »[٤] .

٩ - قال عليه السلام : « أَفْضَلُ الْعِبادَةِ عِفَّةُ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ »[٥] .

١٠ - قال عليه السلام : « اللّٰهُمَّ أَعِنّي عَلَى الدُّنْيا بِالْغِنىٰ ، وَعَلَى الآخِرَةِ بِالْعَفْوِ »[٦] .

١١ - قال عليه السلام : « إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تُعامِلَ أَحَداً إِلّا وَلَكَ الْفَضْلُ عَلَيْهِ ، فَافْعَلْ »[٧] .

١٢ - قال عليه السلام : « إِنَّ اللهَ قَضىٰ قَضاءً حَتْماً أَلّا يُنْعِمَ عَلَى الْعَبْدِ نِعْمَةً فَيَسْلُبَها إِيّاهُ حَتّىٰ يُحْدِثَ الْعَبْدُ ذَنْباً يَسْتَحِقُّ بِذٰلِكَ النِّقْمَةَ »[٨] .

١٣ - قال عليه السلام : « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِفْشاءَ السَّلامِ »[٩] .

---

(١) تحف العقول : ٢٩٥ . بحار الأنوار : ٧٥ : ١٧٤ ، الحديث ٢٦ .

(٢) كشف الغمّة : ٢ : ١٣٣ .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٣٢٠ .

(٤) تحف العقول : ٢٩٥ . بحار الأنوار : ٧٥ : ١٧٤ ، الحديث ٢٦ .

(٥) تحف العقول : ٢٩٦ .

(٦) نزهة الناظر : ١٠٠ ، الحديث ٢٠ .

(٧) تحف العقول : ٢٩٣ .

(٨) أُصول الكافي : ٢ : ٢٧٣ ، الحديث ٢٢ .

(٩) تحف العقول : ٣٠٠ .

١٤ ـ قال عليه السلام «إنَّ اللهَ يُعْطي الدُّنْيا مَنْ يُحِبُّ وَيُبْغِضُ، وَلا يُعْطي دينَهُ إلّا مَنْ يُحِبُّ»(١).

١٥ ـ قال عليه السلام «إنَّ حَديثَنا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لا يَحْتَمِلُهُ إلّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإيمانِ»(٢).

١٦ ـ قال عليه السلام «إنَّ الْكَذِبَ هُوَ خَرابُ الإيمانِ»(٣).

١٧ ـ قال عليه السلام «إنَّ للهِ عِباداً مَيامِينَ مَياسِيرَ يَعيشُونَ وَيَعيشُ النّاسُ في أَكْنافِهِمْ، وَهُمْ في عِبادِهِ مِثْلُ الْقَطْرِ.

وَللهِ عِبادٌ مَلاعينُ مَناكيدُ لا يَعيشونَ وَلا يَعيشُ النّاسُ في أَكْنافِهِمْ، وَهُمْ في عِبادِهِ مِثْلُ الْجَرادِ لا يَقَعونَ عَلىٰ شَيْءٍ إلّا أَتوا عَلَيْهِ»(٤).

١٨ ـ قال عليه السلام «إنَّ للهِ عُقوباتٍ في الْقُلوبِ وَالأَبْدانِ، ضَنْكٌ في الْمَعيشَةِ، وَوَهْنٌ في الْعِبادَةِ، وَما ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ»(٥).

١٩ ـ قال عليه السلام «إنَّما مَثَلُ الْحاجَةِ إلىٰ مَنْ أَصابَ مالاً حَديثاً ـ يَعْني بِهِ مُسْتَحْدَثَ النِّعْمَةِ ـ كَمَثَلِ الدِّرْهَمِ في فَمِ الأَفْعىٰ أَنْتَ إلَيْهِ مَحْوجٌ، وَأَنْتَ مِنْها عَلىٰ خَطَرٍ»(٦).

٢٠ ـ قال عليه السلام «إنَّ مِنْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ الْحَلْفَ بِالطَّلاقِ، وَالنَّذْرَ في الْمَعاصي

---

(١) تحف العقول: ٢١٦.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٥. قرب الإسناد: ٢١.

(٣) أصول الكافي: ٢: ٣٣٩، الحديث ٤.

(٤) تحف العقول: ٣٠٠.

(٥) تحف العقول: ٢٩٦.

(٦) تحف العقول: ٢٩٤. تهذيب الأحكام: ٦: ٣٢٩، الحديث ٩١١.

وَكُلَّ يَمينٍ بِغَيْرِ اللهِ تَعالىٰ »(١).

٢١ - قَالَ عليه السلام « إِنَّ الْمُؤْمِنَ أخو الْمُؤْمِنِ ، لَا يَشْتِمُهُ ، وَلَا يَحْرِمُهُ ، وَلَا يُسِيءُ بِهِ الظَّنَّ »(٢).

٢٢ - قَالَ عليه السلام « إِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيا تَعاطاها الْبَرُّ وَالْفاجِرُ ، وَإِنَّ هٰذَا الدِّينَ لَا يُعْطيهِ اللهُ إِلَّا أَهْلَ خاصَّتِهِ »(٣).

٢٣ - قَالَ عليه السلام « الْإِيمانُ حُبٌّ وَبُغْضٌ »(٤).

٢٤ - قَالَ عليه السلام « بِئْسَ الْأَخُ أَخٌ يَرْعاكَ غَنِيّاً وَيَقْطَعُكَ فَقيراً »(٥).

٢٥ - قَالَ عليه السلام « بَلِيَّةُ النّاسِ عَلَيْنا عَظيمَةٌ ، إِنْ دَعَوْناهُمْ لَمْ يَسْتَجيبوا لَنا ، وَإِنْ تَرَكْناهُمْ لَمْ يَهْتَدوا بِغَيْرِنا »(٦).

٢٦ - قَالَ عليه السلام « التَّواضُعُ الرِّضا بِالْمَجْلِسِ دونَ شَرَفِهِ ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلىٰ مَنْ لَقيتَ ، وَأَنْ تَتْرُكَ الْمِراءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقّاً »(٧).

٢٧ - قَالَ عليه السلام « الْحَياءُ وَالْإِيمانُ مَقْرونانِ في قَرْنٍ ، فَإِذا ذَهَبَ أَحَدُهُما تَبِعَهُ صاحِبُهُ »(٨).

---

(١) تفسير مجمع البيان : ١ : ٤٦٨.

(٢) تحف العقول : ٢١٣.

(٣) تحف العقول : ٢٩٧.

(٤) تحف العقول : ٢١٢.

(٥) كشف الغمّة : ٢ : ٣٣٠. بحار الأنوار : ٤٦ : ٢٨٧ و ٢٨٨.

(٦) كشف الغمّة : ٢ : ٣٣٩.

(٧) تحف العقول : ٢١٣.

(٨) تحف العقول : ٢٩٧.

٢٨ - قال عليه السلام: «سِلاحُ اللِّئامِ قَبيحُ الْكَلامِ»(١).

ونظم بعض الشعراء هذه الحكمة الرائعة بقوله:

لَقَدْ صَدَقَ الباقِرُ المُرْتَضىٰ ... سَليلُ الإمامِ عَلَيْهِ السَّلامُ
بِما قالَ في بَعضِ ألفاظِهِ ... قَبيحُ الْكَلامِ سِلاحُ اللِّئامِ(٢)

٢٩ - قال عليه السلام: «شَرُّ الآباءِ مَنْ دَعاهُ الْبِرُّ إِلَى الإفْراطِ، وَشَرُّ الأَبْناءِ مَنْ دَعاهُ التَّقْصيرُ إِلَى الْعُقوقِ»(٣).

٣٠ - قال عليه السلام: «شيعَتُنا مَنْ أَطاعَ اللهَ»(٤).

٣١ - قال عليه السلام: «صانِعِ الْمُنافِقَ بِلِسانِكَ، وَأَخْلِصْ مَوَدَّتَكَ لِلْمُؤْمِنِ، وَإِنْ جالَسَكَ يَهودِيٌّ فَأَحْسِنْ مُجالَسَتَهُ»(٥).

٣٢ - قال عليه السلام: «صُحْبَةُ عِشْرينَ سَنَةً قَرابَةٌ»(٦).

٣٣ - قال عليه السلام: «الصَّواعِقُ تُصيبُ الْمُؤْمِنَ وَغَيْرَ الْمُؤْمِنِ، وَلَا تُصيبُ الذّاكِرَ»(٧).

٣٤ - قال عليه السلام: «عَظِّموا أَصْحابَكُمْ وَوَقِّروهُمْ، وَلَا يَتَهَجَّمْ بَعْضُكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ، وَلَا تَضاروا، وَلَا تَحاسَدوا، وَإِيّاكُمْ وَالْبُخْلَ، كُونوا عِبادَ اللهِ الْمُخْلَصينَ»(٨).

---

(١) أصول الكافي: ٢: ١٠٦، الحديث ٤. تحف العقول: ٢٩٧.

(٢) الاتحاف بحبّ الأشراف: ٥٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٣٢٠ و ٣٢١.

(٤) أمالي الطوسي: ٢٧٣، الحديث ٥١٦.

(٥) تحف العقول: ٢٩٢.

(٦) تحف العقول: ٢٩٣.

(٧) كشف الغمّة: ٢: ٣٤٤.

(٨) أصول الكافي: ٢: ٦٣٧، الحديث ٤.

٣٥ - قال عليه السلام: «في كُلِّ قضاءِ اللهِ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ»[١].

٣٦ - قال عليه السلام: «قُمْ بِالْحَقِّ، واعْتَزِلْ ما لا يَعْنيك، وَتَجَنَّبْ عَدُوَّك، واحْذَرْ صَديقَكَ مِنَ الْأَقْوامِ، إلَّا الْأَمينَ مَنْ خَشِيَ اللهَ، وَلا تَصْحَبِ الْفاجِرَ، وَلا تُطْلِعْهُ عَلىٰ سِرِّكَ، واسْتَشِرْ في أمْرِكَ الَّذينَ يَخْشَوْنَ اللهَ»[٢].

٣٧ - قال عليه السلام: «كانَ لي أخٌ في عَيْني عَظيمٌ، وَكانَ الَّذي عَظَّمَهُ في عَيْني صِغَرُ الدُّنْيا في عَيْنَيْهِ»[٣].

٣٨ - قال عليه السلام: «كَفىٰ بِالْمَرْءِ غِشّاً لِنَفْسِهِ أنْ يُبْصِرَ مِنَ النّاسِ ما يَعْمىٰ عَلَيْهِ مِنْ أمْرِ نَفْسِهِ أوْ يَعيبَ غَيْرَهُ بِما لا يَسْتَطيعُ تَرْكَهُ، أوْ يُؤْذي جَليسَهُ بِما لا يُعْنيه»[٤].

٣٩ - قال عليه السلام: «كَمْ مِنْ رَجُلٍ لَقِيَ رَجُلاً فَقالَ لَهُ: كَبَّ اللهُ عَدُوَّك، وما لَهُ مِنْ عَدوٍّ إلّا اللهُ»[٥].

٤٠ - قال عليه السلام: «لا خَيْرَ فيمَنْ لا تَقِيَّةَ لَهُ»[٦].

٤١ - قال عليه السلام: «لا يَزالُ الرَّجُلُ يَزْدادُ في رَأْيِهِ ما نَصَحَ لِمَنْ اسْتَشارَهُ»[٧].

٤٢ - قال عليه السلام: «لا يَقْبَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حَجّاً وَلا عُمْرَةً مِنْ مالٍ حَرامٍ»[٨].

---

(١) تحف العقول: ٢٩٣.

(٢) تحف العقول: ٢١٠.

(٣) كشف الغمّة: ٢: ٣٤٦.

(٤) تحف العقول: ٢١٣.

(٥) تحف العقول: ٢٩٤.

(٦) علل الشرائع: ١: ٥١، الحديث ١.

(٧) تاريخ دمشق: ٣٥: ٤٢٥.

(٨) أمالي الصدوق: ٥٢٧، الحديث ٧١٣.

٤٣ ـ قال عليه السلام «لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ، وَآفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيانُ»(١).

٤٤ ـ قال عليه السلام «لَوْ صُمْتُ النَّهارَ لا أُفْطِرُ، وَصَلَّيْتُ اللَّيْلَ لا أَفْتُرُ، وَأَنْفَقْتُ مالي في سَبيلِ اللهِ عِلْقاً عِلْقاً، ثُمَّ لَمْ تَكُنْ في قَلْبي مَحَبَّةٌ لأَوْلِيائِهِ، وَلا بِغْضَةٌ لأَعْدائِهِ ما نَفَعَني ذلِكَ شَيْئاً»(٢).

٤٥ ـ قال عليه السلام «لَوْ يَعْلَمُ السّائِلُ ما في الْمَسْأَلَةِ ما سَأَلَ أَحَدٌ أَحَداً، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمَسْؤولُ ما في الْمَنْعِ ما مَنَعَ أَحَدٌ أَحَداً»(٣).

٤٦ ـ قال عليه السلام «لَيْسَ في الدُّنْيا شَيْءٌ أَعْوَنُ مِنَ الإِحْسانِ إِلَى الإِخْوانِ»(٤).

٤٧ ـ قال عليه السلام «ما أَحْسَنَ الْحَسناتِ بَعْدَ السَّيِّئاتِ، وَما أَقْبَحَ السَّيِّئاتِ بَعْدَ الْحَسَناتِ»(٥).

٤٨ ـ قال عليه السلام «ما شِيبَ شَيْءٌ بِشَيْءٍ أَحْسَنَ مِنْ حِلْمٍ بِعِلْمٍ»(٦).

٤٩ ـ قال عليه السلام «ما عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ عِفَّةِ بَطْنٍ وَفَرْجٍ»(٧).

٥٠ ـ قال عليه السلام «ما عَرَفَ اللهَ مَنْ عَصاهُ، وَأَنْشَدَ:

تَعْصي الإِلٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هٰذا لَعَمْرُكَ في الْفِعالِ بَديعُ

لَوْ كانَ حُبُّكَ صادِقاً لأَطَعْتَهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطيعُ(٨)

---

(١) كنز العمّال: ١٦: ٢٠٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٣٢١.

(٣) تحف العقول: ٣٠٠.

(٤) تحف العقول: ٢٥٩.

(٥) أُصول الكافي: ٢: ٤٥٨، الحديث ١٨. أمالي الصدوق: ٣٢٥، الحديث ٣٧٨.

(٦) تحف العقول: ٢٩٢.

(٧) أُصول الكافي: ٢: ٧٩، الحديث ١.

(٨) تحف العقول: ٢١١.

٥١ - قَالَ عليه السلام « ما مِنْ شَيْءٍ أَبْغَضُ إِلَى اللهِ مِنْ بَطْنٍ مَمْلوءٍ »(١).

٥٢ - قَالَ عليه السلام « ما مِنْ نَكْبَةٍ تُصيبُ العَبْدَ إِلّا بِذَنْبٍ ، وَما يَعْفو اللهُ أَكْثَرُ »(٢).

٥٣ - قَالَ عليه السلام « ما يَضُرُّ مَنْ عَرَّفَهُ اللهُ الْحَقَّ أَنْ يَكونَ عَلىٰ قُلَّةِ جَبَلٍ يَأْكُلُ مِنْ نَباتِ الْأَرْضِ حَتّىٰ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ »(٣).

٥٤ - قَالَ عليه السلام « مَنِ اسْتَفادَ أَخاً في اللهِ عَلىٰ إيمانٍ بِاللهِ وَوَفاءٍ بِإِخائِهِ طَلَباً لِمَرْضاةِ اللهِ ، فَقَدِ اسْتَفادَ شعاعاً مِنْ نورِ اللهِ ، وَأَماناً مِنْ عَذابِ اللهِ ، وَحُجَّةً يَفْلُجُ بِها يَوْمَ الْقِيامَةِ ، وَعِزّاً باقِياً ، وَذِكْراً نامِياً ، لأَنَّ الْمُؤْمِنَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا مَوْصولٌ وَلَا مَفْصولٌ .

قيل له : ما معنى لا موصول ولا مفصول ؟

قال عليه السلام : لَا مَوْصولٌ بِهِ أَنَّهُ هُوَ ، وَلَا مَفْصولٌ مِنْهُ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِهِ »(٤).

٥٥ - قَالَ عليه السلام « مَنْ أَصابَ مالاً مِنْ أَرْبَعٍ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ في أَرْبَعٍ : مَنْ أَصابَ مالاً مِنْ غُلولٍ أَوْ رِباً أَوْ خِيانَةٍ أَوْ سَرِقَةٍ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ في زَكاةٍ ، وَلَا صَدَقَةٍ وَلَا في حَجٍّ ، وَلَا في عُمْرَةٍ »(٥).

٥٦ - قَالَ عليه السلام « مَنْ أُعطِيَ الْخُلُقَ وَالرِّفْقَ فَقَدْ أُعْطِيَ الْخَيْرَ وَالرّاحَةَ ، وَحَسُنَ حالُهُ في دُنْياهُ وَآخِرَتِهِ ، وَمَنْ حُرِمَ الْخُلُقَ وَالرِّفْقَ كانَ ذٰلِكَ سَبيلاً إِلىٰ كُلِّ شَرٍّ

---

(١) أصول الكافي : ٦ : ٢٧٠ ، الحديث ١١.

(٢) أصول الكافي : ٢ : ٢٠٧ ، الحديث ٤.

(٣) أصول الكافي : ٢ : ٢٤٥ ، الحديث ٣.

(٤) تحف العقول : ٢١٣.

(٥) أمالي الصدوق : ٥٢٧. تحف العقول : ٢٩٥.

وَبَلِيَّةٍ إلّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ »[١].

٥٧ ـ قال عليه السلام: « مَنْ صَدَقَ لِسانُهُ زَكا عَمَلُهُ ، وَمَنْ حَسُنَتْ نِيَّتُهُ زيدَ في رِزْقِهِ ، وَمَنْ حَسُنَ بِرُّهُ في أَهْلِهِ زيدَ في عُمْرِهِ »[٢].

٥٨ ـ قال عليه السلام: « مَنْ طَلَبَ الدُّنيا اسْتِعْفافاً عَنِ النّاسِ ، وَسَعْياً عَلىٰ أَهْلِهِ ، وَتَعَطُّفاً عَلىٰ جارِهِ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَوَجْهُهُ مِثْلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ »[٣].

٥٩ ـ قال عليه السلام: « مَنْ قُسِمَ لَهُ الْخُرْقُ حُجِبَ عَنْهُ الإِيْمانُ »[٤].

٦٠ ـ قال عليه السلام: « مَنْ كانَ ظاهِرُهُ أَرْجَحُ مِنْ باطِنِهِ خَفَّ ميزانُهُ »[٥].

٦١ ـ قال عليه السلام: « مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ واعِظاً ، فَإِنَّ مَواعِظَ النّاسِ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُ شَيْئاً »[٦].

٦٢ ـ قال عليه السلام: «إِنّي لَأَكْرَهُ أَنْ يَكونَ مِقْدارُ لِسانِ الرَّجُلِ فاضِلاً عَلىٰ مِقْدارِ عِلْمِهِ كَما أَكْرَهُ أَنْ يَكونَ مِقْدارُ عِلْمِهِ فاضِلاً عَلىٰ مِقْدارِ عَقْلِهِ »[٧].

٦٣ ـ قال عليه السلام: « يَقُولُ اللهُ : يابْنَ آدَمَ ، اجْتَنِبْ ما حَرَّمْتُ عَلَيْكَ تَكُنْ مِنْ أَوْرَعِ النّاسِ »[٨].

---

(١) كشف الغمّة : ٢ : ١٣٣ .

(٢) الكافي : ٢ : ١٠٥ ، الحديث ١١ . تحف العقول : ٣٨٨ .

(٣) أصول الكافي : ٥ : ٧٨ ، الحديث ٥ . تهذيب الأحكام : ٦ : ٣٢٤ ، الحديث ٨٩٠ .

(٤) أصول الكافي : ٢ : ٣٢١ ، الحديث ١ . تحف العقول : ٢٩٦ .

(٥) تحف العقول : ٢٩٤ .

(٦) تحف العقول : ٢٩٤ .

(٧) شرح نهج البلاغة : ٧ : ٩٢ .

(٨) تحف العقول : ٢٩٦ . أصول الكافي : ٢ : ٧٧ ، الحديث ٧ .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض كلماته الحكميّة التي تمثّل أصالة الفكر والابداع .

نظمه عليه السلام للشعر

ولم تنصّ المصادر المترجمة للإمام أبي جعفر عليه السلام على أنّه كان ينظم الشعر، وإنّما نصّت على أنّه فتق أبواباً كثيرة من العلوم، وأسّس معظم قواعدها، وأنّه ممّن أُوتي الحكمة وفصل الخطاب، غير أنّ السيّد عليّ صدر المدني نسب له هذه الأبيات:

عَجِبتُ مِنْ مُعجَبٍ بِصورَتِهِ ... وَكانَ مِنْ قَبلُ نُطْفَةً مَذِرَة
وَفي غَدٍ بَعدَ حُسنِ صورتِهِ ... يَصيرُ في القَبرِ جيفَةً قَذِرَة
وَهوَ عَلى عُجبِهِ وَنَخوَتِهِ ... ما بَينَ جَنْبَيْهِ يَحْمِلُ الْعَذَرَة[1]

وسواء أصحّ أنّ الإمام عليه السلام كان ينظم الشعر أم لم يصحّ، فإنّ من المقطوع به أنّه كان في طليعة البلغاء، وقد دلّت على ذلك المجموعة الضخمة من كلماته الحكميّة التي هي من الطراز الأوّل في فصاحتها وبلاغتها.

وقبل أن أطوي الحديث عن مواهب الإمام أبي جعفر عليه السلام أرى من الحقّ أن أُبيّن أنّي لم أذكر إلّا نماذج يسيرة، وصوراً موجزة من علومه ومعارفه وحكمه، ولا أزعم أنّي أحطت بها أو ألممت ببعضها، فذلك من غير الممكن لي، فقد تركت الباب مفتوحاً لغيري من البحّاث للكشف عنها وعن سائر جوانب حياته المشرقة التي هي امتداد ذاتي لحياة آبائه العظام عليهم السلام الذين أضاءوا الحياة الفكريّة للناس.

---

(١) أنوار الربيع: ٦: ٣٠٠.

مع كثير عزة والكميت

وكانت للشاعرين الشهيرين كثير عزّة ، والكميت الأسدي اتّصالات وثيقة بالإمام أبي جعفر عليه السلام ، فكلاهما يدينان بإمامته ، ووجوب طاعته ، والانقطاع إليه ، وقد شاع ذلك عنهما ، وعرفا به عند جميع الأوساط ، ونعرض ـ بإيجاز ـ لبعض شؤونهما ، ومدى ارتباطهما بالإمام عليه السلام :

كُثيّر عَزّة

أمّا كثير عزّة فهو أبو حمزة الخزاعي المدني ، أحد عشّاق العرب المشهورين ، هام بحب عزّة بنت جميل ، وله معها أخبار كثيرة ، ذكرها المعنيّون بترجمته ، وكان في مواهبه الشعريّة أشعر أهل الإسلام ، كما يقول ابن إسحاق[١] .

ولاؤه لأهل البيت عليهم السلام

كان كثير شديد الولاء لأهل البيت عليهم السلام متعصّباً لهم ، ولم يخف تشيّعه على الأمويّين ، فقد أقسم عليه عبدالملك بن مروان بحقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يحدّثه هل رأى أحداً هو أعشق منه ؟

فقال له كثير : لو سألتني بحقّك أخبرتك ، فأقسم عليه ، فأخبره عن غرام بعض

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة : ٥٨٧ .

العشّاق[١].

مع الإمام الباقر عليه السلام

كان الشاعر كثير يكنّ في أعماق نفسه خالص الحبّ والولاء للإمام أبي جعفر عليه السلام، ويدين بإمامته وفضله، ويقول المؤرّخون: إنّ رجلاً نظر إليه وهو راكب والإمام أبو جعفر عليه السلام يمشي، فأنكر عليه ذلك وقال له: أتركب وأبو جعفر يمشي ؟!

فأجابه كثير جواب المؤمن بدينه، المتبصّر في عقيدته قائلاً: هو أمرني بذلك، وأنا بطاعته في الركوب أفضل من عصياني إيّاه بالمشي[٢].

ودلّت هذه البادرة على حسن أدبه، وكمال عقيدته، فإنّ طاعة الإمام واجبة ليس إلى مخالفتها من سبيل.

مدحه لبني مروان

واختصّ كثير عزّة ببني مروان، فكانوا يعظّمونه ويكرمونه[٣]، ونظم في مدحهم عدّة قصائد ذكرت في (ديوانه)، إلّا أنّه لم يكن في مدحه لهم جاداً، ولا مؤمناً بما يقول، وإنّما مدحهم طمعاً بأموالهم وهباتهم، وكان يسخر منهم، فكان يشبّههم بالحيّات والعقارب، فقد روى المؤرّخون أنّه وفد على الإمام أبي جعفر عليه السلام فقال عليه السلام له: **تَزْعَمُ أَنَّكَ مِنْ شِيعَتِنا وَتَمْدَحُ آلَ مَرْوانَ ؟!**

فانبرى كثير قائلاً: إنّما أسخر منهم، وأجعلهم حيّات وعقارب، ألم تسمع إلى قولي في عبدالعزيز بن مروان:

---

(١) وفيات الأعيان: ٣: ٢٦٦.

(٢) أمالي المرتضى: ١: ٢٨٣.

(٣) الأعلام: ٦: ٧٢.

وَكُنْتَ عَتَبتَ مَعتِبَةً فَلَجَّتْ　　　بي الغَلواءُ في سِنِّ العقابِ
وَيُرقيني لَكَ الرّاقونَ حَتّىٰ　　　أجابَكَ حَيَّةٌ تَحتَ الْحِجابِ

وفهم ذلك عبدالملك، فقال لأخيه عبدالعزيز: ما مدحك، إنّما جعلك راقياً للحيّات، ونقل لي ذلك عبدالعزيز فقلت له: والله لأجعلنّه حيّة، ثمّ لا ينكر ذلك فقلت فيه:

يُقَلِّبُ عَيْنَي حَيَّةٍ بِمَجارَةٍ　　　أضافَ إلَيْها السّارِياتِ سَبيلُها
يَصيدُ وَيُغضي وَهُوَ لَيْثُ خُفيَةٍ　　　إذا أمكَنَتْهُ عَدوَةٌ لَا يُقيلُها

ولمّا تلوت ذلك على عبدالملك أجزل لي العطاء، وخفي عليه ما قصدته[١]، فلم يكن كثير في مديحه لبني مروان جاداً، ولا مؤمناً بما يقول وإنّما كان ساخراً وهازئاً، فقد خادعهم ليكسب منهم الأموال التي اختلسوها بغير حقّ، ولم تكن له مندوحة لأخذ شيء منها إلّا بهذه الوسيلة.

وفاته

توفّي سنة ١٠٥هـ، وقد توفّي في اليوم الذي توفّي فيه عكرمة، وصلّي عليهما في موضع واحد بعد الظهر، فقال الناس: مات أفقه الناس، وأشعر الناس[٢].

وقد شيّع بتشييع حافل، وكان من جملة المشيّعين لجنازته الإمام أبو جعفر عليه السلام.

رواية موضوعة

وذكر بعض المؤرّخين رواية ـ فيما نحسب ـ أنّها من الموضوعات فقد رووا عن

---

(١) أخبار شعراء الشيعة: ٦٢.

(٢) وفيات الأعيان: ٣: ٢٦٩.

يزيد بن عروة ، أنّه قال : « غلبت النساء على جنازة كثير وهنّ يبكينه ، ويذكرن عزة في ندبتهنّ .

فقال أبو جعفر محمّد بن عليّ : افرجوا لي عن الجنازة لأدفعها .

قال : فجعلنا ندفع عنها النساء ، وجعل أبو جعفر يضربهنّ بكمّه ، ويقول : تنحّين يا صويحبات يوسف ، فانتدبت امرأة منهنّ وأقبلت على الإمام فقالت له : يابن رسول الله ، لقد صدقت إنّا لصويحبات يوسف ، وقد كنّا خيراً منكم له .

فقال أبو جعفر لبعض مواليه : احتفظ بها حتّى نجيء ، فلمّا فرغوا من دفن جنازة كثير جيء له بالمرأة فقال عليه السلام لها : أنت القائلة : إنّكنّ خير منّا ؟

- نعم ، تؤمنني غضبك يابن رسول الله ؟

- أنت آمنة من غضبي فابيني .

- نحن يابن رسول الله دعوناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتّع ، وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجبّ ، وبعتموه بأبخس الأثمان ، وحبستموه في السجن ، فأيّنا كان به أحنّ ، وعليه أرأف ؟

وأبدى الإمام إعجابه بها فقال لها : لله درّك لن تغالب امرأة إلّا غلبت ، ثمّ قال لها : ألك بعل ؟

- لي من الرجال من أنا بعله .

- صدقت مثلك من تملك زوجها ولا يملكها .

وانصرفت المرأة فقال رجل من القوم وكان يعرفها : هذه زينب بنت معيقب الأنصاريّة[١] .

والذي يواجه هذه الرواية من المؤاخذات ما يلي :

---

(١) الدرجات الرفيعة : ٥٩٠ .

١ ـ ما معنى تجمهر السيّدات من النساء حول جثمان كثير ، وإحاطتهنّ به حتّى صعب على الإمام الوصول إليه ، فاضطرّ حتّى أمر بكشفهنّ عنه ، مع العلم أنّ المرأة لم يعهد أنّها تشترك في مثل هذه المراسيم ، فقد أُمرت أن تقرّ في بيتها .

٢ ـ وممّا يدعو إلى الاطمئنان بوضع الرواية تهجّم الإمام على السيّدات اللاتي ازدحمن على جنازة كثير ، فإنّه عليه‌السلام كان المثل الأعلى للآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة ، ومن المستحيل أن تصدر منه أيّة كلمة نابية .

٣ ـ وممّا يدعم وضع الرواية هو الحوار الذي دار بين الامام وبين السيّدة الأنصاريّة ، وسؤاله منها أنّها لها زوج ، وهل يتناسب مع قدسيّة الإمام . والحقّ أنّها إلى الخيال أقرب منه إلى الواقع .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن ترجمة كثير (١) .

---

(١) توجد ترجمة كثير في كلّ من الأغاني : ٨ : ٢٥ . شذرات الذهب : ١ : ١٣١ . سير أعلام النبلاء : ٥ : ١٢٥ . خزانة الأدب / البغدادي : ٢ : ٣٨١ . معجم الشعراء / المرزباني : ٣٥٠ . أخبار الشيعة : ٦٢ . وفيات الأعيان : ٣ : ٢٦٥ ـ ٢٧٠ .

الكميت الأسدي

الكميت بن زيد بن خنيس (أبو المستهل) الأسدي ، شاعر الأوّلين والآخرين ـ على حدّ تعبير الفرزدق[١] ـ ولولا شعره لم يكن للّغة ترجمان ، ولا للبيان لسان ـ حسبما يقول عكرمة الضبيّ[٢] ـ .

وهو في طليعة رجال الفكر والأدب في عصره ، وقد ساهم مساهمة إيجابيّة في تطوّر الثقافة العربيّة وازدهار الحركة العلميّة في الإسلام ، ونعرض لبعض البنود المشرقة من جوانب حياته :

ولادته ونشأته

ولد الكميت سنة ٦١هـ، وهي السنة التي فجعت بها الأُمّة الإسلاميّة بقتل سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام[٣] ، وقد انطبعت في نفسه صورة تلك المأساة المروعة ، وأخذت تتفاعل مع مشاعره وعواطفه ، وظهر أثر ذلك في شعره الحزين الذي يرثي به الإمام الحسين عليه السلام .

أمّا نشأته فقد نشأ بالكوفة التي هي عاصمة الشيعة ، وينبوع التشيّع ، ومنجم الثورات على بني أُميّة ، وتربّى على حبّ أهل البيت عليهم السلام ، فكان حبّهم من عناصره ومقوّماته .

---

(١) الأغاني : ١٥ : ١١٥ .

(٢) روضات الجنّات : ٦ : ٥٩ .

(٣) الغدير : ٢ : ٢١١ .

مواهبه

كان الكميت من أفذاذ التاريخ ، ومن أعلام الأُمّة العربيّة ، وكان يتمتّع بمواهب شريفة وصفات رفيعة ، عدّها بعضهم بعشر خصال ، قال : «كان في الكميت عشر خصال لم تكن في شاعر : كان خطيب أسد ، وفقيه الشيعة ، حافظ القرآن العظيم ، ثبت الجنان ، وكان كاتباً حسن الخطّ ، وكان نسّابة ، وكان جدلاً ، وهو أوّل من ناظر في التشيّع ، وكان رامياً لم يكن في بني أسد أرمى منه ، وكان فارساً شجاعاً ديّناً ، وكان مشهوراً في التشيّع مجاهراً في ذلك »(١) .

وهذه الصفات قد رفعته إلى القمّة ، وميّزته على جميع أُدباء عصره .

شعره

أمّا شعره فهو من مناجم الأدب العربي ، ومن أروع ما قاله شعراء العرب على الاطلاق ، فلم يكن في شعره يميل إلى الدعابة والمجون ، وبذلك فقد فارق شعراء العصر الأموي والعبّاسي الذين اتّجهوا بمواهبهم الفكريّة والأدبيّة إلى اللهو والعبث وفساد الأخلاق .

أمّا الكميت فقد صرف فكره إلى ساداته من بني هاشم ، فأخذ ينشر مآثرهم ، ويذيع فضائلهم بأروع ما نظم في الأدب العربي .

ويقول المؤرّخون : كان الكميت لا يذيع شعره بين الناس حتّى يرضى به ، ويطمئنّ إليه ، فلذا كان لوحة فنّيّة تحكي الابداع والفنّ والفكر .

أمّا هاشميّاته ، فقد كبرت عن التحديد والتقييم ، وقد ضمّنها الاستدلال على مذهبه الذي لا يقبل الجدل والتشكيك ، وكانت هاشميّاته إحدى الوسائل الثقافيّة في تلك العصور لما فيها من الخصب وغزارة الفكر والأدب ، وكانت تروى في

---

(١) خزانة الأدب : ١ : ٩٩.

الأندية والمجالس ويحفظها الناس.

الكميت مع الفرزدق

ويروي المؤرّخون: أنّ الكميت لمّا نظم (الهاشميّات) سترها ولم يذعها بين الناس، ورأى أن يعرضها على شاعر العرب الأكبر الفرزدق بن غالب ليرى رأيه فيها، فقصده، وبعد أن استقرّ به المجلس قال له: يا أبا فراس، إنّك شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي.

- صدقت أنت ابن أخي، فما حاجتك؟

- نفث على لساني فقلت شعراً، فأحببت أن أعرضه عليك، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره، وكنت أوّل من ستره عليَّ.

وعجب الفرزدق من حسن أدبه، فطفق يقول له: أمّا عقلك فحسن، وإنّي لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فانشدني ما قلت.

وانبرى الكميت يتلو عليه رائعته قائلاً: «طَرِبْتُ[١] وَما شَوْقاً إِلَى الْبيضِ[٢] أَطْرَبُ»، فقطع الفرزدق عليه كلامه قائلاً: فيم تطرب يابن أخي؟

فقال: «وَلَا لَعِباً مِنِّي وَذُو الْشَّيْبِ يَلْعَبُ»؟!

وراح الفرزدق يقول: بلى يابن أخي فالعب، فإنّك في أوان اللعب، فقال:

وَلَمْ يُلْهِني دارٌ وَلَا رَسْمُ مَنْزِلٍ[٣] ... وَلَمْ يَتَطَرَّبني بَنانٌ مُخَضَّبُ[٤]

---

(١) **الطرب**: خفّة تعتري عند شدّة الفرح أو الحزن والهمّ.

(٢) المراد بها: النساء الحسان، ويريد بالبياض هنا نقاء اللون من الكلف والسواد.

(٣) **رسم المنزل**: ما بقي من آثاره.

(٤) **البنان**: الأصابع، وقيل أطرافها، واحدها بنانة. يقال: بنان مخضّب وبنان مطرف: الذي طرِّف بالحناء، ومراده صاحبات الأصابع المخضّبة.

وأكبر الفرزدق هذا الشعر ، وانطلق يقول : ما يطربك يابن أخي ؟

فقال :

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرُ هَمُّهُ ... أَصَاحَ غُرَابٌ أَمْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ

وَلَا السَّانِحاتُ الْبارِحاتُ[١] عَشِيَّةً ... أَمَرَّ سَلِيمُ الْقَرنِ[٢] أَمْ مَرَّ أَعْضَبُ

فقال الفرزدق : أجل لا تتطيّر .

فقال الكميت :

وَلكِنْ إِلىٰ أَهْلِ الْفَضائِلِ وَالتُّقىٰ ... وَخَيْرِ بَنِي حَوّاءَ وَالْخَيْرُ يُطْلَبُ

واهتزّ الفرزدق من روعة هذا الأدب العالي ، فراح يقول : من هؤلاء ويحك ؟ !

قال الكميت :

إِلَى النَّفَرِ الْبِيضِ[٣] الَّذينَ بِحُبِّهِمْ ... إِلَى اللهِ فِيما نالَني أَتَقَرَّبُ

واستولى على مشاعر الفرزدق وعواطفه فصاح : أرحني ويحك مَن هؤلاء ؟

قال الكميت :

بَني هاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ فَإِنَّني ... بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضىٰ مِراراً وَأَغْضَبُ

خَفَضْتُ لَهُمْ مِنّي جَناحَيْ مَوَدَّةٍ[٤] ... إِلىٰ كَنَفٍ عِطْفاهُ أَهْلٌ وَمَرْحَبُ[٥]

---

(١) **السانح من الظباء والطير** : الذي يجيء من يسارك فيوليك ميامنه .

البارح : ما يجيء من ميامنك فيوليك مياسره .

(٢) **سليم القرن** : الذي يتيمّن به .

الأعضب : المكسور أحد القرنين ، وهو ما يتشاءم به .

(٣) **النفر البيض** : يعني بني هاشم ، والبيض جمع أبيض ، يريد نقاء العرض من الدنس .

(٤) أي ليّنت لهم جانبي بالمودّة والعطف .

(٥) **إلى كنف** : أي مع ، **الكنف** : الناحية ، وأهل مرحب : أي قابلتهم على الرحب والسعة .

وملك هذا الشعر أحاسيس الفرزدق ، وانطلق يقول : يابن أخي ، اذع ، ثمّ أذع ، فأنت والله أشعر من مضى ، وأشعر من بقي[١] .

مميّزات شعره

ويمتاز شعر الكميت بأنّه كان مسرحاً للقيم الدينيّة التي تعبّر أصدق التعبير عن عواطفه تجاه ساداته بني هاشم الذين أخلص لهم في مودّته وحبّه ، فقد فرضت عليه ذلك الأدلّة الشرعيّة التي لا تقبل الجدل والنقاش .

أمّا الظواهر التي امتاز بها شعره ، فمن بينها :

١ ـ إنّ شعره في بني هاشم لم يكن عاطفيّاً ، وإنّما قام على الجدل والاقناع .

يقول شوقي ضيف : « وهكذا لم يعد الشعر عند الكميت يعبّر عن الشعور فحسب ، بل أصبح يعبّر أيضاً عن الفكر ، وأصبح يشفع بكلّ ما وصل إليه العقل العربي في هذا العصر من قدرة على الجدال والاقناع »[٢] .

« بل لعلّ تعبيره عن الفكر أهمّ من تعبيره عن العواطف »[٣] .

وهذه لوحة من إحدى روائعه التي تمثّل هذا الاتّجاه :

وَقـالوا وَرِثْـناها[٤] أَبـانا وَأُمَّـنا ... وَمـا وَرَّثَـتْهُمْ ذاكَ أُمٌّ وَلَا أَبُ
يَرَوْنَ لَهُمْ حَقّاً عَلَى النّاسِ واجِباً ... سَفاهاً وَحَقُّ الْهاشِمِيّينَ أَوْجَبُ[٥]

---

(١) الأغاني : ١٥ : ١٢٤ . مروج الذهب : ٣ : ٢٢٨ ـ ٢٣٢ .

(٢) التطوّر والتجديد : ٢٤١ .

(٣) المصدر المتقدّم : ٢٤٠ .

(٤) يعني الخلافة .

(٥) الهاشميّات : ٢٥ و ٢٦ .

وشجب الكميت بهذين البيتين دعوى الذين انتحلوا الخلافة ، وفرضوا لهم حقّاً على الناس لأنهم من قريش أسرة النبيّ ﷺ ، فإنّ هذه الجهة التي توصّلوا بها إلى الخلافة قد توفّرت في آل البيت عليهم السلام على أكمل صورها ، فهم ألصق الناس به ، وأقربهم إليه .

ويأخذ الكميت بعد هذين البيتين في الثناء على الرسول الأعظم ﷺ ، ثمّ يعرج على ما ذهب إليه من أحقّيّة آل البيت عليهم السلام بالخلافة فيقول :

يَقولونَ لَمْ يُورَثْ وَلَوْلا تُراثُهُ ... لَقَدْ شَرِكَتْ فيهِ بَكِيْلٌ وَأَرْحَبُ [1]

وَعَكٌّ وَلَخْمٌ وَالسَّكونُ وَحِمْيَرٌ ... وَكِنْدَةُ وَالْحَيَانِ بَكْرٌ وَتَغْلِبُ [2]

وقد أراد بهذين البيتين إبطال ما زعموه أنّ النبيّ ﷺ لم يورّث ، فإن كان ذلك حقّاً ، فإنّ القبائل المذكورة لها نصيب في الخلافة ، بل كانت الناس فيها سواء ـ حسبما يقول شارح الهاشميّات ـ ولا وجه لاختصاص قريش بها ، وهو منطق رصين يقوم على المنطق والفكر .

لقد كان الكميت بهذا الاستدلال فقيهاً ، فقد صاغ شعره صياغة العالم الفقيه الذي يعرف كيف يناقش المسائل ، ويثبتها ويدلّل عليها كما يقول الدكتور يوسف خليف [3] .

٢ ـ وأقام الكميت شعره في مدح بني هاشم على الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم تدلّل على ما ذهب إليه .

يقول مخاطباً بني هاشم :

وَجَدْنا لَكُمْ في آلِ حاميمَ آيَةً ... تَأَوَّلَها مِنّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ

---

(١) بَكِيل و أرحب : بطنان من قبيلة همْدان .

(٢) الهاشميّات : ٣٣ .

(٣) حياة الشعر في الكوفة : ٧١٣ .

وَفـــي غَـــيرِها آيـاً وَآيـاً تَـتابَعَتْ   لَكُمْ نَصَبٌ فِيها لِذي الشَّكِّ مُنْصِبُ[١]

إنّه يشير في البيت الأوّل إلى قوله تعالى: ﴿ **قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾[٢].

وفي البيت الثاني إلى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ** ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ** ﴾[٥].

لقد دعم الكميت ما ذهب إليه في فضل ساداته بني هاشم بآيات من القرآن الكريم الذي ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾[٦]، فهو حجّة قاطعة لا ريب فيه.

٣ ـ واتّسم شعر الكميت في مدحه لأهل البيت عليهم السلام بأنّه صادق اللهجة، قويّ العاطفة، مبعثه الإيمان الخالص الذي لا يشوبه أي عرض من أعراض الدنيا، فقد كان يبغي فيه وجه الله والدار الآخرة ويدلّل على ذلك قوله:

إِلى النَّفَرِ البِيضِ الَّذينَ بِحُبِّهِمْ   إِلى اللهِ فِـيما نـالَني أَتَـقَرَّبُ

لقد أخلص الكميت في هواه وحبّه لأهل البيت عليهم السلام لأنّه لم يرَ وسيلة تقرّبه إلى

---

(١) الهاشميّات: ٣٠.

(٢) الشورى ٤٢: ٢٣.

(٣) الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٤) الإسراء ١٧: ٢٦.

(٥) الأنفال ٨: ٤١.

(٦) فصّلت ٤١: ٤٢.

الله زلفى سوى الاخلاص في المودّة لهم .

٤ ـ والظاهرة التي يمتاز بها شعر الكميت في بني هاشم أنه لم يستند فيما نظمه فيهم إلى ما يسمعه عنهم من المآثر والفضائل ، وإنّما يستند إلى مشاهداته فقد عاصرهم ، ونظر إلى مثلهم العليا التي طبق شذاها العالم بأسره ، فهام بها ، شأنه شأن الأحرار الذين يقدّسون الفضيلة ، ويكبرون من اتّصف بها .

لقد كان شعر الكميت صورة حيّة يحكي الواقع المشرق لأهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

هذه بعض مميّزات شعر الكميت ، أمّا الحديث عن مظاهره الفنيّة فإنّه يستدعي الاطالة ، وقد آثرنا الايجاز في أكثر هذه البحوث .

صلابته في عقيدته

كان الكميت صلب العقيدة ، راسخ الإيمان ، قد أقام عقيدته على الواقع العلمي الذي لا يقبل الجدل والنقاش ، فهو شاعر العقيدة الشيعيّة ، والمعبّر عن آرائها ومبادئها ، ويجمع الرواة على أنّه أوّل من فتق باب الاحتجاج للشيعة في هاشميّاته ، وأنّه كان لسانهم والمدافع عنهم ، والمحتجّ لهم ، وقد صوّرت هاشميّاته الجانب الفكري والعقائدي للشيعة ، وأحاطت بوضوح بشؤون الإمامة التي تعتبر من العناصر الأساسيّة في مبادئهم .

مع الإمام الباقر عليه السلام

واختصّ الكميت بالإمام أبي جعفر عليه السلام ، فكان شاعره الخاصّ ، وقد تلا عليه بعض هاشميّاته وقصائده التي نظمها في حقّ أهل البيت عليهم السلام ، فأخذت موقعها من نفس الإمام عليه السلام ، فشكره ودعا له بالمغفرة والرضوان .

وكان الكميت لا يرى أحداً في هذه الدنيا يستحقّ الولاء والتقدير غير سيّده

الإمام أبي جعفر عليه السلام ، فقد دخل عليه وهو يقول :

ذَهَبَ الَّذينَ يُعاشُ في أَكْنافِهِمْ ... لَـمْ يَـبقَ إلّا شـامِتٌ أَوْ حـاسِدُ
وَبَقى عَلىٰ ظَهْرِ البَسيطَةِ واحِدٌ ... فَهُوَ المُرادُ وَأَنتَ ذاكَ الواحِدُ[١]

تعطّشه لرؤيا الإمام عليه السلام

كان الكميت مقيماً في الكوفة ، فاشتدّ به الوجد إلى رؤيا الإمام ، فسافر إلى يثرب ، ولمّا مثل عند الإمام عليه السلام تلا عليه قصيدته التي يذكر فيها تعطّشه لرؤياه . يقول فيها :

كَمْ جُزْتُ فيكَ مِنَ أَحوازٍ وَإِيقاعِ ... وَأَوْقَـعَ الشَّـوقُ بـي قـاعاً إِلىٰ قـاعِ
يا خَيرَ مَنْ حَمَلَتْ أُنْثى وَمَنْ وَضَعَتْ ... بِـهِ إِلَـيْكَ غَـدا سَيْري وَإِيضاعي
أَمـــا بَـــلَغْتُكَ مـا لا قــالَ بـالِغَةٌ ... بِـنا إِلىٰ غـايَةٍ يَسْعىٰ لَـها السّـاعي
مِـــنْ مَـعشَرٍ شـيعَةٍ لِلهِ ثُـمَّ لَكُـمْ ... صَـوَرٌ إِلَـيْكُمْ بِـابْصار وَأَسْماعي
دُعـــاةُ أَمْـرٍ وَنَـهْيٍ عَـنْ أَئِـمَّتِهِمْ ... يُـوصي بِـها مِنْهُمُ واعٍ إِلىٰ واعـي
لَا يَسْـــأَمونَ دُعـاءَ الخَـيرِ رَبَّـهُمْ ... أَنْ يَدركوا فَـيُلَبّوا دَعـوَةَ الدّاعـي[٢]

وصوّرت هذه الأبيات عظيم ولائه للإمام عليه السلام ، وما عاناه من جهد الطريق ، وعناء السفر في سبيل رؤيته والالتقاء به .

---

(١) روضات الجنّات : ٦ : ٥٦ . وانظر مروج الذهب : ٣ : ٢٢٩ .

(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : ١٨٩ .

وفي أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل : ٤ : ٥١٦ : «إنّ هذه الأبيات قالها أخو الكميت الورد بن زيد الأسدي أمام الإمام أبي جعفر عليه السلام ، وليست للكميت » .

وذكر ذلك أحمد بن محمّد بن عيّاش في مقتضب الأثر : ٤٦ .

رثاؤه للحسين عليه السلام

وكان الكميت قد ولد في السنة التي استشهد بها أبو الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ، ولمّا ترعرع وفهم الحياة رأى الناس قد ذهلتهم أهوال تلك المأساة الخالدة في دنيا الأحزان ، وهم يردّدون في أنديتهم ومجالسهم ما عاناه ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله من فوادح المحن والخطوب ، وقد هزّت مشاعره وعواطفه ، وملأت نفسه ألماً عاصفاً ، وقد رثاه بذوب روحه في كثير من شعره .

ويقول الرواة : إنّه نظم قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام ووفد على الإمام أبي جعفر عليه السلام ليتلوها عليه ، فلمّا مثل عنده قال له : يابن رسول الله ، قد قلت فيكم أبياتاً من الشعر ، أفتأذن لي في إنشادها ؟

- **إنّها أيّامُ الْبِيضِ[1] الّتي يُكْرَهُ فيها إنْشادُ الشِّعْرِ .**
- هي فيكم خاصّة .
- **هاتِ ما عِنْدَكَ .**

فانبرى يقول :

أَضْحَكَني الدَّهْرُ وَأَبْكاني ... وَالدَّهْرُ ذو صَرفٍ وَأَلوانِ
لِتِسعَةٍ بِالطَّفِّ قَدْ غُودروا ... صاروا جَميعاً رَهْنَ أَكْفانِ

وتألّم الإمام عليه السلام أشدّ ما يكون التألّم حينما سمع رثاء جدّه الإمام الحسين عليه السلام ، وأغرق في البكاء وبكى معه ولده الإمام الصادق عليه السلام ، كما بكت العلويّات من وراء الخباء ، ولمّا بلغ إلى قوله :

---

(١) **الأيّام البيض** : يراد بها أيّام الليالي البيض ، وهي الثالث عشر والرابع والخامس عشر ، وسمّيت لياليها بيضاً لأنّ القمر يطلع فيها من أوّلها إلى آخرها .

وَسِتَّةٌ لا يُتَجارىٰ بِهِمْ   بَنو عَقيلٍ خَيرُ فُرْسانِ
ثُمَّ عَلِيُّ الخَيرِ مَوْلاهُمْ   ذِكْرُهُمُ هَيَّجَ أَحْزاني

بكى الإمام أبو جعفر عليه السلام أمرّ البكاء ، وذكر له ما أعدّ الله من الثواب الجزيل لمن يذكر أهل البيت ، ويحزن لحزنهم .

ولمّا بلغ قوله :

مَنْ كانَ مَسْروراً بِما مَسَّكُمْ   أَوْ شامِتاً يَوْماً مِنَ الآنِ
فَقَدْ ذَلَلتُمْ بَعدَ عَزٍّ فَما   أَدفعُ ضَيْماً حينَ يَغْشاني

أخذ الإمام عليه السلام بيد الكميت وأخذ يدعو له قائلاً : **« اللّهُمَّ اغْفِرْ لِلْكُمَيْتِ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَما تَأَخَّرَ »** .

ولمّا بلغ قوله :

مَتىٰ يَقومُ الْحَقُّ فيكُمْ مَتىٰ   يَقومُ مَهْدِيُّكُمُ الثّاني

التفت إليه الإمام وعرّفه بأنّ الإمام المهدي عليه السلام هو الإمام المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً .

وسأله الكميت عن زمان خروجه ؟

فقال عليه السلام : **لَقَدْ سُئِلَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ ذلِكَ فَقالَ : إِنَّما مَثَلُهُ كَمَثَلِ السّاعَةِ لا تَأْتِيكُمْ إِلّا بَغْتَةً**[1] .

---

(١) الغدير ٢ : ٢٠٠ .

الميميّة من هاشميّاته

وأنشد الكميت بحضرة الإمام أبي جعفر عليه السلام الميميّة من هاشميّاته، وهي من أروع الشعر العربي وأرقاه، فهي تصوّر بوضوح انطباعاته الخاصّة عن أهل البيت عليهم السلام تصويراً رائعاً يستند إلى مشاهداته لمآثرهم الرفيعة ومثلهم العليا، يقول فيها:

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ مُسْتَهامِ … غَيْرَ ما صَبْوَةٍ وَلَا أَحْلامِ(١)

طارِقاتٍ وَلَا ادِّكارِ غَوانٍ(٢) … واضِحاتِ الْخُدودِ كَالْأَرْآمِ(٣)

بَلْ هَوايَ الَّذي أُجِنُّ(٤) وَأُبْدي … لِبَني هاشِمٍ فُروعِ الْأَنامِ(٥)

لِلْقَريبينَ مِنْ نَدىً(٦) وَالْبَعيدينَ … مِنَ الجورِ في عُرى الأَحْكامِ

وَالمُصيبينَ بابَ ما أَخْطأَ النّا … سُ وَمُرْسي قَواعِدِ الإِسلامِ

وَالْحُماةِ الْكُفاةِ(٧) في الْحَربِ … إِنْ لَفَّ ضِرامٌ(٨) وَقودَهُ ما بِضَرامِ

---

(١) **متيّم**: أي معبّد مذلّل. يقال: **تيّمه الحبّ**: إذا استولى عليه.

(٢) **طارقات** جمع طارقة، وكلّ آت بالليل طارق، وسمّي بذلك لحاجته إلى دقّ الباب.

الادّكار: من ادّكر الشيء ادّكاراً، أي ذكره بعد نسيان.

جمع غانية، وهي التي غنيت بجمالها عن الزينة.

(٣) **واضحات الخدود**: أراد ملاحة الوجه.

الأرآم: جمع رئم، وهو الظبي الخالص البياض.

(٤) **أجنّ**: أضمر.

(٥) **فروع الأنام**: أرفعهم وأسماهم، وفرع كلّ شيء أعلاه.

(٦) **الندى**: الكرم.

(٧) الكفاة جمع كاف.

(٨) **الضرام**: الوقود.

وَالْغُيوثِ[١] الَّذينَ إنْ أمْحَلَ النّا سُ فَمَأوى حَواضِنِ الأَيْتامِ[٢]
وَالْوُلاةِ الْكُفاةِ لِلأَمْرِ إنْ طَرَّ قَ يَتْناً بِمُجْهَضٍ[٣] أوْ تَمامِ
وَالأُساةِ[٤] الشُّفاةِ لِلدّاءِ ذِي الرِّيبَةِ وَالْمُدْرِكينَ بِالأَوْغامِ[٥]
وَالرَّوايا[٦] الَّتي بِها يَحْمِلُ النّا سُ وَسُوقَ الْمُطَبَّعاتِ الْعِظامِ[٧]
وَالْبُحورِ الَّتي بِها تُكْشَفُ الْحِرَّ ةُ وَالدّاءُ مِنْ غَليلِ الأُوامِ[٨]
لِكَثيرينَ طَيِّبينَ مِنَ النّا سِ وَبَرِّينَ صادِقينَ كِرامِ[٩]
وَاضِحي أوْجُهٍ كِرامِ جُدودٍ[١٠] واسِطي نِسْبَةٍ لِهامٍ فَهامِ[١١]

---

(١) **الغيث** : المطر والخصب.

(٢) **أمحل الناس** : أجدبوا ، والمحل : الجدب والقحط.

حواضن الأيتام : يريد بهنّ أمّهات الأيتام.

(٣) **التتن الولاد** : المنكوس تخرج رجلا المولود قبل رأسه ويديه. **وطرقت المرأة** ـ وكلّ حامل ـ إذا خرج شيء من المولود ثمّ نشب ولم يسهل خروجه. فيقال : طرّقت. الذي ألقته أمّه قبل تمامه ، وهو الجهيض أيضاً.

(٤) **الأساة** : جمع آسي ، وهو الطبيب المعالج ، من أسوت الجرح آسوه أسواً : إذا داويته.

(٥) **الأوغام** : جمع وغم ، وهو الذحل. **والمدركين بالأوغام** : أي لا يفوتهم الأخذ بالثأر.

(٦) **الروايا** : الإبل الحوامل للماء.

(٧) الوسوق : الأحمال ، الواحد وسق.

المطبعات : المملوآت.

(٨) **الحرّة** : العطش.

الغلّة و الغليل : شدّة العطش أو حرارة الجوف.

الأوام : حرارة العطش.

(٩) البرّ والبارّ واحد. يقال : فلان برّ بأهله وبارّ بهم.

(١٠) **الواضح** : البيّن.

(١١) **وواسطي** : نسبة ، أي قد توسّطت وتداخلت في كلّ نسبة.

⇦

لِلذُّرى فَالذُّرى مِنَ الْحَسَبِ الثّا(١) | قِبِ بَيْنَ الْقَمْقامِ فَالْقَمْقامِ(٢)
راجِحي الْوَزْنِ كامِلي الْعَدْلِ في الـ | ـسِّيرَةِ طَبِّينَ بِالأُمورِ الْعِظامِ(٣)
فَضَلوا النّاسَ في الْحَديثِ حَديثاً | وَقَديماً في أَوَّلِ الْقُدّامِ(٤)

لقد ذكر في مطلع قصيدته هيامه في الحبّ ، وأنّه قد استولى على مشاعره وعواطفه ، فصار أسيراً لا يملك من أمر نفسه شيئاً ، ولكن لمن هذا الحبّ العارم الذي وقع في شبكه ؟

إنّه ليس للغانيات التي يفتتن الناس بجمالهنّ ، وإنّما لأرفع الناس شأناً ، وأسماهم مكانةً ، إنّهم بنو هاشم الذين بهم جميع عناصر الشرف والمجد ، وفاقوا جميع الناس بمواهبهم وعبقريّاتهم ، فقد قصر عليهم إخلاصه وهواه الذي يجنه ويبديه .

ولم يندفع الكميت بحبّ ساداته بني هاشم وراء العاطفة ، وإنّما رآهم صورة رائعة لا ثاني لها في تاريخ البشريّة ، فقد رأى وشاهد ولمس أروع صور الإنسانيّة التي رفعتهم إلى القمّة السامقة ، قمّة الفكر والقيادة العليا في الإسلام .

رأى الكميت من صفات أسياده التي هام بها ما يلي :

⇦ يقال : فلان هامة قومه ، والهامة هنا أعلى الرأس .

(١) **الذرى** : جمع ذروة ، وهي أعلى الشيء .
الحسب : الشرف .

(٢) **الثاقب** : المضيء كما تثقب النار .
القمقام : السيّد الشريف .

(٣) **الطبّ** : الحاذق من الرجال ، الماهر بعلمه .
راجحي الوزن : أي أنّهم أرباب عقول كبيرة راجحة .

(٤) **القدام** هنا المتقدّمون ، جمع قادم .
الهاشميّات : ٨ ـ ١١ . الروضة المختارة : ٩ و ١٠ .

١ - إنّهم معدن الجود والكرم والسخاء ، فقد جادوا بجميع ما يملكونه لإنعاش المحرومين وإنقاذ البائسين .

٢ - إنّهم مصدر العدل بين الناس ، فلا يؤثرون قريباً على بعيد ، وإنّما الناس جميعاً عندهم على حدّ سواء ، فلا يعرفون المحسوبيّة ، ولا سائر الاعتبارات الأُخرى التي يأخذ بها الناس اندفاعاً مع العاطفة والهوى .

٣ - إنّهم أشجع من خلق الله ، فلم يمر الخوف على نفوسهم ، فقد خاضوا غمرات الحروب ، وأبدوا من صنوف البسالة ، ما لم يشاهد مثله في جميع فترات التاريخ ، فكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مضرب المثل في الدنيا في شجاعته وبسالته ، وكذلك الإمام الحسين عليه السلام سيّد الأباة والأحرار في الأرض ، فقد أبدى يوم عاشوراء من قوّة البأس وروعة التصميم ما حيّر العقول وأذهل الألباب ، وتطعّم بهذه الروح العالية سائر أبناء الأُسرة النبويّة ، فقد ملكوا من الشجاعة ما لا يملكها أي أحد من الناس .

٤ - إنّهم كانوا الملجأ والمأوى لأيتام الناس وسائر الفقراء والمحرومين إن أمحل الناس ، ولم يجدبوا فليس هناك من يعطف عليهم سوى أهل البيت عليهم السلام .

٥ - إنّهم ولاة الأُمور للناس إن التبست عليهم الأُمور أو طرقتهم الأزمات والأحداث ، فليس هناك من يستطيع التغلّب عليها سواهم ، فهم الذين يملكون العقول النيّرة ، والأفكار الصائبة التي يحلّون بها مشاكل الناس وأزماتهم .

٦ - إنّهم الحكماء الماهرون في معالجة أمراض النفوس ، وإزالة ما فيها من جراثيم الزيغ والانحراف ، فقد درسوا واقع هذا الإنسان ، وسبروا أعماق نفسه ، ودخائل ذاته ، ووقفوا على اندفاعاته نحو الحرص والطمع والجشع وإيثاره للهوى على الحقّ ، فوضعوا العلاج الحاسم لجميع أمراضه وآفاته ، وتجد في كلماتهم روائع الحكم والمواعظ الهادفة إلى إصلاح الناس وتهذيبهم .

٧ ـ إنّهم الروايا الذين يحملون الحكمة والحياة إلى الناس ، فإليهم يلجأ الظامئ ، ومن ساحل كرمهم وجودهم ينتهل كلّ من يريد الحياة .

٨ ـ إنّهم البحور الذين يرتوي منهم كلّ من أشرف على الهلاك ، فهم مصدر السعادة والخير لهذا الإنسان .

٩ ـ إنّهم أطيب الناس برّاً وصدقاً وكرماً ، وأصبح الناس وجوهاً ، وأكرمهم جدوداً ، وأعلاهم شأناً ونسباً .

١٠ ـ إنّهم أرجح الناس وزناً ، وأكملهم في العدل بين الناس ، وأخبرهم بالأُمور العظام .

١١ ـ إنّهم فاقوا الناس في جميع مراحل التاريخ ، فاقوهم في صدق حديثهم ، وأصالة فكرهم ، وخصب رأيهم .

ويسترسل الكميت بعد هذه الأبيات في ذكر مآثر ساداته بني هاشم وفضائلهم التي هام بها فيقول :

مُسْتَفيدينَ مُتْلِفينَ[١] مَواهِيـ ـبَ مَطاعيمَ غَيْرَ ما إِبْرامِ[٢]
مُسْعِفينَ مُفْضِلينَ مَساميـ ـحَ مَراجِيحَ في الْخَميسِ اللُّهامِ[٣]

---

(١) **متلفين** : أي يعطون الناس ما يستفيدونه .

(٢) **مطاعيم** : جمع مطعام ، الكثير الطعام .

غير ما ابرام : إشارة إلى أنّهم مقدمون في الناس ، أولو مكانة ومنزلة رفيعة . والإبرام جمع برم ، وهو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ولا يهدي حين يهدي إليه لدناءته وبخله .

(٣) **مساميح** : جمع مسماح من سمح : إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء .

مراجيح : أي حلماء .

الخميس : الجيش .

اللهام : الذي يلتهم كلّ شي .

وَمَــــدارِيكَ لِـــلذُّحولِ مَـــتاريـ لَكَ وَإِنْ أُحْـفِظوا لِـعُورِ الْكَـلامِ[(١)]
لا حُباهُم تُحَلُّ لِلْمَنْطِقِ الشَّغْبِ[(٢)] وَلا لِــــلِّطَامِ يَــــوْمَ اللِّــطامِ
أَبْــطَحِيِّينَ أَرْيَــحِيِّينَ[(٣)] كَـالأَنْجُـ مِ ذاتِ الرُّجُـــومِ وَالأَعْــلامِ[(٤)]
غَـالِبيِّينَ هـاشِميِّينَ[(٥)] فـي الْـعِلْـ مِ رَبَـــوا مِـــنْ عَـطِيَّةِ الْـعَلّامِ
وَمُصَفَّيْنَ[(٦)] في الْمَناصِبِ مُحْضِيـ نَ خِـضَمِّينَ كَـالْقُرومِ السَّوامِ[(٧)]
وَإِذا الْحَرْبُ أَوْمَضَتْ بِسَنا[(٨)] الْحَرْ بِ وَســارَ الْـهُمامُ نَـحْوَ الْـهُمامِ
فَهُمُ الأُسْدُ في الْوَغى لا اللَّواتي[(٩)] بَيْنَ خِـيْسِ الْـعَرينِ وَالآجـامِ[(١٠)]

---

(١) **الذحول**: جمع ذحل، وهو الثأر.
أحفظ أي اغضب، **والحفيظة**: الغضب.
عور الكلام عورانه: أي قبائحه، واحدته عوراء، فيقال: كلمة عوراء أي قبيحة.
(٢) **الحبي**: جمع حبوة، وهي الثياب التي يحتبي بها، **والاحتباء**: الاشتمال.
(٣) **الأبطحيّين**: نسبة إلى الأبطح، **والبطحاء**: مسيل الوادي، أراد أنّهم من قريش البطاح.
الأريحي: السخي.
(٤) **ذات الرجوم**: التي يرجم بها.
(٥) **غالبيّين**: نسبة إلى غالب بن فهر.
(٦) **المصفّى**: الذي صفى نسبه من الدنس.
(٧) **المحض**: الخالص من كلّ شيء.
الخضم: الكثير المعروف.
القروم: الفحول، الواحد قرم.
السوامي: جامع سامي، وهي الرافعة رؤوسها.
(٨) **أومضت**: أبرقت.
السنا: الضوء.
(٩) **الوغى**: الحرب.
(١٠) **الخيس**: الموضع الذي يكون فيه السبع.

⇦

أَسْدُ حَرْبٍ غيوثُ جَدْبٍ بَهاليـ لُ (١) مَقاوِيلُ غَيْرَ ما إفْدامِ (٢)

لا مَهاذِيرَ في النَّدِيِّ (٣) مَكاثِيـ رَ وَلا مُصْمَتِينَ بِالإفْحامِ (٤)

سادَةٌ ذادَةٌ (٥) عَنِ الخُرَّدِ البيـ ضِ إذا اليَوْمُ صارَ كَالأَيّامِ (٦)

وَمَغاييرُ (٧) عِنْدَهُنَّ مَغاو يرُ (٨) مَساعِيرُ لَيْلَةَ الإلْجامِ (٩)

لا مَعازيلَ (١٠) في الحُروبِ تَنا بِيلَ (١١) وَلارائِمينَ بَوَّ اهْتِضامِ (١٢)

⇦ **العرين**: مأواه.

الآجام: جمع أجمة، وهي الغابة التي يألفها الأسد.

(١) **البهاليل**: جمع بهلول، وهو الضحوك.

(٢) **مقاويل**: جمع مقول. يقال: رجل مقول إذا كان متكلّماً بيّناً ظريف اللسان.

أفدام: جمع فدم، وهو الثقيل الغبي.

(٣) **مهاذير**: جمع مهذار، وهو الكثير الكلام. والندى والنادي والمنتدى واحد، وهو مكان الاجتماع.

(٤) **مكاثير**: جمع مكثار.

(٥) **ذادة**: جمع ذائد، وهو الذي يذود، أي يمنع ويحمي عن أهله.

الخرد: جمع خريدة، وهي المرأة الحسناء.

(٦) أي صار يوم حرب كأيّام العرب المشهورة بالوقائع.

(٧) **مغايير**: جمع مغيار، الشديد الغيرة.

(٨) **مغاوير**: جمع مغوار، الذين يغورون، من الغارة.

(٩) **مساعير**: جمع مسعار، الذين يسعرون، أي يوقدون نيران الحرب.

ليلة الإلجام: أي ليلة الحرب التي يستعدّون فيها لإلجام الخيل.

(١٠) **معازيل**: جمع معزال، وهو الأعزال الذي لا سلاح معه.

(١١) **التنابيل**: جمع تنبال القصار.

(١٢) **رئمت الناقة ولدها**: أي عطفت عليه ولزمته، وكلّ من لزم شيئاً وألفه فقد رئمه.

البوّ: جلد الفصيل يحشى تبناً بعد سلخه لكي إذا قرب لأمّه ترأمه وتحنّ. ⇦

وَهُـمُ الآخِـذونَ مِـنْ ثِـقَةِ الأَ ... مْـرِ بِـتَقْواهُـمُ عُـرىً لَا انْـفِصامِ
وَالْـمُصيبُونَ وَالْـمُجِيبُونَ لِـلدَّ ... عْوَةِ وَالْمُحْرِزونَ خَصْلَ التَّرامي(١)
وَمُـحِلُّونَ مُـحْرِمونَ(٢) مُـقِرُّو ... نَ لِـحِلٍّ قَـرارِهِ وَحَـرامِ

وعرض الكميت في هذه الأبيات إلى الصفات الرفيعة الماثلة في أهل البيت عليهم السلام ، وهي :

١ ـ إنّ الأموال التي تردهم يبذلونها بسخاء وطيب نفس إلى ذوي الحاجة لا يبغون جزاءً ولا شكوراً.

٢ ـ إنّهم إذا وتروا فهم غير قاصرين ولا عاجزين من الأخذ بثأرهم ، ولكنّهم تركوا ذلك إيثاراً لما عند الله ، وإن نالهم من أعدائهم قبيح الكلام .

٣ ـ ووصف الكميت بقوله : « لا حباهم تحلّ للمنطق الشغب » سعة حلمهم ، وأنّهم لا تطيش أحلامهم عند المشاغبة فلا يحلّون حباهم ولا يتحرّكون .

٤ ـ وعرض بقوله : « أبطحيّين أريحيّين » إلى أنّهم أشراف قريش بما اتّصفوا به من الأريحيّة فهم كالنجوم والأعلام التي يهتدي بها الضالّ .

٥ ـ وأراد بقوله : « غالبيّين هاشميّين في العلم » أنّهم ينتمون إلى سيّد العرب غالب بن فهر ، ثمّ إلى هاشم ، وأنّهم نالوا من العلم ما لم ينله أحد ، فقد منحهم ذلك الله تعالى الذي بيده الخير .

٦ ـ وعرض بقوله : « ومصفّين في المناصب ... الخ » إلى أنّهم في مناصبهم

⇦ **الاهتضام والهضم** : الذلّ . يقال : فلان مهتضم ومهضوم الحقّ .

(١) **الدعوة** : دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله .

الخصل والخصلة في النضال : أن يقع السهم بلزق القرطاس ، وهو الإصابة في الرمي . يقال : رمى فأخصل وأصاب خصله ، وأحرز خصله أي غلب على الرهان .

(٢) **محلّون ومحرّمون** : أي في الحجّ .

ومكانتهم قد خلصوا من الدنس ، ونزهوا من كلّ عيب ، فرفعوا رؤوسهم اعتزازاً لأنّهم لم يحيدوا عن الحقّ ، ولم يقترفوا أي باطل أو إثم .

٧ ـ وعرض بقوله : « وإذا الحرب أومضت بسنا الحرب » وبالبيتين اللذين بعده إلى شجاعة العلويّين ، وأنّ الحرب إذا استعرت واشتدّ أوارها ، فإنّهم يخوضون غمارهاببسالة وصمود وقوّة بأس لا يعرفون الفزع ولا الخوف ، وإنّما يستقبلون الموت بثغورهم الباسمة .

٨ ـ وأراد بقوله : « لا مهاذير في الندى » أنّهم إذا ضمّهم النادي فلا يبتذلون بكثرة الكلام ، وإنّما يصمتون في مواضع الصمت من غير إفحام .

٩ ـ وأعرب بقوله : « سادة ذادة عن الخرد » إلى أنّهم الحماة الذين يحمون أهلهم عن الضيم في أحلك الأيّام المشهورة بالحروب والوقائع .

١٠ ـ وعرض بقوله : « ومغايير عندهنّ مغاوير » وبالبيت الذي بعده إلى أنّهم أسد الحروب الذين يوقدون نارها ويسعرون لهبها ، ويقذفون بنفوسهم فيها ، وليسوا بمعازيل ولا بتنابيل ، وإنّما هم الأعلام ، والقادة والرؤوس .

١١ ـ وأعطى الكميت بقوله : « وهم الآخذون من ثقة الأمر » صورة عن تكامل شخصيّة أهل البيت عليهم السلام بأنّهم يأخذون بأوثق الأمور وأشدّها صلة بالحقّ ، ولا يأخذون بما التبس عليهم أو شكّوا في مشروعيّته ، وذلك لشدّة تقواهم وورعهم .

وعرض في البيت الذي يليه إلى أنّهم أوّل من أجاب دعوة الحقّ التي أعلنها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، فقد كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سيّد العترة الطاهرة هو أوّل من سبق إلى الإسلام ، كما كان المدافع الأوّل عن النبيّ صلى الله عليه وآله والمحامي عن دعوته .

وعرض الكميت بعد هذا المدح للعلويّين إلى هجاء خصومهم الأمويّين . يقول :

سَاسَةٌ لا كَمَنْ يَرعىٰ النَّا ... سِ سَوَاءً وَرَعيَةَ الأَنْعامِ[(١)]
لا كَعَبدِ المَلِيكِ، أو كَوليدٍ ... أو كَسُليمانَ بَعدُ أو كَهُشامِ
رَأْيُهُ[(٢)] فِيهِمُ كَرَأْيِ ذَوِي الثُّلَّـ ... ـةِ فِي الثَّائِجاتِ[(٣)] جُنْحَ الظَّلامِ
جَزُّ ذي الصُّوفِ وَانْتِقاءٌ[(٤)] لِذِي الْمُخَّـ ... ـةِ نَعْقاً وَدَعْدَعاً بِالْبِهامِ[(٥)]
مَنْ يَمُتْ لَا يَمُتْ فَقِيداً وَمَنْ يَحْـ ... ـيَ فَلا ذُو إلٍّ وَلَا ذو ذِمامِ[(٦)]

لا أكاد أعرف هجاءً أمضّ، ولا أصدق من هذا الهجاء، فقد كشف النقاب عن سوء السياسة الأمويّة، التي ساست الناس سياسة لم يألفوها، فقد نظرت إليهم كالأنعام، ولم تؤمن بأي حقّ من حقوقهم، فصبّت عليهم وابلاً من العذاب الأليم، وعرض إلى من مات من ملوك الأمويّين، وأنّه لا ذكر لهم، لأنّهم لم يقيموا حقّاً، ولم يؤسّسوا عدلاً، فلذا لا يذكرهم الناس بخير، وإنّما يمقتون ظلمهم، ويذكرون جورهم وبطشهم.

ويواصل الكميت مدحه لبني هاشم فيقول:

---

(١) يقول: إنّهم يتعهّدون الناس بحسن السياسة لا يدعونهم عملاً كالأنعام، وقوله: لا كمن يرعى الناس: يعني بني أُميّة.

(٢) رأيه: أي رأي الواحد من هؤلاء الخلفاء كرأي أصحاب القطع الكثيرة من الغنم.

(٣) **الثائجات**: الضأن، أي الصائحات. يقال: ثاجت الغنم ثواجاً.

جنح الظلام: إذا جنح على الأرض، والجنوح الميل.

(٤) **انتقاء**: اختيار.

(٥) **ذي المخة**: أراد السمينة من الغنم.

نعقاً: أي ينعق نعقاً: يصيح في الغنم.

الدعدعة: زجر البهائم.

(٦) من مات منهم فلا ذكر له، ومن عاش ففي أحكامه لا يرقب في مؤمن إلاًّ ولا ذمّة، **والال**: العهد، **والآل**: القرابة. **والذمام**: الذمّة والحقّ.

فَـهُمُ الْأَقْـربونَ مِـنْ كُـلِّ خَـيْرٍ وَهُـمُ الْأَبْـعَدونَ مِنْ كُـلِّ ذامِ(١)
وَهُـمُ الْأَوْفـونَ بِـالنّاسِ فـي الرَّأْ فَــةِ وَالْأَحْـلَمونَ فـي الْأَحْـلامِ
بَسَـطوا أيـديَ النَّوالِ(٢) وَكَفُّوا أيْـدِيَ الْـبَغْيِ عَـنْهُمُ وَالْـعُرامِ(٣)
أَخذوا الْقَصْدَ(٤) فَـاسْتَقاموا عَـلَيْهِ حـينَ مـالَتْ زَوامِـلُ الْآثـامِ(٥)
عِيَراتُ(٦) الْفَعالِ وَالْحَسَبِ الْـعَوْ دِ إلَـيْهِمْ مَـحْطوطَةُ الْأَعْكـامِ(٧)
أُسْرَةُ الصّادِقِ الْـحَديثِ أَبـي الْـقا سِـمِ فَـرْعُ الْـقَدامِسِ الْقُـدّامِ(٨)

وصوّرت هذه الأبيات المثل العليا التي اتّصف بها أهل البيت عليهم السلام من قربهم إلى الخير، وبعدهم عن كلّ ما يوجب الذمّ، ووفائهم بكلّ عهد، ورأفتهم بالناس، وسعة حلمهم، وغير ذلك من الصفات التي جعلتهم مهوى الأفئدة، وموضع تقديس الناس وإكبارهم.

ويأخذ الكميت في رائعته بمدح النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله فيقول:

---

(١) الذام والذيم والذم واحد، وهو العيب.

(٢) **النوال**: العطاء.

(٣) **العرام**: الجهل، ورجل عارم: جاهل.

(٤) **القصد**: الاعتدال والتوسّط في الأمور.

(٥) **الزوامل**: الإبل التي تحمل عليها الحمولة، فشبّه الأنام بالزوامل.

(٦) عيرات: هكذا في وردت، ولعلّه أراد عيارات جميع عَير، وهي الحمير التي يُحمل عليها الميرة.

(٧) **الحسب**: ما يعدّه الإنسان من مفاخر الآباء.
العود: القديم. والعود في الأصل الجمل المسنّ.
الأعكام: جمع عكم، العدل ـ بالكسر ـ.

(٨) **القدامس والقدموس**: السيّد الشريف، وقيل: الشداد.
القدام: المتقدّم.

خَيْرُ حَيٍّ وَمَيِّتٍ مِنْ بَني آ — دَمَ طُراً مَأْمومِهِمْ وَالإِمامِ
كانَ مَيْتاً جَنازَةً خَيْرَ مَيْتٍ — غَيَّبَتْهُ مَقابِرُ الأَقْوامِ[١]
وَجَنيناً وَمُرْضِعاً ساكِنَ الْمَهْ — دِ وَبَعْدَ الرَّضاعِ عِنْدَ الْفِطامِ
خَيْرَ مُسْتَرْضَعٍ وَخَيْرَ فَطيمٍ — وَجَنينٍ أُقِرَّ في الأَرْحامِ
وَغُلاماً وَناشِئاً ثُمَّ كَهْلاً — خَيْرَ كَهْلٍ وَناشِئٍ وَغُلامِ
أَنْقَذَ اللهُ شِلْوَنا[٢] مِنْ شَفا النّا — رِ بِهِ نِعْمَةً مِنَ الْمِنْعامِ
لَوْ فَدَى الْحَيُّ مَيِّتاً قُلْتُ نَفْسي — وَبَنِيَّ الْفِدا لِتِلْكَ الْعِظامِ
طَيِّبُ الأَصْلِ طَيِّبُ الْعُودِ في الْبِنْ — يَةِ وَالْفَرْعِ يَثْرِبيٌّ تُهامي
أَبْطَحيٌّ بِمَكَّةَ اسْتَثْقَبَ[٣] اللّـ — ـهُ ضِياءَ الْعَما بِهِ وَالظَّلامِ
وَإِلى يَثْرِبَ التَّحَوُّلُ عَنْها[٤] — لِمُقامٍ مِنْ غَيْرِ دارِ مُقامِ[٥]
هِجْرَةٌ حَوَّلَتْ إِلَى الأَوْسِ وَالْخَزْ — رَجِ أَهْلِ الْفَسيلِ وَالآطامِ[٦]
غَيْرُ دُنْيا مُحالِفاً[٧] وَاسْمُ صِدْقٍ — باقِياً مَجْدُهُ بَقاءَ السَّلامِ[٨]

---

(١) أي أنّه صلى الله عليه وآله كان خير ميّت وأكمل إنسان من لدن كان جنيناً إلى أن انتقل إلى الدار الباقية.

(٢) **الشلو**: الجلد والجسد من كلّ شيء. والجمع: أشلاء.

(٣) **أبطحي** نسبة إلى أبطح مكّة.

استثقب الله بالنبيّ: أي أضاء به وكشف حجب العمى الجهالة عن الأمّة.

(٤) **التحوّل عنها**: أي تحوّل عن مكّة وهاجر إلى يثرب.

(٥) **المقام**: من الإقامة.

(٦) **الفسيل**: وهي صغار النخيل، ويجمع على فسائل أيضاً، والفسلان: جمع الجمع.

الآطام: جمع أطم، وهي الحصون المبنيّة بالحجارة.

(٧) **غير دنيا مخالفاً**: أي لم يغترّ بزخارف الدنيا فيميل إليها، ولم يحالف غير الصدق والشرف.

والحلف: العهد.

(٨) **السلام** ـ بالكسر ـ: الحجارة، جمع سلمة.

وبعد هذا الثناء العاطر على النبيّ ﷺ أخذ في مدح الشهيد العظيم جعفر الطيّار ابن عمّ النبيّ ﷺ، ومدح عمّ النبيّ ﷺ الشهيد الخالد حمزة. يقول:

ذُو الْجَناحَيْنِ وَابْنُ هالَةَ[1] مِنْهُمْ ... أَسَدُ اللهِ وَالْكَمِيُّ الْمُحامي[2]
لَا ابْنُ عَمٍّ[3] يُرى كَهَذا وَلَا عَمٌّ[4] ... كَهذاكَ سَيِّدُ الْأَعْمامِ

ويعرض الكميت بعد هذا إلى مدح سيّد الأوصياء، وباب مدينة علم النبيّ ﷺ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

وَالْوَصِيُّ[5] الَّذي أَمالَ التَّجُوبِيُّ ... بِهِ عَرْشَ أُمَّةٍ لانْهِدامِ[6]
كانَ أَهْلَ الْعَفافِ وَالْمَجْدِ وَالْخَيْرِ ... وَنَقْضِ الأُمورِ وَالْإِبْرامِ[7]
وَالْوَصِيَّ الْوَلِيَّ وَالْفارِسَ الْمُعْلِمَ ... تَحْتَ الْعَجاجِ غَيْرَ الْكَهامِ[8]

---

(١) **ذو الجناحين**: هو جعفر بن أبي طالب، وقتل في غزوة مؤتة سنة ثمان للهجرة.
ابن هالة: هو حمزة بن عبدالمطّلب عمّ رسول الله ﷺ استشهد في غزوة أُحد، وأمّه هالة بنت أهيب.

(٢) **الكمي**: الشجاع.

(٣) **لا ابن عمّ**: يعني جعفر.

(٤) **ولا عمّ**: يعني حمزة.

(٥) **الوصيّ** هنا الذي يوصّى له، والمراد به عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(٦) **التجوبي**: نسبة إلى تجوب، وهي من قبائل اليمن. وقيل: من حمير، وعدادهم في مراد، وهو عبدالرحمن بن ملجم قاتل عليّ عليه السلام.
العرش: سرير الملك.

(٧) **الإبرام**: إحكام الفتل. يقال: أبرمت الفتل، وحبر مبرم: أي مفتول، وأمر مبرم أي محكم.

(٨) **العجاج**: الغبار.
الكهام: الكليل من الرجال والسيوف. يقال: سيف كهام.

كَمْ لَهُ ثُمَّ كَمْ لَهُ مِنْ قَتيلٍ وَصَريعٍ تَحْتَ السَّنابِكِ دامي(١)
وَخَميسٍ(٢) يَلُفُّهُ بِخَميسٍ وَفِئامٍ حَواهُ بَعْدَ فِئامِ(٣)
وَعَميدٍ مُتَوَّجٍ حَلَّ عَنْهُ عِقْدَ التّاجِ بِالصَّنيعِ الْحُسامِ(٤)
قَتَلوا يَوْمَ ذاكَ إِذْ قَتَلوهُ حَكَماً لا كَغابِرِ الْحُكّامِ
راعِياً كانَ مُسْجِحاً(٥) فَفَقَدنا هُ وَفَقدُ المُسيمِ هَلْكُ السَّوامِ(٦)
نالَنا فَقْدُهُ وَنالَ سِوانا باجْتِداعٍ مِنَ الأُنوفِ اصْطِلامِ
وَأَشَتَّتْ بِنا مَصادِرُ شَتّى بَعْدَ نَهْجِ السَّبيلِ ذي الآرامِ(٧)
جَرَّدَ السَّيْفَ تارَتَيْنِ مِنَ الدَّهْـ ـرِ عَلى حينِ دِرَّةٍ مِنْ صَرامِ(٨)
في مُريدينَ(٩) مُخْطِئينَ هُدَى اللّـ ـهِ وَمُسْتَقْسِمينَ بِالأَزْلامِ(١٠)

---

(١) **السنابك** : جمع سنبك ، وهي أطراف الحوافر.

(٢) **الخميس** : الجيش الكثير.

(٣) **الفئام** : الجماعة من الناس لا يكون من غيرهم.

(٤) **الصنيع** : السيف الجيّد.

(٥) **المسجح** : الرقيق.

(٦) **المسيم** : الذي يسيم إبله أو غنمه ترعى.

(٧) **الآرام** : جمع ارم : الأعلام. وهي حجارة تجمع وتنصب في المفازة يهتدى بها.

(٨) **الدرة** : كثرة اللبن وسيلانه.

صرام : من أسماء الحرب.

(٩) **مريدين** : يعني الخوارج.

(١٠) **الأزلام** : سهام كانت لأهل الجاهلية مكتوب على بعضها : أمرني ربّي ، وعلى بعضها : نهاني ربّي.

فإذا أراد الرجل سفراً أو أمراً ضرب تلك القداح ، فإن خرج السهم الذي عليه أمرني ربّي مضى لحاجته ، وإن خرج الذي عليه نهاني ربّي لم يمض في أمره.

وانبرى إلى ذكر الإمام الحسن عليه‌السلام سيّد شباب أهل الجنّة وريحانة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، قال:

وَوَصِيُّ الْوَصيِّ[١] ذِي الْخُطَّةِ الْفَصْـ ... ـلِ وَمُرْدي الْخُصومَ يَوْمَ الْخِصامِ

وعرج بعد ذلك إلى ذكر مأساة الإمام الحسين عليه‌السلام تلك المأساة المروعة التي تركت أعظم اللوعة والأسى في النفوس. قال:

وَقَتيلٌ بِالطَّفِّ غُودِرَ مِنْهُ ... بَيْنَ غَوْغاءِ أُمَّةٍ وَطَغامِ[٢]

وحينما سمع الإمام أبو جعفر عليه‌السلام هذا البيت تناثرت دموعه وبكى، وقال له: كما قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله لحسّان بن ثابت: لا زلت مؤيّداً بروح القدس ما ذببت عنّا أهل البيت[٣].

ويستمرّ الكميت في تلاوة رثائه للإمام الحسين عليه‌السلام، يقول:

تَرْكَبُ الطَّيْرُ كَالْمَجاسِدِ[٤] مِنْهُ ... مَعَ هابٍ مِنَ التُّرابِ هُيامِ[٥]

وَتُطيلُ الْمُرَزَّآتُ[٦] الْمَقالِيـ ... ـتَ عَلَيْهِ الْقُعودَ بَعْدَ الْقِيامِ

---

(١) **وصي الوصيّ**: هو الحسن بن عليّ عليهما‌السلام.

(٢) **الغوغاء**: الناس الكثير.

الطغام: أراذل الناس.

(٣) قصص العرب: ٢: ٢٦٩. مروج الذهب: ٢: ١٩٥.

(٤) **المجاسد**: الثياب المصبوغة بالزعفران.

(٥) **الهابي**: التراب.

الهيام: الكثير الذي لا يتماسك.

(٦) **المرزآت**: النساء اللاتي رزئن بأولادهنّ. الواحدة: مرزأة.

المقاليت من النساء: جمع مقلاة، اللواتي لا يبقى لهنّ أولاد.

يَـــتَعَرَّفْنَ حُـرَّ وَجْـهٍ عَـلَيْهِ عُقْبَةُ السَّرْوِ ظاهِراً وَالْوِسام[١]
قَــتَلَ الْأَدْعِـياءُ[٢] إذْ قَـتَلوهُ أَكْرَمَ الشّارِبينَ صَوْبَ الْغَمامِ

وعرض بعد ذلك إلى محمّد بن الحنفيّة، قال:

وَسَمِيُّ النَّبِيِّ[٣] بِالشِّعْبِ ذِي الْخَيْـ ـفِ طَـريدُ الْـمُحِلِّ بِـالْإحْرامِ

يشير بذلك إلى ما تعرّض إليه محمّد من التنكيل من قِبل ابن الزبير لأنّه امتنع من بيعته، فحصره بالخيف، وهدّده ومن معه بالحرق إن لم يبايعوه.

وذكر بعد ذلك الشهيد العظيم أبا الفضل العبّاس ابن الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام الذي استشهد دفاعاً عن أخيه سيّد الأحرار الإمام الحسين عليه السلام، يقول:

وَأبو الْفَضْلِ[٤] إنَّ ذِكْرَهُمُ الْحُلْـ ـوَ بِـفيَّ الشِّـفاءُ لِـلْأَسْقامِ[٥]

ويعرض بعد ذلك إلى مدى ولائه العميق لأهل البيت عليهم السلام، يقول:

فَــبِهِمْ كُــنْتُ لِـلْبَعيدينَ عَـمّاً وَاتَّـهَمْتُ الْـقَريبَ أَيَّ اتِّـهامِ[٦]

---

(١) **السرو**: المروءة والشرف. **وعقبة السرو**: أي سيماه وعلامته.

(٢) **الأدعياء**: جمع دعي، من الدعوة ـ بالكسر ـ ادّعاء الولد غير أبيه، والمراد به هنا عبيدالله بن زياد بن سميّة أخو معاوية بن أبي سفيان.

(٣) سميّ النبيّ: محمّد بن الحنفيّة بن عليّ أمير المؤمنين.

(٤) هو العبّاس عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله.

(٥) في مقاتل الطالبيّين: ٨٤:

وَأبو الفَـضْلِ إنَّ ذِكْـرَهُمُ الْـحُلْوَ شِــفاءُ النُّـفوسِ مِـنْ أَسْـقامِ
قَــتَلَ الأدْعِــياءُ إذْ قَــتَلوهُ أَكْرَمَ الشّاربينَ صَوْبَ الغَمامِ

وذكر شارح الهاشميّات أنّ المراد بأبي الفضل هو العبّاس عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو اشتباه محض نشأ من قلّة التتبّع.

(٦) قيل إنّه يعني القريب علقمة الحضرمي الذي اتّهمه.

صَدَقَ النَّاسَ[١] في حُنَيْنٍ بِضَرْبٍ ... شابَ مِنْهُ مَفارِقُ الْقَمْقامِ[٢]
وَتَناوَلْتُ مَنْ تَناوَلَ بِالْغَيْـ ... ـبَةِ أَعْراضَهُمْ وَقَلَّ اكْتِتامي
وَرَأَيْتُ الشَّرِيفَ في أَعْيُنِ النّـ ... ـاسِ وَضِيعاً وَقَلَّ مِنْهُ احْتِشامي
مُعْلِناً لِلْمُعالِنينَ مُسِرّاً ... لِلْمُسِرِّينَ غَيْرَ دَحْضِ الْمَقامِ
مُبْدِياً صَفْحَتِي عَلَى الْمَرْقَبِ الْمُعْـ ... ـلَمِ بِاللهِ عِزَّتي وَاعْتِصامي
ما أُبالي إذا حَفِظْت أَبا الْقا ... سِمِ فيهِم مَلامَةَ اللُّوّامِ
لا أُبالي وَلَنْ أُبالِيَ فيهِمْ ... أَبَداً رَغْمَ ساخِطِينَ رِغامِ[٣]
فَهُمُ شِيعَتي وَقِسْمي[٤] مِنَ الأُ ... مَّةِ حَسْبي مِنْ سائِرِ الأَقْسامِ
إنْ أَمُتْ لا أَمُتْ وَنَفْسِيَ نَفْسا ... نِ مِنَ الشَّكِّ في عَمىً أَوْ تَعامي
عادِلاً غَيْرَهُمْ[٥] مِنَ النَّاسِ طُرّاً ... بِهِمُ لا هَمامِ بي لا هَمامِ[٦]
لَمْ أَبِعْ دينِيَ الْمُساوِمِ[٧] بِالْوَكْـ ... ـسِ وَلا مُغْلِياً مِنَ السُّوّامِ[٨]

---

(١) يعني أبا الفضل، وكان ممّن غزا وثبت في وقعة حنين.

(٢) **المفارق**: وسط الرأس.

القمقام: السيّد.

(٣) يقال: فعلت رغم أنفه: أي قسراً عنه.

الرغام: هو التراب، ويقال: أرغم الله أنفه: إذا ألصقها بالتراب.

(٤) **القسم و المِقسم و القسيم**: الحظّ والنصيب من الخير، والجمع أقسام.

(٥) **عادلاً غيرهم**: أي لا أعدل بهم أحداً، ولا اتّخذ سواهم لي أولياء.

(٦) **لا همام**: أي لا أهمّ بذلك ولا أفعله.

(٧) **المساوم**: الذي يسوم الشيء للشراء.

(٨) **الوكس**: النقص. يقال: بعت السلعة بالوكس أي بالنقصان.

مغلياً: أي ولا أبيع ديني لمن يُغلي الثمن ويفرط في السوم.

وعبّر بهذه الأبيات عن أصدق الولاء لبني هاشم ، فقد أخلص للبعيد الذي يخلص لهم وعادى القريب الذي يعاديهم ، وكان ذلك منتهى الإيمان .

ولمّا بلغ الكميت إلى قوله :

أَخْلَصَ اللهُ لي هَوايَ فَما أُغْـ ... ـرِقُ نَزْعاً وَلَا تَطِيشُ سِهامي (١)

قال له الإمام : قل : « فقد أغرق نزعاً ولا تطيش سهامي » التفت الكميت إلى النكتة في ذلك ، فقال للإمام : أنت أشعر منّي في هذا المعنى .

ولمّا فرغ الكميت من إنشاد رائعته توجّه الإمام نحو الكعبة ، وأخذ يدعو له قائلاً : **« اللّهُمَّ ارْحَمِ الْكُمَيْتَ وَاغْفِرْ لَهُ »** .

وكرّر الدعاء بالمغفرة له ثلاث مرّات ، ثمّ قال له : **يا كُمَيْتُ ، هٰذِهِ مائَةُ أَلْفٍ قَدْ جَمَعْتُها لَكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتي** ، فأبى الكميت من قبولها ، واعتذر بأنّه يطلب المكافأة من الله تعالى ، وطلب من الإمام عليه السلام أن يتكرّم عليه بقميص من قمصه ، فأعطاه ذلك (٢) .

وخرج الكميت من الإمام فقصد عبدالله بن الحسن فأنشده رائعته ، فأُعجب بها عبدالله وقال له : يا أبا المستهلّ ، إنّ لي ضيعة أُعطيت فيها أربعة آلاف دينار ، وهذا كتابها ، وقد أشهدت بذلك شهوداً . وناوله الكتاب .

فقال الكميت : بأبي أنت وأُمّي ، إنّي كنت أقول الشعر في غيركم أُريد به الدنيا ، ولا والله ما قلت فيكم إلّا لله ، وما كنت لآخذ على شيء جعلته لله مالاً ولا ثمناً .

---

(١) **النزع** : جذب الوتر بالسهم.

الاغراق في النزع : مثل يضرب للغلوّ والإفراط ، فقوله : « فما أغرق نزعاً » لا يناسب المقام ، لأنّ معناه أنّه لا يبالغ في محبّة أهل البيت عليهم السلام ، مع أنّ المناسب المبالغة فيها فلهذا غيّر الإمام الشعر من النفي إلى الإيجاب.

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٣٢٩ . بحار الأنوار : ٤٦ : ٣٣٣ ، الحديث ١٦ . أعيان الشيعة ـ القسم الأوّل : ٤ : ٥١٥ و ٥١٦ .

فألحّ عليه عبدالله ، فأخذ الكميت الكتاب ومضى أيّاماً ، ثمّ قصد عبدالله فقال له : إنّ لي حاجة .

- ما هي ؟ كلّ حاجة لك مقضيّة .

- كائنة ما كانت ؟

- نعم .

- هذا الكتاب تقبله ، وترجع الضيعة . وناوله الكتاب فقبله عبدالله ، ونهض عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر فأخذ جلداً ودفعه إلى أربعة من غلمانه ، وجعل يدخل دور بني هاشم وهو يرفع عقيرته قائلاً : يا بني هاشم ، هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم ، وعرّض دمه لبني أُميّة فأثيبوه بما قدرتم .

وأخذ العلويّون يطرحون في الجلد ما يقدرون عليه من الدنانير والدراهم ، وعلمت السيّدات من العلويّات فكن يبعثن إليه ما يتمكّنّ عليه حتّى كانت العلويّة تخلع الحليّ من جسدها وتدفعه ، واجتمع عنده من المال ما قيمته مائة ألف درهم ، فجاء بها إلى الكميت ، وقال له : يا أبا المستهلّ ، أتيناك بجهد المقل ، ونحن في دولة عدوّنا ، وقد جمعنا هذا المال ، وفيه حليّ النساء ، فاستعن به على دهرك .

وأبى الكميت من قبوله قائلاً : بأبي أنتم وأُمّي ، قد أكثرتم وأطيبتم ، وما أردت بمدحي إيّاكم إلّا الله ورسوله ، ولم أك لآخذ ثمناً من الدنيا ، فاردده إلى أهله .

وجهد عبدالله أن يقبل الكميت تلك الأموال فأبى وامتنع[١] .

---

(١) مروج الذهب : ٣ : ٢٣٠ .

اللاميّة من هاشميّاته

وأنشد الكميت اللاميّة من هاشميّاته أمام الإمام أبي جعفر عليه السلام ، وقد أخذت منه مأخذاً عظيماً ، فقد تركت في نفسه أعظم الأثر ، فقد عرض فيها إلى الأحداث السياسيّة المؤلمة في ذلك العصر ، وما حلّ بأهل البيت عليهم السلام من صنوف التنكيل والارهاق . يقول في أوّلها :

أَلَا هَـلْ عَـمٍ[1] فـي رَأْيِـهِ مُـتَأَمِّلُ وَهَـلْ مُـدْبِرٌ بَـعْدَ الْإِسـاءَةِ مُـقْبِلُ
وَهَـلْ أُمَّـةٌ مُسْـتَيْقِظونَ لِـرُشْدِهِمْ فَـيَكْشِفَ عَـنْهُ الـنَّعْسَةَ الْـمُتَزَمِّلُ[2]
فَقَدْ طالَ هذا النَّوْمُ وَاسْتَخْرَجَ الْكَرَى[3] مَساويَهُمْ لَـوْ كـانَ ذا الْـمَيْلُ يُـعْدَلُ

ودعا الكميت بهذه الأبيات المسلمين إلى اليقظة من سباتهم ، وأهاب بهم من الجمود والخمول ، وقد حفّزهم على الثورة للتخلّص من ظلم الأمويّين وجورهم ، فقد جهدوا على الاستبداد بشؤون الناس وإرغامهم على ما يكرهون .

ويقول الكميت في هذه الرائعة :

وَعُـطِّلَتِ الأَحْكـامُ حَـتّى كَـأَنَّنا عَلى مِلَّةٍ غَـيرِ الَّـتي نَـتَنَحَّلُ[4]
كَـلامُ النَّـبِيِّينَ الْـهُداةِ كَـلامُنا وَأَفْـعالَ أَهْـلِ الْجاهِلِيَّةِ نَـفْعَلُ

---

(١) **عم** : من عمى البصيرة . فيقال : رجل عمٍ في أمره : لا يبصره ، ورجل أعمى في البصر .

(٢) **النعسة** : النومة من النعاس ، وهو السِّنة من غير نوم .

المتزمّل : النائم المتلفّف بثيابه .

(٣) **الكرى** : النوم .

(٤) **والملّة** : الدين .

نتنحّل : من النحلة ، وهي الدعوى .

رَضِينا بِدُنْيا لا نُريدُ فِراقَها عَلىٰ أَنَّنا فيها نَموتُ وَنُقْتَلُ
وَنَحْنُ بِها مُسْتَمْسِكونَ كَأَنَّها لَنا جُنَّةٌ مِمّا نَخافُ وَمَعْقِلُ (١)

وعرض في البيت الأوّل إلى تعطيل الأمويّين للأحكام الدينيّة، وتجميدهم لمبادئ الإسلام حتّى صار المسلمون بشكل مؤسف كأنّهم قد انتحلوا ديناً غير دين الإسلام.

أمّا البيت الثاني فقد قدح فيه في ولاة الحكم الأموي، وأنّهم يقولون كلام الهداة المصلحين إلّا أنّ أعمالهم تتجافى مع أقوالهم، فهم يعملون أعمال أهل الجاهليّة الأولى، أمّا البيتان الأخيران فإنّه يعزو فيهما الحالة الراهنة التي مني بها المسلمون إلى حبّهم للحياة وإيثارهم للعافية، وتمسّكهم بالدنيا، فلم يهبّوا للجهاد والثورة على الحكم الأموي.

ويقول الكميت:

فَتِلْكَ أُمورُ النّاسِ أَضْحَتْ كَأَنَّها أُمورُ مُضِيعٍ آثَرَ النَّوْمَ بُهَّلُ (٢)
فَياساسَةً هاتُوا لَنا مِنْ حَديثِكُمْ فَفيكُمْ لَعَمْري ذُو أَفانِينَ مَقْوَلُ (٣)
أَأَهلُ كِتابٍ نَحنُ فيهِ وَأَنتُمُ عَلَى الحَقِّ نَقْضي بِالْكِتابِ وَنَعدِلُ (٤)

ويعرض في البيت الأوّل إلى إهمال الحكّام الأمويّين لشؤون الرعيّة حتّى غدت كأنّها الإبل المهملة تسرح ولا راعي لها يحفظها من الضياع، ويسأل في البيتين الأخيرين أُولئك الساسة القابضين على زمام الحكم، هل أنّهم أهل كتاب يقضون

---

(١) **الجُنّة**: الوقاية والمعقل الحرز.

(٢) **البهل**: واحدها باهل. يقال: ناقلة باهلة وباهل، وهي التي تكون مهملة بغير راع.

(٣) **أفانين**: ضروب الكلام وفنونه ومتنوعاته.

المقول: اللسان البليغ.

(٤) الهاشميّات: ٦١ ـ ٦٣.

بالحقّ، وعلى ضوئه يسوسون شؤون رعيّتهم؟ وإذا كانوا كذلك فما بالهم قد شذّوا في سياستهم عن الدين، وابتعدوا عن تعاليمه.

ويستمرّ الكميت في محاسبة الأمويّين، وتحميلهم المسؤوليّة عمّا أصاب الأمّة من الظلم والجور، ويعدّد مثالبهم، ويدعو المسلمين إلى الانتفاضة على حكمهم، وبعد ذلك عرج على رثاء أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

كَأَنَّ حُسَيْناً وَالْبَهالِيلَ(١) حَوْلَهُ ... لأَسْيافِهِمْ ما يَخْتَلي الْمُتَبَقِّلُ(٢)

يَخُضْنَ بِهِ مِنْ آلِ أَحْمَدَ في الْوَغى(٣) ... دَماً ظَلَّ مِنْهُمْ كَالْبَهيمِ الْمُحَجَّلُ

وَغابَ نَبِيُّ اللهِ عَنْهُمْ وَفَقْدُهُ ... عَلَى النّاسِ رِزْءٌ ما هُناكَ مُجَلَّلُ(٤)

لقد كان الكميت صادق اللهجة والعاطفة في رثائه للحسين عليه السلام، وقد تركت أبياته أعظم الأثر في نفس الإمام أبي جعفر عليه السلام، ولمّا انتهى الكميت إلى هذا البيت:

يُصيبُ بِهِ الرّامونَ(٥) عَنْ قَوْسِ غَيْرِهِمْ ... فَيا آخِراً أَسْدَى لَهُ الْغَيَّ أَوَّلُ(٦)

اشتدّ حزن الإمام عليه السلام، وقد أراد الكميت بهذا البيت أنّ جميع ما حلّ بأهل البيت عليهم السلام من الرزايا والخطوب فإنّه يستند إلى الصدر الأوّل، فإنّهم هم الذين

---

(١) **البهاليل**: جمع بهلول، الضحوك.

(٢) **المتبقّل**: الذي يأخذ البقل.

(٣) **يخضن**: يعني الخيل.

الوغى: الصوت والجلبة في الحرب.

(٤) **الرزء**: المصيبة.

المجلّل: الجليل.

(٥) **الرامون**: يعني الذين قاتلوا.

(٦) **فيا آخراً**: يعني هشاماً. **وأوّل**: آبائه.

أسدى: أعطى ومنح.

سمحوا للأمويّين أن يقفزوا إلى الحكم ، ومكنوهم من رقاب المسلمين ، ولمّا سمع الإمام عليه السلام هذا البيت بلغ به الحزن أقصاه ، ورفع يده إلى السماء ، وجعل يدعو للكميت قائلاً: « **اللّهمَّ اغْفِرْ لِلْكُمَيتِ** »[١] .

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن لاميّة الكميت ، وقد جاء فيها أنّه قد رثا الإمام أبا جعفر عليه السلام حيث قال :

أَبو جَعْفَرٍ[٢] دونَ الَّذي كُنْتَ تَـأْمُلُ ... أَمَوْتاً عَـلىٰ حَـقٍّ كَـمَنْ مـاتَ مِـنْهُمُ

ومن المؤكّد أنّه نظم هذا البيت وما بعده بعد وفاة الإمام أبي جعفر عليه السلام وألحق ذلك بلاميّته .

---

(١) أخبار شعراء الشيعة / المرزباني : ٧٢.

(٢) هو الإمام محمّد الباقر عليه السلام .

العينيّة من هاشميّاته

وهذه رائعة أُخرى من هاشميّاته ، وقد وفد على الإمام أبي جعفر عليه السلام ليتلوها عليه ، فقال له : إنّي قد قلت شعراً إن أظهرته خفت القتل ، وإن كتمته خفت الله تعالى ، ثمّ أنشد الإمام عليه السلام هذه الرائعة :

نَفَىٰ عَنْ عَيْنِكَ الْأَرَقُ الْهُجُوعا (١) وَهَمٌّ يَمْتَري مِنْها الدُّمُوعا (٢)

دَخيلٌ في الْفُؤادِ يَهِيجُ سُقْماً (٣) وَحُزْناً كانَ مِنْ جَذَلٍ مَنُوعا (٤)

لِفُقْدانِ الْخَضارِمِ مِنْ قُرَيْشٍ (٥) وَخَيْرِ الشّافِعِينَ مَعاً شَفِيعا

ووصف في هذه الأبيات ما حلّ به من هم مقيم ، وآلام عميقة جعلته دائماً أرقاً لا يألف إلّا الحزن والأسى ، وذلك لما حلّ بأسياده العلويّين من الرزايا والخطوب ، فقد كوت قلبه ، وجعلته هائماً في تيّارات مذهلة من الأسى والشجون .

ويقول الكميت في عينيّته يصف سيّده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

لَدى الرَّحْمنِ يَصْدَعُ بِالْمَثاني وَكانَ لَهُ أَبو حَسَنٍ قَرِيعا

حَطُوطاً في مَسَرَّتِهِ وَمَوْلىً (٦) إِلىٰ مَرْضاةِ خالِقِهِ سَرِيعا

---

(١) **نفى** : طرد .

(٢) **يمتري** : يجلب . يقال : امترى الرجل الناقلة : إذا مسح درعها للحلب .

(٣) **دخيل** : أي هم دخيل متملك في الفؤاد .

(٤) **الجذل** : الفرح .

(٥) **الخضارم** : السادات ، جمع خضرم .

(٦) **حطوطاً** : أي ينحطّ في مسرّته وهواه فلا تغرّه الدنيا بزخارفها ولا تخدعه بلذّاتها .

المولى : ابن العمّ ، والمولى : السيّد .

حَـطوطاً فـي مَسَـرَّتِهِ وَمَـوْلىً | إل مَـرْضاةِ خـالِقِهِ سَـرِيعا
وَأَصْـفاهُ النَّـبِيُّ عَـلَى اخْـتِيارٍ | بِما أَعْيَ الرَّفُوضَ لَهُ الْمُذِيعا (١)
وَيَوْمَ الدَّوْحِ دَوْحِ غَديرِ خُمٍّ (٢) | أَبـانَ لَـهُ الْـوِلايَةَ لَـوْ أُطِـيعا
وَلَكِـنَّ الرِّجـالَ تَـبايَعُوها | فَـلَمْ أَرَ مِـثْلَها خَـطَراً مَـبِيعا
فَـلَمْ أَبْـلُغْ بِـها لَـعْناً وَلكِـنْ | أَسـاءَ بِـذاكَ أَوَّلُـهُمْ صَـنِيعا
فـصارَ بِـذاكَ أَقْـرَبُهُمْ لِـعَدْلٍ | إِلىٰ جَـوْرٍ وَأَحْـفَظُهُمْ مُـضِيعا
أَضـاعُوا أَمْـرَ قـائِدِهِمْ فَـضَلُّوا | وَأَقْوَمِهِمْ لَدَى الْحَدَثانِ رِيعا (٣)
تَـناسَوا حَـقَّهُ وَبَـغَوا عَـلَيْهِ | بِـلا تِـرَةٍ وَكـانَ لَـهُمْ قَـرِيعا (٤)

وعرض الكميت في هذه القطعة من قصيدته إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فذكر مناصرته للنبيّ صلى الله عليه وآله حينما فجّر دعوته المشرقة ، فقد كان الإمام إلى جانبه يحميه ويذبّ عنه ، ويردّ عنه كيد المعتدين والظالمين .

وكان الإمام عليه السلام في جهاده ودفاعه لا يبتغي إلّا وجه الله ، ولا يلتمس إلّا الدار الآخرة ، ونظراً لما يتمتّع به الإمام عليه السلام من الطاقات الروحيّة الهائلة فقد اصطفاه النبيّ صلى الله عليه وآله وجعله وزيراً وخليفة من بعده ، أعلن ذلك في مؤتمره العامّ الذي عقده في غدير خم ، فقلّده وسام الخلافة والإمامة ، وقال فيه :

---

(١) **بما أعى الرفوض** : أي بالذي أعى الرافض لذكر فضائله ، وأعى الذي أذاعه عنه أن يكتم منزلته . والمذيع من الإذاعة الإفشاء الذي يذيع ذكره .

(٢) **الدوح** : الشجر العظيم ، الواحدة : الدوحة .

(٣) **الحدثان** : صروف الزمان .
الريع : الطريق .

(٤) **الترة** : الزحف .
القريع : السيّد .

« مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ . اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ ، وَعادِ مَنْ عاداهُ ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ »(١) .

ومن المؤسف حقّاً أنّ هذه البيعة التي عقدها الله ورسوله للإمام أمير المؤمنين القائد الأوّل للمسيرة الإسلاميّة لم تتّفق مع رغبات القوم وميولهم ، فعقدوا مؤتمر السقيفة ، وتجاهلوا بيعتهم للإمام ، وتناسوا مقامه ، وقد حفلت مصادر التاريخ بذكر الحادث المؤلم وتفصيل شؤونه .

ومضى الكميت في رائعته يقول :

فَقُلْ لِبَني أُمَيَّةَ حَيْثُ حَلُّوا ... وَإِنْ خِفْتُ الْمُهَنَّدَ وَالْقَطيعا(٢)

أَلا أُفٍّ لِدَهْرٍ كُنْتُ فيهِ ... هِداناً طائِعاً لَكُمُ مُطيعا(٣)

أَجاعَ اللهُ مَنْ أَشْبَعْتُموهُ ... وَأَشْبَعَ مَنْ بِجَوْرِكُمُ أُجيعا

وَيَلْعَنُ فَذَّ أُمَّتِهِ جِهاراً(٤) ... إِذا ساسَ الْبَرِيَّةَ وَالْخَليعا(٥)

بِمَرْضِيِّ السِّياسَةِ هاشِمِيٍّ ... يَكونُ حَياً لأُمَّتِهِ رَبيعا(٦)

وَلَيْثاً في الْمَشاهِدِ غَيْرَ نِكْسٍ(٧) ... لِتَقْويمِ الْبَرِيَّةِ مُسْتَطيعا

---

(١) حديث الغدير متواتر ، أجمع المسلمون على روايته ، وذكرته الصحاح كافّة .

(٢) **المهنّد** : السيف الهندي.
القطيع : السوط .

(٣) **الهدان** : الجبان .

(٤) **الفذّ** : الفرد ، وهو أوّل القداح يريد به قاتل عليّ .

(٥) **الخليع** : الوليد بن عبدالملك .

(٦) **الحَيا** : الخصب ، وربيع أي كالربيع يعمّ الرعيّة بالخيرات .

(٧) **النكس** : الدنيء المقصّر ، وأصل ذلك في السهام ، وذلك أنّ السهم إذا ارتدع أو نالته آفة نُكس في الكنانة ليعرف من غيره .

يُـقيمُ أُمـورَها وَيَـذُبُّ عَـنْها　　　وَيَـتْرُكُ جَـدْبَها أَبَـداً مَـرِيعا[١]

وعرض الكميت في هذه الأبيات لبني أُميّة فدعا بالجوع والحرمان على عملائهم وأذنابهم الذين اتخمت بطونهم من أموال الأمويّين وهباتهم ، كما دعا لمن حرمتهم السلطة الأمويّة من العطاء بالثراء وسعة العيش ، كما عرض لبني هاشم ، وأنّهم ساسة الأمّة وأنّها في ظلال حكمهم تجد الرفاهيّة والعيش الرغيد .

ويقول المؤرّخون : إنّ الإمام أبا جعفر عليه‌السلام لمّا سمع هذه القصيدة العصماء أخذ منه الاعجاب مأخذاً عظيماً وانطلق يقول : « **اللّهمَّ اكْفِ الْكُمَيْتَ** » . وكرّر الإمام هذا الدعاء ثلاث مرّات ، وقد أنجاه الله ببركة دعائه فتخلّص من سجن الأمويّين[٢] .

نضاله المرير

وناضل الكميت نضالاً مريراً في الدفاع عن عقيدته ، والذبّ عن مبادئه . وقد انطلق كالمارد الجبّار في أحلك الظروف وأشدّها قسوة ومحنة على أهل البيت عليهم‌السلام فأخذ يذيع مآثرهم ، ويشيد بفضائلهم ، ويدعو الناس إلى الالتفاف حولهم ، ويدفعهم إلى التمرّد على الحكم الأموي ، والتخلّص من جوره وطغيانه .

لقد قام الكميت بدور إيجابي وفعّال في زعزعة الكيان الأموي ، وإسقاط هيبته ، وكان من أبرز ما قام به في هذا المجال ما يلي :

١ ـ مدحه لأهل البيت عليهم‌السلام

ومدح الكميت أهل البيت عليهم‌السلام مدحاً عاطراً ، وعدّد مناقبهم ومآثرهم في

---

(١) **الجدب** : القحط .

المريع : الخصب . الهاشميّات : ٧٨ و ٨٠ .

(٢) أخبار شعراء الشيعة : ٧٢ و ٧٣ .

هاشميّاته التي هي من أثمن اللوحات الفنيّة في الأدب العربي ، وقد لعبت دوراً خطيراً في بلورة الوعي العربي والإسلامي ، وأوجدت شعوراً عامّاً يتّسم بالكراهية والبغض لبني أُميّة .

لقد مدح الكميت أهل البيت عليهم السلام في وقت كانت الحكومة الأمويّة قد منعت منعاً رسميّاً الإشادة بهم ، وفرضت سبّهم على المنابر والمآذن ، وأوعزت إلى معاهد التعليم القيام بتغذية النشء ببغضهم .

كما عهدت إلى لجان الوضّاعين بافتعال الحديث للحطّ من شأنهم ، وفرضت أشدّ العقوبات وأكثرها صرامة على من يذكرهم بخير ، فقيام الكميت بمدحهم يعتبر من أبرز ألوان النضال الديني لأنّه قد قاوم رغبات السلطة ، وناهض سياستها .

٢ - هجاء الأمويّين

وقام الكميت بدور خطير في مناهضة الأمويّين ، فقد هجا ملوكهم ، وعدّد مثالبهم ، وأبرزهم في شعره كأقذر المخلوقات ، وقد حفظ الناس ما قاله فيهم ، فزهدوا في بني أُميّة ، ونقموا على حكمهم وسلطانهم ، ويعتبر هجاؤه لهم من الأسباب التي أطاحت بملكهم ، ومن قوله فيهم :

فَقُلْ لِبَني أُمَيَّةَ حَيْثُ حَلُّوا ... وَإِنْ خِفْتُ الْمُهَنَّدَ وَالْقَطيعا

أَجاعَ اللهُ مَنْ أَشْبَعْتُموهُ ... وَأَشْبَعَ مَنْ بِجَوْرِكُمُ أُجِيعا

وقد قرأ هذه الأبيات على الإمام أبي جعفر عليه السلام فدعا له بالمغفرة والرضوان[1] ، وهجا هشام بن عبدالملك بقوله :

مُصيبٌ علَى الْأَعْوادِ يَوْمَ رُكوبها ... لِما قالَ فيها مُخْطِئٌ حينَ يَنزِلُ

---

(١) معجم الشعراء : ٣٤٨.

كَـــلامُ النَّـــبِيِّينَ الْـهُداةِ كَـلامُنا   وَأَفْـعالَ أَهْـلِ الْـجاهِلِيَّةِ نَـفْعَلُ (١)

ولم يقتصر الكميت في هجائه للأمويّين ، وإنّما هجا أنصارهم وأعوانـهم ، فـقد هجا الحكيم بن عيّاش الكلبي ، وقد اعتزّ الكميت في هجائه ببني أُميّة ، وكان ذلك موضع دهشة واستغراب .

وقد خفّ إليه ولده المستهلّ فأنكر عليه اعتزازه ببني أُميّه قـائلاً : يـا أبـة ، إنّك هجوت الكلبي ، وغمزت عليه ، ففخرت ببني أُميّة ، وأنت تشهد عـليهم بـالكفر ، فهلّا فخرت بعليّ وبني هاشم الذين تتولّاهم ؟ !

فأجابهم الكميت جواب العالم الخبير قائلاً : يا بنيّ ، أنت تعلم انقطاع الكلبي إلى بني أُميّة ، وهم أعداء عليّ ، فلو ذكرت عليّاً لترك ذكري ، وأقبل على هجائه فأكون قد عرضت عليّاً له ، ولا أجد له ناصراً من بني أُميّة ، ففخرت عليه ببني أُميّة وقلت : إن نقضها علَيَّ قتلوه ، وإن أمسك قتلته غمّاً وغلبته .

وكان كما قال الكميت ، فقد أمسك الكلبي في جوابه إلّا أنّه ترك الحزن والأسى يحزّان في نفسه (٢) .

٣ـ إثارة العصبيّة بين اليمنيّة والنزاريّة

وقام الكميت بدور خطير في تحطيم الدولة الأمويّة ، فقد ألقى الخصومة وأجّج نار الفتنة بين اليمانيّة والنزاريّة ، وهما من أهمّ القبائل العربيّة عدداً ونفوذاً ، وكانتا من أعظم المؤيّدين للحكم الأموي ، وقد هـجا الكـميت فـي شـعره اليـمانيّين وعـدّد مثالبهم ، فلم يترك حيّاً من أحيائهم إلّا هجاه بأقسى ألوان الهجاء ، أمّا سبب هجائه لهم فقد روى المسعودي أنّه قصد عبدالله بن الحسن فطلب منه أن ينشأ شعراً يثير به

---

(١) معجم الشعراء : ٣٤٨.

(٢) الأغاني : ١٥ : ١٢٩ .

حفائظ النفوس بين العرب ، لعلّ فتنة تحدث فتكون سبباً إلى زوال دولة الأمويّين ، فاستجاب الكميت ، وانطلق ينظم قصائد من الشعر الحماسي الرائع يمجّد فيها اليمانيّين ، ويذكر مناقبهم ، ويهجو القحطانيّين ، وممّا قاله :

لَنا قَمَرُ السَّماءِ وَكُلُّ نَجمٍ ... تُشيرُ إِلَيْهِ أَيْدي المُهْتَدينا
وَجَدتُ اللهَ إِذْ سَمّىٰ نِزاراً ... وَأَسْكَنَهُمْ بِمَكَّةَ قاطِنينا
لَنا جَعَلَ المَكارِمَ خالِصاتٍ ... وَلِلنّاسِ القَفا وَلَنا الجَبينا (١)

وأثّر شعره في القلوب تأثيراً عظيماً ، حتّى ثارت الحفائظ بين القبيلتين ، وشاع البغض والعداء بينهما ، وانتصر للقحطانيّين شاعر أهل البيت دعبل الخزاعي ، وأكبر الظنّ أنّه كان بينهما اتّفاق سرّي على ذلك ، فإنّهما معاً من شعراء أهل البيت عليهم السلام ، وكلّ منهما قد ضرب الرقم القياسي في الولاء لهم ، وممّا قاله دعبل في الردّ على الكميت :

أَفيقي مِنْ مَلامِكِ يا ظَعينا ... كَفاكِ اللَّومَ مَرُّ الأَرْبَعينا
أَلَمْ تَحْزُنْكِ أَحْداثُ اللَّيالي ... يُشَيِّبْنَ الذَّوائِبَ وَالقُرونا
أُحَيّي الغُرَّ مِنْ سَرَواتِ قَوْمي ... لَقَدْ حُيِّيتِ عَنّا يا مَدينا
فَإِنْ يَكُ آلُ إِسْرائِيلَ مِنْكُمْ ... وَكُنْتُمْ بِالأَعاجِمِ فاخِرينا

إلى أن يقول :

وَما طَلَبَ الكُمَيتُ طِلابَ وِتْرٍ ... وَلكِنّا لِنُصْرَتِنا هُجينا
لَقَدْ عَلِمَتْ نِزارٌ أَنَّ قَوْمي ... إِلىٰ نَصْرِ النُّبُوَّةِ فاخِرينا

وأخذت كلّ قبيلة تفتخر على الأخرى وتدلي بمناقبها ومكارمها ، وتنتقص القبيلة

---

(١) مروج الذهب : ٢ : ٢٣٠ و ٢٣١ .

الأُخرى حتّى اتّسع العداء بينهما وشمل سكّان القرى والبادية، وقد تخرّبت القلوب، وانفصمت عرى الوحدة بين الأُسرتين، ونتج من ذلك أنّ مروان بن محمّد الجعدي آخر ملوك بني أُميّة قد تعصّب للنزاريّين، ممّا سبّب انحراف اليمانيّين عن بني أُميّة، وانضمامهم إلى الدعوة العبّاسيّة، وبذلك فقد انهارت الدولة الأمويّة[١].

ويقول أحمد أمين: «وسقطت بعده ـ أي بعد الكميت ـ الدولة الأمويّة بقليل»[٢].

اعتقاله

وشاع هجاء الكميت لليمانيّين، وصار أُحدوثة الأندية والمجالس، وبلغ ذلك حاكم الكوفة خالد بن عبدالله القسري، وكان يتعصّب لليمانيّين، فقال: والله لأقتلنّه.

ويقول المؤرّخون: إنّه اشترى جارية في نهاية الحسن، فرواها هاشميّات الكميت، فلمّا حفظتها أهداها إلى هشام بن عبدالملك، وكتب إليه بأخبار الكميت، وهجائه لبني أُميّة، وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها:

فَيارَبِّ هَلْ إلّا بِكَ النَّصرُ يُبتَغىٰ وَيا رَبِّ هَلْ إلّا عَلَيْكَ المُعَوَّلُ

وهي قصيدة طويلة يرثي فيها الشهيد العظيم زيد بن عليّ، وابنه الشهيد الخالد الحسين بن زيد، كما يمدح فيها بني هاشم، ولمّا وصلت إلى هشام، وقرئت عليه غضب أشدّ ما يكون الغضب.

فكتب إلى خالد يأمره بقطع لسان الكميت ويده، وأوعز خالد القسري إلى الشرطة باعتقاله، فألقت عليه القبض وأُودع في السجن، لينفذ فيه حكم الإعدام، وبقى في السجن حفنة من الأيّام وهو يعاني قسوة السجن ومرارته[٣].

---

(١) الغدير: ٢: ٣٧٢. مروج الذهب: ٣: ٢٣١.

(٢) ضحى الإسلام: ٣: ٢٠٦.

(٣) الأغاني: ١٥: ١١٤.

هربه من السجن

وبقي الكميت في السجن وجلاً مضطرباً قد طافت به الهموم والآلام ، فلا يدري متى ينفّذ فيه حكم الإعدام ؟ ويقول المؤرّخون : إنّه كان له صديق حميم هو أبان بن الوليد العجلي ، وكان عاملاً على واسط من قِبل الأمويّين ، فلمّا انتهت إليه أنباء الكميت أرسل بالفور إليه غلامه ، وأمره بالاسراع إليه ، وحمله رسالة عرّفه فيها بأنّ مصيره القتل ، وإنّه لا خلاص له منه إلّا بأن يحتال فيرسل بأسرع وقت خلف زوجته إلى السجن ، ويلبس لباسها ، وتكون مكانه في السجن من حيث لا يعلم السجّانون ، ويكون بذلك نجاته ، وفعل الكميت ذلك ، وهرب من السجن بعد أن لبس لباس زوجته ، وقد ظنّ السجّان أنّه زوجة الكميت فلم يفتّشه ، وقد نجا بذلك من القتل المحتّم ، وأنشأ الكميت بعد هروبه هذين البيتين :

خَرَجتُ خُروجَ القِدحِ قِدْحِ ابنِ مُقْبلِ ... عَلى الرَّغْمِ مِنْ تِلكَ النَّوابحِ وَالمُثْلى (١)
عَلَيَّ ثِيابُ الغانِياتِ وَتَحتَها ... عَزيمةُ أَمرٍ أَشبَهَتْ سَلَّةَ النَّصْلِ

العفو عنه

وبقي الكميت متوارياً عن أنظار السلطة متخفّياً ، وهي تمعن بالتفتيش عنه ، إلّا أنّها لم تهتد إلى معرفته ، وقد عزم الكميت على مدح هشام وبني اُميّة لينجو ممّا هو فيه ، وقبل أن ينظم فيهم أرسل ورداً مع ابن أخيه زيد إلى الإمام أبي جعفر عليه السلام يستأذنه فيما عزم عليه ، فأذن له الإمام عليه السلام وقفل ورد إلى عمّه فعرّفه برضاء الإمام (٢).

---

(١) **النوابح** :كلاب الصيد ، كنّى بها عمّن يتعقبه. **والمشلي** : من أشلى ، يشلي ، إذا أغرى الكلب ودعاه إلى الصيد.

(٢) مقدّمة الهاشميّات : ١٧.

واتّجه الكميت مع جماعة من بني أسد إلى دمشق ، فلمّا انتهوا إليها قصدوا جماعة من أشراف قريش ، وأحاطوهم علماً بالأمر ، فأجابوهم ، وخفّوا جميعاً سوى الكميت إلى عنبسة بن سعيد بن العاص ، فقالوا له : يا أبا خالد ، هذه مكرمة أتاك الله بها ، هذا الكميت بن زيد لسان مضر ، وكان أمير المؤمنين قد كتب في قتله فنجا حتّى تخلّص إليك وإلينا .

واستجاب لهم عنبسة ، واتّجه إلى مسلمة بن هشام ، فقال له : يا أبا شاكر ، مكرمة أتيتك بها تبلغ بها الثريّا .

فقال له مسلمة : ما هي ؟

فأخبره بالأمر ، فأجاره مسلمة(١) .

وشاع ذلك ، فلمّا بلغ هشام دعا بولده مسلمة فصاح به : أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره ؟

- كلّا ولكنّي انتظرت سكون غضبه .

- أحضرنيه الساعة فإنّه لا جوار لك .

وقام مسلمة من مجلس أبيه ، ومضى نحو الكميت ، فقال له : يا أبا المستهلّ ، إنّ أمير المؤمنين قد أمرني بإحضارك .

فقال الكميت : أتسلّمني يا أبا شاكر ؟

- كلّا .

ومهّد مسلمة الطريق إلى نجاته ، فقال له : إنّ معاوية بن هشام مات قريباً ، وقد جزع عليه جزعاً شديداً ، فإذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره ، وأنا أبعث لك بنيه يكونون معك في الرواق ، فإذا دعا بك تقدّمت عليهم أن يربطوا

---

(١) الغدير : ٢ : ٢٠٦ .

ثيابهم بثيابك ، ويقولون : هذا استجار بقبر أبينا ، ونحن أحقّ بإجارته ، ثمّ تركه وانصرف .

واتّجه الكميت في الليل نحو قبر معاوية فضرب رواقه عليه ، ولمّا أصبح هشام تطلّع من قصره إلى قبر ولده ، فقال : ما هذا ؟

فقالوا له : لعلّه مستجير بالقبر .

فقال : يجار كلّ من كان إلّا الكميت ، فإنّه لا جوار له .

فقيل له : إنّه الكميت .

فأمر بإحضاره ، فأُحضر وقد ربط صبيان معاوية ثيابهم بثيابه ، فلمّا نظر إليهم هشام أغرق في البكاء ، وقد رفعت الصبية أصواتهم قائلين له : يا أمير المؤمنين ، استجار بقبر أبينا ، وقد مات ، ومات حظّه من الدنيا ، فاجعله هبة له ولنا ، ولا تفضحنا فيمن استجار به ، فبكى هشام ، ثمّ أقبل على الكميت فقال له : أنت القائل :

وَإِلّا فَقولوا غَيرها تَتَعَرَّفوا ... نَواصِيَها تُرْوى بِنا وَهيَ شزَّبُ[1]

واعتذر الكميت ، فصاح به هشام فقال له : إيه يا كميت ، ألست القائل :

فَيا مُوقِداً ناراً لِغَيرِكَ ضَوؤُها ... وَيا حاطِباً في غَيرِ حَبلِكَ تَحْطبُ

- بل أنا القائل :

إِلىٰ آلِ بَيتِ أَبي مالِكٍ ... مناخٌ هُوَ الأَرحَبُ الأَسْهَلُ
نَمُتُّ بِأَرْحامِنا الدّاخِلا ... تِ مِنْ حَيثُ لا يُنكَرُ الْمَدخَلُ
بِمرَّةَ وَالنَّضرِ وَالْمالِكيـ ... ـن رَهطٌ هُمُ الأَنبَلُ الأَنبَلُ
وَجَدْنا قُرَيشاً قُرَيشَ البِطاحِ ... عَلىٰ ما بَنىٰ الأَوَّلُ الأَوَّلُ

---

(١) **شازب القوم على الأمر** : أي كان لكلّ واحد منهم حظّ ينتظره . يقال : هم متشازبون .

- وأنت القائل :

لَا كَــعَبدِ المَــليكِ أَو كَـوليدٍ ... أَو سُــلَيمانَ بَـعْدُ أَو كَـهِشامِ
مَنْ يَمُتْ لَا يَمُت فَقيداً وَمَنْ يَحْـ ... ـيَ فَـلا ذو إِلٍّ وَلا ذو ذِمـامِ

ويلك يا كميت ! جعلتنا ممّن لا يرقب في مؤمن إلاّ ولا ذمّة .

قال الكميت : بل أنا القائل :

فَــالآنَ صِــرتُ إِلىٰ أُمَــيَّـ ... ـةَ وَالأُمــورُ إِلى المَــصائِرْ
وَالآنَ صِــرتُ بِــها إِلى المُـ ... ـصيبِ كَمُهتَدٍ بِالأَمْسِ حائِرْ

قال هشام : ألست القائل :

فَـقُلْ لِبَني أُمَيَّةَ حَيْثُ حَلُّوا ... وَإِنْ خِـفْتُ الْـمُهَنَّدَ وَالْـقَطيعا
أَجــاعَ اللهُ مَــنْ أَشْـبَعْتُمُوهُ ... وَأَشْـبَعَ مَـنْ بِـجَوْرِكُمْ أُجِيعا
بِــمَرْضِيِّ السِّــياسَةِ هــاشِميٍّ ... يَكُــونُ حَــياً لأُمَّــتِهِ رَبِــيعا

قال الكميت : يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أن تمحو عنّي قولي الكاذب ؟

- بماذا ؟

- بقولي الصادق :

أَورَثَــتْهُ الحَـصانُ أُمُّ هِشـامٍ ... حَسَـباً ثـاقِباً وَوَجْـهاً نَـضيرا
وَتَعاطىٰ به ابنُ عائِشَةَ البَـد ... رَ فأمسـىٰ لَـهُ رَقـيباً نَـظيراً
وَكَساهُ أَبـو الخَـلايفِ مَـروا ... نُ سَـناءَ المَكـارِمِ المَأْثورا
لَمْ تَجَهَّمْ[١] لَهُ البِطاحُ وَلكِنْ ... وَجَدتها لَـهُ مَـعاناً[٢] وَدورا

---

(١) **تجهّم له** : استقبله بوجهٍ عبوس كريه .

(٢) **المَعان** ـ بفتح الميم ـ: المنزل يقال : **هم منك بمعان** أي : بحيث تراهم بعينك .

وغزت هذه الأبيات قلب هشام ، وأزالت عنه الغيظ ، فاستوى جالساً وأخذ يبدي إعجابه بهذه الأبيات قائلاً: هكذا فليكن الشعر ! قد رضيت عنك يا كميت .

وشكره الكميت ، وطلب منه أن لا يجعل لخالد بن عبدالله القسري إمارة عليه ، فأجابه إلى ذلك ، وأمر له بأربعين ألف درهم ، وثلاثين ثوباً هشاميّة ، وكتب إلى خالد أن يخلي سبيل امرأته ، ويعطيها عشرين ألف درهم ، وثلاثين ثوباً ، ففعل خالد(١) .

لقد استطاع الكميت أن يتغلّب على الأحداث بلباقته ، وقوّة بيانه ، وبليغ منطقه ، وتماسك شخصيّته ، فلم ينهار أمام الطاغية هشام ، ولم يراوده الخوف والفزع ، وإنّما كان كالجبل فى صلابة إرادته ، وقوة عزيمته ، ولم يكتف بما ظفر به من السلامة والنجاة ، وإنّما طلب من هشام أن لا يجعل لحاكم الكوفة عليه سلطاناً وسبيلاً ، ويتركه وحرّيّته فيما يقول ويعمل .

عتاب واعتذار

ووفد الكميت على الإمام أبي جعفر عليه السلام فرحّب به ، وقرّب مجلسه ، وتبسّم في وجهه وعاتبه عتاباً رقيقاً ، قال له : **يا كُمَيْتُ ، أَنْتَ الْقائِلُ** :

فَالآنَ صِرتُ إلىٰ أُمَيَّـ ـةَ وَالأُمورُ إلى المَصائِرْ

واعتذر الكميت ، وأجاب جواب العالم الفقيه قائلاً: نعم ، قد قلت ذلك ، ولا والله ما أردت به إلّا الدنيا ، لقد عرفت فضلكم .

ومنحه الإمام الباقر الرضا والقبول ، وقال له : **أَما إنْ قُلْتَ ذلِك تَقِيَّةً إنَّ التَّقِيَّةَ لَتَحِلُّ**(٢) .

---

(١) الأغاني : ١٥ : ١١٥ ـ ١١٩ . العقد الفريد : ١ : ١٨٩ .

(٢) الأغاني : ١٥ : ١٢٦ .

وهذا إنّما يتمّ بناءً على عدم استئذانه من الإمام في مدح الأمويّين ، لقد كان الكميت صادق المودّة والولاء لأهل البيت عليهم السلام وقد امتحن في سبيلهم أعظم ما يكون الامتحان ، فتعرّض لسخط الأمويّين ونقمتهم ، وقضى شطراً من حياته في السجن يلاحقه الفزع والرعب ، وهو لم يبتغ بذلك إلّا وجه الله والدار الآخرة .

إلى جنّة المأوى

وشاء الله لهذا العملاق العظيم الذي نافح عن حقوق أهل البيت عليهم السلام أن يرزق الشهادة على يد شرار بريّته ، فقد دخل على والي العراق يوسف بن عمر بعد عزل خالد القسري الذي نكلّ به ، فأنشده قصيدة يثني فيها عليه ، ويعرّض بالقسري جاء فيها :

خَرَجتَ لَهُمْ تَمشي البَراحَ وَلَمْ تَكُنْ ... كَمَنْ حِصنُهُ فيهِ الرِّتـاجُ المُـضَبَّبُ

وَمـا خـالِدٌ يَسـتَطعِمُ المـاءَ فـاغِراً ... بِعَدلِكَ وَالدّاعي إِلى المَوتِ يَنعَبُ

وكان الحرس الذين على رأس يوسف متعصّبين لخالد ، فوضعوا سيوفهم في بطنه ، وقالوا : أتنشد الأمير ، ولم تستأمره ، فأخذه نزيف الدم[١] ، وأُخرج وهو يجود بنفسه ، وأُغمي عليه ، ثمّ أفاق وهو يقول : « اللّهمّ آل محمّد ، اللّهمّ آل محمّد »[٢] .

ثمّ فاضت نفسه الزكيّة ، وارتفعت إلى بارئها كما ترتفع أرواح الأولياء تحفّها ملائكة الله ورضوانه .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن هذا العملاق العظيم الذي وهب مشاعره وعواطفه لآل النبيّ صلى الله عليه وآله ، وصاغ فكره وعقيدته فيهم على أساس العلم والمنطق ، فلم يندفع

---

(١) الأغاني : ١٥ : ١٢١ .

(٢) الأغاني : ١٥ : ١٣٠ .

في ولائه لهم وراء العاطفة ، وإنّما استند في ذلك إلى الأدلّة الحاسمة من القرآن والسنّة ، حسب ما أشار إليها في هاشميّاته التي هي من أثمن الثروات الفكريّة والعلميّة في الأدب العربي والإسلامي .

وقبل أن أطوي الصفحة الأخيرة من الجزء الأوّل من هذا الكتاب أرى من الحقّ عليَّ أن أُشيد بالملاحظات الفنيّة والعلميّة التي تكرّم بها عليَّ سماحة الحجّة الأخ الشيخ هادي القرشي ، سائلاً من الله تعالى أن يجزيه عنّي خير ما يجزي أخاً عن أخيه ، وبهذا ينتهي بنا المطاف عن الجزء الأوّل من هذا الكتاب .

أمّا الجزء الثاني فأودّ أن أُبيّن أنّ من بين ما يعرض له البحث عن ملوك الأمويّين الذين عاصرهم الإمام أبو جعفر عليه السلام ، فقد بسطنا الحديث عنهم ، وذكرنا ما أُثر عنهم من الأعمال التي لا تتّفق مع قواعد هذا الدين وأُصوله ، والتي منها ما عاناه الناس من الظلم الهائل ، وعدم الاعتراف بأي حقّ من حقوقهم الفرديّة والاجتماعيّة ، فقد حوّلوا البلد إلى مزرعة خاصّة لهم يصيبون منها ما شاءوا ، فالسواد ـ على حدّ تعبير ابن العاص ـ بستان قريش ، وقد أجحفوا في جباية الخراج ، وساموا الناس سوء العذاب .

وكان من الضروري جدّاً عرض ذلك لأنّه يصوّر الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة التي عاشها الإمام ، وقد أصبحت دراسة مثل هذه البحوث ممّا لا بدّ منها في الدراسات الحديثة .

كما عرضنا إلى عصر الإمام عليه السلام ذلك العصر الذي هو أكثر العصور الإسلاميّة حسّاسيّة ، فقد نشأت فيه الفرق الإسلاميّة التي كانت من أخطر الظواهر الفكريّة والاجتماعيّة في ذلك العصر ، كما تصاعدت

فيه حدّة الصراع الفكري والعقائدي بين الأحزاب التي تصارعت بصورة مذهلة على الوصول إلى الحكم، وكان من نتائج ذلك الصراع إيقاف المسيرة الإسلاميّة، ووضع السدود والحواجز أمام الزحف الإسلامي المقدّس.

هذا بعض ما سيجده القارئ في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

الحمد لله رب العالمين
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

المحتويات

الإهداء ٧
التقديم ٩

الوليد العظيم

١٧ ـ ٣٠

الأمّ ١٩
الأب ٢٠
الوليد العظيم ٢٠
تسميته عليه السلام ٢١
كنيته عليه السلام ٢١
ألقابه عليه السلام ٢٢
تحيّات النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الباقر عليه السلام ٢٣
ملامحه عليه السلام ٢٧
ذكاؤه عليه السلام المبكّر ٢٧
هيبته ووقاره عليه السلام ٢٨
نقش خاتمه عليه السلام ٢٩

إقامته عليه السلام ٢٩

في ظلال جدّه وأبيه عليهم السلام

٣١ ـ ٦١

في ظلال جدّه عليه السلام ٣٣
في ظلال أبيه عليه السلام ٣٤
إكبار وتعظيم ٣٥
١ ـ سعيد بن المسيّب ٣٥
٢ ـ الزهري ٣٥
٣ ـ زيد بن أسلم ٣٥
٤ ـ عمر بن عبدالعزيز ٣٦
٥ ـ أبو حازم ٣٦
٦ ـ مالك ٣٦
٧ ـ جابر بن عبدالله ٣٦
٨ ـ الواقدي ٣٦
سموّ أخلاقه عليه السلام ٣٧
نشره عليه السلام للعلم ٣٩
حثّه عليه السلام على طلب العلم ٣٩
تكريمه عليه السلام لطلاب العلوم ٤٠
احتفاف القرّاء به عليه السلام ٤٠
عتقه عليه السلام للموالي ٤٠
عبادته وتقواه عليه السلام ٤١

صدقاته وبرّه عليه السلام ٤٣
رائعة الفرزدق ٤٥
الحزن العميق ٤٨
وصاياه عليه السلام لولده الباقر عليه السلام ٤٩
أدعيته عليه السلام لولده ٥١
في ذمّة الخلود ٥٥
اغتيال الإمام عليه السلام ٥٥
نصّه على إمامة الباقر عليه السلام ٥٦
وصيّته لولده الباقر عليه السلام ٥٧
إلى الرفيق الأعلى ٥٧
تجهيزه عليه السلام ٥٨
تشييعه عليه السلام ٥٨
في مقرّه عليه السلام الأخير ٥٩
أُسطورة ٦٠

إخوته وأبناؤه عليهم السلام

٦٣ ـ ٩٨

إخوته عليه السلام ٦٥
زيد الشهيد ٦٦
ولادته ٦٦
نشأته ٦٧
عبادته وتقواه ٦٨

علمه وأدبه ٦٨
إكبار الإمام الباقر عليه السلام لزيد ٧١
مع هشام بن عبدالملك ٧٣
مشروعيّة الثورة ٧٥
الثورة الكبرى ٧٧
الخيانة والغدر ٨١
في ذمّة الخلود ٨١
التنكيل بأنصار زيد ٨٤
سخط المسلمين ٨٥
حرق الجثمان العظيم ٨٨
مع المسعودي ٨٩
الحسين الأصغر ٨٩
علمه ٩٠
حلمه ووقاره ٩٠
تقواه وورعه ٩٠
وفاته ٩١
عبدالله الباهر ٩١
لقبه ٩١
علمه ٩١
ولايته على صدقات النبيّ صلى الله عليه وآله ٩٢
وفاته ٩٢
عمر الأشرف ٩٢

كنيته ٩٣
لقبه ٩٣
علمه ٩٣
ولايته على صدقات النبيّ صلى الله عليه وآله ٩٣
وفاته ٩٤
عليّ ٩٤
أبناء الإمام الباقر عليه السلام ٩٥
١ ـ إبراهيم ٩٥
٢ ـ الإمام جعفر عليه السلام ٩٥
٣ ـ عبدالله ٩٦
٤ ـ عبدالله ٩٧
٥ ـ عليّ ٩٧
السيّدات من بناته عليه السلام ٩٨

انطباعات عن شخصيته عليه السلام

٩٩ ـ ١١٦

١ ـ الإمام الصادق عليه السلام ١٠١
٢ ـ ابن أبي الحديد ١٠١
٣ ـ ابن تيميّة ١٠٢
٤ ـ ابن حجر الهيتمي ١٠٢
٥ ـ ابن عنبة ١٠٣
٦ ـ ابن كثير ١٠٣

٧ـ أبو الحسن الطبرسي ١٠٣
٨ـ أبو زرعة ١٠٤
٩ـ أبو زهرة ١٠٤
١٠ـ أحمد فهمي ١٠٤
١١ـ إدريس القرشي ١٠٤
١٢ـ تاج الدين ١٠٥
١٣ـ التلمساني ١٠٥
١٤ـ جابر بن عبدالله ١٠٥
١٥ـ جابر بن يزيد ١٠٦
١٦ـ جمال الدين ١٠٦
١٧ـ الذهبي ١٠٦
١٨ـ سديف المكّي ١٠٧
١٩ـ الشيخاني ١٠٧
٢٠ـ عباس المكّي ١٠٨
٢١ـ عبدالحميد الحنبلي ١٠٨
٢٢ـ عبدالقادر الحلبي ١٠٨
٢٣ـ عبدالله بن عطاء ١٠٨
٢٤ـ علي بن عيسى الأربلي ١١٠
٢٥ـ فريد وجدي ١١٠
٢٦ـ القرماني ١١٠
٢٧ـ محمّد كاظم اليماني ١١١
٢٨ـ كمال الدين الشافعي ١١١

٢٩ـ المجلسي ١١١
٣٠ـ محمّد بن أبي بكر ١١٢
٣١ـ محمّد بن المنكدر ١١٢
٣٢ـ محمّد الجزري ١١٣
٣٣ـ محمّد الصبان ١١٣
٣٤ـ المنصور الدوانيقي ١١٣
٣٥ـ الشيخ المفيد ١١٤
٣٦ـ محمود بن وهيب ١١٤
٣٧ـ النبهاني ١١٥
٣٨ـ النووي ١١٥
٣٩ـ هشام بن عبدالملك ١١٥

مظاهر شخصيته عليه السلام

١١٧ ـ ١٣٩

إمامته عليه السلام ١١٩
العصمة ١٢٠
تعريف العصمة ١٢٠
الاستدلال بها ١٢١
شكوك وأوهام ١٢٢
حلمه عليه السلام ١٢٤
صبره عليه السلام ١٢٦
تكريمه عليه السلام للفقراء ١٢٧

عتقه عليه السلام للعبيد ١٢٨
صلته عليه السلام لأصحابه ١٢٨
صدقاته عليه السلام على فقراء المدينة ١٢٨
كرمه وسخاؤه عليه السلام ١٢٩
عبادته عليه السلام ١٣١
١ ـ خشوعه عليه السلام في صلاته ١٣١
٢ ـ كثرة صلاته عليه السلام ١٣١
٣ ـ دعاؤه عليه السلام في سجوده ١٣٢
٤ ـ دعاؤه عليه السلام في قنوته ١٣٣
حجّه عليه السلام ١٣٧
مناجاته عليه السلام مع الله ١٣٧
ذِكره عليه السلام لله تعالى ١٣٨
زهده عليه السلام في الدنيا ١٣٨

مواهبه وعبقرياته عليه السلام

١٤١ ـ ٣٤٧

الحياة العلميّة في عصره عليه السلام ١٤٤
الدور المشرق للإمام عليه السلام ١٤٤
العلوم التي بحثها عليه السلام ١٤٦
الحديث ١٤٦
روايات الأئمة عليهم السلام ١٤٧
أحاديث الإمام الباقر عليه السلام ١٤٨

رواياته عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله ١٤٨
رواياته عليه السلام عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ١٧٢
روايته عليه السلام عن جدّه الحسين عليه السلام ١٧٦
روايته عليه السلام عن أبيه عليه السلام ١٧٦
روايته عليه السلام عن جابر الأنصاري ١٧٧
روايته عليه السلام عن عمر ١٧٧
روايته عليه السلام عن ابن عبّاس رضي الله عنه ١٧٨
روايته عليه السلام عن زيد بن أرقم ١٧٨
روايته عليه السلام عن أبي ذرّ رضي الله عنه ١٧٩
تفسير القرآن الكريم ١٨٠
فضل قراءة القرآن ١٨٠
الترجيع بقراءة القرآن ١٨١
تنزيه القرآن من الباطل ١٨١
ذمّ المحرّفين للقرآن ١٨٢
الاستعمالات المجازيّة في القرآن ١٨٢
البسملة جزء من سور القرآن ١٨٣
نزول القرآن على سبعة أحرف ١٨٤
الحروف السبعة ١٨٤
إنكار الإمام للأحرف السبعة ١٨٦
طرق التفسير ١٨٦
التفسير بالمأثور ١٨٦
التفسير بالرأي ١٨٧

تفسير الإمام الباقر عليه السلام ١٨٨

نماذج من تفسيره عليه السلام ١٨٩

علم الكلام ١٩٧

التوحيد ١٩٧

١ - عجز العقول عن إدراك حقيقة الله ١٩٧

٢ - أزليّة واجب الوجود ١٩٩

٣ - النهي عن الكلام في ذات الله ٢٠٢

٤ - علم الله ٢٠٣

٥ - واقع التوحيد ٢٠٣

٦ - صفات الله ٢٠٤

٧ - الشكّ والجحود ٢٠٤

الإمامة ٢٠٤

الحاجة إلى الإمام ٢٠٥

وجوب معرفة الإمام ٢٠٦

وجوب طاعة الإمام ٢٠٨

حقّ الإمام على الناس ٢٠٨

عظمة الإمامة ٢٠٩

الولاية لأئمّة أهل البيت عليهم السلام ٢٠٩

الإشادة بالأئمّة عليهم السلام ٢١٠

عدد الأئمّة عليهم السلام ٢١٢

محن الأئمّة عليهم السلام ٢١٤

حثّه على نشر مآثر الأئمّة عليهم السلام ٢١٥

علم الأئمّة عليهم السلام ٢١٥
الملاحم التي أخبر عنها ٢١٩
علم الفقه ٢٢٥
مميّزاته ٢٢٧
١ـ اتّصاله بالنبيّ صلى الله عليه وآله ٢٢٨
٢ـ مرونته ٢٢٩
٣ـ فتح باب الجهاد ٢٢٩
٤ـ الرجوع إلى حكم العقل ٢٣٠
مسائل فقهيّة ٢٣١
حكم القتال في الإسلام ٢٣١
المسح على الخفّين ٢٣٥
مسّ الفرج لاينقض الوضوء ٢٣٥
الجهر في صلاة الاخفات ٢٣٦
الصلاة على آل النبيّ في التشهّد ٢٣٦
علم الأُصول ٢٣٨
الاستصحاب ٢٣٩
قاعدة التجاوز ٢٣٩
قاعدة الفراغ ٢٣٩
قاعدة نفي الضرر ٢٤٠
علاج التعارض ٢٤١
١ـ الشهرة ٢٤٢
٢ـ موافقة الكتاب والسنّة ٢٤٢

٣ـ الترجيح بالصفات ٢٤٢
بحوث اقتصاديّة ٢٤٤
ضرورة تحسين المعيشة ٢٤٤
التحذير من الكسل ٢٤٤
مقته عليه السلام لتارك العمل ٢٤٥
العمل طاعة لله ٢٤٦
أهمّيّة العلم والعلماء ٢٤٧
فضل العلم ٢٤٧
فضل العالم ٢٤٨
مجالسة العلماء والمتّقين ٢٤٨
مذاكرة العلم ٢٤٨
آداب المتعلّم ٢٤٩
بذل العلم ٢٤٩
الحثّ على التعلّم ٢٤٩
التفقّه في الدين ٢٥٠
العمل بالعلم ٢٥٠
قبول العمل بالمعرفة ٢٥٠
ذمّ المباهاة بطلب العلم ٢٥١
الفتوى بغير علم ٢٥١
صفات العالِم ٢٥٢
في رحاب الإيمان ٢٥٥
حقيقة الإيمان ٢٥٥

مراتب الإيمان ٢٥٥
صفات المتّقين ٢٥٧
مع الشيعة ٢٥٨
وصيته عليه السلام لشيعته ٢٥٩
الشيعة الأوائل ٢٦٣
صفات الشيعة ٢٦٤
نصائحه عليه السلام للشيعة ٢٦٥
حبّ أهل البيت عليهم السلام ٢٦٧
تسمية الشيعة بالرافضة ٢٧٠
دعاؤه عليه السلام لشيعته ٢٧١
سنن وحكم الأنبياء ٢٧٢
من وحي الله لآدم عليه السلام ٢٧٢
حكمة لسليمان عليه السلام ٢٧٢
حكمة في التوراة ٢٧٣
تسمية نوح بالعبد الشكور ٢٧٣
دعاء نوح عليه السلام على قومه ٢٧٤
إسماعيل أوّل من تكلّم بالعربيّة ٢٧٤
مناجاة الله مع موسى عليه السلام ٢٧٥
نفي الأُمّيّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله ٢٧٥
نوح عليه السلام وإبليس ٢٧٦
موت سليمان عليه السلام ٢٧٧
التقاء يعقوب بيوسف عليهما السلام ٢٧٧

مدّة حياة يعقوب بمصر ٢٧٨
مع السيرة النبويّة ٢٧٩
استعارة النبيّ صلى الله عليه وآله السلاح من صفوان ٢٧٩
مسيرة خالد إلى بني جذيمة ٢٨٠
سيرة الإمام عليّ عليه السلام ٢٨٢
إخبار أمير المؤمنين عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام ٢٨٣
صفة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٢٨٤
أحداث صفّين ٢٨٤
فكّ الحصار عن الماء ٢٨٤
معاوية مع ابن العاص ٢٨٥
خطبة للإمام عليه السلام بصفّين ٢٨٦
يوم الهرير ٢٨٨
وثيقة التحكيم ٢٩١
مأساة الإمام الحسين عليه السلام ٢٩٤
رواية عمّار الدهني ٢٩٤
وصاياه عليه السلام القيّمة ٣٠٥
وصاياه لولده الصادق عليه السلام ٣٠٥
وصيته عليه السلام لبعض أبنائه ٣٠٦
وصيّته عليه السلام لعمر بن عبدالعزيز ٣٠٦
وصيّته عليه السلام لجابر الجعفي ٣٠٧
وصيّته عليه السلام لرجل ٣١١
وصيّته عليه السلام لبعض أصحابه ٣١٢

مواعظه ٣١٤
فضل العقل ٣١٩
الفطنة ٣١٩
إجالة الفكر ٣٢٠
مكارم الأخلاق ٣٢١
الإحسان ٣٢١
فعل المعروف ٣٢١
مقابلة المعروف بالإحسان ٣٢٢
آداب السلوك ٣٢٤
طلاقة الوجه ٣٢٤
معاملة الناس بالحسنى ٣٢٤
حقوق المسلم ٣٢٤
قضاء حاجة المسلم ٣٢٥
صلة الأرحام ٣٢٦
الصدقة ٣٢٦
العطف على اليتيم ٣٢٦
محاسن الصفات ٣٢٧
الصمت ٣٢٨
مساوئ الصفات والأعمال ٣٢٩
الغيبة والبهتان ٣٣١
الغضب وعلاجه ٣٣٢
العجب ٣٣٢

أدعيته عليه السلام ٣٣٣
الحثّ على الدعاء ٣٣٦
روائع الحكم ٣٣٧
نظمه عليه السلام للشعر ٣٤٧

مع كثيّر عزة والكميت

٣٤٩ ـ ٤٠٥

كُثيِّر عَزَّة ٣٥١
ولاؤه لأهل البيت عليهم السلام ٣٥١
مع الإمام الباقر عليه السلام ٣٥٢
مدحه لبني مروان ٣٥٢
وفاته ٣٥٣
رواية موضوعة ٣٥٣
الكميت الأسدي ٣٥٦
ولادته ونشأته ٣٥٦
مواهبه ٣٥٧
شعره ٣٥٧
الكميت مع الفرزدق ٣٥٨
مميّزات شعره ٣٦٠
صلابته في عقيدته ٣٦٣
مع الإمام الباقر عليه السلام ٣٦٣
تعطّشه لرؤيا الإمام عليه السلام ٣٦٤

رثاؤه للحسين عليه السلام ٣٦٥
الميميّة من هاشميّاته ٣٦٧
اللاميّة من هاشميّاته ٣٨٦
العينيّة من هاشميّاته ٣٩٠
نضاله المرير ٣٩٣
١ ـ مدحه لأهل البيت عليهم السلام ٣٩٣
٢ ـ هجاء الأمويّين ٣٩٤
٣ ـ إثارة العصبيّة بين اليمنيّة والنزاريّة ٣٩٥
اعتقاله ٣٩٧
هربه من السجن ٣٩٨
العفو عنه ٣٩٨
عتاب واعتذار ٤٠٢
إلى جنّة المأوى ٤٠٣

محتويات الكتاب ٤٠٧